جامعة البليدة 2

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة الدكتوراه

التخصص : اللغة العربية وآدابها

تشكل بناء المعجم العربي دراسة وصفية تحليلية
أنموذج الصوتيات الوظيفية

من طرف

يمينة مصطفاي

أمام اللجنة المشكلة من

بوعبد الله لعبيدي	أستاذ محاضر_أ_، جامعة البليدة	رئيسا
عمار ساسي	أستاذ التعليم العالي،جامعة البليدة	مشرفا ومقررا
عبد المجيد سالمي	أستاذ محاضر_أ_، جامعة الجزائر2	عضوا مناقشا
مبارك تريكي	أستاذ محاضر_أ_،جامعة المدية	عضوا مناقشا
هشام خالدي	أستاذ محاضر_أ_، جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
محمد زوقاي	أستاذ محاضر_أ_، جامعة المدية	عضوا مناقشا

البليدة ، ديسمبر 2013

ملخص

لقد حاولت في هذا البحث تسليط الضوء على جزء مهم من ذاكرة الفكر العربي الإسلامي ، ألا وهو المعجم العربي الذي يمثل وثيقة تاريخية تحمل في طياتها مظاهر الحياة عند العرب في كل جوانبها المختلفة ، والحديث عن المعجم العربي لا يعني الحديث عن المعاجم اللغوية العامة لوحدها ولا المعاجم المختصة لوحدها، بل هذا الكل المتكامل، وهذا الأخير عرف إجحافا كبيرا ولم يحظ بالذكر التاريخي والدراسة المعمقة من قبل الباحثين المحدثين والمعاصرين – حيث إن أغلب المؤلفات حول المعجم العربي الموجودة في المكتبات العربية نجد عناوينها تتضمن "المعجم العربي"، ولكن محتوياتها تخلو في الغالب من الحديث عن المعجم المختص. باستثناء أسماء أعلام تعد على الأصابع من أمثال الجيلالي حلام –رحمه الله- من الجزائر، وإبراهيم بن مراد من تونس وغيرهما قليل جدا – مع العلم أن العلوم العربية قد تنوعت وتعددت في مجالات لغوية وفنية وعلمية محضة في فترات متداخلة .فعرفت إلى جانب اللغة النحو والعروض والبلاغة وأيضا الفلسفة والتصوف وأيضا الفلك والجغرافيا والطب وغيرها من العلوم والمعارف، وكان التأليف المعجمي فيها متلاحقا إما في صورة مستقلة أو ضمن الكتب الموسوعية في اختصاص معين .فكان (المعجم المتخصص) على قدم المساواة في النشأة والظهور والتطور في تاريخ المعاجم العربية سواء بسواء ، مع المعجم العام .

فلماذا هذا الإهمال الكبير من قبل العلماء لدراسته رغم أهميته ووجوده جنب المعجم اللغوي منذ بداياته الأولى ؟ ورغم الحاجة الماسة له في عصرنا الحالي من أجل الاستفادة منه في استنباط قواعد وأسس التأليف المعجمي المتخصص الحديث في مختلف علوم ومعارف العربية.

وبناء على هذا رأيت من الضروري دراسة المعاجم العربية بنوعيها اللغوي العام والمختص في بحث واحد، فعملت على دراستها وفق أسس البناء التي اتفق عليها العلماء قديما وحديثا. وقد حاولت في كل مرحلة من مراحل البحث التركيز –في الغالب - أثناء العرض على أحدها أو اثنين منها دون الآخرين ، (حتى لا يأخذ البحث صفة الموسوعية). فكان للمصادر بكل أنواعها نصيب من التوظيف، وللمستويات اللغوية، الفصيح ودونه أيضا نصيب بحسب الحاجة، وظهرت أنواع من الترتيب قد تكون كل ما يمكن أن يحتمل أن ترتب عليه مواد أي لغة في أي نوع من المعاجم.هذا من جهة الاهتمام بنوع التأليف المعجمي.(عام أو مختص).

وفي دراستنا للمعاجم المختصة قديما وحديثا خاصة لاحظنا شبه غياب كامل لنا للركن الأساس الذي ينبني عليه التأليف المعجمي باعتباره الركن المحدد لمواد المعجم وهو ركن التعريف، الذي يعتبر وضعه

مختلفا تماما. ولا نقصد هنا التعريف اللغوي، فقد استوفى حقه قديما وحديثا، ولكن المقصود هو التعريف العلمي الدقيق للمصطلحات العلمية والفنية على حد سواء .

من أجل الإلمام بحيثيات الموضوع رأيت أن أقسمه إلى ستة فصول ، مهدت لها بمدخل.

حاولت في القسم الأول من المدخل أن أقف على بعض المحطات المعجمية عند غير العرب من الأمم القديمة والأمم الأجنبية ، وذلك بهدف بيان مكانة المعجمية العربية في تاريخ التأليف المعجمي العالمي ، أما القسم الثاني فقد حاولت فيه إعطاء صورة واضحة عن بداية ظهور فكرة التأليف المعجمي عند العرب قديما ، مفصلة الحديث في بعض الرسائل اللغوية في الاختصاصات المختلفة ، والتي تعتبر نواة التأليف المعجمي العربي بنوعيه العام والمختص .

سلطت في الفصلين الأولين من البحث الضوء على أشهر المعاجم العربية العامة قديما وحديثا من أجل رصد أهم خصائص البناء المعجمي ، على مستويي الجمع والوضع ، من حيث المصادر والمستويات اللغوية ، والترتيب والتعريف الذي كان له حصة الأسد من الاهتمام وتركيز الدراسة .

أما الفصلين الثالث والرابع فخصصتهما للمعاجم العربية المختصة قديما وحديثا ، وتناولتها تقريبا بنفس صورة المعاجم العامة ، دائما من أجل بيان الأسس المعتمدة في التأليف المعجمي العربي عاما ومختصا .

أما الفصلين الخامس والسادس فقد حاولت فيهما استغلال معطيات الفصول التاريخية الأربعة السابقة، من أجل التنظير والتأسيس للتأليف المعجمي المنتظر في الصوتيات العربية وبالتحديد في الصوتيات الوظيفية .

فكان الفصل الخامس لعرض أسس التأليف المعجمي المتخصص بداية من مقدمة المعجم وما يجب أن يتوفر فيها ، وكذا نوعه وأهدافه والمنهج المتبع فيه ، بالإضافة للمصادر المعتمدة والمستويات اللغوية الممكنة الوجود فيه ، وأيضا الترتيب المتبع فيه والأنسب حسب التخصص ونوع المعجم، لنصل إلى أهم ركن في البناء المعجمي وهو ركن التعريف الذي فصلنا الحديث في أنواعه حسب ما تفرزه اللسانيات العربية الحديثة .

والفصل السادس يعتبر القسم الأساس من البحث ،وهو الفصل التطبيقي للقسم النظري الذي سبق فصل القول فيه، وهو أنموذج قاموس الصوتيات الوظيفية، والذي حددت فيه أركان البناء انطلاقا من الدراسة السابقة للمعاجم العربية العامة والمختصة قديما وحديثا، فكانت محاولتي البسيطة في تطبيق وإسقاط ما توصلت إليه واستخلصته من نتائج وصف وتحليل ما هو كائن ، للتأسيس لما يجب أن يكون.

فحاولت تقديم مشروع جديد للعمل المعجمي في اللغة العربية، في مجاله المختص، (الصوتيات الوظيفية أنموذج) ، وحددت في إطاره في مجموعة من الأسس والقواعد، بداية من المقدّمة إلى آخر نقطة في المعجم.

هذا كله من أجل الوصول إلى تحقيق جزء من الأهداف المرجوة من البحث وعلى رأسها العمل على التأسيس للمعجمية العربية الحديثة والمختصة خاصة، بتصحيح ما هو موجود وتأصيل ما يجب أن يوجد. وهو العمل المعجمي المؤسس على صحيح ما قدمته المعجمية العربية قديما وما تقدمه المعجمية الحديثة.

فاعتمدت لأجل ذلك المنهج الوصفي التحليلي من أجل رصد الوضع اللغوي في صورته الحقيقية، واستخلاص الأسس والقواعد المعتمدة في البناء المعجمي قيد الدراسة . واعتمدت المنهج التاريخي المقارن للحصول على المعطيات والمعلومات السابقة واللاحقة في تطوّر آليات صناعة المعاجم زمانيا ومكانيا، والمقارنة والوقوف على نقاط الاتفاق والاختلاف من حيث استثمار ما هو موجود ومشترك بين المعاجم العربية فيما بينها ،وتطويره عبر مراحل التأليف المعجمي المتلاحقة .سعيا منا إلى توظيف ما صحّ من مفاهيم وأسس بناء تراثية وحديثة ومعاصرة، وننزلها المنزلة التي تليق بها، ونوظيفها التوظيف الفعّال لإنجاز المعجم المأمول .

محاولة في الأخير تسجيل ورقة خاصة فيها كل التعريفات الشاملة لكل مصطلح حتى نوفيه حقه ومستحقه من أركان التعريف، وحتى نعطي الصورة الأنموذج لوصف وتحليل المصطلحات. ثم استخلاص التعريف الجامع منها والعمدة.والذي يعتبر من أهم الأهداف المرجوة من هذا العمل في المعجم المنشود .

ويعتبر هذا العمل أول محاولة لوضع معجم متخصص في الصوتيات الوظيفية العربية، وقد تداخلت فيه علوم مختلفة أهمها : علم المعاجم وعلم الدلالة وعلم المصطلح وعلم الأصوات وعلم التأصيل وعلم الصرف وغيرها .

وفي ختام البحث سجلت أهم النتائج والحقائق المتوصل إليها من هذه الدراسة فيما يتعلق بالمعجم العربي العام والمختص وقضاياه التي يطرحها على الساحة النظرية والتطبيقية والتي بسطنا الحديث عنها في طرح إشكالية هذا العمل وأهدافه ، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع المعتمدة .

شكر

أتقدم بالشكر الكبير والجزيللأستاذي الفاضل : الأستاذ المشرف، الأستاذ الدكتور عمار ساسي على دعمه وتشجيعه .

كما أتقدم بالشكر لكل من ساعدني بالقليل والكثير، بالكلمة الطيبة وخاصة بالدعاء في إنجاز هذا العمل.

قائمة الجداول

قائمة الأشكال

الفهرس

مقدمة

بعد أن أنجزت مذكرة الماجستير في المصطلح الصوتي عموما، بإشراف الأستاذ الدكتور:عمارساسي، وأكدت في خاتمتها على ضرورة مواصلة البحث في الموضوع. فكان الأمر كذلك وجاء مشروعي للدكتوراه بعنوان تشكل بناء المعجم العربي، دراسة وصفية تحليلية، نموذج الصوتيات الوظيفية.

كانت علوم العرب قديما تشكل لحمة متماسكة تهتم بكل ما يتعلق باللغة العربية ، وكان علم المعاجم - (الذي برزت فيه أسماء كثير من العلماء كالخليل بن أحمد الفراهيدي، وأحمد فارس الشدياق وغيرهم كثيرون، كما سنرى في تفاصيل هذا البحث إن شاء الله.) - من أبرز هذه العلوم التي اتصلت به مختلف علوم العربية، ومن بينها علم الأصوات، الذي كان علم المعاجم يخدمه ويستغل أبحاثه في خدمته في نفس الوقت .

وإن هذا العمل يندرج في إطار أعمال مخبر موسوعة الصوتيات العربية الحديثة الذي يشرف على إنجازاته الأستاذ الدكتور عمار ساسي. ومن هذا المنطلق فإن الحديث عن مشروع الموسوعة يتطلب حتما الحديث عن المعجم العربي بنوعيه العام والمختص، وهذا الأخير عرف إجحافا كبيرا ولم يحظ بالذكر التاريخي والدراسة المعمقة من قبل الباحثين المحدثين والمعاصرين – حيث إن أغلب المؤلفات حول المعجم العربي الموجودة في المكتبات العربية نجد عناوينها تتضمن "المعجم العربي"، ولكن محتوياتها تخلو في الغالب من الحديث عن المعجم المختص. باستثناء أسماء أعلام تعد على الأصابع من أمثال الجيلالي حلام – رحمه الله- من الجزائر، وإبراهيم بن مراد من تونس وغيرهما قليل جدا – مع العلم أن العلوم العربية قد تنوعت وتعددت في مجالات لغوية وفنية وعلمية محضة في فترات متداخلة .فعرفت إلى جانب اللغة النحو والعروض والبلاغة وأيضا الفلسفة والتصوف وأيضا الفلك والجغرافيا والطب وغيرها من العلوم والمعارف، وكان التأليف المعجمي فيها متلاحقا إما في صورة مستقلة أو ضمن الكتب الموسوعية في اختصاص معين .فكان (المعجم المتخصص) على قدم المساواة في النشأة والظهور والتطور في تاريخ المعاجم العربية سواء بسواء ، مع المعجم العام .

فلماذا هذا الإهمال الكبير من قبل العلماء لدراسته رغم أهميته ووجوده جنب المعجم اللغوي منذ بداياته الأولى ؟ ورغم الحاجة الماسة له في عصرنا الحالي من أجل الاستفادة منه في استنباط قواعد وأسس التأليف المعجمي المتخصص الحديث في مختلف علوم ومعارف العربية.

وبناء على هذا رأيت من الضروري دراسة المعاجم العربية بنوعيها اللغوي العام والمختص في بحث واحد، فعملت على دراستها وفق أسس البناء التي اتفق عليها العلماء قديما وحديثا. وقد حاولت في كل

مرحلة من مراحل البحث التركيز –في الغالب - أثناء العرض على أحدها أو اثنين منهـــا دون الآخـــرين ، (حتى لا يأخذ البحث صفة الموسوعية). فكان للمصادر بكل أنواعها نصيب مـــن التوظيـــف، وللمســـتويات اللّغوية، الفصيح ودونه أيضا نصيب بحسب الحاجة، وظهرت أنواع من الترتيب قد تكون كل مـــا يمكـــن أن يحتمل أن ترتب عليه مواد أي لغة في أي نوع من المعاجم.هذا من جهة الاهتمام بنوع التأليف المعجمـــي.(عام أو مختص).

ومن جهة أخرى، من حيث مواد هذه المعاجم ومدخلاتها، وهي المفردات لغوية كانت أم اصـــطلاحية ، وذلك باعتبار أن الجانب التطبيقي من هذا البحث سيكون على مدونـــة علميـــة مختصـــة تحتـــوي أساســـا مصطلحات علمية في اختصاص الصوتيات. فهل نجد للمصطلح لغويا كان أو فنيا أو علميا جضـــورا فـــي معاجم علماء اللغة قديما ؟ أم أن هذه المعاجم قد اكتفت بالاهتمام بالمفردات وأهملت المصطلحات لاعتبارات لغوية مراعية في ذلك الوضع الأول لها دون النظر في الدلالات الاصطلاحية التي تحملها فـــي اختصـــاص معين، فحملتها المعاجم المختصة بين طياتها ؟

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا :هل استوفى المصطلح حقه من الركن الأساس الذي يقـــوم عليـــه البنـــاء المعجمي المتخصص ، باعتباره الركن المحدد لمواد المعجم وهو ركن التعريف، وهو أهم ركن لأنه بمثابـــة بطاقة هوية لكل ما يندرج داخل هذه المعاجم من مصطلحات، وإذا غابت الهوية غاب المصطلح أيضا واتهم بالغموض والنقص وتعقد مفهومه وتشابك مع غيره، ونتج في الأخير فوضى مفهوميه وفكرية، وحاد المعجم عن وظيفته في إزالة الغموض والإبهام – كما أجمعت عليه معاجم اللغة والمصطلح- وصار مبهما ولـــيس معجما. ولا نقصد هنا التعريف اللغوي، فقد استوفى حقه قديما وحديثا .فهل أدرك علماء المعاجم قديما أهمية تعريف مدخلاتهم وطبقوا لها في ثنايا معاجمهم ،؟ وماهو نصيبه من الاهتمام في المعاجم العامة والمختصة على وجه الخصوص في العصر الحديث ؟

وبذلك نتساءل : هل استوفت المعاجم العربية العامة والمختصة قديما وحديثا كل أسس البناء المعجمـــي وضعا وجمعا، من حيث المصادر والمستويات اللغوية ، ومن حيث الترتيب والتعريـــف خاصـــة باعتبـــاره عمدة التأليف المعجمي المتخصص؟.

وإذا كان الامر بالإيجاب، فما مدى إمكانية استغلال ذلك في التأسيس للمعجمية العربيـــة الحديثـــة بنوعيهـــا العامة والمختصة ؟ .

في ضوء كل هذا ومن أجل الإجابة على التساؤلات المطروحة، حاولت في البداية كما هو موضح من العنوان أن أقدم الموجود. أي وصف وتحليل بناء المعاجم العربية بنوعيها العامة والمختصـــة فـــي زمنيهـــا القديم والحديث.

هذا كله من أجل الوصول إلى تحقيق جزء من الأهداف المرجوة من البحث وعلى رأسها العمل على التأسيس للمعجمية العربية الحديثة والمختصة خاصة، بتصحيح ما هو موجود وتأصيل ما يجب أن يوجد. وهو العمل المعجمي المؤسس على صحيح ما قدمته المعجمية العربية قديما وما تقدمه المعجمية الحديثة.

فاعتمدت لأجل ذلك المنهج الوصفي التحليلي من أجل رصد الوضع اللغوي في صورته الحقيقية، واستخلاص الأسس والقواعد المعتمدة في البناء المعجمي قيد الدراسة . واعتمدت المنهج التاريخي المقارن للحصول على المعطيات والمعلومات السابقة واللاحقة في تطوّر آليات صناعة المعاجم زمانيا ومكانيا، والمقارنة والوقوف على نقاط الاتفاق والاختلاف من حيث استثمار ما هو موجود ومشترك بين المعاجم العربية فيما بينها ،وتطويره عبر مراحل التأليف المعجمي المتلاحقة .سعيا منا إلى توظيف ما صحّ من مفاهيم وأسس بناء تراثية وحديثة ومعاصرة، وننزلها المنزلة التي تليق بها، ونوظيفها التوظيف الفعّال لإنجاز المعجم المأمول .

ثم انتقلت بعدها إلى القسم الثاني من عنوان البحث وهو أنموذج قاموس الصوتيات الوظيفية، والذي حددت فيه أركان البناء انطلاقا من الدراسة السابقة للمعاجم العربية العامة والمختصة قديما وحديثا، فكانت محاولتي البسيطة في تطبيق وإسقاط ما توصلت إليه واستخلصته من نتائج وصف وتحليل ما هو كائن ، للتأسيس لما يجب أن يكون.

فحاولت تقديم مشروع جديد للعمل المعجمي في اللغة العربية، في مجاله المختص،(الصوتيات الوظيفية أنموذج) ، وحددت في إطاره في مجموعة من الأسس والقواعد، بداية من المقدّمة إلى آخر نقطة في المعجم.

فكانت خطة البحث وفقا لهذا فبسطت في المقدمة الإشكالية وأبعادها وأهدافنا والمنهج المتبع في البحث وكل ما يتصل بذلك،وبدأت البحث بمدخل حاولت أن ألم فيه بالتأليف المعجمي عند غير العرب من الأمم القديمة.ورأيت أنه من الضروري الحديث عنه من أجل بيان مكانة المعجمية العربية قديما وحديثا.

وفي ختام هذا الفصل ، سجلت خلاصة تضم أهم إنجازات الأمم الأخرى (غير العرب)، وكذا يمثل هذا القسم من البحث قاعدة معطيات نستفيد منها في الحكم على مدى الأسبقية أو التطوّر أو التأخر أو التقليد مع المعاجم العربية قديما وحديثا.

قسمت البحث إلى ستة فصول :

الفصل الأول : بعنوان: المعاجم العربية اللغوية العامة القديمة : تعرضت فيه لمجموعة من المعاجم العربية، ممهدة لها بفصل تمهيدي بعنوان: "بدايات التأليف المعجمي عند العرب" ، حيث بسطت الحديث فيه عن النشأة الأولى الحقيقية للفكرة المعجمية في أذهان العرب وارتباطها بالقرآن الكريم في البداية .

ثم انتقلت للحديث في الفصل الأول من هذا الباب والذي عنونته بالمعاجم العربية اللغوية العامة القديمة: عرضت فيه أهم المعاجم العربية بداية من العين للخليل بن أحمد الفراهيدي وصولا إلى تاج العروس للزبيدي.

وقد اتبعت في العرض التأريخ والتتابع الزمني عبر قرون التأليف المعجمي القديم، دون أخذ معيار التصنيف المدرسي- (المدارس المعجمية) - الشائع في أغلب الدراسات المعجمية ، وذلك من أجل رصد التطور أو التأخر أو التقليد في بناء هذه المعاجم لاحقا عن سابق، وشمل هذا الفصل ما يفوق عشرين معجما لغويا عاما.

وقد حرصت كل الحرص على التركيز على المعاجم التي تظهر فيها ملامح وأسس البناء المعجمي، سواء على مستوى الشكل(البناء) أو المادة (المضمون)، وكذا على التنويع، وتجنب تكرار الأعمال المتشابهة، وأخذ أنموذج تمثيلي من كل صنف.

فكان عنوان الفصل الثاني: المعاجم العربية اللغوية العامّة الحديثة: تناولت فيه أهم المعاجم اللغوية العربية العامة الحديثة بداية من محيط المحيط لبطرس البستاني، مرورًا بأشهر معاجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة كالمعجم الوسيط ،دون إغفال رجال المعجمية العربية الحديثة إن صح التعبير" أحمد فارس الشدياق "، و"مصطفى الشهابي" الذي تناولت معجمه في الألفاظ الزراعية بالدراسة والوصف والنقد.

الفصل الثالث : المعاجم العربية المختصة القديمة: بدأت الحديث عن المعاجم المختصة القديمة، وقد ركزت فيها على ما يخدم هدف البحث فاقتصرت على بعضها من أجل الإفادة منها في التأليف المعجمي المتخصص الحديث في مختلف علوم ومعارف العربية. وهي تنقسم إلى صنفين: فنيةوعلمية .

لننتقل إلى الفصل الرابع وهو في الحديث عن المعاجم العربية المختصة .

ثم انتقلت إلى بسط الحديث في المقارنة بين المعجم العام والمعجم المختص على مستوى الجمع والوضع كالآتي، المصادر، المستويات اللغوية، الترتيب، التعريف.

وقد أتبعنا كل فصل من فصول الدراسة بخلاصة دقيقة.

لنصل إلى الفصل الخامس والسادس وهما القسم التطبيقي من الرسالة في معجم الصوتيات الوظيفية

الفصل الخامس هو القسم النظري:حاولت فيه تقديم مشروع جديد للعمل المعجمي العربي في مجاله المختص، وحددت إطاره في مجموعة من الأسس، بداية من المقدمة حتى نهاية المعجم. وسقت في إطار ذلك أنموذجا تطبيقيا لهذا المشروع في الصوتيات الوظيفية.

لأصل إلى القسم الثاني، الفصل السادس وهو القسم التطبيقي من الباب الثالث وهو أنموذج معجم الصوتيات الوظيفية.

مهدت لهذا المعجم بمدخل رأيته من الأهمية بمكان، وهو يتضمن الحديث عن أصول الصوتيات الوظيفية العربية والغربية على حد سواء، وذلك لتشكيل قاعدة معطيات معرفية تستند إليها الدراسة المصطلحية المفهومية لاحقا .

بعد المدخل بدأت عرض المصطلحات على الدراسة ، وارتأيت البحث أولا في عمود الصوتيات الوظيفية وهو مصطلح الفونيم ونظريته.

لأنتقل بعده إلى الحديث عن سبعة مصطلحات صوتية، يرتبط مفهوم اللاحق منها بالسابق، وهي تشكل بدورها أساس الدراسة الصوتية الوظيفية وهي: "المقطع" وما يقع عليه من "نبر" ، يتوسع إلى "تنغيم" ، وما يحدث في تركيب الكلمات المشكلة من المقاطع من "مماثلة و"مخالفة" و"إدغام " وغيره.

محاولة في الأخير تسجيل ورقة خاصة فيها كل التعريفات الشاملة لكل مصطلح حتى نوفيه حقه ومستحقه من أركان التعريف، وحتى نعطي الصورة الأنموذج لوصف وتحليل المصطلحات. ثم استخلاص التعريف الجامع منها والعمدة.والذي يعتبر من أهم الأهداف المرجوة من هذا العمل في المعجم المنشود .

ويعتبر هذا العمل أول محاولة لوضع معجم متخصص في الصوتيات الوظيفية العربية، وقد تداخلت فيه علوم مختلفة أهمها : علم المعاجم وعلم الدلالة وعلم المصطلح وعلم الأصوات وعلم التأصيل وعلم الصرف وغيرها .

وفي ختام البحث سجلت أهم النتائج والحقائق المتوصل إليها من هذه الدراسة فيما يتعلق بالمعجم العربي العام والمختص وقضاياه التي يطرحها على الساحة النظرية والتطبيقية والتي بسطنا الحديث عنها في طرح إشكالية هذا العمل وأهدافه ، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع المعتمدة .

تمهيد

1.التأليف المعجمي عند غير العرب :

عرفت حركة التأليف المعجمي عند غير العرب ظهورا سابقا ، وتطوّرا لاحقا بداية مع الأمم القديمة، كالآشوريين والهنود واليونان والسريان وغيرهم، وصولا إلى العصر الحديث حيث بلغ ذروة تطوّره وعرف قمة نشاطه .

1.1. التأليف المعجمي عند الأمم القديمة :

ولن نضرب صفحا في أعماق التاريخ للبحث عن أقدم هذه المعجمات وأوّلها ظهورا ، لكننا سنكتفي بالإشارة إلى جهود بعض الأمم القديمة في هذا المجال محاولين إبراز بعض ملامح صورة البناء المعجمي عندهم، ومحاولين في فصل لاحق التركيز على التأليف المعجمي الغربي الحديث وعند المستشرقين،مبرزين أهم خصائص البناء فيه،وحسنات معاجمهم وميزاتها التي حاول بعض من المحدثين تقليدهم فيها في معاجمهم اللّغوية العامة ، وسيظهر لنا من هذا العرض مدى التأثر ومجاله بالبناء المعجمي الغربي الحديث ، ولنا بعده حديث خاص .

1.1.1 . التأليف المعجمي عند الآشوريين :

عرف الأشوريون المعاجم قبل العرب بأكثر من ألف سنة ، ((فقد ابتكروا معاجم خاصة بلغتهم (...)،التي خافوا عليها من الضياع ، فصنفوا معاجم دعتهم إليها الضرورة عندما تركوا نظام الكتابة الرمزية القديمة،واستبدلوا به نظام الإشارات المقطعية أوالألفبائية ذات القيم الصوتية ، ومع مرور الزمن أيهم(غمض) عليهم معرفة النظام الجديد ، فجمعوا مسارد(قوائم) ،وعرفوها بطريقتهم القديمة ، وأعانهم على ذلك أن لغتهم السومرية القديمة لم تكن قد انمحت بعد لأن الكهنة كانوا يستعملونها في شعائرهم الدينية وجمعوا ألفاظها في مسارد محفورة على قوالب الطين وأودعوها مكتبة أشوربانيبال الكبيرة التي كانت بقصر يونجيك في نينوى (668 ، 625ق.م) وقد وصل إليها الكشف العلمي فصارت مصدرا صحيحا لتاريخ الآشوريين)) [1](ص41).

2.1.1 التأليف المعجمي عند الهنود :

بدأ التأليف المعجمي عند الهنود " في شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة في نصوصهم المقدّسة " [2] (ص60) ، على غرار كتب غريبي القرآن والحديث عند العرب .

((ثم تطور هذا النظام فألحق بكل لفظ في القائمة شرح معناه ، ويمكن أن يعتبر هذا العمل من نوع " معاجم الموضوعات " أو"معاجم المعاني "، ثم ظهرت كتب لا تختص فقط بألفاظ النصوص المقدّسة ، بل تحتوي أيضا مجالات أخرى. وأقدم ما وصلنا منها معجم ظهر في القرن السادس الميلادي، أوقبله لمؤلف بوذي

اسمه "أمار سنهاAmara sinha" وقد ضم معجمه)جزءا في كلمات المترادفات ،وجزءا في كلمات المشترك اللفظي وجزءا في الكلمات غير المتصرفة ، والكلمات المذكرة أوالمؤنثة أوالمحايدة ، ويعيب هذا المعجم وأمثاله أنه كتب في شكل منظوم ليسهل حفظه وأنه لم يتبع أي ترتيب ييسر اللجوء إليه والعثور على المراد منه بسرعة)).[2] (ص 61) .

ليظهر حسب الدكتورأحمد مختار عمر معجما في القرن الحادي عشر الميلادي اتبع أنواعا من الترتيب ، بحسب عدد المقاطع ،ثم بحسب الجنس ثم بحسب الحرف الأول.

والملاحظ أيضا أن الدافع الديني كان الأساس الأوّل للتأليف المعجمي، ثم تجاوزه العلماء إلى الدافع اللّغوي عامّة . ((ومن الإنصاف القول بأن القرن الثاني عشر(الميلادي) كان من أنشط الفترات بالنسبة للمعجم الهندي، علما أن العرب قد وضعوا بعض قواميسهم الرائعة في هذا القرن – القرن الثاني عشر أيضا -)) [3] (ص25) .

3.1.1. التأليف المعجمي عند الصينيين :

لعل أول محاولة منظمة للتعريف بالأشكال التعبيرية ((مما يمكن أن يدرج في إطار التأليف المعجمي- كانت العمل المسمى Eah ya ، الذي يمكن أن يؤرخ بالفترة ما بين 200 ق م وميلاد المسيح ، وهو أشبه بمعجم من معاجم المعاني التي توزع الكلمات تحت موضوعات أومعان مختلفة .[1]وهي في الحقيقة مفردات مصنفة ، وكانت تلك الإشارات والكلمات مجموعة تحت ثلاثة عشر عنوانا " كالروابط الأسرية " و" الأواني " و" الطيور " مثلا ، ويذكر أيضا جون .أ.هيوود أن أقدم قاموس حقيقي في اللغة الصينية ه " شو فين Shwo ven " لهيوشن Hsushen الذي ألفه في نهاية القرن الأول الميلادي ،ورغم كونه يشرح حوالي 10600 كلمة ،إلا أنه لم يكن مستفيضا، في مجمله)).[3] (ص 21) .

وبعد ذلك ظهر نظام جديد للمعاجم الصينية رتبت فيه الكلمات صوتيا، تبعا لنطقها ، فكل الكلمات ذات الصوت الواحد تعالج في باب واحد بغض النظر عن اختلاف طرق كتابتها ، وأوّل معجم صيني يتبع هذا النظام هو معجم Hu Fa Yen الذي كتب بين عامي 571،601م [2] (ص 74-75) . ، يقول عنه جون.أ.هيوود ((وبذلك ظهر قاموس من نوع جديد حيث رتب فيه الكلمات على وفق أصول النطق وبالنسبة لأصواتها، فالكلمات ذات الصوت الواحد قد وضعت ضمن باب واحد ، دونما اعتبار لصيغ رسمها المختلفة ، ولعل الجانب الصوتي في التأليف المعجمي الصيني يعود إلى تأثرهم بالدراسات الصوتية عند الهنود ، ويبدوأن الصينيين مدينون جدا إلى أثر اللغة السنسكريتية الذي نقله الرهبان البوذيون،فمنهم تعلم الصينيون ترتيب أصوات الكلمات بالنسبة لأعضاء النطق المستعملة في نطقها(...) وهكذا وضعت قواميس كبيرة كانت قد تمت في الغالب برعاية ملوك الصين ، وقد بلغت أوج كمالها بقاموس " كانك هسي Kang - Hsi " في سنة 1717)) . [3] (ص 23) .

4.1.1. التأليف المعجمي عند اليونان :

((يعتبر العلماء القرون الأولى بعد الميلاد العصر الذهبي للمعاجم اليونانية وبخاصّة في مدينة الاسكندرية ، وأكثر من وضعوا المعجمات من علماء جامعة الاسكندرية في عهد البطالسة وبعدهم ، وكان بعض هذه المعاجم خاصا مقصورا على مفردات بعض الخطباء أوالمفردات الواردة في كتب أفلاطون الفلسفية أوالخطباء(...)أو كتب أبقراط الطبية (والتي كانت من أهم مصادر الطب اليوناني)،(...) وأقدم المعجمات اليونانية القديمة معجم يوليوس بولكس Yulius Pollux و هو كالمخصص لابن سيده مرتب على المعاني والموضوعات ،ومعجم هلاديوس Helladius السكندري،وكان في القرن الرابع ميلادي وترتيبه ألفبائي)) [2] (ص 64-65) .

ويذكر أحمد مختار عمر في كتابه " البحث اللّغوي عند العرب ((معجم أبي قراط Hippocrate الذي ألفه Glaucus عام 180 ق.م ، وهو معجم ألفبائي. كما يذكره أيضا جون.أ.هيوود بمعجم هيبوكراش Hippocrates lexikon لمؤلفه كلوكس Clucus ،على اعتبار أنه أول قاموس يذكر مرتب على حروف الهجاء عند اليونان ، و يرجع تاريخه إلى سنة مئة و ثمانين قبل الميلاد.وغيرها كثير ومما يجب الإشارة إليه في الصدد، أن هذه القواميس ليست كاملة ، غير أنها صممت لتشرح الكلمات الشاذة - النادرة – فضلا على أن التعريفات واستشهادات المؤلفين التي تضمنتها بقيت مقتضبة جدا علما أنها دونت وفق النظام الأبجدي الحديث فأول قاموس يوناني واسع الانتشار هو القاموس الذي وضعه سويداس (Suidas) في القرن العاشر الميلادي)) [3] (ص 27-28) .

5.1.1. التأليف المعجمي عند السريان :

احتك السريان باليونان منذ القدم ولعل السبب الرئيس لشهرة السريان هو نقلهم المعارف من الإغريق إلى العرب ((وكان المعجميون السريان يهدفون إلى شرح الألفاظ الدينية ولا سيما الألفاظ ذات الأصل الإغريقي (...) وكانوا على اطلاع باللغة العربية ، إذ ظهر عدد من مسارد الألفاظ بالسريانية والعربية ، وقد استعملوا نظام التهجي الحديث منذ البداية ، ويعد(أبو زيد حنين بن إسحاق المتوفى سنة 873م) المترجم المعروف للنصوص الإغريقية (اليونانية) واضع أول قاموس باللغة السريانية لشرح ما فيها من ألفاظ إغريقية ، وإن أشمل وأشهر قاموس سرياني هو القاموس الذي وضعه (بربهلول Bar Bahlul) في القرن العاشر ، وقد وصف بأنه ضرب من دائرة المعارف (...) وفي القرن الحادي عشر ألف (إلياس بر شيناي Elias bar shinöya) مجموعة مفردات بالعربية والسريانية وقد كان هذا العمل أساسا لمعجم(توماس النوڤاري Thomas Nouvaria) الموسوم ب :(thesaurus Arbico - Syrolainus)(القاموس الموسوعي العربي السرياني - اللاتيني)المطبوع عام 1636م)) [3] (ص 211) .

6.1.1 التأليف المعجمي عند العبرانيين :

أشهر من نذكر من المعجميين اليهود ((سعيد بن يوسف الفيومي (945م) الملقب بـ " سعديا " عاش ببلاد العراق، استطاع بفضل تمكنه من دقائق العربية ترجمة التوراة وكتب الحكمة إلى اللغة العربية ، واشتهر في ترجماته بانتقائه لأقرب المفردات العربية من نطق اللفظة العبرية، وهناك أعلام أخرى يهودية بلغت هذا القرن ، مثل ((داود بن إبراهيم الذي كان من مواطني مراكش ،وأبو الفرج هارون الذي أتم عملا لغويا ضخما عام 1028م وأسماه " الكتاب الشامل في الأصول والفروع للغة العبرية " ، ويحتوي هذا الكتاب على ثمانية أبواب تعالج الستة الأولى منها مسائل نحوية ، والسابع يشكل معجما ، في حين أن الأخير يعالج الكلمات الآرامية الموجودة في الإنجيل)) [4] (ص 5) .

2.1. التأليف المعجمي عند المستشرقين :

سار المستشرقون في دراساتهم المعجمية على هدي النماذج أو الأساليب العربية إلى مدى بعيد ، ولاسيما (الصحاح) و(القاموس) ، فيما يتعلق بمحتوياتها على الرغم من أنهم قد تبنوا بصورة طبيعية الترتيب الحديث.

1.2.1. ((جاكوب كوليوس Jocobus Golius 1096 هـ – 1667م :

نشر معجمه في العربية واللاتينية Lexico arabico latinum في لايدن عام 1653م في مجلد واحد، وقد اعتمد في هذا المعجم بصورة رئيسة على (الصحاح) معيدا ترتيبه على وفق نظام القاموس الحديث ، ورجع أيضا إلى معجمات كثيرة أخرى مثل القاموس)) ، و أساس البلاغة ، و المجمل (...) واستمر قاموس "كوليوس Golius"في هذا الحقل لمئة وخمسين سنة، حتى ظهر قاموس " فريتاج"Freytag " (Lexico arabico latinum)، ويرى جون.أ.هيوود ((أن معجم فريتاج " يعاني من العيب نفسه الذي في القاموس ، ولا يلبي حاجات الطلبة الأوربيين ، فهو مجرد قائمة ألفاظ مع معانيها ،في حين أن المطلوب هو معجم (كلسان العرب) لا يقف عند حدود ذكر معاني الألفاظ بوضوح تام فحسب ، بل يشفعها بشواهد كثيرة مستمدة من الأدب ، وهو المعجم الذي لا يذكر دلالات بعض الألفاظ النادرة ، بل يتجاوزها إلى الاستشهاد بالشعر القديم جدا)) .[3] (ص 215) .

وفي الوقت نفسه، نشر الكثير من القواميس متعددة اللغات بضمنها اللغة العربية(اللغة العربية في مقابل لغة أخرى) ، ومنها(...) قاموس (كاستل Edward Castell) (1608 - 1685) في "كيمردج" متعدد اللغات بضمنها اللغة العربية ،ورغم اعتداد جون.أ.هيوود بلسان العرب إلا أن أغلب معاجم المستشرقين لا تعتد به ولا تجعله أساسا لها بل تجعل الصحاح أو القاموس أوتاج العروس ،وفي هذا يندرج أيضا ما حاول إدوارد وليم لين (Edward William Lane) فعله في قاموسه .

2.2.1. معجم لين Lane (1801 - 1876) " مد القاموس " :

((اختلف بذلك عن سابقيه في الاعتداد باللغة الانجليزية دون اللاتينية، وفي جعل معتمده وأساسه هو "تاج العروس للزبيدي"، حتى يكون معجما أوسع وأشمل وأكبر ،وإدراكا منه لجسامة جهده ، قرر تقسيم معجمه على كتابين، على أن يشتمل الأول وهوالأكبر إلى حد ما الجذور الشائعة (أوالمألوفة) وعلى أن يشتمل الثاني الجذور النادرة أوبعبارة أخرى على أغلب الجذور الرباعية والخماسية)) [3] (ص216).

3.2.1. المعجم التاريخي ل »أوكست فيشر « Augus Fisher :

لعل الحديث عن المعجم التاريخي في العربية هو عبارة عن حديث عن مشروع للمعجم التاريخي وليس عن معجم أو كتاب يضم ما يجب أن يتوفر فيه، ((ولعلّ أوّل محاولة يذكرها أغلب الباحثين والعلماء هي محاولة العالم الألماني فيشر الذي عمل ولم تسعفه الظروف ولا حياته على وضع معجم تاريخي كامل للّغة العربية ، وذلك في أحضان مجمع اللّغة العربية في القاهرة ، لكن حلول الحرب العالمية الثانية ، ثم ابتعاد فيشر عن القاهرة ووفاته بعد ذلك توقف المشروع ، وبقي أملا يحدو المجمع يسعى إلى تحقيقه اعتمادا على خطة فيشر التي وضّح فيها أهم الميزات وسمات المعجم التاريخي للّغة العربية، واكتفى بعدها بأن يسميه " المعجم الكبير " تاركا للزمان استكمال الوسائل الضرورية لوضع المعجم التاريخي واستطاع عام 1956 أن ينشر منه جزءا في نحو 500 صفحة)) [5] (ص 200).

ولكن رغم عدم وجود هذا المعجم في الواقع اللّغوي العربي إلا أنني آثرت أن أعرض أهم خصائص بنائه عند فيشر وغيره ممن يدعون إليه وهو قد أصبح اليوم ضرورة ملحة في حياة وتاريخ اللّغة العربية ، وسنحاول استخراج هذه الخصائص من دراسات حول مقدمته لتبيين منهجه وخطته .

لعل أهم شيء ركّز عليه فيشر في تصوّر المعجم هو احتواؤه كل كلمات اللّغة العربية عبر تاريخها الطويل جدًّا ، ((فحدد الزمن الذي يدور فيه البحث بقوله " فالمعجم يتناول قدر الإمكان بحث تاريخ الكلمات التي جاءت في الآداب العربية مبتدئا بالكتابة المنقوشة المعروفة بكتابة النمارة في القرن الرابع ميلادي (ق4 م) ، ومنتهيا بالعهد السابق ذكره (نهاية القرن الثالث الهجري أي حتى منتهى ما وصلت إليه اللّغة العربية الفصحى من كمال)) [6] (ج2 ، ص587). و((يجب احتواء المعجم على كل كلمة وجدت في اللّغة بلا استثناء ، وأن تعرض حسب وجهات النظر السبع التالية : التاريخية ، الاشتقاقية ، التصريفية ، التعبيرية ، النحوية ، البيانية والأسلوبية)) [6] (ج2، ص625).

ولعل الفترة الأولى التي حددها فيشر وهي ما قبل القرن الثالث الهجري ، هي التي يصعب الإحاطة بها لما تحتاجه من بحوث تغوص في اللّغة العربية القديمة ، مع ما يستجد من نتائج علماء التاريخ والكتابة، وتصعب أيضا بعد فترة الاحتجاج اللّغوي التي أقصت عددا كبيرا من استعمالات اللّغة ، ملغية مبدأ التطور اللّغوي رافضة المولّد، وتصعب أكثر بكثير بعد نهاية مرحلة التأليف المعجمي القديم لأن مرحلة التأليف المعجمي الحديث في عمومها لم تكن تسعى إلى تغطية اللّغة المتداولة والمستعملة في هذا العصر بقدر ما

كانت تحي وتستند إلى لغة التأليف المعجمي القديم ، فألغت هي الأخرى بذلك عددا كبيرا من كلمات اللّغة باعتبارات مختلفة .

وإن كانت للمعجمات القديمة مبرّرات علمية مقبولة أساسها الحفاظ على اللّغة من الضياع ، خاصة أنها كانت في مرحلة التأسيس للتأليف المعجمي وإن بلغت فيه مرحلة متطورة جدا . فإن المعجمات الحديثة لا مبرر لها سوى الخوف من اللّغة وليس على اللّغة، فلم يكن لها من سبيل تتبعه سوى التقليد .

وبالتالي ((فإن المعجم التاريخي المنشود للّغة العربية سيكون معجما تأصيليا وتاريخيا مقارنا في آن واحد، وهو بهذا التصوّر يحتاج إلى درجة عالية من التخصص في اللّغة، وفي اللّغات السامية واللّغات غير السامية التي اتصلت بها اللّغة العربية عبر مراحل حياتها حتى الآن، يضاف إلى ذلك حصيلة من النصوص الأدبية واللّغوية والدينية والعلمية منذ أقدم العصور العربية حتى اليوم)) [7] (ص425)..، وهذا ما يفرض وجود مدّونة لغوية مجّمعة إذ يقول الدكتورعبد الرحمان الحاج صالح : ((كيف يمكن يا ترى أن تستخرج مدلولات الألفاظ المختلفة عبر العصور إن لم يلجأ إلى هذه الذخيرة الآلية الحاسوبية ،وقد يستطسع الباحث إن قلت النصوص في عصر من العصور كالجاهلية - مثلا – أن يفترض وجود بعض المدلولات لبعض الألفاظ في هذا العصر بفضل تحليلاته للسياقات القليلة التي ورد فيها ، ولكن كيف يمكن أن يستدل على ذلك إذا عدّت النصوص بالملايين ابتداء من القرن الثاني الهجري وما بعده ؟ وكيف يمكنه أن يستخرج هذه المدلولات من النصوص بدون أن تكون لديه وتحت تصرفه مجمّعة مدوّنة محسوبة مندمجة ؟)) [8] (ص96)..

ثم يضيف ما يدعّم المعجم ومواده قائلا : ((ومهما كان الأمر فإنه لا يتصور أن يوضع معجم في اللّغة بدون توثيق لما يتضمنه من ألفاظ ودون أن يعرف من أين استقيت، فهل هي ألفاظ وضعتها جماعة من العلماء واقترحها صاحب المعجم،أم هي مفردات وردت في الاستعمال بالفعل ؟ وهذا ما قد حققه علماؤنا قديما وكانوا يوثقون ذلك بأكثر من شاهد ، فلماذا نتراجع نحن اليوم عن هذه الميزة العلمية التي ينبني عليها كل عمل وكل بحث علمي)) [8] (ص97) ، وبهذا يعطي للشواهد قيمتها الحقيقية في إثبات نسبة هذه الكلمة إلى اللّغة فهي الدليل على استعمالها وتداولها بين أهل اللّغة ، لذا لا يمكن إهمالها ولعل مشروع الذخيرة اللّغوية هو الحل الأمثل و المرجع الأول لتحقيق هذا الأمر في المعجم التاريخي .

وقد قدمت اقتراحات كثيرة وأقيمت ندوات ومؤتمرات دولية حول الموضوع ولعل آخرها هو :المؤتمر الدولي حول المعجم التاريخي للغة العربية الدي انعقد بفاس العاصمة العلمية للمملكة المغربية ودلك أيام :8-9-10 أفريل 2010.

4.2.1. المستدرك على المعاجم العربية : Supplément aux dictionnaire arabes لرينهارت دوزي :

لعل أهم ما يتميز به دوزي في تصوره للمعجم العربي هو نظرته التجديدية التطوّرية للغة ، فهو يعيب ((على أصحاب المعاجم القديمة وبعض الحديثة (...)على السواء الصفوية المفرطة أحيانا في جمع اللّغة وتدوينها، وذلك مخالفة في نظر دوزي لقانون التطوّر، فاللّغة العربية لم تصبح لغة حيّة بحق تعبّر عن مستحدثات العلم والفن والحضارة إلا في نهاية عصر الاحتجاج .أي في القرن الرابع للهجرة [أضف إلى ذلك] أن جزيرة العرب ليست هي التي مدّت العربية بطاقاتها الجديدة، بل الأمصار ولذلك وجب تدوين المولّد والمستحدث من الألفاظ والعبارات والدلالات الجديدة التي طرأت على الألفاظ القديمة في مختلف الأمصار الإسلامية وفي مختلف العصور)) [9] (ص203)..

فهو يلغي بذلك الحدود الزمانية والمكانية للّغة ويؤكد على أهمية الاستعمالات اللّغوية التي بتوزعها مستويات مختلفة من فصيح ومولد ومستحدث وعامي ومعرب ودخيل وغيرها تعبّر تعبيرا صادقا عن واقع اللّغة وتطوّرها الذي يواكب تطور الحياة بكل ما تحمل من جديد يجمل هو الآخر معه جديدا في الدلالة بالتالي في الألفاظ .

فكان له معجمه الذي وضعه مستدركا على المعاجم العربية كل ما أهملته من مواد لغوية في القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري، وكل ما أهملته أيضا من لغة الأمصار وما تحمله من مستويات استعمالية لغوية مختلفة هي جزء مهم من اللّغة، وهو لذلك " أوّل معجم يقرّ بما للغة الأمصار الإسلامية من دور في إثراء اللّغة العربية وينطلق من مبدأ أن الفصاحة فصاحات، وأن اللّغة العربية كغيرها من اللّغات كائن حي متطوّر، وأن معجم اللّغة العربية كشف مفتوح لا يمكن أن ينغلق على لغة عصر بعينه أو مصر بعينه (...) وكان دوزي مؤرخا قبل أن يكون معجميا، ولكنّ عمله – رغم [بعض] المشاكل – قد فتح للمعجمية العربية بابا جديدا لم يكن لها به سابق عهد [9] (ص216)..، وقد تناول ((إبراهيم بن مراد المعجم ناقدا إياه في جوانب مختلفة منها مصادره المعتمدة، ومستوى الوضع في المعجم مركزا على اثنين من مظاهره وهما الترتيب والتعريف، وطرق معالجة الألفاظ المعجمية والمعرّبة وغيرها ، ليصل إلى خاتمة دراسته وهي أن قيمة الكتاب في مستوى الجمع أكثر بكثير من قيمته في مستوى الوضع)) [9] (ص203). وذكر محمود فهمي حجازي مجموعة من معاجم للغة العربية لها أهميتها في أوربا وأمريكا . [10] (ص265-266) .

وخلاصة القول : إن التأليف المعجمي عند الهنود، بدأ على غرار التأليف المعجمي عند العرب بداية دينية محضة، كونه اتصل مباشرة بالنص المقدس الذي كان الدافع عندهم لأغلب الدراسات اللّغوية (صوتية ، صرفية ، نحوية ...) وقد ظهر أيضا في صورته الأولى على شكل رسائل لغوية في موضوع لغوي معين كالمترادف أو المشترك اللفظي أوالمذكر أوالمؤنث وغيرها، ولكنه يختلف عن نواة التأليف المعجمي العربي في الشكل الذي اتخذه حيث كان منظوما ليسهل حفظه، ولكنّ هذا النظم حرمه من ترتيب معين يمكن أن

تأتي عليه مادته ليسهل الحصول على المراد منها .بينما نجد الدافع بالنسبة لليونـــانيين الاهتمـــام بـــالملاحم القومية القديمة التي كانت تتمتع وقتئذ بأهمية شبه دينية.

إن التأليف المعجمي للعربية في أوربا وأمريكا له تاريخ طويل منذ قرون خلت ، ويعود أشهرها إلـــى القرن السابع عشر، ولم تتوقف هذه الجهود على مدى قرون وقد تنوعت في مناهجها، فنجدها تـــارة تعتمـــد اعتمادا كبيرا على المعاجم العربية، فتترجمها وتعيد ترتيبها، ونجدها تارة أخرى تحاول اســـتدراك النـــاقص منها.

3.1.التأليف المعجمي عند الغرب :

من أجل ((بيان مكانة المعجمية العربية في التاريخ العام للمعجميات في العالم، ولتمكين القـــارئ مـــن إجراء مقارنات بناءة، علينا الإشارة ولو بإيجاز إلى الحركة المعجمية في اللغات الأوربية الحديثة، فإن ذلـــك بالتأكيد سينصف تفوق العرب الباهر في هذا الميدان، فمنذ ظهور أول قاموس عربي تطلـــب الأمـــر عنـــد العرب خمسة قرون من الجهد لإنجاز قاموس رائع على نطاق واسع، وفي انكلترا، وعلى الرغم من مزايـــا الطباعة الموجودة فيها ، وشيوع الأفكار الحديثة، تطلب الأمر من الانجليز جهدا لأكثر مـــن ثلاثـــة قـــرون لتحقيق تلك الغاية (وضع القاموس)، وفي فرنسا لم يتحقق إنتاج عمل متكامل قط، وقل مثـــل ذلـــك عنـــد الألمان الذين بعد جهد قرن لم يكملوا مثل هذا المشروع)) [3] (ص224) .

ومـــن الملاحـــظ ((أن عنـــاوين المعـــاجم الانجليزيـــة الحديثـــة تتضـــمن كلمـــة Dictionary " معجم " على خلاف عناوين المعاجم العربية بعامة ، فهي لا تشتمل على كلمـــة معجـــم)) [11] (ص11-12)

وورد عند عدد قليل منهم مثل " المعجم في بقية الأشياء " لأبي هلال العسكري.

وسنعرض فيما يأتي لبعض النماذج من المعاجم الغربية للغة الانجليزية في ابريطانيا وأمريكا.

1.3.1. معاجم اللغة الانجليزية: للغة الإنجليزية معجمان بحسب المكـــان الجغرافـــي الـــذي تســـوده هما:المعجم البريطاني والمعجم الأمريكي.

1.1.3.1. المعجم البريطاني أو معجم اللغة الانجليزية في بريطانيا:

-نبذة تاريخية عن تطور المعجم البريطاني :

ينقسم تاريخ تطور المعجم البريطاني إلى ثلاث مراحل أساسية ، لكل منها سمات مميزة :هي .مرحلة ما قبل صمويل جونسون (1707، 1785م) :وهي مرحلة المسارد،كانت تضم الكلمات الصعبة ثم كلمـــات اللغـــة العامة بشروحها. عرفت هذه المرحلة عدة أعمال معجمية ، ومن بين المحاولات المعجميـــة التـــي مهـــدت الطريق أمام جونســـون، تلـــك التـــي قامـــت بهـــا الأكاديميتـــان الايطاليـــة Academia della crusca (1582)والأكاديمية الفرنسية l’Academie Française (1635) لإصدار المعاجم الأكاديمية ثم المحاولـــة

التي قامت الأكاديمية الملكية في إنجلترا،وقد بدأت عملها جميعا في القرن السابع عشر.تلتها مرحلة صمويل جونسون : (1707 ، 1784) :وهي مرحلة إدخال الشواهد.حيث إنه في عام 1755 ظهر معجم اللغة الإنجليزية Dictionary of English language الذي صنعه جونسون، ولقد أفرد له بابا مستقلا لمناقشته بالتفصيل، لا لكون مؤلفه عملاقا في تاريخ الحضارة الإنجليزية فحسب ، بل وأيضا للأثر الكبير الذي أحدثه المعجم في صناعة المعاجم لقرنين من الزمان في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية)) [11] (ص 27) . ولقد جعل جونسون نصب عينيه أهدافا محددة عمل على تحقيقها، في إطار الخطة الأولية التي اختطها لنفسه [11] (ص 63) .

ولم تعرف المعجمية الإنجليزية الشواهد التوضيحية حتى عام 1755 عندما استعملها " جونسون" في مصنفه الشهير ويعد استعمالها مساهمة رئيسية في تطوير صناعة المعجم الانجليزي)) [11] (ص 73) .ثم جاءت مرحلة ما بعد جونسون : وهي مرحلة معجمة اللغة الانجليزية على أسس تاريخية على يد ريتشارد سون Richardson (1775 ، 1885) ، ثم تكوين لجنة إعداد معجم أكسفورد على يد الجمعية الفيلولوجية البريطانية التي لم تجد لا في معجم جونسون ولا في معجم ريتشارد سون صفات ذلك المعجم الذي يوفي اللغة الانجليزية قدرها ، ومن ثم شرعت في صنع معجم جديد استغرق العمل فيه أكثر من نصف قرن حيث بدأت فكرة تنفيذه في سنة 1858 ، ونشر في عام 1928 ، ذلك هو معجم "أكسفورد" ، الذي لا تخلو مكتبة عامة أوجامعية في العالم من نسخة منه.)) [11] (ص28) . وأعيد إصداره سنة 1961 تحت عنوان : معجم أكسفورد للغة الانجليزية في اثني عشر جزءا The Oxford english Dictionary in twelve volumes

كما صدر له ملحق من جزء واحد يحتوي على الكلمات والمعاني الجديدة التي دخلت اللغة الإنجليزية بين سنة 1933 وسنة 1961 . فضلا عن الإضافات والتقنيات التي ألحقت بالأجزاء الأصلية (...) ، ولعل أهمية الملحق نشأت نتيجة للمدة التي استغرقها إعداد المعجم ونشره والتي تربى [تربو] على أكثر من نصف قرن نمت فيها اللغة الإنجليزية ، وتأثرت مفرداتها في خلاله وطرأ عليها من تغير عبر السنين التي استغرقها أصحابه في إعداده وطبعه.)) [11] (ص 84).

والمعجم في إيجاز يغطي مفردات اللغة الإنجليزية تغطية شاملة بطريقة لم يسبق لها مثيل في تاريخ اللغة ، فهو يذكر مع كل كلمة معانيها عبر التاريخ موضحة بشواهد مؤرخة من سنة 1250 حتى صدور آخر طبعة في سنة 1971. هذا إلى جانب طرق هجاء كل كلمة عبر كل مرحلة من مراحلها التاريخية ومعالجة كل كلمة ايتمولوجية على أسس علمية تاريخية سليمة ، (...) ويذكر المعجم التفاصيل المسهبة عند صعود وهبوط معاني الكلمات واستعمال الطبقات الاجتماعية المختلفة لها . وهي أمور لم تجتمع لمعجم واحد من قبل ولا من بعد .)) [11] (ص 85) .

ومما ساعد على الإسراع في إعداد المعجم انضمام ((مجموعة كبيرة من العلماء إلى مجموعة المحررين ،فأصبح للمعجم أربعة رؤساء تحرير لكل منهم هيئة تحرير خاصة تعمل تحت إشرافه، وكانت الأجزاء المبتكرة من المعجم تطبع و تنشر وتباع (...) وتغير اسم المعجم من " معجم أكسفورد الجديد للغة الإنجليزية " إلى " معجم أكسفورد للغة الإنجليزية ". Oxford English dictionary ، واستغرق نشر المعجم نحو خمسة و سبعين عاما ، وكان ذلك يعني أن الأجزاء الأولى تنقصها كلمات جديدة ومعان جديدة، مما أدى إلى طبع ملحق للمعجم صدر سنة 1933م)) [11] (ص107-108).

2.1.3.1. المعجم الأمريكي أو معجم اللغة الإنجليزية في أمريكا:

جاء تطور المعجم الأمريكي ضمن تطور المعجم البريطاني بعامة ، ولقد عملت على ظهوره إلى الوجود وساعدت على تطوره واستقلاله عن المعجم البريطاني عوامل متعددة ، منها وجود عدد كبير من المهاجرين في أمريكا، أتوا إليها من جميع بلدان أوروبا في أول الأمر ، ثم من جميع أجزاء المعمورة قاطبة بعد ذلك ، وعملت الحياة في الدنيا الجديدة على تجميعهم وصهرهم في بوتقة لغوية واحدة وهي اللغة الإنجليزية ، وكان لطبيعة التعليم الأمريكي العام وانتشار التعليم في أرجاء أمريكا الشاسعة أثره الكبير في تطور المعجم ونموه المطرد واستقلاله عن المعجم البريطاني، كما كان للفرص التجارية والاقتصادية والثقافية الكامنة أثرها الواضح في تطوير المعجم الأمريكي على مر الزمن .

ولقد مر تطور معجمة اللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية بمرحلتين هامتين يفصلهما ظهور معجم وبستر عام 1828 ، والمرحلتان هما مرحلة ما قبل معجم وبستر 1828 :_وهي مرحلة معجمية بسيطة تتميز بطابعها المدرسي و أهم معاجمها معجم صمويل جونسون الابن : (1757 ، 1836) : المعجم غير مؤرخ ، ومؤلفه نجل صمويل جونسون المعجمي الإنجليزي المشهور.(...) ويعتبر هذا المعجم أول معجم باللغة الإنجليزية جمع وطبع في الولايات المتحدة الأمريكية. بالإضافة إلى معاجم أخرى يقلد بعضها بعضا .ثم مرحلة وبستر و ما بعده ، وتبدأ هذه المرحلة بظهور معجم نوح وبستر"معجم أمريكي " An American Dictionary ،ويعتبر وبستر بحق أبا المعجم الأمريكي ، فهو الذي مهد الطريق للمعاجم الأمريكية العملاقة التي احتلت مكانها بين معاجم اللغة الإنجليزية في القرنين التاسع عشر والعشرين ،وكما جعل المعجمي البريطاني "جونسون" من نفسه مصلحا للغة الإنجليزية في بريطانيا في القرن الثامن عشر ، جعل أيضا المعجمي الأمريكي "نوح وبستر" من نفسه ذلك المصلح في أمريكا.)) [11(ص158) .

ولقد جندت (شركة ج.س ماريام الأمريكي) لصناعة "معجم 3 "أكثر من ثلاثمئة عالم وخبير ومستشار في شتى دروب التخصص والمعرفة ، لمدة سبعة وعشرين عاما ، ويؤكد الدكتور فيليب جوف Dr . philip Gove . رئيس تحرير المعجم في مقدّمته أن معجم 3 يختلف تماما عن سابقه معجم 2، فهو جديد في كل شيء ، فكل سطر فيه جديد تماما ، بعد أن أعيد تصميمه وروجع أسلوبه و جدّد ترتيبه .)) [11] (ص177) .

ويؤكد الدكتور "جوف"" Gove "رئيس تحرير معجم 3 أنه لم تدخل هــذا المعجــم أي كلمــة لمجــرد وجودها في معجم عام أو خاص ، بل للمنفعة التي تعود على مستعمل المعجم منها [المنفعة أمــر نســبي]، وعلى أساس هذا المبدأ حذفت كلمات كثيرة مماتة أو عديمة النفع نسبيا .(...) فلم تدخل في معجم 3 المــادة الجغرافية ، وأسماء مشاهير الأشخاص وأسماء الشخوص الخيالية في الروايات الخيالية وغيرهــا ، وبــدلا من هذه المواد المستبعدة احتلت مائة ألف مادة ومصطلح جديد - تتعلق الكثرة الغالبة منها بالعلوم الحديثة - مكانها في معجم 3 ، وخاصة مفردات العلوم البيولوجية.)) [11] (ص182-183) .

وهو يسجل اللغة تسجيلا وصفيا لا إرشاديا متوخّيا في ذلك تطبيق معطيات علم اللغة الوصفي ،كمــا فعل قبله جونسون في معجمه .

وفي معالجتهم الشواهد ،إثبات ما للرسوم والصور من دور هام تقوم به في معجمة اللّغة ،فيتخذ منها المعجمي وسيلة مرئية لتوضيح تعريف مادّة المعجم. حيث يحتوي معجم 3 على أكثر من ثلاثة آلاف رســم توضيحي باللّون الأسود، وبالإضافة إلى هذه الرسوم يزوّد المعجم القارئ أيضا بعشرين لوحة ملوّنة لشــرح الموضوعات التي تسترعي الانتباه في الوقت الحاضروهي رسوم تفصيلية دقيقة .)) [11] (ص200-202) .

وخلاصة القول في التأليف المعجمي عند الغرب :

-لم تعرف المعجمية الإنجليزية الشواهد التوضيحية حتى عام 1755 عندما اســتعملها جونســون فــي مصنفه الشهير(معجم اللغة الانجليزية)،كما رأينا، ويعد استعمال الشواهد التوضــيحية مســاهمة جونســون الرئيسية في تطوير صناعة المعجم الانجليزي 1755 ، فأصبح هو المعجم الرئيس الشائع في أمريكا حتــى بعد ظهور معجم "وبستر"عام 1828 . أما العرب فقد أرسى هذا التقليد الخليل بن أحمد الفراهيدي في القــرن الثامن الميلادي وإن كان أصحاب الرسائل اللغوية المفردة قد كانوا الأسبق في توظيفهــا ، وكــان غــرض علماء العربية القدامى من توظيف واستعمال هذه الشواهد هو التدليل على وجود اللفظ وانتمائه الحقيقي للغــة أكثر من التركيز على شرحه وتعدد دلالاته حسب السياقات المختلفة (الشواهد) كما هــي مســتعملة فــي المعاجم الحديثة كما سنرى إن شاء الله.

يؤكدعلماء المعاجم في الغرب على ضرورة الاعتماد المطرد على الاستعمال في تأليفهم لمعجم عام أو مختص .

- إن الخبرة الكبيرة في إعداد المعجمات العامة في أوروبا وأمريكا حددت مجموعة المكونات الأساسية ينبغي أن تتوافر فيها . وأهم هذه المكونات :

أ – تحدد مداخل المعجم اعتمادا على النصوص اللغوية ولا يكون الاكتفاء بالنقل عن المعــاجم الســابقة . على عكس ما هو حال المعاجم العربية الحديثة .

ب- ينبغي أن تتوافر مجتمعة في المعجم العام المعلومات اللغوية الآتية :

يقدم المعجم نطق هجاء الكلمة على النحو المقبول عند المثقفين .

يقدم المعجم نطق هجاء الكلمة برموز صوتية مبسطة وواحدة .

يقدم المعجم تأصيلا للكلمة ببيان اللغة الأصل ، والصيغة التي اشتقت منها .

يقدم المعجم معلومات صرفية أساسية عن الكلمة ومعلومات نحوية .

ج- بيان الدلالات :لا بد من التمييز برؤية معاصرة بين الدلالات المختلفة للكلمة الواحدة مع بيان مستوى استخدام كل دلالة (بائد ، رسمي ، عامي ، أدبي ، علمي ...)

لابد من الإفادة من الشواهد المؤرخة.

الإفادة من الصور والرسوم الايضاحية .

(د) المقدمة والخاتمة والغلاف .

يوضع في المقدمة عرض نحوي مركز للغة .

يستفاد من صفحات الخاتمة والغلاف لبيان المختصرات والارشادات المعاونة على استخدام المعجم .

بيان المختصرات التي اعتمدت في المعجم وجدول بأسماء محرري المعجم وأسماء العلماء المشاركين الذين استعين بهم في تأليفه .ومجموعة من الملاحق والجداول تتفاوت قلة وكثرة تبعا لاجتهاد محرري المعجم)) [12] (ص239-240)

لنصل إلى القول الآتي :

بعد عرضنا لنماذج من المعاجم الغربية نؤكد نقطة هامة وهي أن العرب المحدثين لم يستفيدوا شيئا كبيرا ذا قيمة فعلية من هذه المعاجم .كما سنرى ، وما الصور التوضيحية إلا نقطة صغيرة بسيطة من محيط خصائص البناء المعجمي عند الغرب .

وإنما كان عرضنا لتلك النماذج من أجل ما سبق (من إبراز لمدى التأثر الذي يدعيه الدارسون للمعجميين العرب المحدثين) ، ومن أجل الاستفادة الفعلية الحقيقية من تجربتهم التي وإن كانت متأخرة في تاريخ المعاجم في العالم ، إلا أنها قد حققت درجات وخطوات كبيرة في أسس البناء المعجمي الحديث .

2. بدايات التأليف المعجمي عند العرب:

لقد كان للصوت نصيب من الاهتمام والدراسة قديما وحديثا، فظهر علم الأصوات بشقيه الثابت والمتحول " الفونيتيك " و" الفونولوجيا "، الأول يهتم بذاتية وهوية الصوت وجوهره، والثاني يهتم بتحولات هذا الصوت في السياقات المتعددة، ووظيفته في هذا البناء العام معتمدا ومؤسسا بالضرورة على نتائج الفونيتيك.

وكان للتركيب نصيبه أيضا من الاهتمام والدراسة فظهر علم التراكيب بشقيه الثابت والمتحول " النحو " و" البلاغة "، الأول يهتم بعلاقات العناصر التركيبية، والثاني يهتم بالصور الدلالية لهذا التركيب.

فكان لحلقة الوصل بينهما، وهي المفردات نصيبها أيضا من الاهتمام والدراسة من جوانب متعددة نتج عنها علوم مختلفة أهمها علم الصرف، علم المفردات ، علم اللغة، تأليف المعاجم وغيرها.

ولعل تأليف المعاجم كان المخزن الحقيقي الذي جمع في طياته مادة هذه الدراسات وهي المفردات، وجمع أيضا بالإضافة إلى هذه العناصر مختلف العلوم التي ندرسها، كالصوت والنحو والتركيب، والدلالة، فقد كان تأليف المعاجم عند العرب (قديما) يشكل في بنائه العام النظرة الكلية الشمولية للغة، فنجد فيها نصيبا للصوتيات ونصيبا لعلم الصرف، ونصيبا للنحو، وللبلاغة، وللفقه، ولعلوم القرآن، والقراءات، وحتى لمجالات غير لغوية كالجغرافيا والفلك والطب والنبات وغيرها.

إن الحديث عن المعجم العربي يقودنا إلى الحديث عن مراحله وبذورها الأولى ،التي يتفق أغلب اللغويون أنها متصلة مباشرة بالقرآن الكريم، وبالأخص بشرح ما استغلق على الفهم من ألفاظه، فظهر ما يسمى بكتب غريب القرآن، وقد عرض أحمد أمين في ضحى الإسلام مراحل جمع اللغة حتى تأليف المعاجم كالآتي :

تم_((جمع الكلمات حيثما اتفق، فالعالم يرحل إلى البادية ليسمع كلمة في المطر ويسمع كلمة في السيف وأخرى في الزرع والنبات... إلخ، فيدون ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السماع،)) [13] (ج1،ص448) .وكان جمع اللغة متزامنا مع جمع الحديث تقريبا لهذا تأثر أهل اللغة بجامعي الحديث في المنهجية والطريقة والتجريح.)) [14] (ص25) .

((وقد كان الأعراب الفصحاء مصادر جمع اللغة مابين سنة تسعين (90) وسنة مئتين (200) للهجرة،)) [15] (ص147) ، وكان علماء اللغة يرتحلون إليهم ويتصلون بهم في بواديهم للرواية عنهم، كما كانوا يأخذون عن الأعراب الذين انتقلوا إلى الكوفة والبصرة واتخذوهما وطنا، لكن هؤلاء الأعراب – بصنفيهم – ليسوا دائما ثقات فيما يخبرون به، وقد نبه الخليل إلى ((أن النحارير منهم ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت.)) [16] (ص14) .

ثم جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد (...)، والذي دعا إلى هذا في اللغة على ما يظهر – أنهم رأوا كلمات متقاربة المعنى فأرادوا تحديد معانيها، فدعاهم ذلك إلى جمعها في موضع واحد (...)، وتوجت هذه المرحلة بكتب تؤلف في الموضوع الواحد، فألف أبو زيد كتابا في المطر وكتابا في اللبن، وألف الأصمعي كتبا كثيرة صغيرة، كل كتاب في موضوع، وكتاب في النخل والكرم، وكتاب في الشاء وكتاب في الإبل ...إلخ")) [13] (ج2 ،ص449) ، وهي ما يطلق عليه الرسائل المفردة أو الرسائل اللغوية.

لنستخلص من هذا أن المرحلة الأولى في جمع اللغة على طريقة المعجم، تمثلت أولا في كتب غريب القرآن مع عبد الله بن عباس في سؤالات نافع بن الأزرق، ((هذه المرحلة الأولى في المعجم وليس لجمع اللغة، فلا يجب الخلط)، بعدها مباشرة توازى التأليف في غريب القرآن مع الجمع العام والعشوائي للغة. وقد كان " أبو عمر بن العلاء (ت 145ه) أول الرحالة إلى منتجعات البادية، استنطق الأعراب وأطال مكوثه واستماعه إليهم".)) [17] (ص76) .

وبعدها وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة، ((وأول من فكر في هذا الموضوع في اللغة العربية الخليل بن أحمد–على ما بلغنا– فكر في أن يجمع كل ما عرف من ألفاظ العرب في كتاب مرتب .)) [13] (ج2 ،ص450) .

لنناقش هذه المرحلة، وهل فعلا هي مرحلة مستقلة بفاصل زمني من حيث البداية على الأقل ، لعل بدايتها فعلا مع الخليل لكنها لا تعتبر مرحلة ثالثة لما سيأتي:

إن المرحلة التي اعتبرها أحمد أمين مرحلة أولى قد عرفنا أنها ليست كذلك، بل كتب غريب القرآن هي مرحلة الجمع الأولى، وإن كان يبدو أن هدفها الأساس ليس الجمع بقدر ما هو الشرح وإزالة الغموض وعدم الفهم، و يتواصل التأليف فيه ويتوازى مع جمع اللغة العشوائي، ثم تظهر أيضا في نفس الفترة تقريبا ما سمي بالرسائل اللغوية المفردة، وإن كانت كتب غريب القرآن والحديث تدرج ضمنها، التي اسمرت مع مرحلة المعجم الشامل حتى وقت بعيد جدا، فنجد من العلماء من ألف المعجم الشامل وألف في الرسائل المفردة مثل الخيل للشيباني (ت 204ه)، الأجناس لابن السكيت ، الأسماء في اللغة للزمخشري،أسماء النكاح للفيروز آبادي (ت 817ه)، كتاب الأمكنة والجبال والمياه: هو كالمعجم الجغرافي للزمخشري ، وغيرهم وصولا حتى الزبيدي صاحب آخر معجم يصنف ضمن المعاجم اللغوية القديمة وهو معجم "تاج العروس من جواهر القاموس"، والذي ألف إلى جواره كتاب الإبل ونتاجها وما تصرف منها.)) [18] (ص100-105)

إذن نلاحظ أن الرسائل اللغوية قد استمرت جنبا إلى جنب مع المعاجم اللغوية حتى القرن التاسع مع الفيروز آبادي، وبالتالي فهي ليست مرحلة من مراحل الجمع بقدر ما هي صورة من صور الجمع، وهذا ما سنلاحظه من بعد (في الحديث عن الرسائل اللغوية). إذن قد تم جمع اللغة على صور متعددة، مشكلة في ظاهرها تتابعا مرحليا في التطوير في صورة الجمع وبالتالي في التأليف المعجمي.

يضاف إلى هذا أن أشهر مؤلفي الرسائل الإفرادية عاصروا الخليل وجاءوا بعده كالأصمعي، والأنصاري أبي زيد وغيرهم،)) [19] (ص37) . وقد كانت الرسائل اللغوية الإفرادية صورة فريدة في حمل وجمع المفردات المرتبطة باللغة، الإنسان، الحياة، والكون عامة، وفي إشارة بسيطة نعرض لأهم موضوعاتها والتي سنحاول التركيز على بعض منها، مما نجد من غرض البحث، وهو بيان بناء هذه

الرسائل التي تعتبر أساسا نواة المعجم اللغوي العربي بنوعيه العام والخاص، وسنتبين هذا من تفاصيل الموضوعات المختلفة.

وقدعنينا في البداية بعرض عناوين الرسائل اللغوية المختلفة في الموضوعات المختلفة للأسباب الآتية :

1- بيان اهتمام علماء العربية بمختلف موضوعات الحياة من لغوية وغير لغوية، ولكن الاهتمام كان لغويا في الغالب.

2 – تمثل مادة الرسائل اللغوية الأرضية والمخزون والرصيد الذي اعتمده أصحاب المعاجم المختلفة (على اختلاف أنواعها)كما سنرى فيما بعد.

3 – تمثل الرسائل اللغوية مرحلة الجمع الحقيقية والأولى للمادة اللغوية التي تم تنظيمها وتبويبها وترتيبها في المعاجم من بعد، مع وجود عملية الجمع العشوائي.

4-إن المعجميين الأوائل قد اعتمدوا في مصادر مادتهم المشافهة والرحلة إلى البادية، إلا أنهم كان لهم رجوع واعتماد كبير على الرسائل اللغوية، ولعل حضور أسماء أصحابها بقوة في أغلبها يؤكد ذلك كالأصمعي، وأبي عمر بن العلاء... وغيرهما، وكان منهم من ألف في الرسائل اللغوية وألف في المعاجم الكبيرة كالزبيدي والقالي وغيرهما.

-وقد اختلف العلماء في اعتبار الرسائل اللغوية ضربا من المعاجم المختصة أو بداية للمعجم المختص في العربية، وبالتحديد المعجم الفني، فيرى فريق منهم أن المعاجم العربية القديمة في الموضوعات المختلفة بداية من الرسائل اللغوية وصولا إلى معاجم المعاني تعتبر من المعاجم العربية القديمة المختصة ، حيث يرى إبراهيم مدكور أن: " العربية غنية غناء ملحوظا بمعجماتها المتخصصة، فكر فيها منذ عهد مبكر، وبدئ بها في العلوم الدينية واللغوية ، ثم طبقت فكرتها على العلوم الأخرى من إنسانية وطبيعية ورياضية "، ويتجاوز هذا ليصل إلى القول بأن :" كتب التفسير في أساسها تعد ضربا من هذه المعجمات ، وكتب الحديث من صحيح ومسند و شرح لهما لا تخرج عن هذا كثيرا ، وفي وسع العربية أن تباهي بما وفر لها من معجمات الأعلام ، فلديها منها ثروة لا تكاد تجد لها نظيرا في اللغات الأخرى ، وكثيرا ما سميت كتب الطبقات والتراجم ، ولكل فرقة ولكل مدرسة ولكل علم طبقاته ، مثل طبقات المعتزلة ، وطبقات الشافعية ، وطبقات النحاة ، وطبقات الأطباء ، ولا شك في أن علوم الحديث في عنايتها بتاريخ الرجال والكشف عن مدى نزاهتهم وصدقهم في روايتهم هي التي وجهت نحو هذا اللون من التأليف ، ولم يقف أمر هذه المعجمات عند الأشخاص بل امتد إلى البلدان والأماكن ، وهناك باحثون أولعوا بذلك ولوعا كبيرا وعلى رأسهم ياقوت الحموي (624ه / 1228م) صاحب "معجم الأدباء ومعجم البلدان)) [8] (ج34،ص17) .

فهو لا يقف بالمعاجم المتخصصة عند المصطلحات العلمية المتصلة بعلوم مختلفة بل يتعداها إلى أسماء الأعلام ، والبلدان والأماكن. وقبل كل هذا كتب التفسير والحديث ، فالاختصاص في مفهومه للمعجم

المختص يتضمن المجال المعرفي الذي تنتمي إلى المادة المعجمية دون جوانب المعجم المختص الأخرى من قواعد وأسس وعلى رأسها قضيتي التعريف و الحد.

ويوافقه الرأي أيضا الجيلالي حلام حيث يرى أن " المعاجم المختصة قديمة في التأليف العربي ، إذ يمكن إرجاع تاريخ ظهورها إلى أواخر القرن الثاني الهجري ، مع رسائل الموضوعات مثل رسالة خلف الأحمر (180ه / في جبال العرب) و" الخيل " للنضر بن شميل (ت 204ه) و"الأضداد" لقطرب (ت 206ه) إلى أن بلغت درجة من الرقي والاكتمال في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، كما يتضح ذلك من معجم" مفاتيح العلوم " للخوارزمي الكاتب (ت 387ه) وكتاب " الفهرست " لابن النديم (ت 380ه).)) [20] (ص55) .

ويرى أحمد العايد أيضا ((أن المعاجم المختصة وجدت في التراث العربي منذ القرن الثاني للهجرة، ومن هذه المعاجم ، أي معاجم المعاني نقتصر على ذكر " مختصر تهذيب الألفاظ لابن السكيت "، والألفاظ الكتابية " للهمداني ، و" فقه اللغة " للثعالبي.)) [20] (ص341) .

ويخالفهم الرأي إبراهيم بن مراد ، الذي يرى أنه من الخطأ اعتبار الغريب المصنف والمخصص وفقه اللغة (أي معاجم الموضوعات) من المعاجم المتخصصة يقول:" وهي في الحقيقة معاجم لغوية عامة ، لأنها مشتملة على ألفاظ لغوية عامة وليست مشتملة على المصطلحات ، وحتى ما يمكن أن يعد فيها من المصطلحات إنما دوّن فيها باعتباره من ألفاظ اللغة العامة)) [16] (ص80) .

وفيما يأتي محاولة التفصيل في موضوعات الرسائل اللغوية المتنوعة:

إذن لقد شملت هذه الرسائل موضوعات متعددة ومتنوعة، وقد حاولت أن أجمع بين المشترك والمتقارب منها، ونجد عند حسين نصار والشرقاوي تصنيفات مختلفة حاولت أن أستخرج منها التصنيف الآتي.

1.2. الكتب المتصلة مباشرة بالقرآن والحديث :(اللغات والنوادر) :

إن التأليف في هذا الميدان (اللغات) كان في وقت مبكر جدا، كما هو الحال مع غريب القرآن و ذلك لارتباطه الشديد بالقرآن الكريم،فكان المنطلق الأول، ليتوسع البحث و يشمل اللغة ككل، فظهرت مؤلفات تحمل العناوين الآتية: كتب غريب القرآن،و كتب غريب الحديث.و كتب الغريبين،و كتب اللغات في القرآن وفي غير القرآن (لغات القبائل، النوادر)، " كانت تعالج بعض اللغات غير اللغة المعروفة، فهي أقرب ما تكون من كتب اللغات، بل ليس من الممكن التفرقة بينهما في أكثر الأحوال)) [6] (ج1 ،ص118) .

((فهذا الصنف من المعاجم يحشوه مؤلفوه بالمواد اللغوية من هنا وهناك (...) وهم يودعونه في الغالب ما يندرج تحت اسم اللهجات من شاذ اللغات وغريب الكلم ونادر الألفاظ مما لا يعرفه الكثير من الناس،)) [17] (ص53) .

2.2. كتب المباحث الصوتية :

هي الكتب التي درست أصوات اللغة منفردة أو في السياق وما يعرض لها من قلب أو إبدال أو إعلال أوغير ذلك، فتنوعت لذلك عناوينها :

1.2.2. ما يندرج ضمن ما يطلق عليه حديثا بالفونيتيك. ---> الهمز، الضاد والظاء، الصوت منفردا.

2.2.2. ما يندرج ضمن ما يطلق عليه حديثا بالفونولوجيا ---> الإبدال، الوقف ، الإدغام... الصوت في السياق.

3.2. كتب المباحث الصرفية والنحوية :

لقد كانت هذه الكتب شأنها شأن كتب الموضوعات السابقة، يبدأ التأليف فيها في موضوع بعينه ، ثم يستمر الحال في تنميته وتعميقه وتوسيعه حتى يجمع شتات ما شاركه في الموضوع العام،ولعل أهم موضوعاتها وعناوينها ما يأتي : كتب المصادر و كتب الصيغ الخاصة من الأفعال.و كتب عامة الأفعال و كتب أمثلة الأسماء و كتب الأبنية التي تجمع كل الأبنية السابقة في كتاب واحد، وهي تمثل مرحلة متطورة في التأليف في هذا النوع من المواضيع (الصرف).

ولعل أول من يشارك المؤلفين في هذا النمط من المواضيع النحاة الذين أفاضوا في دراستها وتحليلها أمثال سبويه في كتابه " الكتاب" وغيره.

ويجدر الذكر أن النحاة والصرفيين هم الأسبق في العناية بهذا النمط من المواضيع، ولعلهم وجهوها بإرادتهم أو بغيرها إلى هذه النوعية الخاصة من التأليف المرتبطة مباشرة بالمعجم ،رسالة لغوية خاصة فمعجم عام مثل ما هو معجم ديوان الأدب للفارابي.

4.2. كتب فقه اللغة :

هي تلك الكتب المفردة في موضوعات تدخل في دائرة فقه اللغة، كالاشتقاق والأضداد والمعرب وغيرها، ولعل أشهرها كان في الاشتقاق وفي الأضداد.

5.2. كتب حول الإنسان والعالم الخارجي :

شملت كتب الإنسان والحيوان : فقد كان للإنسان والحيوان حظ كبير من الاهتمام بالدراسة وعرض لأجناسه وأسمائه وصفاته وأعضائه وأصواته ولباسه، وكل ما يتعلق بها من قبل اللغويين، فألف في خلق الإنسان خاصة، وفي الخيل والإبل نظرا لعلاقتهما الوطيدة بالإنسان العربي سلما وحربا،وقد تنوعت مؤلفاتهم فيهما.

و((هناك من المؤلفين المتأخرين من عنون كتابه ب"الحيوان" ولم يخصص نوعا معينا كالإبل أو الخيل أو الطير أو الشاء أو الغنم أو غيرها، كما هو الحال مع الرسائل اللغوية المختلفة، ومنهم الجاحظ في كتابه

"الحيوان" والذي "عني فيه بالجوانب الطبيعية في دراسة الحيوان أكثر من الجانب اللغوي الذي تميزت به كتب الحيوان الأخرى، (...) على أنه لم يهمل الناحية اللغوية إهمالا كاملا، فكثيرا ما يعرض للألفاظ بالشرح والتفسير والاستشهاد)) [6] (ج1،ص123) .فالكتاب يشمل النواحي العلمية والأدبية واللغوية أيضا.

وفي الغالب لم يكن لهذه المواد ترتيبا معينا ما عدى بعض الترتيب المنطقي، الذي تفرضه بعض الموضوعات، مثلا في خلق الإنسان: الحمل، الولادة، الرضاعة...إلخ، وذلك لما تفرضه طبيعة هذه الموضوعات وليس كلها.

وبالعودة إلى معجم الشرقاوي نجد حصرا بكل المؤلفات في هذا الميدان باستثناء بعضها، ولعل تكملتها في كتابي: حسين نصار وآل ياسين.وهي تحمل العناوين الآتية مثل كتب حول الإنسان والحيوان:وتضم كتب الإنسان والخيل والإبل وكتب الحشرات، وكتب الوحوش و كتب الفرق وهي ((نمط من المعاجم دون فيه مؤلفوه ألفاظا تسمى بها أعضاء مشتركة بين طوائف من الحيوان، ويكون لكل عضو منها عند الحيوان الذي يحمله اسم خاص يفرقه عن مثله في سواه، كما أوردوا فيها أيضا أسماء صغار الحيوان وأسماء أصواته وجماعاته، يقال هي الشفة من الإنسان وهو المستقر من ذوات الخف، فأما ذو الحافر فله الجحفلة... إلخ .)) [17] (ص113-114) .وشملت كتب حول العالم الخارجي للإنسان ولعل أهم موضوعاته كتب النبات والجغرافيا أو البلدان والمواضع .وأيضا كتب النبات التي ذكر الشرقاوي منها ما يقارب ثلاثين كتابا . والواضح في مؤلفي هذا النمط من المعاجم أنهم لم يخضعوا مادتهم لترتيب معين، " ولكن مؤلفات هذه المرحلة كانت ممهدة لظهور كتاب جليل القدر في صفات النبات وأسماء أعيانه كان وسطا بين المعجم اللغوي العام والمعجم العلمي المختص، وهو كتاب " النبات" لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت 282ه – 895م)، والكتاب ليس مجرد رسالة في صفات النبات وأسماء أعيانه، بل هو موسوعة في حوالي ستة أجزاء، أربعة منها في موضوع النبات عامة، واثنان في مصطلحات النبات خاصة مرتبة على حروف المعجم)) [21] (ص26) .وأيضا كتب الجغرافيا و البلدان و المواقع حيث اهتم اللغويون القدماء بتحديد البقاع والبلدان والأمكنة الواردة في شعر الجاهلية وصدر الإسلام وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، " فألفوا أول الأمر في جغرافيتها ثم توسع العمل في ذلك فكان لهذا الموضوع المعاجم الخاصة))[22] (ص 194) .

وكان القائمون بهذه الحركة من الأدباء واللغويين ولكن سرعان ما دخل هذا الميدان علماء لا يمتون إلى السابقين بصلة، وعنوا بالبلدان والبقاع واتخذوا تحديدها علما قائما بذاته)) [6] (ج1،ص119) .

وظهر بذلك ثلاثة أصناف من المؤلفين: علماء مختصون في الجغرافيا ،وعلماء مسلمون ألفوا على شاكلتهم واللغويون والأدباء المرتبطين بالأخبار والأشعار. ولعل ما يعنينا من الرسائل اللغوية طبقة أهل الأدب واللغة، أما الباقية فهي معاجم تدخل ضمن المعاجم المختصة التي سنذكر تفاصيلها في حينها في فصل المعجم المختص.

6.2 . المعاجم متعددة اللغات:

من الطريف أن أقدم المعاجم التي تم الكشف عنها هي معاجم ثنائية اللغة، فقد واجه الأشوريون الذين قدموا إلى بابل قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام صعوبة في فهم الرموز السومرية التي كانت تستعمل في بابل ، فرأى التلاميذ الأشوريون أن من المفيد إعداد لوائح تشتمل على الكلمات السومرية ومقابلاتها الأشورية .)) [23] (ص194) .

وبالنسبة للمعاجم التي كانت العربية إحدى لغاتها ينفرد حسين نصار في كتابه بذكرها،ويرى أنها ظهرت –تقريبا- بالتوازي مع المعجمات العربية الصغيرة والكبيرة، فأخذت بعض خصائصها. ولعل سبب ظهورها هو تزاحم لغتين في مكان واحد، وكانت إحدى هاتين اللغتين في الغالب هي اللغة العربية. هدفها الأول هو الحفاظ على اللغة الثانية بسبب شيوع العربية وانتشارها على ألسنة المتحدثين نتيجة انتشار الإسلام.((وأهم معجم سمعنا عنه في تلك العصور، كتاب بن بهلول (كان حيا في النصف الثني من ق4ه) للسريانية والعربية. وأدى انقسام الخلافة العباسية إلى إمارات صغيرة، يغلب على أكثرها الفرس والترك، وخاصة في المشرق إلى محاولة هؤلاء الأمراء إحياء لغاتهم الوطنية، وأثمرت هذه الحركة معاجم عربية فارسية، تذكر اللفظ العربي ومرادفه في الفارسية، وقد سارت هذه المعاجم في السبيل التي سارت فيها المعاجم العربية،(نظام الأبنية،رسائل الموضوعات، النظام الألفبائي). وظهرت أيضا لغة ثالثة تجاور العربية في المعجم،هي اللغة التركية،ألفت كتب تضمها منها: "منتهى الأرب في لغة الترك والعجم والعرب" لأحمد بن محمد بن عريشاه ت(854ه).)) [6] (ج1،ص75-76) .

ولغة رابعة هي اللغة القبطية (لغة المصريين) والتي شلكت مع العربية ما سمي بالسلالم، وهي معجمات صغيرة تتخذ سلالم للتدرج في معرفة اللغة، ويضاف إليها ترجمات المعاجم الكبرى كالصحاح وقاموس الفيروزآبادي إلى الفارسية والتركية، لتتوالى المعاجم من هذا النوع وتتدفق عبر العصور بسبب الحاجة إليها، وبسبب الاختلاط والاحتكاك بين الألسنة من جهة ((وتعددت لغاتها ما بين فرنسية وألمانية وانجليزية وروسية من الغربيات، وفارسية وتركية من الشرقيات، وعبرية وسريانية من الساميات إلى جانب العربية.)) [6] (ج1،ص77) .

وخلاصة القول :

1- نشأت المعجمية العربية مثلها مثل علوم العرب في أحضان القرآن الكريم. وإن المعجم العربي يبدأ تاريخه عندما واجه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشكلة فهم نص القرآن وخاصة حين يجدون في هذا النص ألفاظا لا يعرفون معانيها، فيسألون عنها.

2- بدأت المعجمية العربية انطلاقا من غريب القرآن ومما لا شك فيه أن كتب غريب القرآن ،غريب الحديث وكتب اللغة أيضا، وكل الرسائل اللغوية المفردة في موضوعات مختلفة (لغوية وغير لغوية) تعتبر

نواة للمعاجم اللغوية العربية الكبيرة واحتلت حصة كبيرة من مساحتها العامة.ولقد تطور التأليف في علوم القرآن وعرف معاجم متخصصة كثيرة.

3- لم يختلف مؤلفو الرسائل اللغوية فيما بينهم كثيرا في موضوعاتهم والتي كانت مأخوذة من بيئة واحدة هي بيئة شبه الجزيرة العربية.وإن شملت بمجموعها كل موضوعات الحياة فيها.لكنها لم تتمكن من استيفاء كل الألفاظ والثروة اللغوية بسبب القيود المفروضة في عملية الاحتجاج اللغوي.

الفصل 1

المعاجم اللغوية العربية العامة القديمة

1.1. معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي .

مما لا شك فيه أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو صاحب معجم العين، الذي يعتبره بعض العلماء أوّل معجم عرفته اللّغة العربية، وصاحبه عالم في اللّغة، والأصوات، والعروض، وموسيقى الشعر والنغم، والرياضيات والحساب. وقد اجتمعت كل هذه الاختصاصات وتضافرت لتصب في معين واحد هو معين اللّغة العربية، فاستطاع أن ينضب منه و يؤلّف معجمه بذلك القدر الكبير من الدقة والعلمية والشمولية.

فكّر الخليل بن أحمد في أن يجمع كل ماعُرف من ألفاظ العرب في كتاب مرتب قال الخليل: ((بدأنا في مؤلّفنا هذا بالعين، وهو أقصى الحروف، ونضم إليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب الواضح والغريب)))) [24] (ج1،ص60) .

وقد اعترضته في ذلك صعوبتان: الأولى: كيف يحصر لغة العرب. الثانية: كيف يرتبها.)) [13] (ج2، ص450) .

ولعلّ المسألة الأولى هي التي شغلته لأنّه لم تقنعه طرق الجمع المختلفة المتبعة في عصره، والتي يرى بأنها لن تفي بمجموع اللّغة، فلا الجمع العشوائي الذي كان في البداية فقط، ثم انتظم على شكل الرسائل اللّغوية المفردة، ولا الجمع على شكل هذه الأخيرة قادر على الإلمام بكل اللّغة،خاصة أنها تعتمد على الرواية ومشافهة الأعراب ،ثم السماع والتسجيل، ورأى أنّه رغم صحتها إلاّ أنها لا يمكن أن تستوعب وتستغرق كل اللّغة، بمعنى أن العالم مهما حلّ وارتحل، وسمع واستمع لن يتمكن من سماع وتسجيل كل ما نطقت به العرب.

1.1.1.ترتيب المعجم :

والمسألة الثانية: هي طرق الترتيب السَّائدة حتى عصره، وأهمها الترتيب الألفبائي ،أو ما يعرف بنظام الحقول الدلالية ،أما الترتيب الأبجدي فلم يؤلف على منواله أي كتاب حسب علمنا واطلاعنا.

استبعد الخليل الترتيب المعنوي لبعده عن الهدف المنشود وهو جمع كل مفردات اللّغة وحصرها، ونظرفي ترتيب الحروف الهجائية، فلم يجد مبررًا علميا لذلك التتابع للحروف، سواء في الأبجدية المأخوذة عن الفينيقيين أوفي الألفبائية التي وضعها نصر بن عاصم على شكل مجموعات متتابعة، كل مجموعة تحمل الحروف المتشابهة خطًا، حتى حروف المجموعة الواحدة مثلا (ج ح خ) لم ير فيها المبرر العلمي الذي يجعلها على ذلك الترتيب، وبناء على هذا قرّر ما يأتي:

فيما يخص ترتيب الحروف، عرف وأدرك من البداية أن اللّغة منطوقة قبل أن تكون مكتوبة، ولاحظ أن مواد الترتيب مهما كان نوعه (ألفبائي أو أبجدي) التي هي جوهروأساس اللّغة هي الأصوات، فنظر إليها بعين علمية ولاحظ أن تمييز الحرف بالصوت أقوى دلالة وأكثر وضوحًا و تميزًا من الكتابة)) [22] (ص195) .

فلاحظ من هذه الجهة أن لها مواصفات دقيقة يمكن استغلالها لإعادة الترتيب وفق أسس علمية، فكان له الترتيب الصوتي أو المخرجي للأصوات.

يقول الخليل بعد أن ذكر أن حروف العربية تسعة وعشرون حرفا، منها مالها أحياز و مدارج، ثم ذكر تفصيلات صوتية دقيقة، منها ما يهمّنا الآن يقول: ((و لم أبدأ بالهمزة، لأنّها يلحقها التغيير والنقص والحذف، ولا بالألف لأنها مهموسة خفية،لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني فيه العين والحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف)) [24] (ج1،ص50) .

نلاحظ من البداية سيطرة الفكر الصوتي على الخليل ، فاللّغة بالنسبة له أصوات منها ما لها أحياز ومدارج ثم، ترتيب الأصوات حسب الأحياز والمدارج أي حسب مخارجها، ثم تسمية المعجم وابتداؤه بصوت العين، دون سواه من المجموعة الأولى في ترتيبه المخرجي رغم أنه ليس الأوّل فيها، ولكن لأنه على حد تعبيره أنصع، أي أقوى صوتا و سمعًا، فحقق الخليل بكل ما سبق النقطة الأولى الجديدة بأن وضع الهجائية مرتبا حروفها ترتيبا علميا دقيقا هوالترتيب الصوتي. وهذا تأليفه: ع،ح،هـ،خ،غ ـ ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ـ ظ، ث، ذ، ـ ر، ل،ن ـ ف، ب،م، ـو، ا، ي ـ همزة.

<u>2.1.1. مادة المعجم</u> : عندما تمّ للخليل ترتيب الحروف على هذا النحو الدقيق، انتقل إلى اللغة التي تتكوّن مادّتها من هذه الحروف) [6] (ج2، ص234) .

، قال الليث قال الخليل ((كلام العرب مبني على أربعة أصناف،على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي (...) قال الخليل: ((و ليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف. فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم، فاعلم أنّها زائدة على البناء، و ليست من أصل الكلمة .)) [24] (ج1،ص48-49) .

و بهذا يدخل الخليل اعتبارًا آخر في تأليف المعجم و هو ((الاعتبار الكمي لأنواع أبنية العرب (ثنائي، ثلاثي، رباعي، خماسي)) [25] ص70) . ونظر في هذه الأبنية [قوالب صوتية صرفية] فوجد فيها الصحيح والمعتل، وفرّق بينهما في كل بناء فقسم الأبنية على هذا الأساس:

الثنائي الصحيح، الثلاثي الصحيح، الثلاثي المعتل، الثلاثي اللفيف، الرباعي الصحيح، الرباعي المعتل، الخماسي الصحيح، الخماسي المعتل.

قال الخليل((وليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف. فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم، فاعلم أنّها زائـــدة علـــى البنـــاء، وليســـت مـــن أصـــل اللغـــة)) [24] (ج1،ص49).

فأبنية اللغة محصورة بين الثنائي والخماسي.

وتناول الخليل هذه الأبنية على هذا الترتيب عند تناوله لكل حرف من الحروف الصحاح ابتداءً بـــالعين وانتهاءً بالميم، سوى الرباعي والخماسي المعتلّين، فقد أخّرهما إلى ختام الكتاب حين عقـــد بابـــا للحـــروف المعتلة.

وإن((التأكيد على مفهوم البنى الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية يقرّ مفهوم البنى العميقة المعجميـــة التي تعتمد مداخل المعجم العربي،(...) واستقراء مفهوم البنى السطحية التي تنشـــأ مـــن تصـــريفات البنـــى العميقة وتحويلاتها وذلك بالاعتماد على عملية التقليب التحويلية الرياضية)) [26] (ص44) .

فالوحدات المعجمية في هذا المعجم وفي معاجم اللغة عامّة تنقسم إلى صنفين اثنـــين يمـــثلان البنيتـــين العميقة، والسطحية المتولدة عنها، وهذان الصنفان هما:

1- « صنف تمثله الجذور: و" وحدة شكلية دنيا " هي الصوامت التي يتكوّن منها بعددها وسماتها التـــي تختص بها، و"وحدة دلالية عليا" أو رئيسية" هي الدلالة العامّة التي تقترن به،وقد اتخذت هذه الجذور أصـــلا في تبويب كتاب العين، واعتمدت مداخل معجمية أصولا [كما ذكرنا]. وهي التـــي تمثـــل البنيـــة العميقـــة الأصل.

2 - « صنف تمثلهُ الجذوع وهي نوعان: الأوّل تمثله " الجذوع الرئيسية " وهي المفـــردات المولّـــدة مـــن الجذور بإضافة الحركات إليها، والثاني تمثله " الجذوع الفرعية " وهي المفردات المولّـــدة بالاشـــتقاق مـــن الجذوع الرئيسية، وهذه الجذوع بنوعيها إذن هي "المفردات"، وهي التي اتخذت في كتـــاب العـــين مـــداخل فرعية تحت الجذور التي تنتمي إليها و كوّنت المادّة التي أجرى عليها التعريف وهي تمثل البنيـــة الســـطحية المتفرّعة.

إذن محور درس الخليل لبناء معجمه هو "المفردة" فقد " درسها من حيث هي " وحدة معجميـــة منتميـــة إلى نظام – هو المعجم – لا يعتبر فيه ما للمفردة من " شكل " فقط، أي من حيث هـــي ذات بنيـــة صـــرفية وتأليف صوتي فحسب، بل ينظر إليها باعتبارها « كيانا معقدًا » يكوّنه وجه دلالي مشتمل على بنية صـــرفية وتأليف صوتي، ووجه مدلولي تبرزه الدلالة المستفادة منها باجتماع المكوّنين الدالي والمدلولي فيها، وهـــذان المكوّنان هما اللذان يجعلان من " الوحدة المعجمية " دليلا لغويا. وعليه تبنى الوحدة المعجمية العربية ســـواء كانت جذرا أو جذعا من حرفين أصلين وثلاثة أحرف أصول، وأربعة وخمسة لا أكثر)) [16] (ص16-20) .

وقد مهد لها أوّلا بتحديد المجال والقالب (ثنائي، ثلاثي، رباعي، خماسي) الذي ستشتغل فيه.

اقترب الخليل من هدفه وبقي عليه أن يخطو الخطوة الأخيرة للوصول إليه، وقد تم له ذلك باهتدائه إلى فكرة التقليب، إذ وجد أنه بمقدوره أن يأخذ كل بناء من هذه الأبنية الأربعة فيقلبه على جميع أوجهه الممكنة، فيحصل على وعاء يضم جميع ألفاظ اللّغة فلا يفلت منها شيء عنه ، قال الليث قال الخليل((أعلم أن الكلمة الثنائية تتصرّف على وجهين (...) والكلمة الثلاثية تتصرّف على ستة أوجه وتسمى مسدوسة والكلمة الرباعية تتصرّف على 24 وجهًا، وذلك أن حروفها وهي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة أوجه فتصير 24 وجهًا، يكتب مستعملها ويلغى مهملها (...) والكلمة الخماسية تتصرّف على 120 وجهًا. وذلك أن حروفها خمسة أحرف تضرب في وجوه الرباعي وهي 24 فتصير 120 وجهًا، يستعمل أقلّه ويُلغى أكثره)) [24] (ج1 ،ص50) .

فقد أدرك الخليل أهمّية الرياضيات وأتقن استغلالها في تأليف معجمه الذي يسعى منه إلى حصر كل لغة العرب، ((فابتعد عن العمل المألوف عند أقرانه وخرج عن نهجهم فابتدع لنفسه منهجا رائدًا معتمدًا على الفكر الرياضي الإحصائي.

إذن نتيجة لنظام التقليبات فإن كل كتاب لا يشتمل على كلمات فيها حروف سابقة، فكتاب الحاء لا يشتمل على أي كلمة فيها عين، لأن جميع الكلمات التي تشتمل على حرف العين قد سبقت في كتاب العين ، وهكذا.

ومعنى هذا أن الكتب الأولى أكبر من الكتب المتأخّرة (...) ولهذا فإن كتاب العين يعد أكبر كتب المعجم، و حين نصل إلى كتاب الميم نجده لا يتجاوز بضع عشرة صفحة لأنه لم يبق لهذا الحرف ليوقف معه إلا أحرف العلّة الثلاث.)) [2] (ص191-192) .

إلى هنا وصل الخليل إلى طريقة فريدة في حصر اللّغة العربية، بداية من البناء الثنائي وصولا إلى البناء الخماسي، باستخدام التقليبات الصوتية وما ينتج عنها من كم هائل من الكلمات العربية، ولو توقف من الناحية النظرية والتنظيرية عند هذا الحد لتمكّن من وضع أضخم وأكبر بل أشمل معجم لغوي عربي، لكن الخليل عندما وصل إلى هذه المرحلة، أدرك ضخامة العمل بالنسبة إليه لوحده من جهة، ومن جهة أخرى أدرك أن الكلمات الناتجة يجب أن تخضع لقانون اللّغة العربية، وبناءً على هذا ظهرت بعض القوانين والقواعد على رأسها ثنائية (المستعمل والمهمل ، ((والمستعمل من ألفاظ اللّغة هو المنجز بالفعل على ألسنة أفراد المجموعة اللّغوية، أما المهمل فهو المتصوّر بالذهن دون أن يكون له في الآن المتحدث عنه ظهور على ألسنة الناس، وقد دوّن الخليل في معجمه المستعمل من ألفاظ اللّغة وترك المهمل لأنه غير موجود بالفعل.)) [21] (ص23) . فالموجود بالفعل أو " المنجز "، والموجود بالقوّة أو" اللامنجز " من المركّبات التي يشمل عليها " الكشف " العام الذي ينتج عن " التقليب الصوتي "، وقد تمكّن الخليل من التمييز بين "المنجز" و" اللامنجز" بتطبيق نظرية "المهمل والمستعمل" فإن الوجوه التي ينتهي إليها "التقليب"

مستعملاً منجزًا في كلام الناس، ومهملا ملغى من كلامهم، والمهمل يمثل المركبات اللامنجزة وليس له قيمة في واقع الناس اللّغوي.)) [16] (ص21) .

وتمكن بتوظيف هذه الثنائية من إقصاء عدد كبير من كلام العرب، وذلك ما شكّل بعض المآخذ عليه « كإهماله أبنية مستعملة في اللّغة لم يذكرها لأنه لم يسمع فيها شيئًا، ووصفها بأنّها مهملة (...) ويتصل بالنقص السابق نقص آخر داخل المواد نفسها التي ذكرها ووصفها بأنّها مستعملة، فهذه المواد لم يستوف صيغها ولا معانيها المختلفة الكثيرة (...) والسبب في هذا النقص عند الخليل معروف فهو أوّل من جمع في اللّغة كتابا كبيرًا، فالعلم ما يزال بادئًافي عهده.)) [6] (ج1،ص218) .

وقد أثبت الخليل في مقدّمته مجموعة من القوانين الصوتية الدقيقة التي تمكن من معرفة وحصر الكلمات العربية فقط، ومن هذه القوانين نذكر:

1- لا تجتمع في كل واحدة ثلاثة أحرف أصلية من مخرج واحد كالحروف الشفوية (ف ب م) فإنّها لا ترى مجتمعه في كلمة، ولكن إذا تباعدت الحروف الأصول فإن اجتماعها في الكلمة جائز.)) [24] (ج1،ص58) .

2 – إن الرباعي باستثناء الرباعي المضعّف مثل زلزال ...الخ والخماسي من الكلمات العربية لابدّ أن يشتمل بين حروفه على أحد أحرف الذلاقة المنحصرة في (ل،ن،ر، ف،ب،م) وما خالف ذلك فليحذر نسبته للعربية، قال الخليل :إن وردت عليك كلمة رباعية أوخماسية معرّاة من حرف الذلق أوالشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أنّ الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب لأنك لست واجدًا من يستمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلاّ وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر .)) [24] (ج1،ص51-52) .

وقد أثبت هذا القانون فيما بعد حيث ((قام الدكتور علي حلمي موسى بإحصاء تردد الأصوات في الجذور الثلاثية والرباعية والخماسية في المواقع الثلاثة، الأوّل والوسط والأخير في معاجم: الصحاح، اللسان، والتاج (...) ثم استنتج العالم نتائج من هذا التردد مبينا فيه أن أكثر الأصوات ترددًا في الجذور كما يظهر في الجدول :

الجذر الثلاثي	الجذر الرباعي	الجذر الخماسي
ر= 1205	ر = 1102	ن = 103
ن= 1135	ل = 73	ر = 11
م = 128	ن = 754	ل = 83 .

الجدول رقم 1: يمثل تردد الجذور في المعاجم العربية

فاستنتج أن أكثر الأصوات ترددًا هي الأصوات الذلقية (ر ل ن) والأصوات الشـفهية (ب م ف) كما يظهر في الجدول.)) [27] (ص109).

وفي هذا « تحقيق لخصيصة أساس للمفردات اللّغوية هي "الشكل الفنولـوجي"(Forme phonologique)، وقد حدّد الخليل بهذه الخصيصة نمطية التأليف الصوتي في الوحدة المعجمية العربية، رغبـة منـه في التمييز بين ما هو عربي خالص من كلام العرب، وما هو محدث مبتدع فيه، وقد أعطى أصواتا بعينها قيمة تمييزية ورأى أنّها من خصائص التأليف الصوتي في العربية، وهي حروف الذلاقة.)) [16] (ص17). التـي تمكّننا من معرفة الكلمات غير العربية. بالإضافة إلى قوانين صوتية أخرى تؤدّي إلى إقصاء كثيـر مـن المفردات خارج دائرتها،ولعلّها في إطار ما سبق ذكره من « الخصائص الفنولوجية لبناء الكلمات العربية ".

وقد كان الخليل يلتزم تجريد الكلمة من زوائدها ثم يضعها في مكانها بعد ذلك، أي أنه بنـى معجمـه على "الجذور" أو "الأصول" وأهمل حروف الزيادة، وقد ظل هذا دأب معظـم معاجمنـا حتـى الآن..)) [2] (ص189). و((هذا أساس صرفي لم يكن من الممكن تصوّره قبل اتضاح ملاح البحـث فـي بنيـة الكلمـة العربية (...) وظل هذا المبدأ (...) في كل المعاجم العربية العامة حتى العصر الحديث ولم تخرج عنـه إلاّ قلّة من المعاجم الخاصّة وبعض المعاجم التعليمية الحديثة .)) [28] (ص100).

3.1.1. شرح المادة : كان الخليل ((يشرح المادّة ومقلوباتها في موضع واحد، بعد أن يـذكر فـي صدر حديثه عنها ما استعمل من تصاريفها وما أهمل (...) ثم يبدأ في شرح التصريفات المستعملة تصـريفا بعد آخر ، وشرح التصريفات مجتمعه في مكان واحد لابد قد نبّه الأذهان من بعد إلى ما بينهـا مـن صـلة مشتركة، وربّما كان ذلك السبب نفسه هو الذي دعا الخليل إلى سلوكه، فإن كان كذلك وليس ببعيد فالخليـل إذا هو أوّل من نبّه إلى هذه الخصيصة من خصائص اللغة .)) [29] (ج 1،ص29).

بعد هذه الجولة العلمية مع الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب أوّل معجم لغوي، وصاحب أوّل نظريـة معجمية عربية مؤسسة على قواعد أساسية مرتبطة بالمفردة باعتبارها الوحدة المعجميـة (المـدخل)، هـذه القواعد تتصل بالجانب الصوتي والصرفي والدلالي لها، ننتقل إلى ما بعد الخليل، وفي هذا الحـديث الكثيـر من الشجون لأن المعجم العربي بعده عرف حركات وخطوات متفاوتة في التطوّر والتنوّع .

سنتناول المعاجم التالية لمعجم العين للخليل تناولا تاريخيا من أجل رصد التطوّر أوالتطـوير الحاصـل فيها.

لعل أوّل المعاجم التي نذكرها بعد العين للخليل، معجم يتنافس معه في أسبقية الظهور، ((هو معجـم "الجيم" أو "النوادر" أو "الحروف" لأبي عمرو الشيباني، الذي ولد قبل الخليل (92هــ) وتـوفي بعـده (ت 206 هـ)، ولا نعرف تاريخ تأليفهما لمعجميهما بالضبط، ولكن أغلب العلماء يصـرّحون بأسـبقية الخليـل وهذا راجع إلى نضج منهج الخليل مقارنة بمنهج الشيباني، وهذا الأخير هو صاحب "أوّل معجم رتب علـى الألفباء في المعجمية العربية .)) [18] (ص243).

ويذكر العلماء من المعاجم معجم "الجيم"، "النوادر"، "اللغات"، "الحروف" لأبي عمرو الشيباني (ت206هـ) الذي اختلفوا في تسميته الحقيقية، وثان خلاف يقع حول تصنيفه، حيث يرى حسين نصار في أنّه من كتب اللّغات، والشرقاوي في معجم المعاجم أنه من كتب النوادر.

ومختصر القول إن أهم خصائصه وهي العناية باللغات، الأخبار، القصص، الشعر، الشواهد، ستتكرّر مع كثير من أصحاب المعاجم بعده، وإن حاولوا في فترات متلاحقة القضاء عليها.

2.1.الغريب المصنّف لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ):

صاحب مجموعة أيضا من الرسائل اللغوية المفردة كغريب القرآن وغريب الحديث، وكتاب الأموال،وكتاب الأجناس.

يختلف هذا المعجم في أساسه عن المعجمين السابقين الذين ينتميان إلى نوع ونمط خاص من المعاجم هو معاجم الألفاظ، وهي التي تنطلق من اللفظ الحاضر لتصل إلى المعنى الغائب. أما النوع الذي ينتمي إليه هذا المعجم فهو معاجم الموضوعات أوكما تسمى معاجم المعاني.

قبل التفصيل في ثنايا هذا المعجم يجدر بنا التعريف بهذا النوع من التأليف المعجمي وظروف وعوامل ظهوره.

إن لمعاجم الموضوعات علاقة خاصة بالرسائل اللغوية نتبيّنها فيما يأتي:

معاجم الموضوعات شكلت ما يسمّى بمدرسة المعاني التي تعتمد في تصنيفها للمعاجم وترتيبها تبعا للمعاني والموضوعات أو ما يعرف بالحقول الدلالية، ((وفحوى هذه الطريقة تتبني على عقد أبواب وفصول للمسمّيات التي تتقارب في المعنى، ويؤكّد كثير من الباحثين أن طريقة المعاني تعتبر الطريقة الأولى التي بدأ فيها التأليف اللّغوي طريقه في جمع الرسائل الأولى.)) [14] (ص56).

والجدير بالملاحظة أن فكرة المعجم الموضوعي نفسه، لم ترد إلى أذهان علماء العربية في ذلك الوقت، وإنّما كان شغلهم الشاغل هو محاولة تقييد هذا الذي يجمعونه ثم تصنيفه وحفظه في مجموعات حتى لا يضيع.(...) فهؤلاء العلماء كانوا يسألون الأعراب عن كل ما يتعلّق بموضوع معين، وبالتالى فإنّهم يجدون أنفسهم يدوّنون كل ماله صلة ببعضه في مكان واحد فتشكّلت الرسائل المفردة التي جمعت في كتاب عام يضعهاويشملها جميعا (في الغالب) هو المعجم الموضوعي .)) [30] (ص15-16).

ونجد الشرقاوي في معجم المعاجم يفرّق بين مصطلحين أو تسميتين فجعل مجموعة الموضوعات في قائمة، ومجموعة معاجم المعاني في قائمة أخرى، وفرّق بينهما.

وفيما يأتي تفصيل الحديث في بعض هذه المعاجم. بداية بمعجم "الغريب المصنّف" لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ):

هو معجم يذكر في سلسلة المعاجم العربية حسب الترتيب الزمني. وهو أقدم ما وصل إلينا من معجمات المعاني، وهو "أحد المصنّفات اللّغوية التي نالت الحظوة عند الناس وتلقاها العلماء بالقبول، واشتغل

بها الأشياخ والطلبة تعليما وتعلّما، وتناولها اللّغويون بالشرح وبالتلخيص ومسوها بالانتقاد، وانتصـــروا لهـــا بالرد عليه، وهو من أجل مصنّفات أبي عبيد، ومن أوائل المعاجم التي ألفت على الموضـــوعات. وأول مـــا نفتقد في المعجم مقدّمة يبسط المؤلف فيها الكلام على منهج ومصادر وطبيعة المادّة، وما إلى ذلك مما يعيننا على التّعرف على الكتاب والإحاطة بموضوعه.

يتألف الغريب المصنّف من ألف باب متفرّقة في كتبه السبعة والعشرين منها: كتاب خلـــق الإنســـان، كتاب النساء، كتاب اللباس، وكتاب الأطعمة، الأمراض (...) الطير والهوام،(...) الجبال، الشجر والنبـــات، المياه وأنواعها،(...)الأزمنة، أمثلة الأسماء، الأفعال، الأضداد، الإبل ونعوتها (...) والأجناس، وهذا الأخيـــر له كتاب خاص فيه.)) [18] (ص142). وليس لها ترتيب معين حيث نجده قد « اعتمد على الكتب المؤلفـــه قبله في الموضوعات المفردة، وخاصّة كتب الأصمعي وأبي زيد الانصاري وأبي عبيد والكسائي وغيـــرهم، وأدخلها برمّتها في كتبه وأبوابه واتبع ترتيبها في بعض الأحيان ، والتزم أن ينقل كل قول إلى صاحبه، وأن ينبّه على المواضع التي اتفق فيها اللّغويون التزام التنبيه على مواضـــع الخـــلاف .)) [6] (ج1نـــص166). معتمدا أسلوب الرواية دون إضافة في الشرح والتفصيل والتعليل إلاّ قليلا .)) [31] (ص79). ولعل هـــذا راجع إلى هدفه الذي نستشفه من طريقة تأليفه هو جمع كل الرسائل المفردة في تأليف (كتاب واحد) يضـــمها ((إذن ففضل أبي عبيد في جمع الموضوعات الخاصة في كتاب واحد، وفي جمـــع الكتـــب المختلفـــة فـــي الموضوع الواحد في كتاب واحد أو أبواب واحدة من كتابه .)) [31] (ص79).((وأبو عبيد لم يـــدوّن كـــل العربي الفصيح المستعمل حتى عصره، لأنّه قيّد نفسه بمجالات بعينهـــا.)) [21] (ص24). ممـــا أدّى إلـــى غياب كثير من ألفاظ اللّغة في معجمه لأنها لا تنتمي إلى مجال من المجالات التي تقـــارب الثلاثـــين التـــي ذكرها.

ويخلص العلماء من دراستهم المستفيضة لهذا المعجم ما يأتي، يقول: ((نخلص من هذه الوقفات الدّارسة لكتب الغريب المصنّف وأبوابه، إلى أن أبا عبيد تميز فيه بمنهج خاص لا يخلو من عيوب أهّمها:

1 - عدم ترتيب أبواب الكتاب الواحد ترتيبا ما، وعدم ترتيب مواده.

2 - الاختصار الشديد في تفسير الألفاظ، والقلة المفرطة في الشواهد ،مع عـــدم تنوعها،وعـــدم تجـــاوز شعر عصر الأمويين، مع كثرة مواضع إهماله نسبته، على أنه من الجانب الآخر اختص بحسنات أهمها أنـــه يعدّ تطوّرًا في معجمات المعاني، عدد ألفاظ وعدد أبواب، وأن مؤلفه التـــزم نســـبة الآراء و الأقـــوال إلـــى أصحابها اللّغويين والأعراب، بل كان يلتزم أيضا بالنص على الآراء المتفقة والأخرى المختلفة، فحفـــظ لنـــا بذلك من اللّغة قدرًا كبيرًا.

ولعلّ العيوب التي ذكرت ستتكرّر عند كثير من علماء اللّغة لكن بتفاوت فيما بينهم في كل منهم.

أما في ترتيب المادة المعجمية فإن أبا عبيد خالف الخليل والشيباني معًا، فقد نهج في كتابه نهجـــا آخـــر غير الترتيب الصوتي المخرجي]، والترتب الألفبائي العادي، ذلك أنه عمد إلى المدوّنه المتجمعة له، فصنّفها

إلى مجالات كبرى. وقسم تلك المجالات نفسها إلى أبواب، فكان معجمه لذلك مرتبا بحسب المواضيع – أو حسب المعاني، وقد فتح أبو عبيد بذلك اتجاهًا جديدًا في التأليف المعجمي العربي، على أن عمله كان في الحقيقة تتويجًا لأعمال أخرى سبقت في أواخر القرن الثاني وبدايات القرن الثالث الهجريين، فقد وضعت في هذه المرحلة عدا كتاب الجيم للشيباني – معاجم كثيرة لكنها لم تكن معاجم حقيقية، بل كانت في مظاهر لغوية عامّة مثل الأضداد، والمثلثات، والقلب والإبدال، والقصر والمد، أوفي صفات الأشياء، وهي الأكثر عددًا، مثل الرسائل المؤلفة في خلق الإنسان، وخلق الفرس والخيل الخ. .)) [21] (ص25). وغيرها.

فكان معجم أبي عبيد تتويجًا لها، وعملا جامعا وحافظًا لكل هذه الرسائل المتفرّقة المشتتة، لكن لم يغيّر منها كما فعل الخليل والشيباني بأن جعلها من مصادرهما من حيث المادة والشاهد، بينما هو أخذها برمتها، مادّة،وشواهد وخاصة منهجا خاصا في التأليف.

وبذلك نستطيع القول إن عمل أبي عبيد هو مرحلة تالية مباشرة لمرحلة الرسائل المفردة التي بقيت مستمرّة حتى بعد ظهور مثل هذا النوع من المؤلفات - التي جمعها

وألف من مجموعها نوعًا خاصًا من المعاجم العربية هو المعجم الموضوعي الذي يعتبر في الحقيقة معجم الرسائل المفردة، لكن بنظام أكثر وترتيب أفضل وهدف أكبر.

نستخلص أن أبا عبيد ألف معجمه، وكأنه لم يسمع أصلا بكتابي الخليل والشيباني لأنه اتفق معهما فيما يتفق الجميع وخالفهما في أمور جوهرية تميز بناء المعجم عنده.

ويظهر بعد فترة ليست بعيدة عن معجم "الغريب المصنّف" معجم آخر احتذى منهجه وطريقه بنائه، واختلف عنه في بعض التفاصيل، هو معجم "الألفاظ" ليعقوب بن إسحاق أبي يوسف الملقب بابن السّكيت (ت 244).وهو ثاني ما وصل إلينا من معجمات المعاني، غير أنه لم يصل كما وضعه المؤلف، وإنّما وصل كتاب : -تهذيب الخطيب التبريزي (ت 502هـ) له، فعرف الكتاب بتهذيب الألفاظ. ، وله أيضا "إصلاح المنطق" ، "والأضداد"، و"الحشرات"، و"غريب القرآن" ، وغيرها .)) [32] (ص37).

وعمومًا ((فإن ابن السكيت لم يخرج عن المألوف في أسسه المنهجيّة، بل لم تكن له شخصية منهجية واضحة. ولعلّ كتابه الآخر في التصويب اللّغوي واللحن "إصلاح المنطق" كان له الصدى أكبر بكثير من هذا الكتاب.والأول مختص، أما الثاني فهو معجم لغوي عام .

وبين سلسلة متتابعة من الرسائل اللّغوية يظهر كتاب يعتبر معجمًا لغويا مثله مثل المعاجم الأخرى، يغفل الكثير من العلماء عن ذكره، ولا يعطى مكانته لا التاريخية ولا العلمية، هو كتاب "التقفية في اللّغة" لأبي بشر اليمان بن أبي اليمان البندنيجي (ت284هـ). فنجد على سبيل المثال أحمد مختار عمر لا يعتبره منتميا إلى دائرة المعاجم يقول: « إنّ مهمّته تختلف عن مهمة المعجم، لأنها تتركز في عرض كلمات اللّغة مبوبة على حسب تقسيمات القافية في الشعر العربي، أما مهام المعاجم الأساسية التي تتلخّص في شرح

الكلمات وضبطها بالشكل، وبيان كيفية كتابتها وتحديد وظيفتها الصرفية، فتكاد نختفي من هذا الكتاب.)) [2] (ص223-224).

ولكن بالنظر إلى مهام المعاجم التي ذكرها أحمد مختار عمر،والتي يجب أن تكون في أي معجم ، نعتقد أنه حكم سابق لأوانه إذا أطلق على مؤلفات ذلك العصر التي كانت تتطوّر.وتتدرّج في هذا التطوّر حتى تصل إلى تحقيق هذه المهام .ولعل ما ذكره يكاد يختفي في معاجم أخرى أيضا لكنها مع ذلك لم يغفل إدراجها ضمن المعاجم الكبرى، ومعجم "التقفية" له ما يبرّر ذكره لأن له مساهمة دقيقة في بناء المعجم العربي، وبالأخص في طرق ترتيب المادّة فله طريقة متميّزة وإن لم تكن كاملة النضج – مهّدت لظهور صنف متطور جدًا من المعاجم فيما بعد على رأسها " ديوان الأدب " للفارابي و" الصحاح " للجوهري .)) [33] (ج1،ص82).

وسنلاحظ فيما سيأتي عمل صاحبه ليوفّر لنفسه(وقد كان شاعرًا ضريرًا) ولغيره من الشعراء آلة الشعر وهي القافية.

3.1. التقفية في اللغة للبندنيجي :

هو ثالث معاجم الألفاظ، بعد " العين"، و"الجيم"، و" الغريب" ، ولكنه لم يتبع منهج أي واحد منها.

خالف أوّلا أباعبيد في المنطلق العام الذي يقوم عليه المعجم، الألفاظ أوالمعاني، فانطلق من الألفاظ، وأشبه بذلك العين، والجيم، لكنه اختلف عنهما كثيرًا ولعلّه أقرب بكثير من الجيم عن العين، وسنلاحظ هذا فيما يأتي.

« اختار البندنيجي أن يقسم معجمه إلى أبواب مرتبة ترتيب الحروف الهجائية كما فعل قبله أبو عمرو، لكنّه خالفه في اعتبار الحرف الأوّل من ألفاظ كل باب، وذهب إلى اعتبار الحرف الأخير منها، يعني أنه قد اختار الترتيب الألفبائي العادي بحسب الأواخر. وإذا ذكرنا من قبل أن الشيباني قد نظر فقط في الحرف الأوّل من الكلمة، « فقد أشبهه البندنيجي في هذا، إذ أهمل النظر في الحرف الأوّل والثاني من الألفاظ مكتفيًا باعتبار قوافيها في تقسيمها على الأبواب ، وذلك" بغض النظر عن كونها حروفا أصلية أو زائدة"..)) [2] (ص222). فأهمل مبدءا اشتهر به الخليل كثيرًا هو مبدأ الجذرية، ولعل هذا كان عن قصد منه في تأليف معجمه على القافية التي قد لا تتحقق في ألفاظ المعجم ل إذا اعتمد مبدأ الجذرية.

إلى هنا تمكن البندنيجي من رسم حدود أبواب معجمه فكل باب لكل حرف من الحروف الهجائية، ثم ((انتقل إلى الخطوة الأخيرة التي يزيد بها من تحديد موقع اللفظة في الباب وهي الخطوة التي امتاز بها التقفية على الجيم من حيث المنهج، وتعدّ تطوّرًا فيه (...)، فالمؤلف لم يقف عند تقسيم الكتاب إلى أبواب بحسب الحروف، وإنّما عمد إلى كل باب يقسّمه فصولا أطلق على كل منها عبارة (قافية أخرى) أو(باب آخر) بحسب الأوزان والأفاعيل (...) وهو بهذا ضيق مجال البحث عن اللفظة، وسهّل الوقوف عليها ، مقارنة بالشيباني وكأنّه قد أدرك صعوبة البحث في معجمه فحاول أن يحسن في انتظام مواده بأن جعل هذه

العناوين الصغيرة كمعالم تساعد على العثور على الكلمة بأقل صعوبة ،و عدا هذا فإنّه قد أغفل ترتيب الألفاظ داخل الباب و نثرها بشكل لا يخضع لنظام معين و بالتالي فلا أثر لمعجم العين عند البند نيجي، ولا أثر معه لنظام التقليبات أوالأبنية، بل الأبنية قد حلّت محلّها الأوزان والقوافي، فكانت الكلمات تتتابع تتابعا « دون توضيح معانيها، لدرجة أن تتساوى مع المشروح منها في مجموع الكتاب، إذ وجدها مألوفة مستعملة لا تحتاج إلى تفسير فاكتفى بذكرها (...) وكأنّه لا يريد، و قد وجد معناها معروفا – إلاّ إثبات فصاحتها في اللّغة و قبولها القافية في الشعر. .)) [6] (ج2، ص234). ولعل أحمد مختار عمر له الحق في ذلك الحكم ،لكن ليس على الاطلاق ففي المعجم ما يدل على أنه معجم.

تظهر الألفاظ التي عالجها البندنيجي من الكلام الفصيح الذي لا يجهله العوام، ليكون ذلك أجمع لما يريده المرتاد لما وصفناه .)) [34] (ص187). على حد تعبيره، فاختلف بذلك عن سابقيه الخليل وأبي عمرو، إذ جمع الأوّل في كتابه الغريب من الألفاظ إلى غيره، وقصر الثاني جمعه على الغريب النادر في الأكثر دون الشائع المعروف، أما البندنيجي فاختار المتداول المستعمل، وهو النوع الذي يحقق هدفه المنشود. وهو جمع كل القافية في كتاب واحد يعود إليه كلما احتاج، فكأنه معجم للقوافي وليس للمفردات خاصّة أن جمهرة الألفاظ جاءت على بناء المصدرو اسمه. مما يلاحظ قلة الأفعال وغيرها من الصيغ.

مما سبق نخلص إلى أن البندنيجي قد جدّد في بناء المعجم العربي، وأضاف إضافة نوعية متميزة، وهي النظر للحرف الأخير بدل الأول في الترتيب الألفبائي للمواد، هذه الإضافة التي غرس بذورها الأولى في معجمه فكان الرائد في منهج القافية لكن بالنظر فقط للحرف الأوّل لتعرف نموّها ونضجها مع الفارابي في ديوان الأدب، والجوهري في الصحاح، وقد احتذته كثير من المعاجم حتى آخر معجم من المعاجم القديمة، وهو تاج العروس للزبيدي، وهذا ما سنتبيّنه فيما سيأتي لاحقا.

وتتوالى الرسائل المفردة بعد البندنيجي لتمد حبل الوصل بين المعاجم اللّغوية لتصل إلى القرن الرابع الهجري، وما يحمله من تجدّد وتنوّع وتطوّر أيضا. يسمّى هذا القرن: قرن المعاجم، وقد ألّف فيه من المعاجم الكبيرة حوالي خمسة عشر ما بين معاجم أصول، وما استدرك عليها أو شروحها. فعرف هذا القرن عموما حركة معجمية كبيرة ومتنوّعة، برز فيه التنافس العلمي الشريف والموضوعي بين علماء العربية فأفرز لنا سلسلة متألّقة من المعاجم اللّغوية، تتميّز وتتمايزفيما بينها ببناء دقيق ومؤسس.

لعل أول هذه المعاجم وأولاها بسبق الذكر معجم "جمهرة اللغة لمحمد بن الحسن الأزدي أبو بكر بن دريد (223 هـ– ت 321هـ)، وله كتاب السرج واللجام، الاشتقاق، وكتاب الخيل الكبير(...) وغيرهامن الرسائل اللغّوية .)) [33] (ج1،ص61-62).

يقول حسن ظاظا: « وإذا كان كتاب العين يمثّل بالنسبة له ما قبل تاريخ المعجم العربي»، فإن التاريخ الحقيقي لصناعة المعاجم يفتتح بمعجم "الجمهرة" أو" جمهرة الكلام" لأبي بكر محمد بن الحسن بن

دريد (223هـ. 321 هـ)، وقد عوّل على كتاب العين وما وصله من المجاميع اللّغوية للأصمعي وأبي عبيد وغيرهما، وما حفظه هو من الأشعاروالأراجيز وما سمعه من مشافهة الأعراب .)) [35] (ص108).

4.1. جمهرة اللغة لمحمد بن الحسن الأزدي أبو بكر بن دريد (223 هـ– ت 321هـ):

ابن دريد في معجمه "جمهرة اللّغة" غير الخليل في "العين"، وإذا كان الخليل قد سمّى معجمه على أساس صوتي (أنصع الحرفين) وهو العين، فإن ابن دريد يعلّل في مقدّمته سبب التسمية الذي من خلاله سنعرف نوع المادة المحشو بها معجمه، يقول: ((وإنّما أعرناه هذا الاسم لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب، وأرجأنا الوحشي والمستنكر .)) [36] (ص1). فارتكز اختياره للمادّة اللّغوية الواردة في معجمه على معيار شخصي يحدّد من خلاله المستعمل ويميّزه عن غير المستعمل الذي أطلق عليه الوحشي المستنكر.)) [31] (ص267).

((فهو لا يريد معجما رصيدا للغة المنتظر مثل الخليل، بل المؤدى منها، ولا يهدف أداة تحيط باللّغة كلها، بل بـ " جمهرة الكلام واللّغة (...) مسقطا الوحشي المستنكر ومنبها إلى أنه لا يريد من اللّغة إلاّ معظمها وفصيحها بدلا من فصيحها وغريبها كما هو الشأن عند الخليل مما يفيد بأن ابن دريد جادّ في تطوير المعجم العربي.)) [26] (ص76). وإن لم يحدّد فيها معايير الوحشي والمستنكر كما فعل الخليل في المستعمل والمهمل.

وبالرجوع إلى المعجم فإن " جمهرة اللّغة لم يلتزم بالجمهور المشهور (...) فأكثر من الألفاظ الغريبة حتى انفرد بأسماء لم ترد في معاجم غيره، ويتضح ذلك من مراجعة المادّة اللّغوية التي احتواها المزهر للسيوطي في الفصل العاشر الخاص بمعرفة الضعيف والمنكر والمتروك من اللّغات، فمعظمها مأخوذ من الجمهرة.)) [37] (ج1، ص169).

ومع هذا فإننا نلاحظ ما يأتي:

إذا كان منهج الخليل وفكره يقومان على الإحصاء والاستقصاء الشامل فإن منهج ابن دريد و فكره يقومان على الإحصاء مع الاختيار والانتقاء .)) [38] (ص117).

ونلاحظ ما يأتي:

1- خرج ابن دريد عن الترتيب الخليلي للأصوات وهو الترتيب المخرجي، وفضّل عليه الترتيب الألفبائي الذي كان الشيباني أول المؤلفين عليه.

2- إذا كان الخليل قد استند إلى المعيار العلمي الدقيق في اختيار الترتيب المخرجي، فإن ابن دريد قد استند إلى معيار مختلف تماما، هو معيار الشهرة والشيوع عند العامّة والخاصّة. وإذا أجرينا مقارنة بسيطة بين الترتيبين فابن دريد له الحق في اختيار الترتيب الألفبائي لأنه الأسهل، وهو بذلك يخطو بالمعاجم العربية خطوة تطورية نحو التبسيط في التأليف المعجمي. وهو تجديد كبير سيكون له أثره البالغ في تأليف المعاجم بعد ذلك .)) [39] (ص32).

وعند النظر في متن المعجم وطريقة انتظام مواده نجد أن ابن دريد لم يتبع النظام الخليلي في تقسيم الكتاب إلى كتب فيجعل كتابا للهمزة وآخر للياء وثالثا للتاء وغيرها بل جعل نظام الأبنية أساسا لتقسيمه مع مراعاة نظام الألفباء ونظام التقليبات الخليلي في آن واحد .)) [40] (ص79). فأصبحت الأبواب عنده للأبنية موسعا فيها بعدما كانت عند الخليل للحروف يعني: .)) [29] (ص55).

الخليل ← يبدأ بالحرف ———— ثم الأبنية / ثنائي/ ثلاثي....
ابن دريد ← يبدأ بالبناء الثنائي ——— ثم الحروف، أ، ب، ت، ث..... والملحقات.
بالبناء الثلاثي ——— ثم الحروف أ، ب، ت، ث..... والملحقات.

الشكل رقم 1 : يمثل مقارنة بين الخليل والجوهري

((وإن الجمع بين الترتيب الألفبائي ونظام التقليبات فيه عسر، إذ إنّه لم يذلل الكشف عن كلمة ما.)) [31] (ص271). ((ويبدو أن تمسك ابن دريد بهذا النظام الخاص"كان من أسباب انصراف المعجميين عن اتباعه، ولذا يقف ابن دريد دون أتباع أومريدين، ولكن هذا لم يمنع من تأليف بعض الكتب حوله مثل " فائت الجمهرة " لأبي عمر الزاهد، و"جوهرة الجمهرة " للصاحب بن عباد وغيرهما.)) [2] (ص207).

ولم يتحرّر من قيد الرسائل اللّغوية المفردة التي فرضت نفسها أيضا في معجمه، ومثال ذلك تلك الأبواب الفرعية القصيرة التي وضعها مع أبواب الرباعي مثل "ما جاء في الشدّة والصلابة"، وما جاء في "القصر"، وما جاء في "السرعة" وغيرها .)) [29] (ص63).

كذلك ((نجد ابن دريد يتميّز بالنوادر واللهجات العربية وما دخل إلى العربية من كلام العجم، وهو من المعاجم الرائدة في التاريخ اللغوي عند العرب .)) [41] (ص102). حيث يورد بابا في ((ما تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللّغة." فينقل فيه بعضا مما أخذ من الفارسية والرومية والسريانية وغيرها .)) [29] (ص67).

وهذه الميزة من ميزات المعاجم التاريخية، وإن كانت المعاجم الحديثة تنص على تاريخ دخول الكلمة الأجنبية إلى اللّغة القومية.

ويستمر تدفق الرسائل اللّغوية وكتب غريب القرآن والحديث في عهد ابن دريد وبعده وما يلاحظ في هذه الفترة ظهور كتب مؤلفة حول العين تستدرك عليه ما فاته، منها "تكملة العين" لأحمد بن محمد الخارزنجي البشتي (ت 348)، الذي وهّنه وجرّحه كثيرا أبو منصور الأزهري في مقدمة تهذيبية و غيره كثير.

إذن يكون منهج الخليل قد شاع وانتشر أكثر ونتوقع أن لا يبتعد المؤلفون في المعاجم عن منهجه لكنّنا نجد في هذا القرن وفي مراحل متتابعة لا يفصل بينها سوى بضع سنوات مجموعة من المعاجم الكبرى تختلف فيما بينها، ومنها التي تختلف تماما عن منهج الخليل

5.1. معجم ديوان الأدب للفارابي (ت 350هـ):

مثلما يوجد ديوان للشعر يوجد بالنسبة للفارابي ديوان للأدب، فما طبيعة هذا الديوان، وما خصائصه، وفيما يكمن تجديده أو تطويره في بناء المعجم العربي ! ؟

رأينا فيما سبق مع الرسائل اللّغوية كتبا ألّفت في موضوعات صرفية مختلفة مثل المصادر، الأفعال، وغيرهما.((فاللّغويون لم يدعوا النحاة وحدهم في هذا الميدان يصولون ويجولون،وإنّما شاركوهم فيه وتحوّل البحث في الأبنية (...) إلى بحث استقراء تتبّعي، وإن اتجهوا في البحث اتجاها آخر، فلم يعد هدفهم حصر الأبنية فقط (...) وإنّما اتجهوا إلى محاولة حصر الألفاظ تحت كل بناء.)) [2] (ص271).

فظهر نوع خاص جدًا من المعاجم يسمّى " معاجم الأبنية ".

لعلّ أوّل معجم جامع يرتب مادّته حسب الأبنية وبإجماع العلماء هو معجم "ديوان الأدب للفارابي" ولم يأخذ التأليف في الأبنية قبل الفارابي صورة المعجم الكامل الذي اتجه إلى حصر المادّة اللّغوية.)) [42] (ص59). لكن بطريقة فريدة ومتميّزة، حيث إن صاحبه

1- يراعى في ترتيب الكلمات الحركة إلى جانب الصوت الساكن.

2- قسّم كتابه إلى ستة أقسام سماها كتب ليست لا على شاكلة كتب وأبواب الخليل، ولا ابن دريد، بل يطبعها الجانب الصرفي أكثر، و هي على الترتيب الآتي:.)) [42] (ص58).

1كتاب السالم: ما سلم من حروف المد واللين والتضعيف.

كتاب المضاعف: ما كانت العين منه واللام من جنس واحد.

كتاب الأمثال: ما كان في أوّلها واو أو ياء.

كتاب ذوات الثلاثة: ما كانت العين منه حرف من حروف المد واللين. وهو الأجوف.

كتاب ذوات الأربعة: ما كانت اللام منه حرفا من حروف المد واللين، وهو الناقص.

كتاب المهموز: ما كانت فاؤه أو لامه أو عينه همزة.

والكتابان الرابع والخامس سميا كذلك باعتبار تصريفها مع المتكلم تتكوّن من ثلاثة أحرف، ومن أربعة أحرف، مثل: قمت: من ذوات ثلاثة.

حكيت: من ذوات الأربعة. والله أعلم.

فهو قد ألّف كتابه على نمط لم يسبق إليه كما يقول في مقدّمته: «...مشتملا على تأليف لم أسبق إليه، و سابقا بتصنيف لم أزاحم عليه.)) [43] (ج1،ص1). فكان بذلك إضافة نوعية في التأليف المعجمي العربي،

وهو لم يأخذ بالترتيب الصوتي بل بالترتيب الألفبائي وفق الحرف الأخير، وقد سبقه إلى هذا البندنيجي في معجمه "التقفية"، لكنه هو كان أكثر انتظاما وتطوّرًا.

ويمكن اختصار أهم صفات هذا المعجم فيما يأتي:

1 - لعلنا نستطيع أن نطلق عليه وصف: معجم صرفي لغوي، يفيد الصرفيين قبل غيرهم.

2- إنه وقف عند حدود المعجم ولم يتعدّ اختصاصه، ولذلك أهمل المسائل الفقهية، والكلامية، وأبعد الأشياء الغريبة عن علم اللّغة، واقتصد في النحو والبلاغة و العروض.

اقتصد أيضا في ذكر الشواهد (...) وأسماء العلماء الذين كان ينقل عنهم .)) [34] (ص190-191).

6.1. البارع في اللّغة لأبي علي القالي: (ت 356هـ):

أوّل معجم ظهر في الأندلس، هو من تلامذة ابن دريد، فهل معجمه من تلامذة "الجمهرة"!؟.

الكتاب مقدّمته مفقودة « فليس لدينا أقوال عن غرضه وهدفه وخطته، ونظرته إلى ما سبقه من معاجم (...) ولكنّنا قد نظن أنه كان يرمي في معجمه إلى تلافي النقائص التي رآها في كتاب العين و معجم أستاذه ابن دريد. واعتمد القالي أوّل ما اعتمد على الخليل (...) ثم علي أبي زيد والأصمعي ويعقوب وهم أعلام اللغة الثلاثة. .)) [6] (ج1،ص253). فهو إذن « لم يعتمد على مشافهة الأعراب والرحلة إلى البادية وهو يؤلف معجمه هذا في الأندلس ولا أعراب في الأندلس، فهو أوّل معجم لم يشافه مؤلّفه الأعراب .)) [44] (ص143)، فاتبع منهج الخليل في عرض المادة اللغوية على الحروف بحسب مخارجها غير أنه بدّل بعض الشيء في ترتيب الخليل لهذه الحروف، فكان ترتيب الحروف عند القالي هو:

هـ ع غ – ق ك – ج ش – ل ر ن – ط د ت – ص ز س – ظ ذ ث – ف ب م – و ا ي، همزة (تنقص ح خ) و الخليل: ع ح هـ خ غ - ق ك – ش ض – ص س ز ط د ت – ظ ث ذ- ر ل ن – ف ب م – و ا ي ء .)) [39] (ص21). وبالمقارنة بينهما نلاحظ ما يأتي:

إن الحروف مقسّمة إلى مجموعات صوتية تكاد تكون متفقة في كليهما.لكن يختلفان في ترتيب المجموعات بالتقديم والتأخير. وبالتالي فإنّه لم يأخذ بالتطوير الذي وضع أستاذه ابن دريد هو الأخذ بالترتيب الألفبائي الأسهل، وإنّما حاول أن يقلد الخليل في ترتيبه مع إضافة ميزة خاصة به حيث((استعاض عنه بنظام سبويه الصوتي .)) [45] (ص32-35). وفي أخذه بالتقاليب أيضا.((أما الزيادة على معجم "العين"، فما ورد في العين مهملا جعله البارع مستعملا، واستشهد له بالشواهد الكثيرة، وما أوجزه الخليل توسّع فيه القالي وأغناه بالشواهد .)) [39] (ص22).

إن مما يميز القالي في معجمه في البلد الذي ألف فيه المعجم وهو "الأندلس"، وأيضا في الزمن الذي ألف فيه، الابتعاد عن الفصاحة – مما يميّزه الخوف من اللحن والتحريف أن يطرأ على الألفاظ، ومحاولة إحاطتها بالضمانات التي تقيها ذلك، فالتزم للمرّة الأولى في المعاجم العربية ضبط الألفاظ التي يخاف عليها اللبس بالعبارة، وسار في ضبطه في طريقين، أوّلهما: بيان الشكل، مثل قوله: ((قال

الأصمعي: ... جدّة النهر بكسر الجيم وتشديد الدال و بالهاء..." والطريق الثاني بيان الوزن: مثل قوله:"يقال زج وزججهُ، وزجاج على مثال فُعل وفِعله بكسر الفاء وفتح العين، وفِعال بكسر الفاء "، وكان في ذلك ضبط للحروف أنفسها أيضا وضمان لها من التصحيف .)) [6] (ج1، ص253).

ونستخلص مما سبق أن القالي في معجمه قد وسع في المواد، ففاق الخليل بكثير جدًا، وترك نظام ابن دريد واتبع الخليل في الترتيب الصوتي لكن مع تغييرات واختلاف وتعديل لا يمس الجوهر ولا يتعدى تفاصيل بناء معجم الخليل، فهو معجم تابع لمعجم العين وإن تميّز بما تميّز عنه فيما ذكرنا.

ولم توجد كتب تؤلف على منواله، ولم يهتم به الدارسون بالنظر "سوى تلميذه أبي بكر الزبيدي الأشبيلي (ت 379) الذي ألّف " المستدرك من الزيادة في كتاب البارع على كتاب العين".

7.1. تهذيب اللّغة لأبي منصور الأزهري (282 هـ - 370 هـ).

هل فعلا قد هذّب اللّغة أم تطاوله على غيره من العلماء هو الذي يحتاج إلى تهذيب فعلا؟

يقول الأزهري في مقدّمة معجمه «وقد سميت كتابي تهذيب اللغة، لأني قصدت بما جمعت فيه نفي ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها، وغيّرها الغتم عن سننها، فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي،ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب .)) [6] (ج1،ص259).

دون التعليق على المفردات والتسميات والألفاظ السيئة التي أطلقها الأزهري على من سبقه من مؤلفي المعاجم، والتي تحتاج إلى بعض التهذيب لاعتبار أخلاقيات العلم، ننتقل إلى ملاحظة بعض العيوب التي رآها الأزهري في المعاجم السابقة منها: التصحيف في بعض الصيغ.وحشو الكتب بما لا أصل له في اللّغة.

فمؤلفه وبالأخص مقدّمته لهذا ((من أهم الوثائق في تاريخ التأليف اللّغوي وتاريخ المدارس اللغوية الأولى.)) [2] (ص193). حيث مضى في ذكر أئمة اللغة الذين اعتمد عليهم من معجمه بعنوان: ((ذكر الأئمة الذين اعتمادي عليهم فيما جمعت في هذا الكتاب ، من الصفحة الثامنة إلى الصفحة الأربعين مرتبا إياهم في طبقات، ملخّصا تراجمهم وآثارهم اللّغوية (...) وبيان جهود العلماء في المراحل المختلفة في تشكل ذلك التراث اللّغوي الضخم .)) [31] (ص279). فتجمع في هذا المعجم جميع التيارات التي غلبت على حركة التأليف اللغوية في هذا القرن. فأصبح بذلك ثقة من ثقات اللغّة الذين يعتد بهم وبمعجمهم.

ومن أجل ذلك فقد استند كما يقول إلى:

1- ((تقييد نكت حفظتها ووعيتها من أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سنّيات..)) [46] (ج1، ص6). فجعل بذلك السّماع والمشافهة من مصادركتابه الأولى، ولعل هذا راجع إلى ظروف تأليفه،حيث كان أسيرًا عند القرامطة، يقول دائما في المقدّمة ((وكنت امتحنت بالإسار سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عربا عامتهم من هوازن (...) ولا يكاد يقع في منطقهم لحن ولا خطأ فاحش، فبقيت في إسارهم دهرًا طويلاً(...) واستفدت من مخاطبتهم ومحاورة بعضهم

بعضا ألفاظ جمّة ونوادر كثيرة أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب .)) [46] (ج1،ص7). فاكتسب خبرة لغوية واسعة، وكأنّه قد أغرته لغتهم فأراد أن ينقل منها أكبر قدر ممكن، فيتميّز عن أقرانه بأمرين: الصّحة والفصاحة من جهة، والسعة والشمول من جهة أخرى، وهذا ما أدّى إلى تعصبه الشديد واعتداده بنفسه بسبب ما أتيح له من إمكانيات، في الواقع كانت نقمة عليه (وقوعه في الأسر) فاستغلها ليحقق بها نعمة علمية ولغوية له ولغيره ممن أتى بعده وهي التوثيق اللّغوي.

يضاف إلى هذا تأكيد الأزهري أن اللغة ليست لغة الكتب والمخطوطات فقط، إنّما هي أكثر وأفضل من ذلك هي لغة الاستعمال أي الأداء الفعلي للّغة، فانتهج لنفسه منهج التجربة الذاتية التي يسميها في المقدّمة المشاهدة، والتي اعتمدها إثر أسره (...) فقد جعلته يدرك الخطاب العربي [اللغة العربية] في الواقع، مما حدا به إلى الاهتمام بمفهوم الأداء منه مقارنة بالنظر الوارد في كتب أئمّة اللّغة ومنهم الخليل المنتقد .)) [26] (ص79).

ونستخلص من هذا الجانب (جانب المادّة اللّغوية) أن الأزهري قد أضاف مادّة جديدة إلى موضوع تطويرالمعجم العربي، من حيث الكثرة ومن حيث الصحّة فهو لم يكن يكتفي بإيراد مواده وموادهم ، بل كان يناقش ويصحح فارضا شخصيته العلمية والقومية في المعجم .)) [6] (ج1،ص276).

ويضاف إلى هذا، إن القالي لم يعتمد أصلا المشافهة، ونجد الأزهري باعتمادها قد مدّ عصر الإستشهاد بكلام العرب حتى عصر تأليف معجمه وهذه أيضًا إضافة نوعية يعتد بها، فغيّر زمان الاحتجاج باللغة الذي وضعه وضبطه علماء اللّغة من قبل بنهاية القرن الثاني للأمصاروالرابع للبادية .؟

2- يقول في أواخر المقدّمة: ((ولم أودع كتابي هذا من كلام العرب إلاّ ما صح لي سماعا منهم أورواية عن ثقة، أوحكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة،اقترنت إليها معرفتي .)) [46] (ج1،ص40).

بعد أن حدّد الأزهري مصدره الأوّل ووضح أهميّته ومكانته حدّد إلى جانبه مصدريه الآخرين وهما:

-الرواية عن الثقة.

-كتب من ألّف قبله من العلماء كالخليل (الذي اتبعه في منهجه أيضا) وابن دريد وابن المظفّر وغيرهم، بالإضافة إلى أخذه عن شيوخه الذين تتلمّذ عليهم، كالبغوي وأبوالفضل الهروي وغيرهما. أي إنّه اعتمد المدوّنة الشفوية والمكتوبة كمصادر لمؤلفه.

والحق إن الباحث يستطيع أن يقول بدون مبالغة إنّ كتاب العين كان الدعامة الأولى التي أقام الأزهري عليها تهذيبه، ثم أضاف إليه زيادات من الكتب والرسائل اللغوية الأخرى.)) [6] (ج1،ص274). بالإضافة إلى المادّة التي أخذها مشافهة عن أعراب القرامطة.

ونجد الأزهري قد بدأ معجمه ب: باب ألقاب الحروف ومدارجها، وبعده: باب أحياز الحروف، وهما دراستان صرفيتان صوتيتان مهمتان معتمدا في ذلك على العلماء السابقين له.)) [46] (ج1،ص44).

وعنى المؤلف بالشواهد القرآنية وأحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- عناية كبيرة فاق فيها غيره من اللّغويين الذين رأينا آثارهم، والسبب في ذلك قريب واضح يدل عليه عناية المؤلف نفسه بربط القرآن والدين باللّغة .)) [6] (ج1،ص275)..فكأنه أصبح معجما تفسيريا للقرآن الكريم.

كما عني بالبلدان والمواضع والأمكنة والمياه عناية كبيرة جعلت كتابه من أصح المصادر في هذا السبيل، فقد وقف هو نفسه على كثير منها أو كلها.)) [46] (ص177). وإن لم يشر حسين نصار في معجمه إلى هذه الظاهرة.

ويظهر بعد هذه المعاجم معاجم أخرى أقل أهمية تتصل بالشروح والمختصرات أهمّها مختصر العين لمحمد بن الحسن الأندلسي أبي بكر الزبيدي (316هـ، 379هـ) لنصل إلى معجم "المحيط في اللّغة " لصاحبه ابن عباد اسماعيل أبي القاسم ويلقب بالصاحب بن عباد، وله كتاب آخر بعنوان جوهرة الجمهرة.

8.1. مقاييس اللّغة ومجمل اللّغة ، لأحمد بن زكريا القزويني أبي الحسين بن فارس (369هـ. 395هـ).

ألف أحمد بن فارس معجميه العظيمين المقاييس والمجمل ، واختلف العلماء حول أسبقهما في التأليف .وسنركز عرضنا على المقاييس لاشتماله على أهم الخصائص .

لا تظهر أفكار ابن فارس في معجمه المجمل لإجماله واختصاره، لكنّها تظهر بوضوح شديد في معجمه المقاييس، فما هو الجديد الذي قدّمه هذا العالم في التأليف المعجمي العربي.؟

يعني بكلمة المقاييس ما يسميه بعض اللّغويين "الاشتقاق الكبير" الذي يرجع مفردات كل مادّة إلى معنى أومعانٍ تشترك فيها هذه المفردات .)) [48] (ج1،ص39). ونظرية ابن فارس في الاشتقاق الكبير، بيد أنّها تقوم على نظرية العرب القياسية، فإنّها تسمح بهوامش من التسهيل لاشتقاق كلمات حديثة، طالما أن لها أصولا في اللّغة، وهذا مما يساعد على نمو الثروة اللفظية للغة من جهة، ومن جهة أخرى مواكبة متطلّبات العصر والحضارة عن طريق توفير فصائل لغوية تسد الحاجات وتبلغ الغايات .)) [49] (ص236).((قال أحمد: أقول وبالله التوفيق: "إن للغة العرب مقاييس صحيحة وأصولا تتفرّع منها فروع. وقد ألّف الناس في جوامع اللّغة ما ألّفوا، ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس، ولا أصل من تلك الأصول .)) [48] (ج1،ص3).

فهدف هذا اللّغوي في كتابه (المقاييس) كشف الستار عن المعنى الأصلي المشترك في جميع صيغ المادّة.)) [6] (ج2 ،ص340) . و لم يكن يهدف إلى مجرّد جمع اللّغة وتصنيفها في مواد مرتبة ليسهل على من لا يعرف معنى لفظ من الألفاظ البحث عنه ومعرفة ما يجهل وإنّما كان يرمي إلى استجلاء أصول المواد.)) [6] (ج2،ص365)

فاختلف عن المعاجم الأخرى في الأساس والمنطلق الذي ينطلق منه حيث إنه قد " انطلق من مفهوم جديد تماما ليركّز عليه معجمه، وهو مفهوم المعنى بقطع النظر عن بنية الكلمة سواء أكانت ثنائية أوثلاثية

أورباعية(...) وهذه أوّل مرّة يتجه فيها المعجم العربي هذه الوجهة العميقة .)) [26] (ص79) ، وإن كان قد نُظر إليها من بعيد قبله مع أصحاب معاجم المعاني لكن بصورة مختلفة.

فابن فارس ((قد بلغ الغاية في الحذق باللّغة، و تكنّه أسرارها و فهم أصولها، إذ يردّ مفردات كل مادّة من مواد اللّغة إلى "أصولها المعنوية المشتركة، فلا يكاد يخطئه التوفيق، وقد انفرد من بين اللّغويين بهذا التأليف، لم يسبقه أحد، ولم يخلفه أحد.)) [48] (ج1،ص23) .

وهذا الذي دعاه إلى طرح فكرة التقاليب التي تؤدي إلى تشتيب الأصول المتقاربة من جهة ومن جهة أخرى لتعقيداتها الكبيرة.

فكانت فكرة المقاييس هي المسيطرة عليه، فسمى بها الكتاب، ولكنها لم تكن تطبق إلاّ على الألفاظ الثنائية المضاعفة والثلاثية، أما ما زاد على ذلك فله فيه مذهب آخر، لم يعتن بتوضيحه في المقدّمة كسابقه، وإنّما يتضح في علاج أبواب ما زاد على الثلاثي، وفي قوله في أثناء الكتاب: ((اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبا في القياس يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت، ومعنى النحت أن تأخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة واحدة تكون آخذة منهما جميعا بحظ)) [48] (ج1،ص340) .

فظهرت إذن إلى جانب فكرة المقاييس فكرة أخرى أراد أن يروج لها في معجمه وهي فكرة النحت، وهذه الأخيرة أيضا أخذها عن الخليل يقول((والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم حيعل الرجل إذا قال حيّى على..)) [48] (ج1،ص329) ،((وقد صنّف المؤلف المنحوت أصنافا: أوّلها المنحوت من كلمتين فقط، وهو أكثر الكلمات، وثانيها: المنحوت من ثلاث كلمات.وثالثها: المنحوت من كلمتين ودخلته زيادة حرف.وآخرها: الكلمات المتأرجحة بين النحت والزيادة.)) [6] (ج2،ص354-355)

وقد خصص للنحت بل المنحوتات ملحقا ذيل به كل حرف من حروف المعجم باستثناء حرفي الهمزة والهاء، فكان النحت والمنحوتات موضوع معجم المقاييس كلّه في جميع حروفه، وهذا يعني حسب مقاربته أنه جزء لا يتجزأ من العربية ومن رصيدها ومن معجمها.)) [50] (ص225) .

9.1. معجم " الصحاح " لاسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري (ت 393 هـ).

لم يدع الجوهري القرن الرابع ينتهي قبل أن يضع بصمته الكبيرة عليه بتأليفه معجمه المتميّز والمختلف جدًا عن بعض المعاجم السابقة عليه كالجيم والعين والجمهرة والبارع والتهذيب والمحيط، وله صلة وثيقة بصاحب معجم "ديوان الأدب"من حيث النسب،((فالفارابي خال الجوهري، ومن حيث بناء المعجم، فقد أخذه عنه وطوّر فيه حتى بلغ مرتبة خاصة في التأليف المعجمي.)) [2] (ص226) فخطا بحركة المعاجم أوسع خطوة بعد خطوة الخليل (...) ويكاد يصل إلى مستوى صاحب العين.)) [6] (ج2 ،ص395) .

نبدأ من اختياره "الصحاح" اسما لمعجمه.

يظهر أن الجوهري في اختباره للفظة "صحاح" اسما لمعجمه إنما ذهب بها ليجاري أصحاب الحديث، فكما أن لهم "صحيح البخاري"، وسواها من المصنّفات فلم لا يكون للغويين معجم يحمل دلالة الصّحة في شكله ومتنه؟)) [49] (ص305) .

1.9.1. معالم الصحة في المعجم :مادة و بناء:

لتحقيق ذلك لابد لنا أن ندرج في مقولة الصحّة مصادره ومراجعه المكتوبة المسموعة والمقولة التي مكنته من جمع اللّغة وصحيحها، ((وقد أشار إليها بالرواية والدراية والمشافهة وهي ثلاثية مهمة تفيدنا في أنه أخذ اللّغة عن مشاهير اللّغويين (...) وأنه تأثر بنظرياتهم وارتحل إلى الجزيرة، وشافه قبائلها. فالصحة تبدو فصاحة بدوية عتيقة ضاربة في التاريخ.)) [26] (ص115-116) ، لا تتوفر في عصر الجوهري، وهو نهاية القرن الرابع الهجري الذي يعج ويمج بالمعارف والعلوم الجديدة الناتجة عن المثاقفة بين العربية وغيرها من اللّغات.

ولكن هل هذا يعني أن المؤلفين قبله لم يجمعوا هذا الصحيح وهم الذين قيدوا جمعهم بمعايير الفصاحة الزمانية والمكانية ،ومثلا الأزهري الذي جمع لغته من مصدر أساس بالإضافة إلى مصادر أخرى، جمعها عن طريق مشافهة الأعراب القرامطة، فهو أيضا قد جمع الصحيح، فما الذي يميّز الصحة عند الجوهري؟.

يقول السيوطي هناك فرق بين الصحاح وغيره (...)فهو التزم الصحيح واقتصر عليه فلم يذكر سواه، أمّا هذه المعاجم فلم تقتصر عليه، بل ذكرت غير الصحيح ونقدته (...) وكانت الدعائم التي أقام عليها الجوهري نقده الألفاظ السماع والفهم، وأراد بالسّماع روايته عن العلماء، فلا اعتماد عنده على الكتب أو الوجادة، وكذلك مشافهة العرب في البادية وخاصة في الحجاز وبلاد ربيعة ومضر.)) [6] (ج2،ص381) فلم يكن هدف الجوهري في معجمه حصر اللّغة أوإحصائها كما فعل الخليل بن أحمد في معجم العين، ومن تلاه (...) إنّما صرف همه إلى تسجيل البنية اللّغوية الصحيحة للوحدات اللغوية، والتمييز بينما يصح ولا يصح في عصر اختلطت فيه موازين الكلم، وعمّت الفوضى معايير النحو)) [49] (ص306) . فجاء منهجه انتقائيا اختياريا لا إحصائيا حاصرًا.

نستخلص أن "الصحيح عند الجوهري: رصيد لغوي ومعجمي محدود، يمكن أن نعتبره مرادفا للمستعمل الموجز والمختصر عند الخليل [يختلف عن المشهور الشائع عند ابن دريد]، بل يكاد يكون انكماشا يناقض تماما ما جاء به الفكر الإسلامي من المفاهيم والمعاني النثرية والفنّية التي استعاض عنها الصحاح برصيد بدوي يبدو توقيفيًا.)) [26] (ص117) تأثرًا بأستاذه أبي علي الفارسي صاحب النظرية التوقيفية في نشأة اللّغة. هذا فيما يتعلّق بدلالة الصحاح في مادة المعجم ومتنه.

2.9.1. منهج المعجم :

لقد طرح الجوهري نظم كل من سبقه من أصحاب المعاجم واتخذ نظاما جديدًا بحيث:

1- أهمل الترتيب المخرجي. 2- أهمل نظام التقليبات. 3- أهمل نظام الأبنية فالأهمية بالنسبة له للحروف فقط.	فحقق بذلك الخصيصة الأولى وهي إبعاد الصعوبة الموجودة في المعاجم السابقة عليه، وهذه صورة من صور الصحة في معجمه

الشكل رقم 2 : يمثل منهج الجوهري في الصحاح

ثم اختار الترتيب الألفبائي حسب الأواخر: والذي عرفنا نواته الأولى مع البندنيجي في التقفية، وإن كانت ضعيفة جدًا مقارنة بما أوصلها إليه الجوهري باتباعه نظام القافية إنما لأنه ((أراد أن يبني نظامه الترتيبي على صحة صرفية بنيوية مفادها أن لام الفعل الثلاثي، وهو متمكن كما وكيفا في العربية حسب سبويه .)) [26] (ص118).لا يكون عرضة للتغيير، خلافا لفائه وعينه في الاستعمال كما هو معروف، ونحن نعتبر تخريجنا هذا لا يخلو من صواب وإن كان الجوهري لم يشر إليه صراحة بل استعمالا في المتن والترتيب فصحة الوضع والترتيب هنا نعتبره مواصلة لصحة الجمع السابقة الذكر.)) [26] (ص118).وشتان ما بين هذا التخريج الذي قدمه الجوهري لسبب اختيار نظام القافية عنده، وبين الذي عند البندنيجي، وإن كنا لا نستبعد حضور حاجة الشعراء في هذا الاختيار. حيث قسم المعجم إلى ثمان وعشرين بابا، كل منهما يتناول الألفاظ المتحدة الحرف الأخير. بداية من الهمزة إلى الياء، ثم قسم كل باب من هذه الأبواب إلى فصول تبعا للحرف الأوّل من اللفظ مرتبا على الألفباء أيضا، ونظر للحرف الأوّل (الفصل) والثاني والثالث، وإذا كانت الكلمات رباعية أو خماسية فإنه ينظر إلى كل حروفها دون استثناء آخذًا بمبدأ الجذرية، فطوّر في منهج البند نيجي تطويرًا يكاد يصل إلى القمة .)) [6] (ج2،ص381).

فكان الترتيب الألفبائي بالنسبة له بمثابة الترتيب الأصح والأنسب لمعجمه، وهي صورة أخرى من صور الصّحة في فكره المعجمي، فرفض بذلك نظام الخليل المعقد في الترتيب المخرجي، والتقليبات والأبنية. ورفض أيضا نظام ابن دريد رغم أخذه بالترتيب الألفبائي، لكن التقليبات والأبنية حافظت على

تعقيده. ورفض أيضًا نظام ابن فارس في مقاييسه والمجمل (على فرض أنه قد ألف قبله). ووضع نظامــا يجاوز المصاعب والمشكلات الناتجة عن الأنظمة الآخرى.

واختصارًا يقول عبد السميع محمد أحمد: ((يتفق العلماء على أن معجم الصحاح يفوق ما تقدّمـه مـن المعاجم نهجا وحسن مأخذ، فقد ذلّلَ صعوبتين شاقتين ورثهما المعجميون الذين وقفوا أنفسهم علـى تـدوين المعجم العربي، إحداهما: حرص اللّغويين على أن يكون البناء الكمّي والنوعي أساسا لا يستغنى عنـه فـي تدوين المعجم أبوابا حسب عدد حروف المادّة الأصلية، ونوع هـذه الحـروف: ثنائيـة، ثلاثيـة، رباعيـة وخماسية، سالمة أومعتلة. وبلغ التعقيد والتفتيت والاضطراب مدى بعيدا في مرحلـة مـن مراحـل تـدوين المعجم على يد أبي بكر بن دريد.

وثانيتهما: الحيرة في ترتيب المواد حسب المنهج السابق، وكان جمع مشتقات المادّة الواحـدة، وحشـدها في موضع واحد وسوقها تحت أسبق حروفها من حيث المدارج الصوتية عند الخليل أومن حيث وضعها في الترتيب الأبجدي*المألوف (أ/ب/ت/ث/ج...الخ) عند ابن دريد. – كان ذلك شاقا يتطلّب جهدًا وعنـاءً فـي البحث عن المادّة، وجهدًا وعناء بعد التوصل إليها، يتمثل في ضرورة قراءة المادة حتى يعثر على مقلوبهـا المراد .)) [29] (ص78).

3.9.1. مظاهر الصحة في فكر الجوهري المعجمي:

حتى يحقق الجوهري لكتابه الصحة بعد تدوينه فلا يتسرب إليه ما عيب على كثير من المعاجم قبلـه وهو التصحيف والخطأ، لجأ إلى ما لجأ إليه القالي قبله، وهو ضبط المفردات ((والضبط عنده يقـوم علـى التصريح أوالتمثيل بالميزان الصرفي أو كلمة أخرى أشهر، وضبطه قليل بعض الشيء يهمل بعض الألفـاظ التي يعسُر علينا ضبطها .

تحقيق الانتظام في علاج مواده، فكان في"علاج الأفعال والأسماء يعنى فـي الأولـى بإبانـة ماضـيها فمضارعها فمصدرها فالصفة منها ماعدا القياسي، ويُعنى في الثانية بإبانة مفردها وجمعهـا ويـذكرالأعلام أسماء للأشخاص كاتب أوالأماكن .)) [6] (ص388). فهذا تطويروانتظام في علاج المواد سبق بـه غيـره، وإن لم تقر به يسرى عبد الغني في كتابها . [38] (ص17). وتنوّعت استشهاداته من قرآن حـديث، وشـعر ونثر مثله مثل غيره من المعجميين السابقين

والآن يجدر بنا طرح السّؤال الذي طرحناه من قبل على المعاجم السابقة حسب ما يعنى أصـحابها مـن مبادئ: هل فعلا اقتصر الجوهري على الصحيح أم خرج عن دائرته؟

لم يمنعه التزامه الصحيح العناية بالمعرّب من الألفاظ ، لقد كان الجوهري أوّل من عـرّف المعـرّب تعريفا نظريا وأوّل من نبّه عليه. فيقول« وتعريب الاسم الأعجمي، أن تتفوه له العرب على مناهجها، تقـول عرّبته العرب وأعربته أيضا»(...) ويضرب أمثلة على المعرّب والمولّد مقابلة بالفصيح والصحيح .كما لـم تمنعه الصحة أيضا من إيراد الألفاظ الاسلامية والمولّدة مع التنبيه عليها (...) بالإضافة إلى شرحه بعـض

الألفاظ العربية بأخرى فارسية.)) [6] (ج2،ص391-393). مما يدل على تمكّنه من اللغــات.كمــا يظهــر إهمال الجوهري لبعض الصيغ والمواد اللّغوية بحجّة أنها غير صحيحة أو مهملة.)) [38] (ص180).

إذا نظرا لأهميّته لم يكن لمعجم قبله الأثر الذي تركه في غيره « فدارت حوله كتب كثيرة منها كتب اختصار،أوتكملة، أوحواش، أودفاع، أوهجوم، أو نقد أو ترجمة، تحــاول إكمــال الفــراغ الحاصــل فيــه أواستدراك ما فاته، منها: المنتهى في اللغة للبرمكي محمد بن تميم أبو المعالي (ت بعد 397هـ) والتكملــة والذيل ومجمع البحرين للصاغاني الحسن بن محمد العمري (557 هـ- 650 هـــ) و"تهــذيب الصــحاح" لمحمود بن أحمد أبو المناقب الزنجاني (ت 656 هـ) و"مختار الصحاح" لزين الدين محمد بن محمد الرازي (ت بعد 666هـ)،وأشهرها "القاموس المحيط" لمجد الدين محمد بن يعقوب أبو طاهر الفيروز آبــادي (729 هـ، 817هـ)، وقد ذكرها حسين نصار في كتابه .)) [6] (ج2،ص396-416). بكثيــر مــن التفاصــيل المميزة لكل منها.

وعود على بدئ نواصل الحديث فنقول:

يفتح القرن الخامس الهجري بمؤلّفات أحمد بن محمد أبوعبيد الهــروي (ت401 هـــ) فــي غريــب القرآن، وفي غريب الحديث، ليعود التأليف في معاجم الموضوعات بعد أن ألفت سلسلة متتابعة فــي القــرن السابق (الرابع الهجري) في معاجم الألفاظ كالجمهرة وديوان الأدب، والبارع والتهذيب والمحيط والمقــاييس والصحاح وغيرها، ليعود الوصل بمعاجم الموضوعات بظهور معجم "مبادئ اللّغة" لمحمــد بــن عبــد الله الخطيب الإسكافي (ت 420هـ)،وله أيضا كتاب "غلط العين" فهو في معاجم الألفــاظ ،فالرجــل مــن روّاد التأليف المزدوج.

ونجد مرّة أخرى التأليف المزدوج في معاجم الألفاظ، وفي معاجم المعاني مع العالم علي بن اسماعيل أبي الحسن بن سيده (458،398هـ)، في معجميه المحكم والمحيط الأعظم، والمخصّص.

فكان مسك الختام بالنسبة لمنهج الخليل، ومسك الختام بالنسبة لمعاجم الموضوعات . لا يهمّنــا هنــا أن نعرف أيّهما أسبق في الظهور لأن المعجمين مختلفان أشد الاختلاف من حيث البناء، وكأنّهما من مــؤلّفين لا من مؤلّف واحد. وإن كانت مبادؤه وأصوله واحدة في كليهما.

وعليه سنبدأ بالمخصّص باعتباره خاتمة معاجم الموضوعات، وآخر المعاجم القريبة إليه (مبادئ اللغــة، فقه اللّغة) في نفس الاتجاه.

10.1 - المخصص لابن سيدة 398-458ه :

عرفنا فيما سبق أن أبا عبيد بن سلام هو رائد معاجم الموضوعات، ونقول: إن مخصص ابــن ســيده هو خاتمة معاجم الموضوعات اللّغوية. حيث "رأى النصف الأوّل من القرن الخامس الكتاب الذي توّج هــذا النوع من الكتب وسما به إلى القمّة ، وسار فيه على طراز "الغريب المصنّف" .)) [6] (ج1،ص169) .

وهوأكبر معجم موضوعي باللّغة العربية ، جمع في معجمه مجموعة مواضيع وزّعها على كتب، ابتدأها بـــ: كتاب خلق الإنسان ثم كتاب الغرائز، ثم كتاب النساء ثم كتاب اللّباس، بالإضافة إلى كتب في الحيوانات المختلفة كالوحوش والغنم والسباع والحشرات واختتمها بكتب في الموضوعات اللّغوية كالأضداد والأفعال والمصادر والمقصور والممدود،وبين هذه الكتب بعض الموضوعات الفرعية حسب ما يستوجب كل كتاب، فتنوّعت بذلك موضوعاته وشابه أبا عبيد و ابن السكيت وغيرهما في هذا، وإن تفوق هو عليهما.

والمعجم موسوعة شاملة في علوم اللّغة العربية كلّها من معجم وفقه ولغة ولهجات وأصوات وصرف ونحو وقراءات وغير ذلك من العلوم اللّغوية والشرعية، وغيرها من العلوم التي اقتضتها معرفته بصنوف الأشياء على اختلاف الأنواع من إنسان وحيوان

ونبات وجماد وآلات وجبال وبحار،وأنهار وأماكن وبلدان...الخ.)) [6] (ج1،ص234) .

لهذا فهو بإجماع كثير من العلماء "أشمل كتب المعاني وأجودها في استقصاء الألفاظ وتنظيمها وتبويبها، ولم يصل إلى مرتبته كتاب في تراث العربية، فقد نفض فيه "ابن سيدة" المكتبة العربية التي وصلت إلى يده، وأعاد نثرها ونظّمها في سلك واحد يجمع فيه المعاني المتشابهة ، فقد توزّعت مصادره بين اختصاصات مختلفة ومتنوّعة منها الرسائل اللّغوية، ومعاجم المعاني (الغريب المصنّف)، ومعاجم الألفاظ (الخليل)، وكتب النحو والصرف (سيويه)، وكتب علم الأصوات (لابن جني)، وكتب العروض وغيرها كثيرة جدًا في كل الاختصاصات التي أوردها بجملتها في مقدّمته، وهي تفوق خمسين كتابا من أمّهات الكتب).

لم يهتم ابن سيده في معجمه بـــ:

1- ذكر أصحاب المصادر التي يأخذ عنها في متنه باعتبار أنه قد ذكرها في المقدّمة.

2- نسبة الشّواهد التي ينقلها من مصادره إلى أصحابها،ولعل هذا ما نجده عند كثير من علماء اللغة في معاجمهم وليس خاصا بابن سيده فقط.

الترتيب في المعجم:

بالإضافة إلى ما يتعلق بمادة المعجم التي كانت غنية جدًا في موضوعاتها فإن هذا المؤلّف يتصف ببعض الخصائص أيضا، ولعلّنا سنبدأ بطريقة الترتيب المتبعة في موضوعاته، والتي لم نألف عرضها ومناقشتها مع معاجم الموضوعات باعتبار أنّها تتبع الترتيب الموضوعي الذي لا يحكمه نظام تفصيلي معين، لكنّ ابن سيده تميز عن أقرانه في هذا الأمر أيضا،وعرض في مقدّمته الهامّة، والتي تحدث فيها عن أهمية العربية وقيمتها وبعض القضايا المتعلقة بها كأصل نشأتها، لينتقل إلى نقد الكتب التي ألفت قبله في اللّغة، وأنها تفتقد إلى بعض الأمور ، فاشرأبّت نفسي عند ذلك إلى أن أجمع كتابا مشتملا على جميع ما سقط إليّ من اللّغة، وأن أضع على كل كلمة قابلة للنظر تعليلها،وأحكم في ذلك تفريعهاوتأصيلها.)) [6] (ج1،ص298) .

فيتجنب بذلك سقطات السابقين وفوائتهم مع الأخذ بجيّدهم، ثم انتقل إلى الحديث عن فضائل كتابه ومحاسنه، وفي حديثه عنها يظهر طريقة الترتيب المتبعة يقول: « فأما فضائل هذا الكتاب من قبل كيفية وضعه، فمنها تقديم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص، والإتيان بالكلّيات قبل الجزئيات، والابتداء بالجواهر و التقفية بالأعراض، على ما يستحقه من التقديم والتأخير، وتقديمنا كم على كيف وشدّة المحافظة على التقييد والتحليل. إذن تميز ابن سيده عن أبي عبيد، وابن السّكيت، والإسكافي وغيرهم من مؤلفي معاجم الموضوعات باتخاذ هذه الطريقة في الترتيب التي تيسر البحث عن المعاني مقارنة بسابقيه، وأقرب ما توصف به هو الترتيب المنطقي، الذي لا نجده عند غيره إلاّ في بعض الموضوعات التي تتطلّبه كموضوع خلق الإنسان مثلا، حيث يعرضون له بالتدّرج في مراحل حياته السنّية.و غيرذلك.

11.1. المحكم و المحيط الأعظم لابن سيده 398-458ه:

نظام المحكم هو نظام العين مع فروق طفيفة، مثل إدماج الخليل للهمزة في حروف العلة،وإفراد ابن سيده الهمزة بالذكر،)) [2] (ص 200) .وغيرها في القضايا الجزئية، وهو آخر معجم يؤلف على نظام الخليل من حيث الترتيب المخرجي ومن حيث التقليبات. وقد أخذه « بعدما أدخل أبو بكرالزبيدي عليه من إصلاح في مختصره،وسارعليه دون أدنى تغيير)) [6] (ج1،ص296) .

لم تختلف مصادره في المحكم عن مصادره في المختص، و« الذي يقف على ديباجة المعجم، يرى أن ابن سيده قد عالج الكثير من الأمور التي تتصل باللغة، النحو،
والصرف)) [6] (ج1،ص184) .البنات، الحيوان وغيرها.

وأهم ما يميّز معجمه الآتي:

1- من مظاهر الجمع والاستقصاء عند ابن سيده اقتباسه جميع ما في العين والجمهرة إلاّ النادر القليل جدًا.)) [6] (ج2،ص297) .

2- اعتماده حذف كثير الأمور الإشتقاقية وغيرها مما رآه فائضا مدركا من قبل المريدين. وابن سيده مصيب في هذا الأمر لأنه « ينطلق من مقاربة تصنيفية تنسب إلى المنطق، وتحتل حيّزا واسعًا اليوم عند المختصين في المصطلحية، وفي وضع المعاجم العلمية المختصة، ولاغرابة أن يهتم ابن سيدة بذلك، وهو واضع معجم "المخصص" المرتب حسب المواضيع.

يقول الحمزاوي: ((إنّ هذا المنحى يفرض بطبيعته الانحياز في متعلّقات المدخل المعجمي، بالمحافظة على جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة حتى يحصل جوهر الكلام (...) فهو ينبّهنا إلى قضية منهجية لم يدركها أغلب المعجميين، وتتمثّل في الفوضى والموسوعية اللّتين تستبدّان بالمدخل المعجمي العربي، لاسيما في المعاجم الأمّهات التي تعتبر مستودعات تتكدّس فيها المعلومات كما اتفق.)) [26] (ص56) .

3- كثرة الأحكام النحوية والصرفية جدًا.)) [6] (ج1،ص298) ،ولا غرابة في هذا لأنّه كان معروفا فإنّه أنحى المعجميين،وأكثرهم اعتمادًا على النحويين مصدرًا في معجمه، ولا سيما جميع ما اشتملت عليه من

كتب النحويين المتأخّرين، المتضمّنة لتعليل اللّغة، فكتب أبي علي الفارسي وكتب أبي الحسن الرماني وكتب أبي الفتح بن جني. واعترف المؤلّف بأهميّة النحو لفهم معجمه يقول:«وليست الإحاطة بعلم كتابنا إلاّ لمن مهر بصناعة الإعراب.)) [26] (ص57) .

4- ويظهر وهو يعالج قضايا الصرف والنحو في أسلوب جدلي منطقي ميالا إلى إغراق معجمه بالمصطلحات العروضية ذات الصبغة المنطقية، ويبدو أن المحكم أوّل معجم اهتم بالجوانب الصرفية والعروضية والنحوية وأدخلها مدخلا منطقيًا فلسفيًا. ومثلما حضر المنطق في "المخصص" نجد حضوره قويا أيضا في "المحكم و المحيط الأعظم"، ويبدو أنّه الغالب على فكره المعجمي.

5- كان ابن سيده « في تفسير النباتات يعود عن قول الخليل أوابن دريد في بعض الأحيان، إلى قول أبي حنيفة الدينوري صاحب كتاب النبات لأنه المتخصص في ذلك.)) [6] (ج1،ص297) زوهذا مما يعبّر عن فكره المنطقي أيضًا.

لنصل إلى نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجري، الذي تم الانتقال بينهما عبر جسر حصين وقوي من التأليف المعجمي وهو أشهر الكتب المؤلفة في غريب الحديث، و الذي سبق لنا الإشارة إليه وهو كتاب "المفردات في غريب الحديث" للراغب الأصفهاني(ت 502هــ)، تم توالي التصانيف في المجال المعجمي مصححة ومهذّبة أهمها: تهذيب إصلاح المنطق، وتهذيب الألفاظ لابن السكيب لصاحبها أبي زكريا التبريزي بن علي الشيباني (421هــ 503هــ)، والتنبيه والإيضاح عما وقع في كتاب الصحاح لابن القطاع على بن جعفر السعدي أبي القاسم (433 – 515هــ)، وغيرها، بالإضافة إلى الرسائل اللّغوية ، "المثلث" لعبد الله بن محمد أبي محمد البطليوسي، ، لنعود ثانية لكتاب مهم جدًا أيضًا في غريب الحديث هو كتاب "الفائق في غريب الحديث" لمحمود بن عمر أبي القاسم الزمخشري، والذي ألّف أيضا إلى جانبه كتبا أخرى، وأهمّها المعجمان اللذان سنخصهما بالدراسة وهما: " المسلسل في غريب اللغة وأساس البلاغة.

12.1. المسلسل في غريب اللغة للسرقسطي ت538 :

يندرج هذا المعجم في إطار نمط خاص جدا من التأليف المعجمي العربي القديم . وهــو مــا يســمى بالمتداخل حيث نجد أن " نشأة المتداخل ومنتهاه كان في الطور الأول من جمع اللغة وتــدوينها ، لمــا تنبــه علماؤنا إلى أن للفظة الواحدة عدة معاني متداخلة ، فمنهم من أفرد لها بابا ، ومنهم من ألف فيها كتابا فــأول من ألف في المتداخل من أئمة اللغة ، نجد : " أبا المطرز البغدادي " المعروف بغلام ثعلب صاحب كتــاب (المداخل)، وكتابه هذا أبواب قصار،(...) وقد حذا حذوه تلميذه الإمام أبو الطيب اللغوي الحلبي في كتابــه " شجر الدر " ، وكان معاصرا له ، وهناك لغوي آخر اهتم بفن المتداخل وإن كان متأخرا عنهما ، وهو أبــو طاهر الاشتركوني السرقسطي الأندلسي المتوفى سنة 538 هــ ، صاحب المسلسل .)) [14] (ص94).

وجد هذا المعجم في الأندلس ، وهو فريد " لأنه لا يخضع لأية مدرسة مــن مــدارس المعجمــات العربيــة المعروفة (...) ، ولكنه يكوّن مع كتابين آخرين عرفا بالمشرق العربي حلقة أو قل صورة جديدة من صـــور

تدوين اللغة وترتيبها ، أولها : " كتاب المداخل " لأبي عمر المطرز(ت 354 هـ)، المعروف ، وهو من أساتذة القالي في اللغة والأدب وثانيهما لأبي الطيب اللغوي (ت 351 هـ) ، وهو المعروف بكتاب" شجر الدر " .

إن الطريقة التي ينفرد بها هذا النوع هي عدم إخضاع مفردات اللغة لأي ترتيب سوى ما يدعو إليه (التسلسل) بين معاني الألفاظ أو(التشاجر) و(التداخل) الذي يعني أن يجر ذكر الكلمة الأولى إلى ذكر الثانية ، والثانية إلى الثالثة ،(...) وهكذا تنتظم الألفاظ في سلسلة متشابكة ، متشاجرة ' يأخذ بعضها بعنق بعض.)) [51] (ص91). وتشترك الكتب الثلاثة في " طريقة عرض المواد اللغوية، وذلك بجمع كلمات تحت عدد معين من الأبواب . ثم البدء بكلمة تكون هي المفتاح أو الأصل لكل باب ، وعنها تتسلسل بقية الكلمات ، دون أن يكون هناك شيء يميز الباب الواحد عن بقية الأبواب ، بحيث ليس هناك موضوع مشترك بين ألفاظ الباب على حد ما هو موجود في المعاجم المبوبة.)) [51] (ص92).

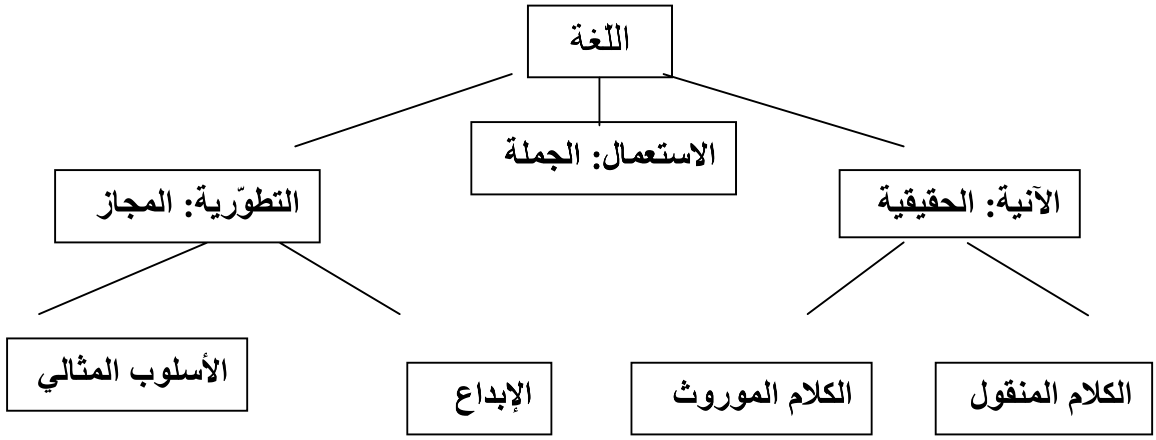
يمثل معجمه صورة و شكلا خاصا ومتميزا في بناء المعجم العربي ، وهو تطور فريد من نوعه على مستوى الانتظام الداخلي والخارجي في المعجم العربي ،ولعل أهم ما تتميز به هذه الكتب الثلاثة التي انفردت وحدها – حسب ما وصلنا - في تاريخ المعجم العربي بهذا النظام هو الصعوبة المطلقة في الكشف عن المفردات فيها وإن كانت في نفس الوقت تنم وتكشف عن امتلاك أصحابها لذكاء متقد حتى يتمكنوا من ربط السلسلة اللفظية بالسلسلة المعنوية ، فنجد فيها تناسقا دلاليا ومفهوميا لا مثيل له ولا نحتاج إلا لأن نلحقها بفهرس أو مسرد نبين فيه مكان ألفاظها .

13.1.أساس البلاغة للزمخشري467- 538 ه:

بعدما كانت الكتب قبله تحمل عنوانا متصلا باللّغة كجمهرة اللّغة، البارع في اللغة، تهذيب اللغة، المحيط في اللّغة،مقاييس اللّغة، أتى هو بعنوان يختلف ميدانه عن ميدان المعاجم السابقة هو البلاغة،والغرض منه ليس التقييد أو التقنين للبلاغة إنّما الأساس هو بيان الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ثم بعدها معرفة الأسس البلاغية حتى ينشأ المبدعون والفحول.

وهنا نسجّل ميزة خاصّة بهذا المعجم وهو أنّه "كان يقسم مواده إلى قسمين الأوّل للمعاني الحقيقية والثاني للمعاني المجازية، وكان يولي لها العناية الكبيرة يقول: ومن خصائص هذا الكتاب تخير ما وقع في عبارات المبدعين، وانطوى تحت استعمالات المفلقين، أوما جاز وقوعه فيها وانطواؤه تحتها، مبدأ التراكيب التي تصلح وتحسن ولا تنقبض عنها الألسن .)) [52] (ج1،ص15).وبالتالي فإنّه قد ركّز على ((الاستعمال، وبالأحرى الجملة التي تتكيّف فيها اللّغة وتتمحور وتتآلف في نصوص عديدة متنوّعة، بجميع معانيها، وتضميناتها الأسلوبية المتحرّكة، ولذلك فإنّ من خصائص المعجم أن يعتمد على "التوقيف على مناهج التركيب والتأليف، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف بسوق الكلمات متناسقة لا مرسلة،ومتناظمة لا طرائف قددا .)) [52] (ج1،ص16).

ويختصر الحمزاوي رؤية الزمخشري المعجمية في المخطط الآتي.)) [26] (ص156).



الشكل رقم 3: يمثل رؤية الزمحشري المعجمية .

ويتوالى التأليف في الرسائل اللّغوية في القرن السادس مثل "تاج المصادر" لأحمد بن علي البيهقي (470هـ. 544هـ)، وفي الاستدراكات والتصحيحات والحواشي للمعاجم السابقة أهمّها معجم الصحاح، ومن أهم الحواشي التي ألفت عليه: "حواشي عبد اللّه بن محمد المقدسي أبو محمد بن بري (499هـ، 582هـ)، والذي يعتبر من أهم المراجع النقدية للصحاح.

ليختتم القرن السادس بأهم الكتب المؤلفة في غريب الحديث و هو كتاب "النهاية في غريب الحديث" لمجد الدين مبارك بن محمد الجزري بن الأثير (544هـ، 606هـ).

لنصل إلى بدايات القرن السابع الهجري الذي يفتتح بفاكهة من فواكه الرسائل اللّغوية وهي" نعت الفواكه والثمار" لمحمد بن نصر الله الشيباني بن الأثير (585هـ،622هـ) ويظهر أيضا في هذا القرن الكثير من المعاجم الكبيرة التي ألفت على معاجم كبيرة سابقة، وأشهرها: "العباب" للحسن بن محمد العمري الصاغانى (557هـ، 650هـ) وله أيضا "مجمع البحرين" و"التكلمة والذيل"، وله أيضا في الرسائل اللغوية كتاب الأضداد"، بالإضافة إلى "تهذيب الصحاحّ،وّتنقيح الصحاح" لمحمود بن أحمد أبو المناقب الزنجاني (ت656هـ)، "ومختار الصحاح" لزين الدين محمد بن محمد الرازي (ت بعد 666هـ)، وله أيضا في "غريب القرآن".

لنصل إلى القرن الثامن الهجري الذي عرف معجما كبيرًا له قيمته في ذلك القرن البعيد عن أصول العربية، وفي عصرنا أيضا، هو "لسان العرب" لابن منظور .

14.1. "لسان العرب"لمحمد بن مكرم الأنصاري بن منظور: (630هـ 711هـ):

لعل ظروف تأليف هذا المعجم أقرب ما تكون بظروف الجمع الأوّل للّغة ويشبهها كثيرًا من حيث:

1- الخوف على العربية من الضياع بعد أن فسدت الألسن واستبدّت بها اللّغتين التركيةوالفارسية وغيرهما، فجاء مؤلّفه تعبيرًا عن موقف دفاعي عن اللّغة.

2- جمع اللّغة من مصادر محدودة وعدم تجاوزها إلى غيرها كما كان الحال في مرحلة الجمع الأوّل الذي حدّد زمان ومكان الجمع اللذين أقصيا كثيرا من اللغة.

3- عدم الانتظام في المواد و شرحها، كما كان حال اللّغة في مرحلة الجمع العشوائي ولعلّ ابن منظور أسرع بهذا العمل و سماه "لسان العرب" حتى يؤكّد للعرب في عصره أن لسانهم هذا هو (المجموع في مؤلّفه) و ليس ما يتفاخرون به من ألسن أعجمية، وحتى يسرع بالحفاظ عليها بعد أن استبد بها أهلها.)

ولتحقيق هدفه الخاص والذي يرجع إلى ظرف خاص اختار لترتيبه مواده أصح ترتيب في المعاجم في نظره وهو ترتيب الصحاح (نظام القافية) يقول في مقدّمته:"ورتّبته ترتيب الصحاح في الأبواب والفصول لحسن تبويبه وسهولة تأليفه" أما المادّة، فكان له طريق خاص في جمعها نشرحه فيما يأتي:

يقول ابن منظور في مقدّمة معجمه بعد أن عدد المصادر التي اعتمدها، وهي: تهذيب الأزهري ومحكـم ابن سيدة وصحاح الجوهرى وحواشي ابن بري ونهاية ابن الأثير، يقول: «فجمعت منها في هذا الكتاب مـا تفرّق، فانتظم شمل تلك الأصول كلّها في هذا المجموع، وأنا مع ذلك لا أدّعي فيه دعوى فأقول: شـافهت أو سمعت أو فعلت أو صغت، أو شددت أو رحلت أو نقلت عن العرب العرباء أوحملت، فكل هذه الدعاوى لـم يترك الأزهري وابن سيدة لقائل مقالا، ولم يخليا فيه لأحد مجالا». ولم يفعل شيئًا سوى، يقول: « لـيس لـي في هذا الكتاب فضيلة أمتّ بها، ولا وسيلة أتمسّك بسببها، سوى أنني جمعت ما تفرّق من تلك الكتـب مـن العلوم .)) [53] (ج1،ص18).

يقول ابن منظور في مقدّمة معجمه بعد أن عدد المصادر التي اعتمدها، وهي: تهذيب الأزهري ومحكم ابن سيدة وصحاح الجوهرى وحواشي ابن بري ونهاية ابن الأثير، يقول: «فجمعت منها في هذا الكتاب ما تفرّق، فانتظم شمل تلك الأصول كلّها في هذا المجموع، وأنا مع ذلك لا أدّعي فيه دعوى فأقول: شافهت أو سمعت أو فعلت أو صغت، أو شددت أو رحلت أو نقلت عن العرب العرباء أوحملت، فكل هذه الدعاوى لم يترك الأزهري وابن سيدة لقائل مقالا، ولم يخليا فيه لأحد مجالا». ولم يفعل شيئًا سوى، يقول :((ليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمتّ بها، ولا وسيلة أتمسّك بسببها، سوى أنني جمعت ما تفرّق من تلك الكتب من العلوم .)) [53] (ج1،ص18) .

نسجّل من البداية الملاحظات الآتية:

1- كان مؤلّفو المعاجم قبل "لسان العرب" ينزعون إلى الاختيار والانتقاء من المادة اللّغوية المتاحة لهم في مصادرهم، أما ابن منظور فقد أراد تأليف معجم موسوعي كبير لكنّه لم يلجأإلى جمع المادّة جمعا مباشرًا كما فعل اللّغويون في القرن الثاني وكما فعل الأزهري في القرن الرابع، بل اعتمد خمسة معاجم اعتمادًا

كاملا. فمبدأ الانتقاء والاختيارعنده لم يكن للمادّة أولا بل لمصادرها أوّلا، والتي حدّدها في خمسة مصادر كما ذكرنا. وهو بذلك قد حدّد لنا مدوّنة معجمه التي هي ذات طبيعة مكتوبة فقط.فلم يشافه أو ينقل عن الأعراب كما صرح بذلك.

2- و في ذلك إقرار بزوال الرواية بالمشافهة وهو في القرن الثامن الهجري أبعد ما يكون عن زمن الفصاحة، بالإضافة إلى المكان فقد كان في بقعة "استبدّت فيها اللّغة التركية بالإدارة والمعاملات بمصر، واعتمدت الفارسية لغة للعلم والأدب، فضلا عن اللّغات الأجنبية الأخرى و العاميّة، وذلك على حساب العربية الفصحى.)) [26] (ص122) .وهذه المدوّنة المكتوبة و إن لم يكن أوّل من اعتمدها ـــ،« فقد سبقه إليها ابن فارس في مقاييسه حيث اعتمد على ابن دريد والخليل قبله، لكنها تتميّز بالمواصفات الآتية:

1- التوثيقية : المعتمد على مصادر ومراجع مكتوبة مما يفيدنا بانتهاء عهد الرواية السماعية، يقول: " فليعتد من ينقل عن كتابي هذا أن ينقاه عن هذه الاصول الخمسة.)) [53] (ج1،ص19) .

2- التنوّعية الواضحة المرتكزة على معاجم مختلفة الوظائف، فمنها المعاجم العامة الموسوعية، (التهذيب، الصحاح،المحكم)، والمعجم المختص (النهاية) والمعجم المستدرك أو التكملة (حاشية ابن بري على الصحاح)، والذي شكّل بدوره مرجعية نقدية لاستجلاء مواطن الضعف في المعجم العربي بغية تجاوز سلبياته.

3- الزمانية: فقد بدأها من القرن الرابع الهجري مع الأزهري والجوهري إلى القرن الرابع مع ابن سيدة وما بين القرنين السادس والسابع مع ابن بري وابن الأثير فهو قد غطى مساحة زمنية واسعة.

4- المكانية: حيث اعتمد على معاجم مشرقية وأخرى مغربية كمحكم ابن سيدة بالأندلس فكأنه "اعتمد علم اللغة الجغرافي للإحاطة بالفكر العربي في حقبات زمانية متتابعة .)) [26] (ص121) .

5- تنزيل الحديث الشريف منزلة المصدر اللغوي الأساسي حتى يكون في مرتبة القرآن والشعر باعتماده "النهاية في غريب الحديث" لابن الأثير(...) وهذا توسع لغوي بارز في حقل لسان العرب المعجمي (...)يزوّدنا بمفاهيم ودلالات ومجازات عن المجتمع الإسلامي الجديد، من خلال الحديث ومهاده وخلفياته اللّغوية والأدبية والإجتماعية والحضارية فضلا عن مقاصده الدينية.)) [26] (ص125) . فجمع شتات المادّة اللّغوية المتفرّقة في المصادر الخمسة فأثرى العربية بألفاظ واستعمالات وأساليب يحق لنا أن نرى فيها سعيا إلى ضبط مراحل اللّغة الفصحى وتاريخ استعمالاتها حسب العصور وحسب المناطق الجغرافية .)) [50] (ص109) . ولكن يجدر الإشارة إلى أنّه بعودته إلى المصادر الخمسة، فإنّه يعود إلى أغلب المصنّفات في اللّغة قبله لأن المصادر الخمسة المعتمدة، لكل منها مصادره وأصوله، ومجموعها يشكل تقريبًا أهم ما ألّف قبل ابن منظور من رسائل لغوية ومعاجم موضوعات ومعاجم الألفاظ، وإن كان قد أغفل بعض المعاجم التي لها رؤى خاصة في التأليف المعجمي كالمقاييس، والأساس وغيرهما، فضيّع جزءًا مهما من مواد للّغة.

إضافة إلى ما سبق نسجل بعض خصائص المعجم:

1- اعتمد ضبط المدخلات:إمّا بالتصريح لغة (بالفتح أو بالضم أوبالكسر) أو بالإشارة إلى ميزانها الصرفي .)) [49] (ص322) .

2- نجد في المعجم المعارف العامّة والعلوم والتاريخ والجغرافيا والأدب، والتفسيروالفقه والسحر والأنساب...الخ فضلا عن اللغة والنحو والصرف والبلاغة،...الخ. وكلها أخذها عن مصادره (...) ويبدو لنا أن ابن منظور وصل إلى هذا النوع من المعجم الثري الزاخر والفوضوي كذلك لأنه أراد منه أن يكون متحفا يحمي فيه آثار العربية ومآثر الفكر العربي من الأخطار التي تهدد في زمانه."إذ صار النطق بالعربية من المعايب معدودًا .)) [26] (ص128) .

3- كان ابن منظور مشهورًا بالمختصرات.)) [53] (ج1،ص18) . لكنه مع مصادره في جمع اللّغة لم يفعل ذلك، كأنّه كان يسعى إلى تحقيق هدفه المنشود، وهو جمع اللغة وحفظها في كتاب واحد من مجموعة أصول يسعى إلى تدوين أهم ما فيها حتى لا يضيع شيء من اللّغة، مخالفا بذلك ما عرف به طوال حياته من اختصار الكتب المطوّلة التي صنّفت قبله.

4- العناية بلغات القبائل والغريب والنوادر والأنساب والتراجم، بالإضافة إلى ذلك العناية بالقراءات القرآنية التي أغفلت المعاجم الأخرى،ماعدا الأزهري الكثير من جوانبها المفصّلة وسجلها بعناية فائقة مما يفيد في كثير من الدراسات الصوتية الحديثة وجوانب علم الدلالة واللهجات.)) [49] (ص223) .وإن كان فضله في جمعها من المصادر المختلفة.

5- جاء قاموس لسان العرب ليحوي ثمانين ألف مادة أساسية، عدا ما يشتق من كل منها مما يفوق الحصر ويصعب على العد إلاّ بتوظيف الحاسب الآلي .)) [38] (ص189) .

6- لا تختلف صورة أبواب وفصول اللسان عن الصحاح إلاّ في ضخامتها(...) لكن ابن منظور صدر بعض أبوابه بكلمة عن الحرف المعقود له الباب ذكر فيها مخرجه وأنواعه وخلاف النحويين فيه .)) [6] (ج2، ص431) .

7- ولما كان غياب الضبط والترتيب [الداخلي للمواد] فيه حال دون استفادة قطاع كبير من الباحثين من مواد المعجم، فإنه قد قام فريق من الأساتذة (...) بمحاولة حديثة لإعادة تربيته وضبطه وتحقيق مادّته واستجلاء الغامض منها واستكمال الناقص، والتنبيه على الأخطاء السابقة وإضافة هوامش تطلبها التحقيق والبحث، وفهارس للآيات القرآنية والأحاديث والأمثال والأعلام والقبائل والأماكن ومصطلحات النبات والحيوان وغيرها .)) [31] (ص306) .

ويؤلف في القرن الثامن أيضا:

15.1.المصباح المنير" : أحمد بن محمد المقري أبو العباس الفيومي (ت 770هـ)

اتبع فيه الترتيب الألفبائي حسب الأصول الأوائل، وقد سبق لنا الإشارة إليه في مجموعة "معاجم الفقة اللّغوية" ليأتي بعده عالم آخر من علماء العربية الكبار وهو: مجد الدين محمد بن يعقوب أبو طاهر الفيروز آبادي (729هـ،817) ليؤلف المعجم الوحيد في القرن التاسع الهجري وهو "القاموس المحيط".

وقد اختلف العلماء في تحديد الفاصل بين المعاجم القديمة والحديثة ، فمنهم من يجعل لسان العرب هو بداية المعاجم الحديثة ، ومنهم من يجعل الفيروز أبادي في قاموسه ، ومنهم من يجعل البستاني هو رائد المعاجم الحديثة ، ولا يهمنا هذا الفصل باعتبار قصر الفترة الزمنية الفاصلة بينهم جميعا.وقبل تفصيل الحديث فيها سنقدم المعجم الآتي لأسباب موضوعية ستتوضح في العرض.

ويؤلف في القرن الثامن أيضا:

16.1. غوامض الصحاح لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت 764 هـ :

معجم تراثي في معرفة أصول الألفاظ . يعتبر من المعاجم التي ألفت على معجم " الصحاح " للجوهري ، وقد ارتأينا عرضه لما يحمل من فكرة جديدة خاصة في البناء المعجمي .ومن عنوانه نجد كلمة : غوامض ،و" الغموض هنا لا يتجه إلى ما يسمّى بغريب اللّغة أو حوشيّها ، وإنما يتجه إلى غموض الاشتقاق وصعوبة رد الكلمة المذكورة إلى أصلها، وخاصّة لدى من لم يتمرس بالتصريف ويعرف شعابه ومسالكه ، كما قرّر ذلك الصفدي في مقدمته للكتاب ، ولذلك كان يذكر بعض تلك الغوامض ولا يذكر معناها .)) [54] (ص30). فالصفدي قرأ الصحاح واستخرج الأبنية التي وجد عموما بالمعنى الذي ألمحنا إليه ،وأعاد ترتيبها على نسق جديد تغلّب فيه على الصعوبة التي تواجه من يجهل التصريف في ردّ تلك الأبنية إلى أصولها ، ولا يفهمنّ من كلامنا هذا أن الأبنية التي ذكرها الصفدي معروفة المعنى شائعته ، فإن منها ما يمكن أن يدخل في عداد الغريب أو ما يشبه الغريب ، ولكنّ غرابة لفظها لم تكن الدافع لاختيارها وإنّما غموض أصلها أو ما يشبه الغموض ويتلبس به .

ولكن هذا النوع من الترتيب لم يكن جديدا كل الجدّة مع الصفدي، ((فقد كانت له بذورملامح في كتب سابقة ، مثلا : " كتاب الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية المنسوبة للثعالبي قد رتبت فيه الكلمات كما هي من غير ما إعادة إلى أصولها الثلاثية (...) ولكن هذا الكتاب لم ينظر فيه إلى تتالي الثواني والثوالث .

فإذا ما تركنا هذا الكتاب وسرنا صعدا حتى عصر الصفدي فإننا نجد كتابين ينتميان إلى القرن الثامن نفسه لهما نفس ترتيبه :

1 – كتاب اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشاني من صوفية القرن الثامن الهجري ، ويرجع محقق الكتاب أنّه توفي بين سنتي (730 ، 735هـ) (...) وقد رتبها المصنف حسب الطريقة الأبجدية " أبجدهوز ..." وفي كل حرف كان يسوق المصطلحات من غير مراعاة الثواني وما يليها .

2 – كتاب التعريفات للسيد الشريف علي بن محمّد الجرجاني (740 ، 816 هـ) وهو يشتمل على اصطلاحات جمعها من شتى كتب العلوم ورتبها على حروف الهجاء من الألف والباء إلى الياء تسهيلا

تناولها للطالبين وتيسيرا تعاطيها للراغبين " ، ويسوق الجرجاني الاصطلاحات مرتبة كما هي من غير إعادة إلى أصلها .)) [54] (ص32) .

ونضيف أيضا إلى هذين المثالين مثال أقدم بكثير وهو معجم " التقفية في اللّغة " لليمان بن أبي اليمان النبدنيجي ت 284 هــ ، الذي كان يورد الألفاظ كما هي دون تجريدها من الزوائد ، مرتبا إياها ترتيبا ألفبائيا حسب الأواخر (القافية) .

17.1. القاموس المحيط للفيروز آبادي 769-817ه.

يبين صاحب الكتاب في مقدّمته أسباب تأليفه لمعجمه في الآتي: أهم ظاهرة في القاموس:

1- الانتظام في الترتيب الداخلي للمواد.

2- الانتظام في علاجها.

أما الترتيب الداخلي فيقوم على الصيغ كالآتي: حيث تقدّم الصيغة وتقفى بمعانيها كلّها مرّة واحـــدة، ولا يعود إليها مرّة ثانية في المادّة كلّها بل ينتقل إلى غيرها، ...وهلم جر، وتخلّصت المواد بهذا الانتظـــام مـــن التشتت الذي كان يرغم الباحث على قراءة المادّة كلّها كي يحصل علـــى معـــاني الصـــيغة التـــي يريـــدها كلّها(...)، والتكرار الذي يقع فيه المؤلف سهوًا بعد أن طال به المدى في صيغ مختلفة فيعيد بعض مـــا مـــرّ ذكره في أوائل المادّة.)) [6] (ج2،ص466).

أما انتظام علاج الصيغ فيقوم على ميل المؤلف إلى استكمال زوايا الصيغ التي يـــذكرها فـــإذا كانـــت الصيغة فعلا ذكر ماضيها ومضارعها ومصدرها(...) وإذا كانت الصيغة اسما ذكر جمعها بـــل جموعهـــا و جموع جموعها أحيانا وذكر مفردها ومذكّرها ومؤنثها أيضا.

زاد الفيرروزآبادي ووسع من دائرة مصادر مادة معجمه بأن اعتمد أيضا كتب العلماء مـــن أطبـــاء وجغرافيين وحكماء وفلاسفة ، فنجد في قاموسه مؤلفات الطب والفلسفة ودوّن مصطلحات كثيرة ، فكان ذلك خروجا ذا شأن عن مفهوم الفصاحة الذي كان سائدا ، إلا أن نزعة الفيروزأبادي إلـــى الاختصـــار وتقيـــده بالإيجاز في معجمه قد جعلا إفادته من المصدر السادس محدودا .)) [16] (ص210).

ويرى عبد العلي الودغيري أنه مهما يكن فقد استطاع (القاموس المحيط) أن يصرف الناس بعـــده عن كتاب (الصحاح) لأنهم رأوا فيه محاولة للجمع بين ثلاثة عناصـــر هامـــة هـــي : استقصـــاء المـــادة ،والاختصار في الشرح ، والدقة في التنظيم ، فأصبح منذ ذلك الوقت هو الكتاب المعـــول عليـــه فـــي حـــل مشاكل اللغة ، ويفسر هذا الاهتمام الشديد الذي ناله الكتاب ما وضع حوله من شروح وحـــواش و مقارنـــات ودراسات فاقت جميع ما وضع حول الكتب الأخرى إلى العصر الحديث . ((وقد اتخذه كثير مـــن العلمـــاء منطلقا للتجديد، وذلك لوفرة مادّته (...) إذ حظي بجل عناية اللّغويين المحدثين، فانكبوا على دراسته(...)كما فعل ابن اياس داود زاده سابقا حين ألف كتابه :الدر اللّقيط في أغلاط المحيط". سنة 1017هــ اوكفعل أبـــي

زيد عبد الرحمان ابن العزيرـــ مصنّف "الوشاح وتثقيف الرماح، في رد تـــوهم الصـــحاح".وكفعـــل محمـــد مرتضى الزبيدي الحسيني سنة 1205هـــ في " تاج العروس ".)) [55] (ص33) .

وقد تناول أحمد فارس الشدياق نقد القاموس في كتابه "الجاسوس على القاموس" في أوئل القرن التاســـع عشر [القرن الرابع عشر الهجري] كما تناوله أحمد تيمور في القرن العشرين [القرن الخامس عشر هجـــري] بكتابه "تصحيح القاموس المحيط". وكذلك المستشرق LANE في مقدّمة قاموسه العربي الإنجليزي. " مـــد القاموس " ((ويكفي المجد فخرًا أن قاموسه أثمر التعقيب عليه وشرح موجزه للعربية أضخم معاجمها التـــي تعتز بها،كما نتج عن نقده وكشف أخطائه عدّة مؤلفات ذات قيمة بالغة.)) [32] (ص51).

ولكن جل الكتابات المعروفة حول القاموس سواء المشرقية منها أم المغربية لم تتعمق تعمق الحاشـــية التي كتبها ابن الطيب الفاسي ، ولم تصل على مستوى ما طرحته من إشكاليات وأبرزته من أفكار لا يـــزال بعضها صامدا في وجه النظريات الحديثة في صناعة القاموس .

ويأتي عرضها بداية من خاتمة المعاجم العربية القديمة وهو تاج العروس للزبيدي وسلسلة المعـــاجم اللّغوية الحديثة التي ستأتي دراستها فيما بعد.

ويفتقر القرنان العاشر والحادي عشر إلى التأليف المعجمي حتى نصل إلى القرن الثاني عشر حيـــث يؤلف مرتضى محمد بن محمد الحسيني الزبيدي 1145 – 1205 هـــ معجمه الذي توّج به المعاجم العربيـــة القديمة وهو: "تاج العروس من جواهر القاموس".

ومنذ وقت الزبيدي ومعجمه تاج العروس، لم نر في سماء العربية معجما استطاع أن يثبت اسمه فـــي قائمة معاجم متن اللسان العربي، وبقي الحال هكذا إلى حين بزوغ نجم "العصـــر المعجمـــي الحـــديث مـــع البستاني في معجمه المحيط المنشور عام 1870م.

بعد هذا العرض الذي جهدت فيه التركيز على أهم خصائص البناء المعجمي العربي ، بداية مـــن الخليل بن أحمد في القرن الثاني للهجرة إلى مرتضى الزيدي في القرن الثاني عشر و بداية القـــرن الثالـــث عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد).

بعد كل هذا ، آمل أن أكون قد وفقت فيه وحاولت أن أركز على أهم ما قدمه صاحب كل معجم مـــن المعاجم السابقة من جديد في البناء المعجمي من أجل تصور هذا البناء الهائل ، وملاحظة أهم تفاصيله التـــي يمكن استغلالها لبناء معجمنا في القرن الحادي والعشرين.

لكن قبل الانتقال إلى هذا القرن ووصولا قبله إلى القرنين التاسع عشر والعشرين ارتأيـــت أن أقـــدم أهم ما توصلت إليه من دراستي هذه.

خلاصة الفصل الأول :

1- لقد بدأت عمليات الجمع والتدوين والتأليف المعجمي عن طريق جمع الألفاظ التي تدور حول موضـــوع واحد ، فألف بعضهم رسائل في الإنسان وما يتصل به وفي الحيوان من إبل وخيل وطيـــر. وفـــي النبـــات

والمطر والسحاب وفي البيئة العربية ومعالمها مثل : جبال العرب ، ومياه العرب ، وأسواق العرب ، وغيرها. لكن العرب مع استمرار هذا النهج ، بل ومرافقا له ، تجاوزوا مرحلة كتب الألفاظ إلى المواضيع ، إلى فكرة المعجم الشامل الذي يستغرق اللغة – بدءا بكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي(786م). بهدف تسجيل المادة اللغوية بطريقة منظمة ، وهو بهذا يختلف عن كل المعاجم الأولى الأهم الأخرى ، التي كان هدفها في الغالب شرح الكلمات النادرة أوالصعبة .

*إن الحديث عن المعجم العام يقودنا إلى الحديث عن معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يعتبره أغلب العلماء أول محاولة ناجحة للتأليف المعجمي العام الشامل ، وإن دار الخلاف حول نسبته إليه ، لكن المتفق عليه أن منهج المعجم وبناءه العام المبثوث في مقدمته هوللخليل بن أحمد الفراهيدي ،ففتح بذلك الباب واسعا أمام تلامذته ومعاصريه ومن جاء بعده في العمل في هذا المجال متبعين مقلدين أومجددين مطورين ، فظهرت معاجم كثيرة تتفق في أغلب أركان بنائها وتختلف من حيث طريقة الترتيب ، فظهرت مدارس معجمية كبيرة مصنفة بحسب الترتيب:

مدرسة الترتيب المخرجي ، الخليل.

مدرسة الترتيب الألفبائي الأصولي ، ابن فارس.

مدرسة الترتيب الألفبائي حسب الأواخر ، الجوهري.

مدرسة الترتيب الألفبائي بحسب الأوائل ، الزمخشري.

مدرسة الأبنية ، الفارابي.

مدرسة الترتيب الموضوعي ، ابن سيده.

مراعين في الأغلب مبدأ الجذرية و مطبقين عملية الاشتقاق على أبعد تقدير.

2- إن تشكل بناء المعجم عند الخليل يقوم على مجموعة أسس ذات صلة دقيقة أتقن الخليل استغلالها وهي:

الأساس القاعدي: وهو الأساس الصوتي الخالص: تجسّد في تسمية معجمه بصوت العين، وترتيب الأصوات حسب تدرّجها في المخارج.

أ - الأساس الصرفي الرياضي: الذي تجسّد في تحديد نوع وعدد أبنية اللّغة المحصورة بين الثنائي والخماسي بكل الأنواع المدرجة ضمنها.

ب - الأساس الصرفي الصوتي: تجسد في القوانين الصوتية لنسج الكلمات العربية.

الأساس الصوتي الصرفي الرياضي: تجسّد في التقليبات المختلفة والاحتمالات الممكنة ووفقا للأسس والقوانين المختلفة يحدّد المستعمل منها والمهمل . بالإضافة إلى الأساس الدلالي الناتج عن كل ما سبق.

وبالتالي تضافرت آليات النظام الصوتي مع آليات البنية، وآليات التقليب ، والحقول المعجمية لتوفرلنا معجما تبلغ مداخله اثنني عشر (12)مليون مدخل أو كلمة تقريبا بين مستعمل ومهمل يحيط باللّغة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها بدون اسقاط ولا إهمال ولا تكرار.)) [26] (ص45).

- لقد خالف الخليل سابقيه ومعاصرينه في طريقة جمع اللّغة عن طريق استقراء ألفاظها وتتبّعها في مؤلّفات السابقين، وجمعها من شفاه الرواة، بل كان هذان المصدران، أي المؤلفات والرواية مرجعا تحقيقيا يستند إليه ليتحقق من صحة ما يعرفه وما تحمله خبرته وثقافته اللّغوية. والتي مهما بلغت من درجات الكمال فهي قاصرة عن كل اللّغة.

- فتح الخليل الباب على مصراعيه لعلماء اللّغة بعده، ومهّد لهم الطريق إلى التأليف المعجمي. فكان مؤسسا لمدرسة معجمية اقتفت أثره واتبعت خطواته وانتفعت بمنهجه.

3- ويعتبر الشيباني بإجماع أغلب العلماء أوّل من ألف كتابا (معجما) اتبع النظام الألفبائي في ترتيب الحروف، وهو أول خطوة لمدرسة الترتيب الألفبائي حسب الأوائل والتي عرفت قمة تطوّرها ونضجها مع أساس البلاغة للزمخشري ومن بعده المصباح المنير للفيومي، وإن كل المآخذ التي أوخذ عليها إنما ترجع إلى أنها أوّل محاولة في التأليف المعجمي، ولا نستغرب أن تكون فيها كل هذه السلبيات فهي في سبيل التطوير والتحسين مع العلماء بعده.

4-إن إضافة الأزهري وتطويره كان من حيث المادّة (سعة، كثرة وتنوّعا) أما من حيث المنهج فلا جديد.

6-إن مجمل القول في المقاييس أنه ليس معجما عاما للّغة، وإنما هو معجم خاص يدافع عن فكرة بعينها، فتشكل منهجه وفقا لها، ولكنه برغم ذلك أفاد المعاجم العربية في المادة والمنهج، أما المادّة فقد أتى بأشياء كثيرة ليست عن الخليل وابن دريد اللذين سبقاه في التأليف، وإن كان معاصروه يفوقونه كثيرا في هذه الناحية كالقالي والأزهري، أما المنهج فقد طرح فكرة التقاليب للمرة الأولى(...) وقدّم للمعجمات فكرتي الأصول والنحت اللتين أفاد منهما خاصّة الصاغاني في العباب والزبيدي في التاج.)) [6] (ج2،ص364).

7-لقد وصل التأليف المعجمي القمة في التأليف في الموضوعات، والذي كما ذكرت عرف تطوّره وقمّته مع ابن سيدة في مخصصه الذي كان مميزا بين معاجم اللّغة.فكان تطويره من حيث المادّة، إذ جمع مواد سابقيه، وهو في نهاية القرن الخامس إذن توفر له ما لم يكن ليتوفر لأبي عبيد، وهو في بداية القرن الثالث، وكان تطويره من حيث المنهج حيث اتبع في عرض مواده الترتيب المنطقي للموضوعات، ولا نعتقد أنه قد يوجد ترتيب أنسب لمثل هذا النوع من التأليف على الأقل حتى عصره فتمكن بذلك من تأليف قمّة المعاجم الموضوعية.

8- إن ابن سيدة في المحكم خطا بمنهج المعاجم العربية خطوة إلى الأمام وهي محاولة تنظيم داخل المواد، وسار في ترتيبه على نهج الخليل والزبيدي، ولم يطوّر فيه شيئًا، ونستغرب هذا خاصة أن الجوهري كان قد سبقه بمعجمه الصحاح و ترتيبه السهل اليسير، ولم يأخذ به، بل عاد ليحيي ترتيب الخليل الذي ظهرت صعوبته الكبيرة و تعقيداته من خلال هروب كثير من المعجميين منه والاستعاضه عنه بالترتيب الألفبائي التدويري مع ابن فارس والترتيب الألفبائي السهل حسب الأواخر مع الجوهري، فأراد بذلك أن يكون معجمه خاتمة المعاجم التابعة لمنهج الخليل لاسيما الترتيب الصوتي، ولم تأخذ به المعاجم بعده أبدًا.

واستطاع ابن سيده بمعجميه الكبيرين أن يصل إلى القمّة في التأليف المعجمي على حسب الموضوعات، خاتمة في التأليف المعجمي على حسب الألفاظ على الترتيب المخرجي.

9- إن الزمخشري قد أبدع في مؤلفه الذي يمكن أن نسميه "معجما بلاغيا"، في جانبين.

1- المادّة: حيث جعل أساسه يركّز على المجاز أكثر من الحقيقة، فأولى للسياق والجملة أهميّة أكثر.

2- الترتيب: حيث رتبه على أسهل ترتيب حتى عصره.

10- إن لابن منظور رأيا دفعه لتأليف كتابه يقول:"ورأيت علماءها بين رجلين، أما من أحسن جمعه فإنّه لم يحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه فإنه لم بجد جمعه،فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع.)) [53] (ج1،ص16-17).

فأشار و نبّه إلى مبدأين أساسين في تأليف المعاجم هما: الجمع والوضع، فيعود إليه "الفضل أساسا في وضع وإقرار هذين المفهومين الجوهريين المعجميين الدوليين اللذين ينتسبان إلى اللسانيات الحديثة(...) فإنّهما يكونان شبه قانونين عامّين ويعتبران مفتاحين أساسين من مفاتيح كل معجم، فمفهوم الجمع يشمل الحقل المعجمي أي مصادر الجمع ومراجعه التي يستقي منها مادّته ويستمد منها مصداقيته وحجيته وقد أحصيت حديثا بالحاسوب في جامعة إربد بالأردن.

أما الوضع فهو متمم للأوّل ويعتبر آلية مستخدمة لاستيعاب ذلك المجموع حسب نظام ترتيبي معيّن (...)، وصاحب اللسان يدعو إلى التوفيق بين الجمع والوضع ليدرك المعجم النسبي النموذجي الخليلي ،وذلك ما تميّز به في العصور الحديثة بطبعته الحديثة تحت عنوان "لسان العرب المحيط " إعداد يوسف خياط، الذي استوعب المصطلحات العلمية والفنية(...)منذ عصر النهضة إلى يومنا هذا، مما يؤكّد ويدعم رؤية ابن منظور في المعجم مشروعا مفتوحًا.)) [26] (ص123-124).

إن ابن منظور"كان معجميا مجدّدا قد تصوّر المعجم انطلاقا من المدوّنة لا من الرواية، لأنّ التجديد في عصره لا يقاس بالرواية المباشرة التي انقرضت واستحالت، بل تصوّر مفهوم المدوّنات ومستلزماتها من استقراء واستنباط وجمع وضع، ولذلك يعتبر ابن منظور أوّل من ابتكر هذا المنهج و جعله سنة من السنن العامّة للمعجم عموما.

11- يمكننا أن نخلص إلى أن أهم مصادر المادة المعجمية حتى عصر ابن منظور وهو نهاية القرن السابع الهجري ، خمسة أساسية وهي :

أولا: القرآن الكريم ، وكل الكتب المؤلفة في غريبه وتفسيره.

ثانيا: الشعر وخاصة الجاهلي والأموي ، وصولا إلى العباسي.

ثالثا : الحديث النبوي ، وكل ما ألف في غريبه.

رابعا: الرواية عن الأعراب مباشرة بالارتحال إلى البوادي أوحضورالأعراب إلى الحواضر وما نتج عنها من مؤلفات عديدة ذات ثقة.

خامسا : المأثور من كلام العرب من أمثال وحكم وأقوال سائرة تمثل أحسن ما قيل عند العرب.

12-إن الصفدي في معجمه لم يأت بجديد في مستوى الجمع بل في مستوى الوضع وبالضبط في طريقة الترتيب ((فقد استخرج أبنية معجمه من الصحاح ثم أعاد ترتيبها بحسب أوائل الحروف مع مراعاة الثواني والثوالث وما يليها،من غير إعادة الكلمة إلى أصلها الثلاثي، مع الضبط بالنص وبالشكل وذكر معناها وذكر الباب والفصل الذي وردت فيه عند الجوهري.)) [54] (ص31). ولكن هذا النوع من الترتيب (النطقي) لم يكن جديدا كل الجدّة مع الصفدي ، فقد كانت له بذوروملامح في كتب سابقة ،وقد اتبعه أصحاب معاجم في موضوعات خاصة لها مصطلحاتها الخاصّة ،أو في نوع خاص من الكلمات التي تهدف إلى تحقيق غرض معين ، وبالتالي فإنّها تضطر أن تورد الألفاظ كما هي دون تجريدها من الزوائد .وهي طريقة أخذت بها فيما بعد بعض المعاجم المعاصرة كمعجم المرجع العلايلي ، ومعجم الرائد لجبران مسعود [وغيرهما] .كما سنرى إن شاء الله .

13-وقد درج العلماء على إيراد نقود للمعاجم القديمة ومعايب كثيرة ، وقد رأيت أن لا أقوم بهذا العمل ،لأن أغلب النقود التي وجهت لا تتفق والعلمية والموضوعية القديمة الحديثة للآتي :

إن ما قدمه العلماء في ذلك الوقت هو عمل جبار وكبير ومؤسس ومؤصل للمعجمية العربية ولعلوم العربية لو أحسن دراستها وتحقيقها وفهمها .

ونقدنا لهم سيكون حتما بمعايير وقوانين ومعطيات وخلفيات الذهنية المعجمية العربية الحديثة ، والتي تختلف عن تلك في ذلك الوقت – ربما لعدم الحاجة إليها – وبالتالي فإن أي نقد لهم في رأيي لا يمت للموضوعية بصلة ، بل تطبعه الذاتية والانطباعية والتقليد كثيرا جدا بالإضافة إلى أننا لسنا في باب النقد من أجل النقد ، وإنما الهدف هو تقديم الحلول والبدائل لما أصبحنا بحاجة إليه في هذا العصر، ولا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نطالب الخليل وأصحابه وإخوانه أن يهيؤوه لنا ويقدموه على صحون من ذهب أوفضة ، ويكفيهم أنهم قد أسسوا لنا قاعدة لبناء معارفنا ومعاجمنا - إذا كانت على أساسها طبعا – وأرضا خصبة يجب أن نستغلها ونستثمر غلاتها لحل القضايا الراهنة على جميع المستويات والأصعدة .

الفصل 2

المعاجم اللغوية العربية العامة الحديثة

لم يكد يمضي على صدور آخر معجم تراثي وهو معجم "تاج العـروس مـن جـواهر القـاموس" للزبيدي (ت 1205 هـ، 1790م) نحو مائة عام، حتى استعاد المعجم العربي أو بصيغة أدق واصل المعجم العربي مسيرته وصدوره وعرف نشاطا وحيوية كبيرين، وذلك في المائة التاسعة عشر الميلادية، فظهـرت معاجم جديدة سار أكثرها على نهج الزمخشري في أساس البلاغة بنفس ترتيبه الذي عرف قمّته معه، وهـو الترتيب الألفبائي على الحرف الأوّل فالثاني فالثالث فالرابع.

وظهر أوّل معجم لغوي يعتبره أغلب العلماء تكملة التأليف المعجمي القديم وفاتحة التأليف المعجمي الحديث. هو معجم: "محيط المحيط" لبطرس البستاني. المعجم المخضرم على حد وصـف الحمـزاوي فـي كتابه "النظريات المعجمية وسلبها إلى استيعاب الخطاب العربي.

1.2- محيط المحيط لبطرس البستاني:

يرى الحمزاوي أن((البستاني قد انطلق في مقاربته المعجمية (...) على غرار النمـوذج اليسـوعي والغربي.)) [26] (ص163-164) . وجاء البستاني ليعتمد أمرين: الأوّل يتمثّل في المعطيـات المعجميـة الموجودة الموروثة، والثاني لصيق به وهو المعطيات والمستجدّات اللّغوية في هذا العصر الجديد بداية مـع القرن التاسع عشر، وما يحمله من صوروأشكال لغوية وغير لغوية تفرض نفسها على واقع العربيـة، كمـا فرضت كثير من الأمور على أهل العربية غيّرت من عالمهم اللغوي، فغيّـرت وجهـة الإنتـاج والتـأليف المعجمي القديم، وأخذ بزمامه المعلمين والآباء المسيحيين واليسوعيين بمختلف مشـاربهم وأفكـارهم التـي انطبعت على سلسلة المعاجم التي ظهرت في لبنان، بداية مع البستاني وصولا إلى لويس معلوف في المنجد، ثم سلسلة متفرّقة مع معاجم أخرى قام بها أفراد وأخرى قامت بها هيئات جماعية أشهرها "الوسيط " للمجمـع القاهري.

يقول عن سبب تأليفه في مقدّمته ((...رأينا أن نضع فيها ، أي اللغة العربية، هذا المؤلّف على وجـه هيّن المراس، سهل المأخذ ليكون للطلبة مصباحًا يكشف لهم عما أشكل عليهم من مفـردات اللّغـة." فهدفـه الأساس هو التسهيل والتيسير والتبسيط للطلبة. ويقول في خاتمة قطر المحيط[1] عن "المحيط". " أدرجنا فيـه كل ما قدرنا أن نقف عليه من مفردات اللّغة وأصولها، وفروعها واصطلاحات العلوم والفنون وكثيـرًا مـن

كلام المولّدين، واللّغة الدارجة، ورصّعناه بالشواهد من القرآن والحديث والشعروأمثال العرب وغير ذلك من الفوائد والنوادر والشوارد مما لا غني عنه للمطالع.)) [6] (ج2،ص568-569) .

وقبل التعليق على ما في المقدّمة وعلى ما يتميّز به، هذا المعجم نعود إليه وعلاقته بالقاموس المحيط للفيروزأبادي.

سماه بهذا الإسم "محيط المحيط" لأنه احتوى ما في محيط الفيروزأبادي، يقول: " أما بعد، فهذا المؤلف يحتوي على ما في محيط الفيروزأبادي (...) من مفردات اللغة وعلى زيادات كثيرة،حيث يقول: " فقد أضفت إلى أصول الأركان فيه فروعا كثيرة وتفاصيل شتى، وألحقت بذلك اصطلاحات العلوم والفنون، وكثيرا من القواعد والشوارد وغير ذلك، مما لا يتعلق بمتن اللغة، وذكرت كثيرا من كلام المولدين، وألفاظ العامة، منبها في أماكنها على أنها خارجة عن أصل اللغة .)) [57] (ص1) .

1.1.2 مادة المعجم : أشار في خاتمة معجمه إلى أنّه كان يريد إدراج أسماء الأعلام في آخر الكتاب إلاّ أن كبر حجم المعجم جعله يغض الطرف عن ذلك على أن يفرد لها كتابا خاصًا .)) [55] (ص56) .

2.1.2. ترتيب المعجم :لم يتبنّ نفس ترتيب الفيروزأبادي، فقد قطع خط الرجعة على ترتيب القافية مساهما بذلك في تثبيت النظام الألفبائي حسب الأوائل مع التجريد، وذلك الذي اتبعه أغلب المعجمات التي جاءت بعده، فكان هذا أهم ما خالف فيه الفيروزأبادي رغم اعتماده لمادة معجمه التي حافظ فيها "على عباراته في تفسير كثير من الألفاظ .

ولعل هذه النقطة الأخيرة هي التي كانت ظاهرة في الإخراج من حيث الجدّة والاختلاف الشكلي عن المعاجم القديمة وهذا تأثرا بالمعاجم الغربية.

أما النقطة الثانية فقد كانت موجودة عند الزبيدي في التاج الذي كان أيضا مما اعتمد البستاني في تأليف محيطه. فهو بذلك حسب الحمزاوي يرتكز على ثلاثة معطيات جديدة ،هي:

1- تجديد مداخل المعجم ومحتواه بالاعتماد على مصطلحات العلوم والفنون المأخوذة من الفيروزأبادي، وخاصة المستقاة من اللّغات الغربية.

2- تذييل المعجم الأساسي بمعجم ملحق في الأعلام وأسماء الأماكن مثلما جاء في تاج العروس مع الفارق، لأن المدرسة اليسوعية المعجمية ستدرج فيه بصفة خاصّة الأسماء والمعالم المسيحية الكثيرة والمتنوعّة والمستبدّة بالمعجم، والتي كانت غائبة في المعجم العربي التقليدي، وهي تكوّن قسمًا دعم بكل الوسائل والتقنيات والمنهجيات المعجمية الغربية العصرية التي تلعب فيها الصورة دورًا رائدًا.

3- اعتماد مستويات لغوية مختلفة فيها الفصيح والمولد والدخيل، ولاسيما اللّغة الدارجة ، ونضيف المعرّب والدخيل ولا سيما التركي منهما(...) وبالتالي نلاحظ أن هذا المعجم أقرّ نوعًا من القطيعة باعتبار المبادرات التالية:

1 - اعتماد منهجية جديدة فيما يتعلّق بمصادر المعجم، ولاسيما الدارجة مزاحمة للّغة الفصحى ، وبالتالي تبدّلت اللّغة المراد جمعها وتبدّلت شروط فصاحتها واعتمدت مقاييس أخرى للمتن اللّغوي تختلف عن المقاييس القديمة،بل تخالفها بأن تنزل عن درجة الفصيح .

2- إضافة معجم عام أنوماستيكي ينتسب صراحة إلى المثال المعجمي الغربي وهو تجديد يستحق العناية وإن كان مأخوذا من النموذج الغربي.

3 - إرساء مفهوم المعجم المدرسي الوظيفي والتربوي الذي ستبرز ملامحه عند أتباعه .

4 – إبراز مفهوم المعجم اليسوعي العربي اللبناني مقابلة بالمعجم العربي الإسلامي القديم في انتظار الحديث منه .)) [26] (ص164-165) .

حيث قد أخذ المسيحيون بزمام تأليف المعاجم في هذه المرحلة وكان البستاني هو فاتحة المؤلفين.

2.2. أحمد فارس الشدياق والمعجم العربي :

يعتبر أحمد فارس الشدياق أبرز علم من أعلام النهضة اللغوية العربية الحديثة ، كما يعتبر أهم شخصية في القرن التاسع عشر تناولت بالنقد قواميسنا القديمة في دقة وتوسيع وشمولية ،(...) فكان له صداه البعيد وأثره القوي فيمن جاء بعده من الدارسين. وللشدياق كتابان في الموضوع ، أولهما هو المسمى (سر الليال في القلب والإبدال) ، والثاني المسمى(الجاسوس على القاموس) المطبوع عام(1299 هـ 1881م).

إن الفكرة المعجمية من المسائل اللغوية الهامة التي استحوذت على فكر الشدياق خاصة بعد أن اطلع على المعاجم الغربية وعانى من مشكلات الترجمة من العربية وإليها الشيء الكثير .)) [58] (ص116) .

ويقول عبد العلي الودغيري بعد عرض الكثير من تفاصيل الرؤية المعجمية التجديدية عند أبي الطيب الشرقي" وإذا كنت أقول إن الشدياق يعتبر بحق خير رسول بلغ آراء ابن الطيب إلى معاصريه ومن تلاهم وأفصح من عبر عنها، وأحسن صياغتها وتصويبها، سواء فيما نقله عنه مباشرة أم فيما أخذه عنه بواسطة الزبيدي، والهوريني، حتى انتهى إلى المناداة بتأليف قاموس بديل من القاموس المحيط وكل القواميس الأخرى، فإني لست في ذلك مبالغا، فحسب الباحث أن يتأمل في جملة انتقادات الشدياق التي ملأ بها كتابه، وفي الأبواب الأربعة والعشرين (وقد سمى كل واحد منها نقدا)، وفيما أضافه إليها بالخاتمة والمقدمة الطويلة، و يقارن ذلك كله بما سبق أن استخلصناه من آراء ابن الطيب في القسم الثاني (قضايا المدونة ، قضايا الترتيب ، قضايا التعريف .)) [59] (ص123) .

ليصل إلى النتيجة نفسها التي توصلنا إليها ،ويحكم بأن الشدياق لم يخالف صاحبنا في شيء ذي بال من القضايا الجوهرية، التي قال بها أو انتقدها على القواميس القديمة، سوى أمر واحد وهو الدعوة إلى إفساح المجال أمام المصطلحات العلمية والألفاظ المستحدثة ، وما سوى ذلك فهو لا يخالفه فيه (...)، كل

ما فعله الشدياق إذن هو أنه أحسن ترتيب انتقادات أبي الطيب والقضايا التي أثارها، ولعلنا قد أوردنا هذا النص لصاحبه ويوافقه فيه علماء آخرون أمثال الحمزاوي .

يقول الحمزاوي: " فلقد كان أحمد فارس الشدياق (1804.1888م) أول من طرح قضية المعجمية عموما والمعجمية العربية بالخصوص ، وذلك في كتابه"الجاسوس على القاموس " المأخوذ عن إضاءة القاموس لأبي الطيب الفاسي المغربي (1699.1761م) وفي معجمه " سر الليال في القلب والأبدال " حيث أبرز أزمة المعجم العربي التراثي ، ودعا إلى تصور معجم دولي جديد .)) [60] (ص85) .

ذكرنا كل هذا إنصافا منا لهذا العالم الجليل أبي الطيب الشرقي، الذي لم يلق بعد الاهتمام الكافي والعناية اللازمة لما خلفه من آراء وأفكار معجمية تحمل كل معاني الجدة والتجديد والتطوير في المعجم العربي، وخاصة في البناء الداخلي للمواد المعجمية، وقد توزعت آراءه وأفكاره على القضايا الآتية :المدونة والترتيب ،والتعريف ، ونقد القاموس المحيط وهي عناصر يتطابق فيها كثيرا مع ما سيقدمه الشدياق فيما بعد .

إذن يتفق العالمان(الحمزاوي والودغيري) على أن الشدياق قد اعتمد على ابن الطيب لعرض رؤيته ومقاربته المعجمية .

1.2.2. الشدياق والقاموس والمعاجم العربية : لقد كان أحمد فارس الشدياق من أشهر الدارسين الناقدين للقاموس المحيط في العصر الحديث حتى أضحى علامة بارزة في تاريخ دراسة المعاجم العربية القديمة. وكانت ثمرة دراسته المعجمية كتابه" الجاسوس على القاموس " ،وفي ثنايا نقده تعرض للمعاجم العربية بعامة، مما جعل كتابه يتجاوز حدود نقد القاموس إلى دراسة المعاجم العربية الأخرى ونقدها، حيث نلاحظ أن مقدمة كتاب" الجاسوس على القاموس " خليط متنوع من نقد المعاجم عامة والقاموس خاصة، وتاريخ المعاجم اللغوية ومعاجم المصطلحات فنجد قد اعتمد في رؤيته المعجمية النقدية على أكثرها وعلى أئمة النحو واللغة، فشكل بذلك ذخيرة غنية تعنى بتاريخ المعاجم العربية، وفي هذا الكتاب يظهرعلمه الواسع بالتراث اللغوي العربي ، كما يظهر تصور ما ينبغي أن يكون عليه المعجم العربي .

ولكن تصور الشدياق لعلم المعاجم بشقية النظري والتطبيقي نجده موزعا بين كتابيه " الجاسوس " و" سر الليال " الذي أعاد فيه تلخيص نقده للقاموس كما شرح فيه نظريته في المعنى المعجمي .)) [61] (ص377-378) .

والشدياق في سبيل تحقيق الفكرة المعجمية الجديدة قام بعملين :

الأول منهما: الحديث عن الأخطاء اللغوية التي وقع فيها اللغويون وتناولها في(الجاسوس). الثاني منهما: تأليف كتاب يحقق فكرته اللغوية من عمل المعاجم وتناولها في (سر الليال).

2.2.2.الجاسوس على القاموس وسر الليال في القلب والإبدال: بين النقد المعجمي والتطبيق له:

بدأ الشدياق بذكر الأسباب الداعية إلى تأليف كتابه هذا فقال :" و(بعد) فإني لما رأيت في تعاريف القاموس للإمام القاضي مجد الدين الفيروز أبادي قصورا وإيهاما وإيجازا وإبهاما، وترتيب الأفعال ومشتقاتها فيه محوج إلى تعب في المراجعة ، ونصب في المطالعة والناس راوون منه وراضون عنه، أحببت أن أبين في هذا الكتاب من الأسباب ما يخص أهل العربية في عصرنا هذا على تأليف كتاب في اللغة، يكون سهل الترتيب، واضح التعاريف شاملا للألفاظ التي استعملها الأدباء والكتاب وكل من اشتهر بالتأليف، سهل المجتنى، دافي الفوائد ، بين العبارة ، وافي المقاصد .)) [62] (ص2-3) .

يطرح الشدياق في هذا النص مجموعة من العناصر الضرورية لبناء المعجم في عصره والتي حاول تطبيقها في معجمه سر الليال في القلب والإبدال ، لذا فإننا سنجتزئ من كتابيه الجاسوس على القاموس، وسر الليال في القلب والإبدال"، أهم تنظيراته المعجمية ومحاولة التطبيق لها، وتفصيل هذا طبعا سيتراوح بين المؤلفين الاثنيين لنرى مدى التطابق بين ما حاول تنظيره وسعى إلى تطبيقه في بناء معجمه على غرار أصحاب المعاجم العربية القديمة .

ينتقد الشدياق بشدة المعاجم العربية القديمة والحديثة في ترتيبها الداخلي لمواد المعجم وأكثر ما ضايقه فيها " غياب النسق في عرض مفردات اللغة تحت المادة الواحدة فما دامت المعاجم العربية قد اختارت طريقة الجذور في ترتيب الكلمات ، وكانت هذه الطريقة تقتضي سوق العديد من الفروع والاشتقاقات تحت المدخل الواحد ، فقد كان من المنطقي أن تتفطن هذه المعاجم إلى طريقة لترتيب هذه الفروع وهو ما لم تفعله.)) [63] (ص101) . وإن كان هذا ليس على الإطلاق. يقول : " ثم إني بعد أن أستميح الإجازة من أهل اللغة الذين يهمهم تهذيب دواوينها وإبراز مستورها ومكنونها ، أقول: إن من أعظم الخلل وأشهر الزلل في كتب اللغة جميعا قديمها وحديثها ومطولها ومختصرها ومتونها وشروحها وتعليقاتها وحواشيها خلط الأفعال الثلاثية بالأفعال الرباعية والخماسية والسداسية وخلط مشتقاتها .

ويقول أيضا:" ومما أحسبه من الخلل أيضا تقديم المجاز على الحقيقة أوالعدول عن تفسير الألفاظ حسب أصل وضعها .)) [62] (ص11) .

وفي كتابه سر الليال يتميز عمن سبقه وإن لم يتبعه من لحقه بأن سار في ترتيبه " على نسق من الترتيب ارتضاه ، دفعه إليه حرصه على الوصول إلى علم معاني الألفاظ والإطلاع على أصل وضعها وحكمة مبناها ولولا هذا لما خالف ما جرى عليه الأقدمون.)) [58] (ص154) .

قال : " وهنا أستميح سماح السادة العلماء والأئمة الفضلاء عما تجاسرت به من اتخاذ الفعل المضاعف أصلا من دون قصد لحزم قواعد الصرف ، وإنما القصد في ذلك التوصل إلى معرفة مباني الألفاظ وهو أمر اعتباري لا يؤدي إلى إفساد اللغة (...) ولولا ما قصدت من الوصول إلى علم معاني الألفاظ ، والاطلاع على أصل وضعها وحكمة مبناها لما كان لي من عاذر على ارتكاب هذه المخالة .)) [64] (ص21) .

فالشدياق بهذا الرأي يخالف أصحاب المعاجم قبله في اتخاذهم الجذر الثلاثي أصلا للبناء المعجمي في حين نجده هو يأخذ بالجذر الثنائي ، وهذا الرأي ليس بدعا عند الشدياق فقد عرف قبله ، لكـن ترجـع إليـه مزية الإحياء والدعوة إليه من جديد ويعتبر" أول من وضع معجما يقوم على الثنائية أي على نظرية مغـايرة في وجوهها للنظرية الثلاثية التي بني عليها المعجميون العرب معجماتهم ، كما كان صرفيوهم قد بنوا عليها تحليلهم للكلم بأصوله وأوزانه وحذوفه وزياداته .)) [63] (ص30) .

3.2.2. أهم ميزات المعجم المنشود عند الشدياق أن يكون :

1.3.22 سهولة الترتيب : الترتيب نوعان متكاملان في المعجم ، ترتيب خارجي وترتيب داخلي .

1– الترتيب الخارجي : وهو ترتيب المواد في المعجم .

يقول الشدياق : " فإني رأيت جميع كتب اللغة مشوشة الترتيب كثر ذلك أوقل،و خصوصا كتاب القاموس الذي عليه اليوم المعول.)) [62] (ص5) .

فهو ينتقد القاموس في طريقة الترتيب الخارجي لمواده ويعلل ذلك بقوله: ((لا جرم أن الترتيب الذي جرى عليه الصحاح واللسان والقاموس و هو مراعاة أوائل الكلم وأواخرها مسهل المطلوب وخصوصا جمع القوافي إلا أنه فاصل لتناسق معانيها وموار لأسرار وضعها ومبانيها كما بينته في كتابي سر الليال في القلب والأبدال ، وفيه مع ذلك إجحاف بأحرف الكلمة الأولى ، فالأولى عندي ترتيب الأساس للزمخشري والمصباح للفيومي أعني مراعاة أوائل الألفاظ دون أواخرها .)) [62] (ص26-27) .

فهو يختار الترتيب الألفبائي العادي حسب الأوائل مراعيا في ذلك الأحرف الأخرى ، وتجدر الإشارة إلى أنه أشار إلى ترتيب حروف المعجم نفسها قبل إيراد المواد على نسقها. يقول: "ومن ذلك اختلافهم في عدد حروف الهجاء وترتيبها (...) وأغرب من ذلك مخالفة المغاربة لنا ،يقصد المشارقة في ترتيب حروف الهجاء جملة ، ويتحدث أيضا عن الترتيب الأبجدي يقول : ((أما ترتيب الحروف على أبجد فالظاهر أنه جرى على ترتيب اللغة السريانية إلى حرف التاء ، وهي فيها تا وثم زادوا عليها ثخذ وضظغ .)) [62] (ص40-41) .

2. الترتيب الداخلي : ترتيب مواد المعجم واشتقاقاتها : ينتقد الشدياق بشدة المعاجم العربية القديمة والحديثة في ترتيبها الداخلي لمواد المعجم وأكثر ما ضايقه فيها ((غياب النسق في عرض مفردات اللغة تحت المادة الواحدة فما دامت المعاجم العربية قد اختارت طريقة الجذور في ترتيب الكلمات ، وكانت هذه الطريقة تقتضي سوق العديد من الفروع والاشتقاقات تحت المدخل الواحد ، فقد كان من المنطقي أن تتفطن هذه المعاجم إلى طريقة لترتيب هذه الفروع وهو ما لم تفعله.)) [63] (ص101) .وإن كان هذا ليس على الإطلاق. يقول : ((ثم إني بعد أن أستميح الإجازة من أهل اللغة الذين يهمهم تهذيب دواوينها وإبراز مستورها ومكنونها ، أقول: إن من أعظم الخلل وأشهر الزلل في كتب اللغة جميعا قديمها وحديثهاومطولها

ومختصرها ومتونها وشروحها وتعليقاتها وحواشيها خلط الأفعال الثلاثية بالأفعال الرباعية والخماسية والسداسية وخلط مشتقاتها .

ويقول أيضا: ((ومما أحسبه من الخلل أيضا تقديم المجاز على الحقيقة أوالعدول عن تفسير الألفاظ حسب أصل وضعها . و يقول ومن ذلك أنهم يبتدئون المادة باسم الفاعل أوالمفعول أوالصفة المشبهة أواسم المكان أوالمعرّب عوضا عن الابتداء بالفعل أوالمصدر .)) [62] (ص14) .

فهو يفضل البدء بالفعل أوالمصدر ثم مشتقاتهما ، والابتداء بالحقيقة قبل المجاز وتفسير الألفاظ حسب أصل وضعها ،والبدء بالثلاثي فالرباعي فالخماسي والسداسي .

وفي كتابه سر الليال يتميز عمن سبقه وإن لم يتبعه من لحقه بأن سار في ترتيبه " على نسق من الترتيب ارتضاه ، دفعه إليه حرصه على الوصول إلى علم معاني الألفاظ والإطلاع على أصل وضعها وحكمة مبناها ولولا هذا لما خالف ما جرى عليه الأقدمون.)) [58] (ص154) .قال : " وهنا أستميح سماح السادة العلماء والأئمة الفضلاء عما تجاسرت به من اتخاذ الفعل المضاعف أصلا من دون قصد لحزم قواعد الصرف ، وإنما القصد في ذلك التوصل إلى معرفة مباني الألفاظ وهو أمر اعتباري لا يؤدي إلى إفساد اللغة (...) ولولا ما قصدت من الوصول إلى علم معاني الألفاظ ، والاطلاع على أصل وضعها وحكمة مبناها لما كان لي من عاذر على ارتكاب هذه المخالة.)) [64] (ص21) .

فالشدياق بهذا الرأي يخالف أصحاب المعاجم قبله في اتخاذهم الجذر الثلاثي أصلا للبناء المعجمي في حين نجده هو يأخذ بالجذر الثنائي ، وهذا الرأي ليس بدعا عند الشدياق فقد عرف قبله ، لكن ترجع إليه مزية الإحياء والدعوة إليه من جديد ويعتبر" أول من وضع معجما يقوم على الثنائية أي على نظرية مغايرة في وجوهها للنظرية الثلاثية التي بني عليها المعجميون العرب معجماتهم ، كما كان صرفيوهم قد بنوا عليها تحليلهم للكلم بأصوله وأوزانه وحذوفه وزياداته .)) [20] (ص30) .

ونجد الشدياق يورد الأسباب التي جعلته يتخذ الفعل الثنائي المضاعف أصلا فيقول: "وها أنا أذكر لك بعض الأسباب التي سولت لي أن أعتبر المضاعف أصلا: أحدها: إني رأيت معظم اللغة مأخوذ من حكاية صوت أوحكاية صفة ، وأن حكاية الصوت إنما تأتي من المضاعف نحو : دبّ ودفّ، ودق ، ومزّ وسفّ وفرّ : فإذا أرادوا الزيادة في المعنى ضاعفوا الحروف فقالوا : دبدب، ودفدف ، ودقدق (...) وظهور هذا السر في الماضي المضاعف أكثر منه في المصادر .)) [64] (ص22) .

يقول محمد علي الزركان : ((وفي ظني لا يستطيع باحث لغوي أن يفيد من سر الليال هذا على أنه معجم يمكنه من الوصول إلى المعنى المراد بسهولة و يسر (...) فلا يمكن أن نسميه معجما حسب الاصطلاح المعجمي المعروف إلا بعد إجراء تعديلات في بنائه المعجمي وفي الواقع .وذلك لأنه لا يرتبط بطريقة معجمية معينة ، فنراه يخلط بين طريقة التقليب التي سار عليها الخليل في كتاب العين و ابن دريد في الجمهرة والأزهري في التهذيب ، وطريقة القافية التي سار عليها اللسان والقاموس ، وطريقة الحروف

التي سار عليها الأساس والمصباح ، فهو قد جمع بين الطرائق الثلاثة مما جعل مطالع كتابه يضيع بين زحام الأفعال الثنائية المضاعفة ، ما كان مقلوبا منها وما كان مبدلا وهكذا يسير الشدياق على هذا النسق خارجا من باب داخلا في آخر ، بين تلك المواد المتباعدة المختلفة لا يجد له مستقرا. .)) [58] (ص166-167) .

بينما يرى الحمزاوي أن هذه سمة متميزة لمعجم الشدياق يقول:" إن أهم عناصر رؤية الشدياق المعجمية التي بناها على "منظومة ثلاثية تشتمل على نظام ترتيب مداخل المعجم ، وهو نظام مثلث توفيقي ففيه ترتيب صوتي خليلي باعتبار أنه ابتدأ الكتاب بـــ (أب) و أردفها بـــ (حب) و(عب) و(غب) و(هب) ومقلوباتها " لكونها جميعا حروف حلق " ، وفيه ترتيب بأواخر الكلمات ، وترتيب ألفبائي ومقلوبيهما باعتبار رجوعه إلى الباب التي أسبقها بالتاء والجيم ، فأتبع (تب) بـــ (جب) و(دب) و(ذب)...الخ .)) [26] (ص216) . وعلى نظام دلالي وهو مفهوم القطع الدلالي المركزي ، وعلى نظام بنائي صرفي وأساسه المضاعف أصل اللغة.)) [26] (ص216) .

2.3.2.2. أن يكون المعجم واضح التعاريف : يعيب الشدياق على المعاجم العربية القديمة وعلـــى رأســـها "القاموس المحيط "غموض التعريف وقصوره عن أداء المعنى، ويورد ملاحظات قيّمة يدعمها بأمثلة مختلفة عن بعض صور هذا القصور والغموض .

فأعطى بذلك الشدياق لكل كلمات اللغة الحق في المعاجم العربية وهاجم النظرية التقليدية التي تحـــدد زمـــن ومكان الفصاحة .

هذه كانت أهم خصائص البناء المعجمي عند الشدياق التي حاول التطبيق لها في معجمه " سر الليال في القلب و الإبدال، ومع ذلك يقول محمد علي الزركان :" وفي ظني لا يستطيع باحث لغوي أن يفيد مـــن سر الليال هذا على أنه معجم يمكنه من الوصول إلى المعنى المراد بسهولة و يسر (...) فلا يمكن أن نسميه معجما حسب الاصطلاح المعجمي المعروف إلا بعد إجراء تعديلات في بنائه المعجمي .وذلك لأنه لا يرتبط بطريقة معجمية معينة ، فنراه يخلط بين طريقة التقليب التي سار عليها الخليل في كتاب العين و ابـــن دريـــد في الجمهرة والأزهري في التهذيب ، وطريقة القافية التي سار عليها اللسان والقاموس، وطريقـــة الحـــروف التي سار عليها الأساس والمصباح، فهو قد جمع بين الطرائق الثلاثة مما جعل مطالع كتابه يضيع بين زحام الأفعال الثنائية المضاعفة ، ما كان مقلوبا منها وما كان مبدلا وهكذا يسير الشدياق على هذا النسق خارجـــا من باب داخلا في آخر ، بين تلك المواد المتباعدة المختلفة لا يجد له مستقرا .)) [58] (ص155) .

3.2. أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد لسعيد خوري الشرتوني 1890م:

لقد تأثر الكثيرون بالبستاني في معجميه السابقين ـــ سواء في المنهج أم في شرح المواد ـــ " وفي ســـنة 1890 أخرجت المطبعة العربية معجما آخر في جزئين وضعه العلامة سعيد الخـــوري الشـــرتوني أســـماه "أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد" آخذًا إيّاه من الأمّهات يقول:" وأقبلت على كتب الأئمـــة الثقـــات

واللّغويين الأثبات مثل ابن منظور صاحب لسان العرب والزمخشري صاحب أساس البلاغة والأدب، والجوهري مؤلّف الصحاح، والفيومي مصنّف المصباح، والراغب الأصفهاني صاحب المفردات، (...) ، ألفت كتابا آخذا من تلك المصنّفات بالباب، وكافلا بإدناء القصي لأنفس الطلاب .)) [65] (ج1،ص6) . وإن كانت عبارة القاموس فيه أغلب، مع دقة في التهذيب وسلامة في الترتيب بحسب أوائل الكلمات، ومازال الشرتوني نفسه يتحرّى أوهامه وأخطاءه وسهوه ويجمع ذلك ويضم إليه ما فاته في معجمه، حتى تجمع لديه قدر كبير أخرجه سنة 1894، فكان جزءًا ثالثا لمعجمه القيّم بحسن ترتيبه وسهولة مأخذه .)) [32] (ص52) .وقد جمع الشرتوني في ذيل أقرب الموارد جلّ الأخطاء التي وردت في معاجم اللّغة فأتت خطوته هذه تحقيقا جريئا، ودفعة تطوّريه بارعة، فجاوز فيها الأخطاء اللفظية التي شاع معظمها في معجماتنا القديمة، وغدا هذا المستدرك من أهم المراجع المخصصة للتحقيق اللّغوي .

اتبع في منهجه رسم هيكلية الصفحة شكل ثلاثة جداول أوأعمدة، ووضع فوق كل عمود كلمة(...) أما الكلمة الأولى التي على النهر الأيمن فهي التي يبدأ بها ذلك النهر وأما اللّتان على الأوسط والأيسر فهما لما ينتهي بهما هذان النهران ، كما وضع المادّة التي يريد شرحها بين نجمتين صغيرتين ثم يحصر صيغ المادّة بين قوسين، (...) ورمز إلى الصيغ المكرّرة بشرطة هكذا (ـ) ليتجنّب إعادة اللفظ مع معانيه الكثيرة.)) [22] (ص81) .

ولاشك أن هذا التنظيم مفيد وأنه ثمرة اتصال الشرتوني ودرايته بالمعاجم الأجنبية ،وهو تطوير واضح على مستوى الشكل و الإخراج في المعاجم العربية.

ويمكن تلخيص أهم الخصائص والميزات التي استحدثها في معجمه وهي جديدة في شكلها لكنها قديمة فيما تعبر عنه، وهي :

1.وهو الأهم : اهتمامه بالتعريف العلمي، وهذه مبادرة طريفة وجريئة، تنبّه إليها الشرتوني وتميز بها عن سواه .حيث أراد الشرتوني على غرار مؤلفي المعاجم، ألاّ يقع فيما وقع فيه السابقون من اللّغويين حين يتحدّثون عن الحيوان والنبات فلا يوضحون مبهما أو يزيلون غرابة، يقول المقصد الثاني من مقاصده السبعة في معجمه: " في تساهل اللغويين في التعريف الدوري وقصور تعريف النبات والحيوان،و يقول: ((أما تعاريف صنوف النبات والحيوان فعله تعريف بالأعم وهو دون أن يفيد تمام التعيين المقصود من التعريف.)) [65] (ص9) .

ثم أشار إلى رجوعه إلى مفردات ابن البيطار وحياة الحيوان للدميري، وهي من المعاجم المتخصصة، وعدم إيفاء حاجته منها، فلجأ إلى طريقة جديدة بيّنها بقوله: ((وأعلم أن أقرب طريقة عندي لتعريف كل نوع من النبات والحيوان هي أن يفسر اسمه في الصحيح بما يعرف به من الأسماء العامّية في كل طرف من أطراف البلاد العربية، مع ذكر اسمه بالفرنسية، فإن تأليف الإفرنج في ذلك على غاية الوضوح، لأنّهم إذا ذكروا نباتا أوحيوانا رسموا صورته، وذكروا من أي فصيلة هو، وعددوا أوصافه

وخاصياته ومنافعه كما فعل ابن البيطار، فيستطيع القارئ حينئذ سبيلا إلى معرفةمسمى طلك الاسم .)) [65] (ص9) .

وفي هذا دعوة صريحة للاهتمام بالعامية ، حيث نلاحظ اعتماده عليها في معجمه لشرح مواده خاصة في تعريف الحيوان والنبات باعتبار أن كثيرًا من أسماء الحيوانات والنباتات تختلف من قطر عربي لآخر، فتجاوز الفصحى إلى درجة أدنى وهي العاميّة. واعتماده أيضا لغة أجنبية في الشرح، وربّما هذا يعود إلى سيطرة الفكر المعجمي الغربي عليه، واللّغة الفرنسية بالذات ليعتمدها في الشرح فيوسع من رصيد المطّلع على معجمه من ناحية اللّغات. فتجاوز مرّة أخرى الفصحى إلى لغة أخرى مجانبا المعاجم ثنائية اللّغة.

فسعى الشرتوني إلى ضبط معاييرالتعريف عنده وأهمها :

1 - تفسير اسمه الفصيح بما هو معروف من أسمائه العامية في كل بلد من البلدان العربية.

2- ذكر اسمه بالفرنسوية .

3- التعريف بالصورة "وفكرة الإيضاح بالرسم الجديدة في التأليف المعجمي العربي الحديث.

4- ذكر الفصيلة والأوصاف والخاصيات والمنافع.

وإن كان الشرتوني يشير إلى أن هذه المعايير قد لاحظها واستقرأها من تأليف الإفرنج على حد تعبيره، إلا أنه لم يلبث أن صرّح بأن العرب قد عرفوها وطبقوها خاصة في معاجمهم العلمية المختصة كابن البيطار وغيره .

ولفت الأنظار إلى أهمية ضم المصطلحات العلمية والكلم المولد والأعلام إلى المعجم خاصّة إذا لم يوغل فيها حتى لا يأخذ المعجم صفة الموسوعية.

2. تنبّه الشرتوني إلى قضية الدلالة وربطها باللّفظ حقيقة ومجازًا ومشتركا ومترادفا ومولدًا ودخيلاً وممنوعًا (...) وركّز بالخصوص على المعرّب منها داعيا إلى استعماله لسد فراغات معاجمنا في ميدان العلوم والفنون، وذلك في حديثه عنها في المقصد الرابع والخامس..)) [65] (ص13) .

3- يؤكّد الشرتوني باسم المبادئ الأخلاقية التربوية اليسوعية على ضرورة إسقاط ما يسمّيه بالكلمات "السوءات " منه (...) وتصبح هذه الرؤية الأخلاقية التي مهّد لها البستاني شعارًا من شعارات المعجمية العربية اليسوعية بلبنان رغم أن المعاجم الغربية ولاسيما الفرنسية مثل معجم لاروس والمعتمدة نموذجًا عند الشرتوني وأتباعه، لا تخلو من تلك الألفاظ باعتبارها تمثل ما يسميّه اللسانيون المعجميون الأوربيون بالمستويات اللّغوية التي يشار إلى طبيعتها ووظيفتها الاجتماعية (سوقية، متبذلة، بذيئة، لصوصية...الخ). .)) [66] (ص125) .

كانت هذه أهم الميزات التي عرفها معجم الشرتوني مما أخذه عن المعاجم العربية القديمة أو المعاصرة له أو من المعاجم الغربية الحديثة والفرنسية على وجه الخصوص .

4.2 - معجم الطالب في المأنوس من متن اللغة العربية والاصطلاحات العلميـــة والعصـــرية لجرجس همام الشويري 1907م :

وضعه جرجس همام الشويري سنة 1907 حيث كانت أول طبعاته . استهله بمقدمة [طويلـــة] بقلـــم ظاهر خير الله الشويري اللبناني وسماها ب " اللمع النواجم في اللغة والمعاجم ". وهـــي مقدمـــة ذات قيمـــة خاصة فهي عبارة عن بحث معمق تناول فيه المؤلف مسألة متن اللغة ونادى بجعل المتن علما قياسيا كعلـــم النحو و غيره.

اتبع الترتيب الألفبائي مراعيا الأوائل الأصول، وقد ألف معجمه في وقت كان ومازال فيه الإعـــراض عن العربية والإنصراف إلى اللغات الأجنبية، ساعيا إلى إيجاد المعجم المناسب للعصـــر والبـــديل للمعـــاجم السابقة قديما وحديثا ، وهو يضم حسب عنوانه مجموع مفردات وكلمات المادة اللغوية العامة والاصطلاحية التي تمس جوانب الحياة المعاصرة، من مصطلحات العلوم المدرسية من نقلية وعقلية ووضعيةورياضية .

5.2 المنجد للويس معلوف 1908م :

ويستمر المعجم العربي في مسيرته بخطوات واسعة وكبيرة نحو الحداثة بكل ما تحمـــل مـــن معطيـــات معرفية وتقنية يعتمدها المعجم في إخراجه وتنظيم مادّته ليظهر معجم "المنجد" للويس معلوف سنة 1908 في نسخه أقرب ما تكون إلى المعاجم الغربية وبالتحديد معجم لاروس الصغير الفرنسي.

وهدفه هو هدف أغلب المعاجم اللّغوية الحديثة، وهي التيسير على الطالب البحث عن المفردات وتـــوفير حاجاته منها وقد سمّاه المنجد أملا فيه " أن يجد فيه المتأدّب عونا حسنا ونجدة وافية في البحث و التنقيب.)) [67] (ص1) .

يتحدث الأب سامي خوري اليسوعي في مقدّمة الطبعة السابعة عشر:"أمّا مواده اليوم فهـــي، أصـــلا، مواد منجد "معلوف" تراث المطبعة الكاثوليكية النفيس، وقد زيد عليها مئات المفردات والمعـــاني المســـتحدثة من لغة المعاصرين، فضلا عن ألف كلمة ونيف من اصطلاحات ذوي العلم والاختصاص لمختلف ميـــادين المعرفة، ثم اجتهدنا في ذكر اللّغة الأم التي ينتمي إليها الكلام الدخيل، اجتهادنا في تعيين حقول المعرفة التي تستعمل فيها بعض المفردات تخصص من طب وزراعة وكيمياء وعلم نبات إلى آخر ذلك)) [68] (ص1) .

ويقول لويس معلوف في مقدّمة الطبعة الأولى: "ورغبة في إصابة الغرض من أن يكون هذا المؤلـــف بقدر الاستطاعة على صغر حجمه غزير المادّة وافرها ، قد أظهرناه بأدق ما لدينا من الأحـــرف وأجلاهـــا ورتبنا صفحاته على ثلاثة أعمدة، وعولنا في سرد المعاني وتنسيقها على بعض الإصطلاحات والطرق التي يتيسّر معها الاقتصاد في المكان، وعملا بإشارة بعضهم قد زيّناه بصور عديدة تمثّل للعين بعض الأوصـــاف وتقوم مقام الشروح الطويلة وتخفف عن الفكرة بعض العناء في تفهم الأشياء وإثباتها.)) [67] (ص2) .

و يتفرّع الاستشهاد بالصورة في المنجد إلى قسمين:

1- قسم اللوحات التي تخصص لها صفحات كاملة من دون أن يكون لها صلة بالحرف المدروس ومداخله ومفرداته و معانيه، كلوحة فيها مجموعة مختلف من صور طائرات مخترعة في سنوات مختلفة في حرف التاء تتوسط مواد هذا الحرف، وهي في صفحة ووجهها الآخر لوحة لأنواع من المناطيد ، ولوحة لجسم الإنسان وأهم أعضائه في حرف النون، وأخرى لأنواع الآلات الموسيقية من معازف وكمان وقيتار ودربكة وغيرها في باب الهاء ، وغيرها كثيرة.

2- قسم للأعلام والبلدان وبه صور متصلة ، وأيضا للخرائط والمعالم التاريخية وأغلبها في القسم الثاني من المنجد الذي وضعه فردينان توتل "المنجد في الأدب والعلوم" معجم لأعلام الشرق والغرب، تزيّن متنه 1200 صورة، و100 خريطة، و74 لوحة و52 خريطة ملوّنة، بيروت 1956.)) [55] (ص67-68) .

6.2. المعجم الكبير:1946 :

يقول أحمد مدكور بعد حديثة عن تجربة معجم تاريخي للّغة العربية باقتراح ومحاولة المستشرق الألماني "فيشر" والتي لم تكتمل يقول: "ولم يقف المجمع اللغوي من جهود أربعين سنة كاملة إلا على جذاذات غير مستوفاة، حرص على أن يرتبها و يضعها تحت تصرّف الباحثين والدارسين ولم يستطيع أن ينشر من معجم فيشر إلاّ مقدّمة ونموذجًا صغيرًا، سبق للمؤّلف أن أعدّهما، ومن تبنّي المجمع لمعجم فيشر، ورغبته في نشره، لم يصرفه ذلك عن أن يضطلع بوضع معجم شامل يستوعب اللّغة في مختلف عصورها، واكتفى بأن يسمّيه :المعجم الكبير" تفاديًا لما يقتضيه المعجم التاريخي من أعمال تمهيدية لم يؤخذ فيها بعد، وقام على أمره منذ سنة 1946.)) [69] (ج1،ص8) . فالمجمع أراد أن يحل المعجم الكبير محل معجم فيشر التاريخي. فهذا المعجم "لون جديد في عالم المعجمات العربية، فيه تأصيل و تحقيق، فذكر في صدر المادّة النظائر السامية، وما يفتح بابا لدراسة مقارنة، وأشير بعد هذه النظائر إلى معاني المادّة الكلية، متدرّجة من الحسي إلى المعنوي ومن الحقيقي إلى المجازي ، وغيرها من الخصائص التي تتفق تماما مع خصائص منهج "المعجم الوسيط" و يمكن إجمال تفاصيل منهج المعجم الكبير فيما يأتي:

1- ذكر النظائر السامية، والمعاني الكليّة للمادّة اعتمادًا على ابن فارس.

2- ترتيب المادّة ترتيبا منطقيا فالمعنوي الحسي المادي فالمعنوي الحقيقي فالمجازي... وهكذا. ثم الأفعال فالأسماء، الثلاثي فالرباعي، المجرّد فالمزيد إلى غير ذلك مما يستلزمه الترتيب المنطقي للمواد.

3- الاستشهاد بالقرآن، والحديث، والشعروالنثر، يقول أحمد مدكور:"وأهم ما قرر في مقدّمة هذا الجزء أن للّغة ماضيا وحاضرًا، فلها قديمها الموروث وحاضرها الحي الناطق، ولابد أن يلاحظ ذلك في وضع معجم جديد للغة العربية، "فيستشهد فيه بالشعر والنثر مهما يكن العصر الذي أنشئ فيه .)) [69] (ج1،ص8) .

4- ذكر الأعلام وأسماء البلدان والمصطلحات العلمية.

5- ويستعان للتوضيح بصور الحيوانات ورسوم النباتات، وتعرّف تعريفًا دقيقًا مع ذكر مقابلها الأجنبـــي.)) [8] (ص5) .فنجد في المعجم لغة وأدب، ونحو وصرف، وتاريخ، وجغرافيا، وعلم وفلسفة ، لكنّه يصبو أوّلا إلى الهدف اللّغوي ثم يعرض طائفة من المعارف الإنسانية.

6- ضبط الكلمات بالشكل واستخدام الرموز.

وعموما نجد في المعجم ثلاثة جوانب:

1- جانب منهجي: هدفه الأوّل دقّة الترتيب ووضوح التبويب ،نجد تفاصيله مع المعجم الوسيط.

2- جانب لغوي: شمل القديم والحديث .

3- جانب موسوعي : يقدّم ألوانا من العلوم والمعارف تحت أسماء المصطلحات و الأعلام، وروعي في هذا الجانب الجمع بين القديم والحديث ما أمكن فظهرت معطيات العلم العربي، وأضيف إليها ما جاء بـــه العلـــم الحديث وفي هذا كله عمق ودقة، وأصالة وتجديد، ويسر وتيسير.

7.2المعجم (موسوعة لغوية علمية فنيّة) لعبد الله العلايلي ، ط 1954

فضلنا التفصيل في مقدّمته لما تحمله من قضايا جوهرية تمس العربية وتأليف المعاجم فيها .

بعد أن فصل العلايلي الحديث فيما رآه في رسالة " اللمع النواجم في اللّغة والمعاجم " لظاهرالشويري التـــي كتبها كمقدمة لمعجم "الطالب" لجرجس همام الشويري ، وعدّد ما يراه مناسبا وموافقا لمنهجه فـــي التفكيـــر والتأليف المعجمي قال: والآن لا يسعني أن أعرض لشيء من نتائجي في كتاب " مقدمّة لدرس لغة العرب"، إلا فيما يتصل بالعمل المعجمي الخالص .

ثم فصّل في منهج معجمه والذي جعله بعنوان " حسنات هذا المعجم "،ركّز فيه على الوحدة المعنويـــة للجذور، والتفرقة بين الحقيقة والمجاز ، والفروق والملامح الدقيقة بين المفردات والشـــواهد وبيـــان المولّـــد والدخيل قديما وحديثا وتتبع ما وضعه العلماء والمجامع وغيرهما .)) [70] (ص20-21) .

بالإضافة إلى إثبات المصطلح الأجنبي المقابل بحرفه ،وفهرسا ألفبائيا له ، فهو بذلك جمع بين ثلاثـــة أنواع من المعاجم وهي :

1-معجم عربي في أصله .

2-معجم عربي أجنبي بإثبات المقابل .

3-معجم أجنبي عربي بالدليل المرفق به .

8.2. معجم متن اللغة لأحمد رضا العاملي :

اعتمد الشيخ في بناء معجمه على تراث السلف من الأئمة ، كالقاموس المحيط والتاج ولسان العـــرب وأساس البلاغة ومختار الصّحاح والمصباح المنير للفيومي، فكان يقارن المـــواد بـــين المعـــاجم الأمهـــات

المختلفة ليستخلص مادّة مزيجة منها لا اختلاف فيها (...) ولم يذكر المؤلف في معجمه اصطلاحات العلوم والفنون لأنها خارجة عن اللّغة ، اللّهم إلاّ ما كان منها له أساس بالمتن .

وهذا جديد هام في معجمه يمس متن ومواد المعجم التي حاول فيها صاحبه أن لا يتجاوز حدود المعجم اللّغوية، وأن يكتفي بإيراد المواد اللّغوية دون الاصطلاحية التي لها مكانها في معاجم خاصة بها ، ولا يذكر منها إلا الضروري المرتبط بالمتن اللّغوي حتى لا يخرج المعجم من الطابع اللّغوي إلى الطابع الموسوعي العام، و الذي لن يكون في مستوى المعجم الموسوعي الذي يتطلب مادة أكبر ومنهجا مختلفا.

أماعلى مستوى الترتيب فإنه أخذ بالترتيب الألفبائي وفق أصل المادة المجرّدة مراعيا الحرف الثاني والثالث أيضا ، بالإضافة إلى الترتيب الداخلي للمواد بادئا بالفعل الثلاثي المجرد وأبوابه والمزيد بحرف ثم بحرفين وهكذا حتى يأتي إلى الأسماء .

9.2. المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة :1963م.

يطلق عليه الحمزاوي اسم: معجم التواصل، ليعبر به عن امتداد القديم في الحديث واستمراره فيه، لكن بما يفرض من مستجدّات ومعطيات وواقع لغوي مختلف إلى حد كبير، وليعبر به أيضًا عن تواصل تطوّر اللّغة واستمرارها.

هذا المعجم يمثّل أحسن تمثيل ثمرة العمل الجماعي، فهو ليس من عمل فرد واحد على غرار المعاجم السابقة، بل أنجزته هيئة علمية تضم مجموعة من الباحثين والعلماء والمتخصصين في شتى العلوم؛ هي مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وباعتباره صادرًا عن هذه المؤسسة العلمية العتيدة التي لها ثقلها في الدراسات اللّغوية الحديثة، "فهذا من شأنه تخليص هذا المعجم من هفوات الجهد الفردي ومساوئ الأهواء الذاتية.)) [16] (ص225) .

يقول إبراهيم مدكور الأمين العام للمجمع اللّغوي بالقاهرة :"يشتمل المعجم الوسيط على نحو 30 ألف كلمة، وستمائة صورة، ويقع في جزأين كبيرين يحتويان على نحو 1200 صفحة من ثلاثة أعمدة، ويكاد يزيد في حجمه على أقرب الموارد. ولكن لا سبيل إلى مقارنته بأي معجم من معاجم القرن العشرين العربية. فهو دون نزاع أوضح، وأدق، وأضبط، وأحكم منهجًا، وأحدث طريقة، وهو فوق كل هذا مجدّد ومعاصر، يضع ألفاظ القرن.

1.9.2 مادة المعجم :

لقد انطلق في تأليفه استنادًا لنقص رآه في المعجم القديم، يقول ، والمعجم العربي القديم على غزارة مادّته وتنوّع أساليبه، أضحى لا يواجه تماما حاجة العصر ومقتضياته، ففي شروحه غموض، وفي بعض تعاريفه خطأ، وفي تبويبه لبس، وأبى أصحاب المعاجم إلاّ أن يقفوا باللّغة عند حدود زمانية ومكانية ضيّقة ففقدت كثيرًا من معالم الحياة والتطوّر (...) ومعاجمنا العربية القديمة لا تتمشّى ـــ في منهجها ـــ مع مبادئ فن المعاجم الحديث، ففي الرجوع إليها عناء ومشقّة و في عرضها حشو واستطراد .

إنطلاقا من هذا القول يمكن تحديد الأسس النظرية والتطبيقية التي وضعها المجمع باسم سلطته اللّغوية الجماعية لتجديد المعجم العربي، وتتمثل في أربعة عناصر تقلب رأسا على عقب الأسس النظرية التقليدية وهي:

1- فتح باب الوضع للمحدثين بوسائله المعروفة من اشتقاق، وتجوّزوا الارتجال.

2 - إطلاق القياس ليشمل ما قيس وما لم يقس من كلام العرب.

3 - تحرير السماع من قيود الزمان والمكان، ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع كالحدّادين والنجّارين والبنّائين، وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات.والاعتداد بالألفاظ المولدة، وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء.

ولاشك أن القرارات التي أصدرها المجمع أسهمت إلى حد بعيد في تغيير النظرة إلى اللّغة وألفاظها، فلم تعد اللّغة تلك المحصورة في القرآن الكريم، والحديث الشريف (لمن يستشهد به) ودواوين الشعر، بل أصبح يدخل في دائرتها كل ما يستعمل من مولد ومحدث ومعرّب ودخيل مما رآه المجمع ضروريا، بالإضافة إلى قلبها رأسا على عقب ما كان من المسلّمات في جمع اللّغة وتأليف المعاجم قديما وهو" تحديد الزمان والمكان الذي تأخذ منه اللّغة". فالمجمع قد عمل على "فك الفصاحة من قيودها القديمة وذلك "بتحرير السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع، على اختلاف حرفهم وصناعاتهم وأعمالهم أوما يتداولونه من سلع وعروض، أو ما يتخذونه من أثاث وفراش، أو ما يلبسونه من حلي وثياب، أو ما يركبون من بواخروطائرات.)) [69] (ج1،ص11) .

فتتنوّعت تبعا لذلك مداخل المعجم، وهذا يقرّ مبدأين:

1. اعتماد لغة مشاهير الكتاب المحدثين وفصاحتهم.

2. مبدأ التداخل اللّغوي القائم على سد ثغرات العربية باقتراض ما ينقصها بطرق شتى منها المعرّب والدخيل.

وهو إذ يسجل المادّة اللّغوية الحديثة فإنه حاول قطع الصلة بالمعاجم القديمة والتخلص من قيود الماضي وهذا مما عاب عليه المعاجم الحديثة يقول ابراهيم مدكور في تصدير الطبعة الأولى منه:"لقد حاول بعض اللّغويين منذ أخريات القرن الماضي تدارك هذا النقص ، فوضع البستاني (محيط المحيط)، والشرتوني (أقرب الموارد)، والأدب لويس معلوف (المنجد)، وهم فيما يبدو متأثرون بالمعاجم الغربية الحديثة، ولكنهم لم يستطيعوا التخلّص من قيود الماضي، ولم يجرءوا على أن يسجّلوا شيئا من لغة القرن العشرين، وما كان لهم أن يفعلوا والأمر يتطلّب سلطة أعظم وحجّة لغوية أقوى)) [69] (ج1،ص7) .

وتبقى هي جهود فردية لا مجال لمقارنتها مع المجهود الجماعي المؤسس.

وأسقط المعجم عددًا من الألفاظ التي رأى أن لا حاجة إليها "وذلك ما تعمل به المعاجم الحديثة لاسيما معجم لاروس الفرنسي الذي يراجع كل 10 سنوات فيسقط من متنه قدرًا يتراوح بين 4 إلى 10 في المائة ويعوّضه بمداخل حديثة.)) [26] (ص184) .

وهذا كلّه من أجل أن تسير المعجمية وروح العصر وواقعه اللّغوي على خط واحد ووتيرة واحدة أيضا، اللّغة أصل والمعجم تابع لها.

2.9.2 – ترتيب مواد المعجم :

أما فيما يتعلّق بالترتيب الداخلي للمواد فتلخّص لجنة المعجم المنهج الذي نهجته في ترتيب مواد المعجم فيما يأتي: تقديم الأفعال على الأسماء.وتقديم المجرّد على المزيد من الأفعال.وتقديم المعنى الحسي على المعنى العقلي و الحقيقي على المجازي.وتقديم الفعل اللازم على الفعل المتعديّ.)) [69] (ص14-15) .

ومع أن السبق في الترتيب الألفبائي لا يعود إلى المعجم الوسيط كما عرفنا سابقا، إلاّ أنه يتميّز فيه بالترتيب الدقيق الخارجي والدّاخلي لمواده، محاولا تجنّب نقائصه في المعاجم السابقة، هذا من جهة، و من جهة أخرى فإن هذا الترتيب - بالعودة إليه إن صح التعبير بهذه القوّة - كأنه مواجهة لأصحاب المعاجم التي اتبعته لكن دون مراعاة لمبدأ الجذرية، وقد وصفها عبد العزيز مطر بالمعاجم المتطرّفة "لأنّها تغفل أهم خصائص اللّغة العربية، وهي أنّها لغة اشتقاقية، تنتظم فيها الكلمات في أسر، ولأن هذا الترتيب إذا شاع يقطع صلة الناشئة بالمعجم العربي القديم، لأن الترتيب حسب الأصول الاشتقاقية ييسر على الطالب إدراك العلاقات بين الكلمات التي يجمعها أصل واحد، وهذه غاية يتضاءل أمامها التيسير على الطالب في الكشف عن طلبته.)) [71] (ص40) .

ويرى أحمد شفيق الخطيب نفس الرأي ويسمّى المنادين بالترتيب حسب النطق "الفصميين المنادين بالترتيب النطقي مدرجين مزيدات الكلمة مشتّتة عن جذرها، مضحّين بالترابط اللّغوي العضوي الذي هو سر جمال العربية وسحرها وبلاغتها بحجّة التبسيط والتيسير.)) [8] (ع100،ص11) .

ويرى إبراهيم بن مراد أن هذا الصنف من الترتيب [بحسب الجذور معرّاة من زوائدها] على غاية من التعقيد، ويكاد يستحيل على المعجمي في الوضع الراهن الذي عليه الدراسات المعجمية العربية ــ أن يحيط بدقائقه، فهو مرتبط ببعض القضايا اللسانية العامّة مثل أصل الجذر المعجمي، هل هو ثنائي قد زيدت عليه السابقة واللاحقة والداخلة أم هو ثلاثي ورباعي وخماسي قد داخلته حروف التضعيف والعلّة والزيادة، ثم إن المباحث الصرفية والصوتية التي كان النحاة العرب القدماء قد فتحوا بابها وتوسّعوا فيها حول الحروف الأصول والحروف الزوائد والحروف المغيّرة في الكلمة العربية ــ فعلا وصفة واسما ــ نتيجة إدغام أو قلب لم تستغل في العصر الحاضر، ولم يتوسع فيها بالوسائل والطرق الحديثة قصد تخليص الجذر المعجمي

مما لا يزال عالقا به من اعتباطية .وبذلك يبرّر ما سعى إليه بعض المحدثين بوضعهم معاجم عامّــة تعتمــد الترتيب بحسب المداخل غير معرّاة من زوائدها .)) [16] (ص254) .

وهو"الترتيب الألفبائي للكلمات لا الجذور، هو الترتيب المتبع في المعــاجم الأوربيــة و الأمريكيــة الحديثة، وكان الشريف الجرجاني (1340، 1433) أوّل من استعمل هذا الترتيب في كتابه (التعريفــات)..)) [12] (ع47،ص61) .

ولنا مناقشة لهذا الموضوع في اختياره من عدم اختياره في المعاجم المختصة إن شاء الله تعالى.

3.9.2. تعريف مواد المعجم :

حاول المعجم أن يفي المادّة المدخل شرحا وإيضاحا بالشواهد المتنوّعة من قرآن، وحــديث، وأمثــال وتراكيب بلاغية مأثورة، ولكنه لم يدرج النصوص والإنتاج الأدبي الحديث نثرًا وشعرًا، رغم أنه قــد ســلّط الضوء في المادّة على الانفتاح على تطوّرات العصر ومتطلّباته وفق مقاييس محدّدة تحقق السلامة اللغويــة للمواد، فدخل معجمه كثيرًا من المواد على اختلاف أنواعها لم يكن للمعاجم القديمة عهد بها، منها كما عرفنا المعرّب والمولّد والمحدث و المرتجل وغيرها.

لكنّنا نجده من جهة أخرى يعوّض هذا النقص بإدراجه الصورة في متن المعجم باعتبارها شــاهدًا مــن الشواهد، وقد ذكر إبراهيم مدكور عدد الصور المدرجة في المعجم والتي تصــل إلــى ســتمائة صــورة للحيوان والنباتات والآلات وكلّها صور تعريفية وتوضيحية لمعاني مسمّياتها.

ولا ننسى بأن "المنجد" كان أسبق إلى هذا التوظيف للصورة في المعجم، والفــرق بينهمــا أن المعجــم الوسيط كان أدق في استعمالها وأكثر إفادة منها، حيث جعلها موازية للمداخل مرتبطــة بهــا، خلافــا لتلــك اللوحات التي رأيناها مع المنجد التي تأتي منفصلة عن موادها .)) [69] (ج1،ص16) .

ويظهر تميز المعجم الوسيط عن غيره في كثير من الأمور، ولاسيما معاجم اللبنانيين الأوائل، حين يجــد المرء معظم تلك المعاجم قد حشي بالعامية والدخيل والألفاظ الدينية الغريبة، وملئ بعضها كالمنجــد للــويس معلوف وخلفائه بالمعلومات المغلوطة عن التراث العربي وأعلام العرب والمسلمين .

وعليه فإن "المعجم العربي مع المعجم الوسيط استعاد حركيتهُ، سواء بتجديد مبادئه العامّــة، أو بإحيــاء مفهوم المعجم العربي الإسلامي المبني نظريا على الأقل على فصاحة مفتوحة مع تحديث مداخله بالمفــاهيم العصرية المتعلقة بالعلوم والفنون والتكنولوجية (...) فالمعجم الوسيط على ما فيه من عيوب [سنشــير إلــى بعضها فيما بعد] يمثل وثيقة تجديدية ملموسة مقارنة بالمعاجم الفردية أو الجماعية الوظائفية المشــابهة لــه، وهو بالتالي يفتح الباب واسعا لمفهوم التطوّر اللّغوي الذي غبنته المعاجم الســابقة باســم التقيــيم والتقــويم والاستدراك .)) [26] (ص186) .

والحق أن المجمع لم يخالف الصواب (...) إلاّ أن تميّزه لا يعني خلوّه من النّقائص العلمية والمنهجيــة (...)،إلاّ أن النقد الموجه إلى الكتاب قد اهتم بالمادّة المدوّنة في مستوى الجمع .)) [73] (ص23) .وبظاهرة

التعريف في مستوى الوضع، وأهمل ظاهرة الترتيب، ولذلك تطوّر المعجم من الطبعة الأولى إلى الطبعة الثانية تطوّرًا كبيرًا في المادّة المعجمية وفي التعريف، ولم يتطوّر في مستوى الترتيب فبقيت هنات الترتيب فيه قائمة. .)) [16] (ص227-228) . ويواصل قوله: إلاّ أن القدماء لم يتقيّدوا في مستوى التطبيق ــ وخاصّة في المعجم ــ بهذا المبدأ، فقد أخضعوا بداية من الخليل بن أحمد في كتاب "العين"، وانتهاء بالفيروزأبادي في "القاموس المحيط" الألفاظ الأعجمية لجذور عربية صرفة، ليس بينها وبين اللّغات الأعجمية أي صلة اشتقاق، ولعلّ أوّل من انتبه إلى هذه القضية من المحدثين أحمد فارس الشدياق (ت 1887) فأثارها في مستوى الترتيب المعجمي في كتابه "الجاسوس على القاموس " .)) [16] (ص236-237) .

وقد انتبه المجمع إلى أهميّة هذه القضية، فاتخذ منها موقفا تمثّل في " أن المجمع التزم في منهجه بوضع الكلمات المعرّبة في ترتيبها الهجائي لأنها ليست لها في العربية أسر تنتمي إليها، وهو لا يمانع في أن تذكر بعض الكلمات العربية غير الواضحة الأصل في ترتيبها الأبجدي و يحال شرحها إلى مادّتها الحقيقية .)) [69] (ج1،ص4) .

وتجدر الإشارة إلى أن المعجم الوسيط عرف ثلاث طبعات كل تالية تحاول تدارك النقص الموجود في سابقتها، كانت أولاها سنة 1960، وثالثتها 1985 وهو قد فتح باب التصحيحات والاستدراكات والاقتراحات واسعًا وللحنة المعجم الكلمة الفصل فيما يقدّم، فهو إن صح التعبير معجم مفتوح على العالم و اللّغة،و مستمر في الحاضر والمستقبل.

10.2.المعجم الوجيز:

هو أقرب ما يكون إلى معجم مدرسي موجه إلى طلاب المدارس والثانويات.

يقول إبراهيم مدكور في تصديره: " آن الأوان لإخراج معجم مدرسي وجيز يكتب بروح العصر ولغته ويتلاءم مع مراحل التعليم العام .)) [8] (ج1،ص1) ، وقد حدد مجموعة من المبادئ في منهجه في التأليف وهي:

1- " إيراد الكلمات حسب نطقها لا على حساب تصريفها، مقدما الأفعال على الأسماء والفعل المجرد على المزيد، واللازم على المعدي والدلالة الحسية على الدلالة المعنوية، واكتفى من المادة اللغوية بما يتلاءم مع مراحل التعليم العام.

2- لم يقف عند المادة اللغوية التقليدية، بل أضاف إليها ما دعت إليه الضرورة من الألفاظ المولدة، أو المحدثة أو المعربة الدخيلة (...) وربط بذلك لغة القرن العشرين بلغة الجاهلية وصدر الإسلام، وهدم الحدود الزمانية والمكانية التي أقيمت خطا في طريق تطور اللغة ونموها .)) [8] (ج1،ص2) .

3- أورد طائفة من المصطلحات العلمية الشائعة.

4- يسر الشرح والتفسير وضبط التعريفات وقدمها بلغة سهلة واضحة.

5- ابتعد عن الحوشي والغريب، والرموز والألغاز.

6- استعان بالصور والأشكال.

7- يشتمل على أبواب بعدد حروف الهجاء مسلسلة من الهمزة إلى الياء، ومواد كل باب مرتبة فيه وفقا للحرف الثاني فالثالث من الحروف الهجائية .

ثم قدم طريقة الكشف عن الكلمات وفق قواعد محددة وكذا قائمة برموز المعجم .

11.2.المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية ومتعلميها. صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.(1989م):

لم نعثر على دراسات لهذا المعجم إلا في مراجع قليلة، وقد ركزنا على المصادر في دراسته حتى لا نقع في تكرار المعلومات وأهمها كتابي"الحمزاوي "و"عبد العزيز مطر".

يكاد يتفق أغلب العلماء على قلة أهمية المعجم خاصة مع ما كان ينتظر من مؤلفيه، يقول الحمزاوي :" إن هذا المعجم أمره غريب وعجيب لاسيما وأنه صادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألسكو)، والملاحظ في هذا الشأن أن هذه(مقدمته) أول مقدمة لمعجم عربي يكتبها في تاريخ المعجمية العربية موظف سام (يقصد ؛المدير العام السابق للألسكو محي الدين صابر) لا صلة له بالموضوع .)) [26] (ص199) .

فأول نقد وجهه الحمزاوي هو لصاحب المقدمة التي كتبها حسب ما يرى إداري يشيد بإنجازات المنظمة، بعيد كل البعد عن صياغة المقدمة المعجمية التي توضح خطة المعجم ومنهجه وتصوراته وأبعاده ، خاصة وأنه صدر عن منظمة تملك من الخبرات البشرية والإمكانات ما لم يتوفر لغيرها.

أما عبد العزيز مطر فنجده أكثر إنصافا للمعجم حيث أورد في قسم تعريفا بالمعجم واقتطع كثيرا من الأقوال من المقدمة التي كتبها محي الدين صابر ، والتي يظهر فيها كثيرا من معالم منهج المعجم، وهذا ما يردّ ما ذكره الحمزاوي، وفي قسم ثان نقد المعجم وسنأخذ تفاصيل دراسة عبد العزيز مطر تعريفا بالمعجم ومنهجه ونقده فيما يأتي :

1-أما فيما يخص مادة المعجم فيقول محي الدين صابر مبينا تنوعها ومواكبتها للعصر ((وهو المعجم لا يستنكف معنى معاشرة حميمة لحركة اللغة أن يورد الكلمات المولّدة والمعرّبة والدخيلة التي دخلت الحياة ، واستعملها رجال الفكر والثقافة، وأقرتها المجامع اللغوية العربية، على أنه يتجنب الحوشي والغريب ، ويتنكب المهمل والمهجور من الألفاظ، فلا يورد إلا ما هو معروف شائع أوما هو جدير بأن يعرف من مفردات اللغة الحية الجارية على ألسنة العلماء والأدباء والمثقفين والصحفيين وأقلامهم، والمبسوطة في المؤلفات والبحوث والدراسات العربية.

2- هذا وللمعجم سمة موسوعية محددة فهو يتناول عددا من المصطلحات الجديدة الحضارية والعلمية والتقنية ويتعرض في إيجاز إلى طائفة كبيرة من أسماء الأعلام كأسماء القارات والمدن والأنهار وأسماء النابغين في التاريخ العربي من خلفاء وقادة وفقهاء وعلماء وشعراء وأدباء وفنانين...)) [71] (ص56) .

وتوالت المعاجم وكلها من عمل المعلمين والآباء من نصارى لبنان ، إلى أن صدر معجم " متن اللغة " للشيخ أحمد رضا (...)، ويرى الأستاذ شاكر الفحام أن :" متن اللغة يعد صفحة جديدة في حركة المعجم العربي الحديث ، إنه من أوسع المعجمات وأوثقها وأدقها وأضبطها (...) ، وأثبت المؤلف في معجمه الألفاظ الدخيلة التي شاعت في العصر العباسي وتداولها الكتاب في عباراتهم ، والمصنفون في كتبهم ولكنه لم يذكر اصطلاحات العلوم والفنون ، وكأنه أرجأها إلى معجم خاص بها .)) [8] (ع98، ص) .

خلاصة الفصل:

1- إن القاموس المحيط" للفيروزأبادي، هذا المعجم الذي كان أساس كثير من المعاجم اللاحقة وأشهرها وأهمها تاج العروس للزبيدي ومحيط المحيط للبستاني وغيرهما، و قد ظل كذّلك فجعل حلقة الوصل بين المعاجم القديمة والحديثة، فكان قاعدة وأرضية أساس لهذه الأخيرة.وإنه يعتبر من أكثر وأكبر المعاجم التي أسالت الكثير من الحبر في نقدها وتصحيحها والتأسيس عليها لبناء معاجم أكبر .

2- يعتبر معجم محيط المحيط لبطرس البستاني أوّل معجم أنتجه اليسوعيين في مفتتح النصف الثاني من القرن التاسع عشر.)) [6] (ج2،ص568) . و به بدأت أوّل محاولة في التأليف المعجمي في العصر الحديث، بترتيب المعجم بحسب أوائل الأصول كما في أساس البلاغة.

ولئن كان ((هذا العمل الجليل (...) في ترتيب مواد المعجم على هذا النحو ليعد دفعة تطوّرية جريئة نحو تسهيل طلب مفردات اللّغة، وتعلمها (...) إلاّ أنه كما يبدو للمطالع لم يستطع من الناحية الدلالية تجاوز كل الخلل الذي يشيع في ثنايا بعض المواد، كماأنه لم يستقص مدلول اللفظ، ولم ينهج نهجا يجانف التكرار .)) [55] (ص56) . ويعتبره الحمزاوي معجما مخضرما باعتباره حافظ على بعض ما في المعاجم القديمة، وجدّد فيها تأثرًا بالمعاجم الغربية وتلبية لحاجات العصر وأبنائه.

3- تنوعت جهود أحمد فارس الشدياق المعجمية في ميدان الدراسات اللغوية ، ما بين نقد آراء اللغويين القدماء ، ودراسات حول المعاجم العربية القديمة والحديثة ومشكلاتها بشكل عام ،ومحاولة إعطاء صورة لنموذج معجم جديد . ويتفق العالمان(الحمزاوي والودغيري) على أن الشدياق قد اعتمد على ابن الطيب الفاسي لعرض رؤيته ومقاربته المعجمية، ويمكن القول إن كتاب (الجاسوس على القاموس) كان من أسبق المؤلفات اللغوية الداعية إلى الإصلاح المعجمي في القرن التاسع عشر، بعد كتابات أبي الطيب الشرقي كما ذكرنا سابقا ، لأن مقدمة هذا الكتاب أتت تحمل دعوة صريحة إلى تأليف معاجم جديدة تتناسب والعصر، منطلقة من مواد(القاموس المحيط) متجاوزة الأخطاء والعيوب فيه ، مستدركة ما فات صاحبه من ألفاظ وشروح .

4- ويعتبر إلى اليوم [1967] خير معجم مدرسي للعربية في ترتيبه وإخراجه، إذهو يحاكي في ذلك أحدث المعاجم الأوربية فنًّا، خاصة بعد أن أضاف إليه الأب فرديناند توتل سنة 1956 ملحقا باسم "المنجد في الأدب و العلوم" وهو معجم لأعلام الشرق والغرب.ويقول عنه إبراهيم مدكور: "لاشك في أن المنجد" محاكاة صادقة لمعجم "لاروس الفرنسي" فهو ميسّر التبويب، سهل المأخذ، مزوّد بوسائل الإيضاح من لوحات ورسوم وصور .)) [5] (ج1،ص198) .

5- لكن ميزات المنجد لا تعدو كونها شكلية، وهي في مجمل الأحوال لا تمس جوهر العمل المعجمي، وهذه الميزات لا تحجب عنا بالتالي كون هذا المعجم اختصارا لمحيط المحيط، الأمر الذي يجعل المنجد كسالفه المحيط دون مرتبة الركون إليهما، وقد تناوله كثير من العلماء بالنقد والتجريح ، ويذكر أوسع رد على المنجد هو ما جمعه الأستاذ إبراهيم قطان بعنوان "عثرات المنجد في الأدب والعلوم والأعلام" (...) فكان قمة ما كتب عن المنجد وعثراته بأسلوب علمي موثق رصين.)) [39] (ص73) .

6- إن معجم المعجم للعلايلي :"ليس المعجم اللّغوي الصرف، إنّما هو إلى ذلك معجم اصطلاحات علمية وتاريخية وجغرافية واجتماعية،واصطلاحات مقرّرة أومقترحة،وهو فوق ذلك معجم ترجمة ، إذ إن المؤلف حرص في تطلّبه دقة التحديد ووضوح التعريف ، أن يصنع بأسماء الألفاظ المهمّة ، ما يقابلها في الفرنسية والانجليزية ، وإذ بكتابة خمسة معاجم في معجم واحد ".)) [49] (ص408) . فهومعجم لغة و اصطلاح بنوعيه العلمي والفني ومعجم ترجمة أيضا ، وباشتماله وتوسعه في مواده فهو معجم موسوعي أيضا.

7- ويكون بذلك قد جمع بين نوعين من الترتيب في معجم واحد حسب ما تتطلبه أو حسب ما يناسب مواده ، فالمواد اللّغوية ترتب ترتيبا ألفبائيا عاديا باعتماد مبدأ الجذرية الذي يكرس ويحقق مبدأ الاشتقاق في اللّغة .والمواد الاصطلاحية ترتب حسب نطقها حتى يحافظ على قالبها اللّغوي الذي وضعت فيه،وحتى لا تضيع في ثنايا مواد المعجم الكثيرة جدًا والمصطلح قد يبتعد في دلالته الجديدة ابتعادا كبيرا عن الدلالة الأصلية باتخاذه صيغة أوقالبا خاصا لذا يجب إثباته على صورته الحقيقية .

8- وهو إن كان مقلّدا في بعض هذه الخصائص إلاّ أنه مجدّد من حيث استغلالها وتوظيفها جميعها في معجم واحد وهي المتفرقة في معاجم مختلفة قديما وحديثا.

الفصل 3

المعاجم الفنية المختصة القديمة

إن للتأليف المعجمي عند العرب تصنيفا آخر بحسب التعميم والتخصيص وليس بحسب التنظير والتطبيق، ذلك أن المعاجم المؤلفة بالعربية صنفان :

1- وأكثرهما عددا وأوسعهما انتشارا وأشهرهما ذكرا هو صنف المعاجم اللغوية العامة ويمكننا القول بأصح تعبير أكثر المعاجم اهتم بها العلماء مقارنة بالأخرى .

2- هو صنف المعاجم المختصة وهي معاجم ليست في الغالب من وضع اللغويين المعجميين، بل هي من وضع العلماء .وهي إذن لا تشتمل على ألفاظ اللغة العامة، بل على مصطلحات العلوم والفنون. فهي إذن معاجم في المصطلحات العلمية أو الفنية أو فيهما معا)) [21] (ص5-6). والمعجم المختص : هو كتاب يشمل بين دفتيه متنا مصطلحيا متداولا بإحدى المجالات المعرفية، أو الفنية أوالتقنية أوالمهنية أوالعلمية، وترد مداخله مرتبة وفق نمط من أنماط ترتيب المداخل المعجمية ويعد مختصا في حال توفر على بيانات تشمل تعريفات، سياقات وصور وجداول موضحة لمداخله ويوضح التقابل القائم بين المقاربتين الأونوماسيولوجية(Onomasiologique)(وتتسم بالانطلاق من المفهوم إلى الكلمة) والسيماسولوجية(semasiologique) (والتي تعتني بمعالجة هيئة اللفظ للوصول إلى شرح دلالته) .

عرف تصنيفات كثيرة ومتعددة أشهرها:

1- المعاجم المختصة الخاصة : تضم اختصاصا واحدا بعينه.

ونذكر أهم الاختصاصات: علم النحووالفلسفة.والطب والصيدلة والألفاظ الإسلامية (غريب القرآن والحديث ، والفقه ، التصوف) والحيوان والنبات وغيرها.وأغلبها يدخل في إطار المعاجم المختصة الفنية ، فيما عدا الطب والصيدلة ،فإنهما يدرجان في المعجم المختص العلمي . والمعاجم المختصة العامة : تضم مجموعة علوم وفنون ومعارف.والمعاجم المختصة أنواع هي :

1.المعجم الفني المختص: هو المعجم الموضوع في مصطلحات المتكلمين والفلاسفة ومصطلحات المتصوفة ، ومصطلحات الفقهاء، أوالمعاجم الموضوعة في مصطلحات فنون مختلفة مثل كتاب التعريفات للجرجاني، وكتاب الكليات لأبي البقاء ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، فإن هذه المعاجم الفنية وسط بين معاجم اللغة العامة، والمعاجم العلمية المختصة، وهذه المعاجم تثير بدون شك قضايا منهجية معجمية مهمة ،وخاصة في باب " التعريف " لأنها – في جوهرها – معاجم في " التعريفات " ، والإبانة عن " الرسوم و الحدود " لكنها مع ذلك تبقى إلى المعاجم اللغوية العامة أقرب وبها ألصق ، لأن مداخلها المعجمية التي

تكونت منها مدوناتها هي في الغالب من (المولّد العربي) الذي ارتقى – من حيث درجة التخصيص والتعميم – درجة عن اللفظ اللغوي العام، فصار اصطلاحا فنيا، ثم إن كثيرا من ذلك " المولد " قد اشتملت عليه معاجم اللغة العامة لانتمائه إلى العلوم الإسلامية ، مثل الفقه والحديث والقراءات ... وعلوم اللسان(...). فقد اعترف مؤلفو المعاجم اللغوية العامة بفصاحة جل المصطلحات المستعملة في تلك العلوم الإسلامية، وخاصة ما ظهر منها قبل نهاية القرن الرابع الهجري، فدونوها في معاجمهم.

وقرب المعاجم الفنية المختصة من المعاجم اللغوية العامة – في باب الجمع خاصة – قد جعلها تختلف اختلافا كبيرا عن المعاجم العلمية المختصة ، فهي إذن ممثلة لضرب من التأليف المعجمي في العربية يختلف عن التأليف في المعجم العلمي المختص، وهي لذلك تنتمي إلى المعجم العربي المختص عامة، لكنها ذات خصوصيات تجعلها حرية بالدراسة المستقلة عن المعجم العلمي .)) [21] (ص8-9).

2. المعجم العلمي المختص: إن ظهور المعجم العلمي المختص في العربية يعود إلى أواسط النصف الأول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، لكنه لم يكن تأليفا عربيا صرفا بل كان مترجما من اللغة اليونانية، فقد ظهر في النصف الأول من القرن الثالث معجمان في الأدوية المفردة مترجمان من اليونانية هما كتاب " المقالات الخمس " ويسمى أيضا كتاب الحشائش ، و"هيولى الطب" للعالم اليوناني "ديوسقريديس العين زربي "(من القرن الأول الميلادي) ، وهو من نقل اصطفن بن بسيل (من القرن الثالث الهجري) وإصلاح حنين بن إسحاق (ت 260ه ،873م) في أيام الخليفة العباسي جعفر المتوكل (232ه/847م – 247ه/861م) ، ثم كتاب الأدوية المفردة للطبيب الفيلسوف اليوناني جالينوس البرغامي (ت 199) وقد نقله إلى العربية حنين بن إسحاق (...) والكتابان كما يلاحظ من عنوانيهما، في الأدوية المفردة ، أي في مفردات المواليد الثلاثة: النبات والحيوان والمعادن.)) [21] (ص32).

إن جل المعاجم الفنية المختصة في اللغة العربية كانت من وضع علماء اللغة والقرآن والحديث والكلام والفلاسفة، وقد قام محقق كتاب " المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين " لسيف الدين الآمدي".)) [76] (ص72). بإحصاء عدد كبير منها .

1.3. المعاجم الفنية المختصة (فرع من العلوم) :

2.1.3. الكتب المتصلة بالقرآن والحديث:

1.2.1.3.في غريب القرآن:

سنكتفي بذكر الكتب التي ظهرت فيها خصائص أدق وملامح أوضح لخصائص بناء المعجم العربي. ولعل أشهرما وصل إلينا في غريب القرآن الكريم ما يأتي :

1.1.2.1.3. غريب ابن قتيبة (ت276ه): لقد وضح ابن قتيبة غرضه ومنهجه في مقدمته قال: " وغرضنا الذي امتثلناه في كتابنا هذا أن نختصر ونكمل، وأن نوضح ونجمل، وأن لا نستشهد على اللفظ المبتذل، ولا

نكثر الدلالة على الحرف المستعمل، وأن لا نحشو كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد، فإنا لو فعلنا ذلك في نقل الحديث لاحتجنا إلى أن نأتي بتفسير السلف رحمة الله عليهم بعينه، ولو أتينا بتلك الألفاظ كان كتابنا كسائر الكتب التي ألفها نقلة الحديث ، وقد سار فيه ابن قتيبة على نسق القرآن سورة فسورة ثم آية فآية)) [18] (ص10).

من قوله هذا نستنتج أنه كانت توجد كتب في غريب القرآن، فيها مواصفات أراد أن يتجنبها، بعدما رأى أنها تسيء للكتاب وغايته منه، كالاستشهاد على اللفظ المبتذل. وقد أشار إلى مراجعه و منهجه في قوله:" وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين، لم نخرج فيه عن مذهبهم ولا تكلفنا في شيء منه بآرائنا غير معانيهم بعد اختيارنا في الحرف أولى الأقاويل في اللغة وأشبهها بقصة الآية، ونبذنا منكر التأويل،ومنحول التفسير"،.)) [6] (ج1،ص34-35). فهو يجمع بين مصدرين أساسين وضروريين لتحقيق غايته، وهي شرح مفردات غريبة في القرآن الكريم، فقد جمع بين كتب اللغة وكتب التفسير، وهو منهج منطقي يدل على وعي صاحبه بخصوصية مادة معجمه وما تتطلبه من مصادر لا يكفي فيها الإتيان بالشرح اللغوي والشاهد عليه، بل يجب الإحاطة بها من زاوية تتصل مباشرة بالقرآن الكريم وهي كتب علم التفسير.

وظهرت معاجم كثيرة في هذا المجال سميت كتبا ولعل أنضجها هو:

2.1.2.1.3. كتاب " المفردات في غريب القرآن" لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت502ه)، " ولا شك أن كتاب" المفردات في غريب القرآن" من أجل كتبه وأجزلها فائدة فهو تفسير جامع لما ورد في القرآن الكريم من الكلمات الصعبة، وقد رتبه بحسب الحروف الهجائية كما هو الشأن في المعجمات اللغوية .)) [77] (ص4).

منهجه: يقول في مقدمته: " وذكرت أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن أراد أن يدرك معانيه (...)، وذلك ليس نافعا في علم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبد ته، وواسطته وكرائمه، وعليه اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم (...)، وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفي فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي، فنقدم ما أوله الألف ثم الباء على ترتيب حروف المعجم، معتبرا فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد .)) [77] (ص6).فكلامه هذا يبين مدى علم ووعي وإدراك الأصفهاني ضرورة معرفة المفردات اللغوية وتحصيل معانيها، لأن ذلك يمكن من فهم القرآن الكريم فهما حقيقيا تطبيقيا. ولعل فهم القرآن الكريم كان محور كثير من علوم اللغة، كالنحو مثلا الذي ظهر بسبب ظهور اللحن الذي أدى إلى سوء فهمه، وغيره من العلوم العربية المختلفة.

ويشير الأصفهاني إلى أن المفردات هي المحور الذي يدور حوله علماء القرآن، والفقهاء والحكماء، والشعراء والبلغاء، وقد رأى أن يعرض هذه الألفاظ مرتبها ترتيبا ألفبائيا، معتمدا مبدأ الجذرية مبينا معناها اللغوي، ثم الآية أو الآيات وردت فيها ثم شرحها حسب الآية ، أي السياق الذي ترد فيها، فتصبح لها دلالة مجازية جديدة حسب السياق، ، وذكر مشتقاتها، ثم يستشهد بالحديث والشعر دون خروج عن حدود كتابه بذكر أسماء لغويين ومواد خارجة عن اللفظ القرآني.

لنتجاوز القرنين السادس والسابع اللذين لا يخلوان من المصنفات في غريب القرآن، ونصل إلى القرن الثامن مع كتاب "غريب القرآن" لعلاء الدين أبي الحسن علي بن إبراهيم المارديني المعروف بابن التركماني (ت 750 ه).الذي ألف في قرن كان قد عرف قبله كل أنواع الترتيب، وأشهرها الترتيب الألفبائي، ولكنه اختار الترتيب على السور لأنه في نظره أمكن للحفظ.

لنصل إلى كتاب:

3.1.2.1.3. "تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب"، لأثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الجياني ثم الغرناطي (ت 745ه) :

منهجه: قال في مقدمته: "لغات القرآن العزيز على قسمين: قسم يكاد يشترك في فهم معناه عامة المستعربة وخاصتهم كمدلول السماء والأرض، وفوق وتحت، وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية، وهو الذي صنف أكثر الناس فيه وسموه غريب القرآن، والمقصود في هذا المختصر أن نتكلم على هذا القسم وأن نرتبه على حروف المعجم، فأذكر كل حرف منها مع ما فيه من المواد، معتبرا في ذلك الحروف الأصلية والزائدة، مقتصرا في ذلك على شرح الكلمة الواقعة في القرآن العزيز.)) [18] (ص14).

فالملاحظ أنه قد اتبع الترتيب الألفبائي، دون مبدأ الجذرية ونجد تعليق حسين نصار عليه يقول: " وقد لجأ المؤلف إلى ترتيبه وفق نظام غريب يأخذ من نظام الجوهري في المعاجم بعض الشيء] ونظام الجوهري هو نظام القافية (الحرف الأخير فالأول فالثاني ...)] فقد رتب الألفاظ وفقا لحرفها الأول فالأخير، ثم لم يراعي ترتيب الحشو (..) ولم يدخل في اعتباره سوى الحروف الأصلية وحدها [وهذا يناقض ما صرح به في المقدمة]، أما العلاج فغاية في الاختصار، مقصور على الشرح اللغوي السريع للفظ ولا يبين فيه الآية التي ورد فيها، ولا أثر فيه لأسماء لغويين ولا مفسرين ولا شواهد ولا ما إلى ذلك .)) [6] (ج1،ص39).

2.2.1.3. في غريب الحديث:

يراد بغريب الحديث مثل ما أريد بغريب القرآن(...)وقد تكلم الرسول صلى الله عليه وسلم بالكثير من الأقوال في التشريع والمواعظ والآداب،وانتهى إلينا غير قليل من أقواله مضافا إليه أقوال صحابته وتابعيهم، وفي كل ذلك غريب اهتم به اللغويون فدونوا فيه معاجم .)) [18] (ص23).

ويقال إن أول من ارتاد الطريق وصنف في غريب الحديث: أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت 210ه)، وقد ذكر الشرقاوي في معجمه ما يقارب سبعين كتابا في غريب الحديث ، ولم يورد كتاب أبي عبيدة في الأول بل ذكر قبله أربعة كتب، ونجده يقول في تعريفه بغريب أبي عبيدة " قال عنه ابن الأثير في مقدمة نهايته " قيل إن أول من جمع في هذا الفن شيئا وألف أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي، فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتابا صغيرا ذا أوراق معدودات، ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث، وإنما كان ذلك لأمرين: أحدهما أن كل مبتدئ لشيء لم يسبق إليه ومبتدع لأمر لم يتقدم فيه عليه فإنه يكون قليلا ثم يكثر،وصغيرا ثم يكبر، و لم يذكر الأمر الآخر.

والعجيب والغريب أن الشرقاوي لم يعلق على ما ذكره ابن الأثير عن أسبقية وأولية كتاب أبي عبيدة وهو من جهته ذكر أربعة كتب قبله.

على كل فإن التأليف في غريب الحديث قد تأخر عن التأليف في غريب القرآن ربما كان ذلك لسبب تأخر تدوين الحديث الشريف والانشغال بكتابة القرآن أكثر منه، فكان التأليف في غريبه في نهاية القرن الثالث تقريبا، ونجد في كتاب حسين نصار تفصيلات عما يزيد عن عشرة كتب في غريب الحديث، مبينا منهجها في التأليف، وسنركز على أشهرها وهما: كتاب "الفائق في غريب الحديث" لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري (ت538 ه)، الذي فاق كتب الحديث مادة فقد كان " أغزر كتب الحديث مادة لغوية حتى عصره .)) [6] (ج1،ص49).

و"النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (ت 606ه): والذي انتهى فيه صاحبه إلى حصاد طيب في شرح غريب الحديث، واعتمد كثيرا في كتابه على كتاب غريب القرآن والحديث للهروي، وكتاب " المغيث في غريب القرآن والحديث " لأبي موسى محمد بن أبي بكر المديني، ولا يعرف أحد صنف في غريب الحديث بعد ابن الأثير سوى ابن الحاجب (ت 646ه)، وانحصرت الجهود بعد ذلك في التذليل على النهاية واختصارها.

وكتاب "الغريبان" أو" المغيث في غريب القرآن والحديث" لأبي موسى محمد بن عمر بن أحمد المديني الأصفهاني (ت 581ه) .)) [18] (ص36).

والترتيب هو الترتيب الألفبائي حسب الأواخر (القافية)، ناظرا للحرف الأول والثاني والثالث، دون الأخذ بمبدأ الجذرية، وما يلاحظ أنه ألف في الوقت الذي اشتهر فيه نظام القافية وعرف قمة تطوره مع الجوهري في صحاحه في قرن المعاجم، القرن الرابع الهجري، ونفس الكلام يقال على كتب الغريبين ومنها الكتابان اللذان اعتمدهما ابن الأثير، الفرق فقط هو في معالجة المادة بإيراد شروحها ومشتقاتها وتفسيرها في القرآن والحديث معا، مع الاستشهاد كغيره من الكتب السابقة سواء في كتب غريب القرآن أو الحديث بالقرآن والحديث والشعر والنثر.

3.1.3 معاجم في لحن العامة والتصويب اللغوي:

ظهر اللحن في العربية بعد ظهور الإسلام بوقت ليس ببعيد، وذلك لأن العرب كانت أمة تتحدث على السليقة، وكانوا يتفاخرون بأشعرهم وأفصحهم، وبنزول القرآن الكريم وانتشار الإسلام وخروج العرب من بوتقتهم ودخول الأعاجم في الإسلام، أدى كل هذا إلى اختلاط وامتزاج الحضارات، ولعل أولى مظاهر هذه الحضارات هو اللغة، فبدأ العرب نتيجة لذلك الاختلاط والاحتكاك يفقدون سليقتهم شيئا فشيئا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بدأ الأعاجم يتعلمون العربية لغة دينهم الجديد، أدى هذا إلى شيوع اللحن وانتشاره بين العرب أنفسهم وعلى ألسنة الأعاجم منذ وقت مبكر جدا، فدق ناقوس الخطر خاصة عندما وصل هذا اللحن إلى خاصتهم وهم قراء ومقرئي القرآن الكريم، وأصبح يهدد العربية في صحة فهمهم قرآنهم وفي بنائها اللغوي العام، ولعل عمل أبي الأسود الدؤلي لمواجهته كانت أولى وأنجح الخطوات في إبعاده عن القرآن الكريم (نقط الإعراب) ثم توجهت جهود أبناء العربية إلى اللغة ذاتها، فألفت كتب في لحن العامة وفي لحن الخواص أيضا.

((وإذا أردنا أن نصنف هذه الكتب وفقا للمنهج الذي اتبعته في ترتيبها وجدنا ثلاثة أصناف، فالصنف الأول وهو الأيسر لم يسر على طريقة معينة (...)يتبع مناهج الكتب القديمة في غالبها،(...) واختلفت كتب هذا الصنف في علاج ألفاظها، فذهبت فئة إلى الاختصار بتقليل الشواهد والاقتصار على ذكر اللحن وإبانة موضع الخطأ فيه وصوابه وعدم الاستطراد .)) [6] (ج1-ص79-80).

وكتب اللحن الأخرى كثيرة الاستطراد والشواهد تحتفل بالمسائل الأدبية والنحوية والصرفية والبلاغية و ما إليها، وتمثل أحسن التمثل في "درة الغواص" للحريري وشرحها للشهاب الخفاجي، وما دار حولها من كتب. واتبع الثاني التقسيم إلى فصول، تحتوي على أنواع متشابهة،و طرح الفوضى التي في كتب الصنف الأول، وقسموا كتبهم إلى فصول باعتبارات مختلفة .)) [6] (ج1،ص81).

أما الصنف الثالث فالتزم الترتيب الألفبائي، وأحب أن أضيف إليها صنفا رابعا اتخذ طريقة الجداول، وان تنوع الترتيب في داخلها.

على العموم إن هذه المعاجم قد " عالجت الأخطاء التي أخذت تتفشى في اللسان العربي بعد الفتوحات الإسلامية (...)، والتي تمثلت في تصحيف الحروف، وفي تغيير أبنية الكلم بالزيادة فيها أو النقص منها، وفي تخفيف المشدد وتشديد المخفف، وتحريك المسكن وتسكين المحرك، ومنه الغلط في النسبة وفي التصغير وتعميم الخاص أو تخصيص العام"، وغير ذلك من أنواع الخطأ التي ألف فيها عدد كبير من الكتب، تحمل في الغالب عنوان "ما تلحن"، أو "لحن" أو"ما خالفت العامة أوالخاصة" أو" إصلاح المنطق" أو"التنبيه على الغلط" وهي تعرض للخطأ وترشد إلى الصواب، فهي إذا من قبيل كتب أومعاجم التصويب اللغوي وقد تعرض لها حسين نصار بكثير من التفاصيل حاصرا المؤلفات وأصحابها ومناهجها ومادتها قديما وحديثا. وقد حصرها الشرقاوي في معجمه حيث بلغت ما يزيد على مائة كتاب وأشهرها إصلاح المنطق لابن السكيت، أدب الكاتب لابن قتيبة، وفصيح ثعلب ودرة الغواص للحريري .)) [18] (ص94).

وقد أورد محمد حسين آل ياسين نماذج كثيرة في كتابه مبينا مناهج أصحابها وخلص إلى أن كتاب "الفاخر فيما يلحن فيه العامة" للمفضل بن سلمة، انصب في معالجته على الأساليب اللغوية بعد أن كان كتاب ابن السكيت "الحروف التي يتكلم بها في غير مواضعها" خاصا بالمفردات، وكتاب الكسائي " ما تلحن فيه العوام" خاص بالأصوات، (انتقال اللحن من الصوت وصولا إلى السياق).

4.1.3.معاجم في الفقه:

كانت العلوم الدينية أسبق العلوم ظهورا وأكثرها انتشارا في المجتمع العربي في أكثر عصوره، وكان للفقه من هذه العلوم منزلة خاصة، (...) ومن الطبيعي أن يتبع هذا الازدهار والانتشار اصطلاحات خاصة يستعملها أهل الفقه، تختلف عن المعاني اللغوية الخالصة اختلافا قريبا أحيانا، وبعيدا في أحيان أخرى، فعني الفقهاء وأهل اللغة بشرحها.

وتشترك كتب الفقه الإسلامي جميعها في أنها اتخذت كتبا فقهية كبيرة أساسا لها، أوشروح بعض العلماء أو مختصراتها أومذهب العلماء، يستنبطون منها الألفاظ الفقهية ويشرحونها ويفسرونها، فتأتي على صورة معاجم تحمل مصطلحات فقهية، وفيما يلي عرض لأهم هذه المصنفات مبينة أهم خصائص بنائها من الناحية المعجمية، وقد حاولنا التركيز في العرض على تلك التي تلمس فيها تطورا أو اختلافا في البناء.

1.4.1.3. المعاجم المرتبة وفقا لأبواب الفقه:

1.1.4.1.3. طلبة الطلبة للنسفي (ت537هـ):ألفه نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي، وكتابه كما يقول محققه الشيخ خالد العك: ((أول كتاب لغوي فقهي جمع فيه مؤلفه رحمه الله معاني الألفاظ والكلمات التي استعملها الفقهاء الأحناف.)) [79] (ص61).

اعتمد الترتيب الموضوعي وفقا لأبواب الفقه، و" النسفي مهتم جدا بانتقال معنى اللفظ من المجال اللغوي إلى المجال الشرعي (الاصطلاحي) والاستشهاد على ذلك بشعر العرب في جاهليتها وبالقرآن والحديث، كما أنه معني بإيراد الألفاظ الفارسية التي تكافئ المصطلحات العربية، ومع عنايته البالغة ببيان المعنى اللغوي الاصطلاحي يهتم بضبط بنية اللفظ وبيان تصريفه واشتقاقه معتمدا في ذلك على المعجمات المشهورة .)) [80] (ص120-121).في ذلك الوقت.

2.1.4.1.3. تحرير التنبيه للنووي (ت 676هـ): ألفه محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي.
وهو معجم لغوي فقهي على أبواب الفقه، بحسب ورودها في كتاب"التنبيه" للفقيه الشافعي جمال الدين أبي إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الفيروزأبادي الشيرازي(ت476 هـ).

لقد جرى النووي على ترتيب أبواب الفقه على النحو الذي جرى عليه الشافعي في (الأم: التنبيه) والمزني في (المختصر) مع اختلافات يسيرة في الأبواب الفرعية ،وفي منهجه في علاج ألفاظ التنبيه يقول: " أذكر في هذا الكتاب جميع ما يتعلق بألفاظ التنبيه فأميز فيه إن شاء الله، اللغات العربية والمعربة والألفاظ المولدة والمقصورة والممدودة وما يجوزان فيه، والمذكر والمؤنث وما يجوزان فيه، والمجموع والمفرد

والمشتق، وعدد لغات اللفظة .)) [80] (ص126). وغيره مما يتصل بتصريف الكلمة واشتقاقها وغير ذلك. ولم يكتف النووي بالناحية الدلالية والنحوية والصرفية والاشتقاقية للكلمة بل أشار ما يتعلق بها من مستويات لغوية: كالفصيح (العربي) والمعرب، والمولد. " مع عناية خاصة بتعريف المصطلح تعريفا فقهيا يقول: " وأذكر فيه جملا من الحدود الفقهية المهمة (...) والفرق بين المتشابهات .)) [80] (ص127).

2.4.1.3.المعاجم المرتبة وفقا لحروف المعجم:

1.2.4.1.3. المغرب في ترتيب المعرب لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد المطرزي الخوارزمي(ت610هـ): للمطرزي مصنف لغوي كبير هو (المعرب في اللغة) ألفه أولا ثم اختصره وهذبه ورتبه على حروف المعجم في (المغرب) مضيفا عليه فوائد وزوائد.

هو معجم لغوي فقهي، عنى فيه المطرزي بشرح غريب الألفاظ المتداولة في كتب الفقه الحنفي على غرار ما فعله الأزهري في (الزاهر) من شرح غريب ألفاظ الشافعي، على أن المطرزي خطا خطوة بعد الأزهري بترتيب تلك الألفاظ على حروف المعجم لا على أبواب الفقه كما فعل الأزهري، كما أنه حشا معجمه بغرائب اللغة وأعلام البلدان والرجال مع الاستشهاد بالقرآن والحديث وأقوال أئمة اللغة، فغدا كتابه أشبه بموسوعة لغوية فقهية موجزة .

وقد رتب المطرزي الألفاظ التي جمعها على حروف المعجم(أ ب ت ث ....إلى ي)، مع تجريد اللفظ من زوائده وإرجاعه إلى الثلاثي مع اعتبار الحرف الثاني، أما ما زاد على الثلاثي من الأصول فلم يراع فيه بعد الحرفين الأولين إلا الحرف الأخير

وقد أنهى المطرزي معجمه بذيل ضم فيه كثيرا من ضوابط اللغة والنحو والصرف وحروف المعاني وما إلى ذلك مما يحتاج اللغوي والفقيه، وقد كان لهذا المعجم أثر واضح فمن جاء بعده، فتابعه الفيومي في المصباح المنير.

2.2.4.1.3. المصباح المنير للفيومي(ت770هـ) : ألفه أحمد بن محمد علي الفيومي.وكان قد وضع كتابا مطولا في غريب شرح "الوجيز"(لصاحبه الغزالي) للإمام الرافعي لكنه توسع فيه فوعرت مسالكه وخشي أن يمله قصاده، فاختصره ورتبه على حروف المعجم ليسهل تناوله.

والمصباح على وجازته، من أفضل المعجمات وأحكمها في ضبط الكلمة وتصريفها مع عنايته بتدقيق المعاني الشرعية للألفاظ المتداولة بين الفقهاء والتي اختارها من الشرح الكبير، و يدرجه كثير من العلماء في قسم المعاجم اللغوية العامة.

5.1.3. معاجم في علم الكلام:

عرف البحث في الأحكام الاعتقادية للشريعة الإسلامية أو الأصول الدينية الكلية للإسلام باسم (علم الكلام) أو (أصول الدين) أو (الفقه الأكبر). وقد جمع المصنفون الذين سنعرض لكتبهم بين مصطلحات الكلام وأصول الفقه وأحيانا الفلسفة أيضا.

1.5.1.3. كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية لأبي حاتم الرازي الإسماعيلي(ت 322هــ) : عــرض فيــه المصطلحات الإسلامية من منظور كلامي، مشروحة لغويا، مع التنبيه على ما لحقها من تطور في المعنــى (...) وهي في معظمها مصطلحات دينية وردت في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشــريفة .)) [81] (ص2). يعد كتابه أقدم كتاب في المصطلح العلمي بوجه عام بعد كتاب الكندي.

إن الكتاب يتوفر في الجانب الأكبر منه على شرح المصطلحات الكلامية، وذلك بعد أن يعرض فــي مفتتحه لطائفة من الكلمات التي وردت في الشعر والنثر ويشرحها شرحا لغويا منبها على مــا لحقهــا مــن تطور في المعنى، (...) وكلها مصطلحات دينية كلامية .)) [76] (ص27).

2.5.1.3. المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين للأمدي(551هــ، ت 631هــ): ألفــه ســيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن محمد بن سالم الآمدي. يعد الكتاب واحدا من الكتب القليلة لمتكلم ســني في المصطلحات الكلامية، و ينبه المؤلف كعادته في مؤلفاته الأخرى على التفاوت في الموقف الفكــري وبالتالي وفي مدلول المصطلح الواحد لدى المتكلمين من ناحية، والفلاســفة مــن ناحيــة أخــرى.)) [76] (ص47).

يضم متن الكتاب فصلين، "أدرج في الفصل الأول الألفاظ كيفما اتفق دون ترتيب معــين (...) أمــا الفصل الثاني فقد عرف فيه المؤلف كل لفظة على تتابع ورودها في الفصل الأول تعريفا حديا وفقــا لعلــوم الكلام والفلسفة.)) [82] (ص400). يقول: " وسميته المبين في شرح معاني "ألفاظ" الحكماء والمتكلمين وقد جعلته مشتملا على فصلين:

الفصل 1: في عدة الألفاظ المشهورة.

الفصل 2: في شرح معانيها والله الموفق للصواب.

يجمع الكتاب بين المصطلحات الكلامية والفلسفية شاملة المنطقية.

ويقترب فيما يتعلق بالمصطلحات الفلسفية، من طريقة ابن ســينا فــي "رســالة الحــدود"..)) [76] (ص48).

6.1.3. معاجم في الفلسفة:

لقد بدأ التأليف في المصطلح الفلسفي منفصلا عن التأليف في المصطلح الكلامــي أول الأمــر، ثــم صارت تجمعها مؤلفات واحدة فيما بعد، ويبدو أن صلة التأثر والتأثير بينهما في مجــال المصــطلح كانــت تبادلية، أعني أن الفلسفة كانت تحاول في البداية التعبير عن قضاياها باصطناع لغة المتكلمــين بينمــا عمــد المتكلمون المتأخرون إلى لغة الفلسفة واصطلاحاتها فمزجوها بلغتهم،(...)ويمثل كتاب "المبين"،(...) ظاهرة الترابط المستحدث بين الكلام والفلسفة في مجال المصطلح الفني .. ترابط لم نجل دون اســتمرار العلاقــة القديم بين الكلام وأصول الفقه في المجال نفسه .)) [76] (ص22).وفيما يأتي يحل عــرض لــبعض هــذه المؤلفات المعجمية في هذا المجال:

1.6.1.3. رسالة حدود الأشياء ورسومها للكندي (ت252هـ) :ألفها أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، وهي الرسالة الثانية من القسم الأول من رسائل الكندي الفلسفية.

يقول محققها محمد عبد الهادي أبوريدة، " هذه الرسالة تشتمل على تعريفات كثيرة لأمور أو مفهومات متنوعة مأخوذة من ميادين علوم شتى، وهي تذكر دون مبدأ في ترتيبها ودون مراعات قاعدة معينة في التصنيف وقد يكون فيها تكرار أو غموض، مرجعه في أغلب الظن إلى عدم الدقة من جانب الناسخ أحيانا.)) [83] (ص109).

وقد أورد الكندي تعريفات مصطلحاته في هذه الرسالة دون أي ديباجة أو كلام يمهد الحديث على غرار الرسائل الأخرى، مما جعل بعض العلماء يشككون في نسبتها إليه، وإن رجح المحقق أبوريدة نسبتها إليه للتشابه الكبير بين تعريفاتها وتعريفاته والله أعلم.

تضم الرسالة ما يزيد على مائة مصطلح عرف بعضها غيره مرة، وتمتاز تلك التعريفات بالدقة والتحديد والاختصار ولا تخلو من تأثر ببعض لمفاهيم الكلامية .)) [83] (ص22).والتعريفات تعبر عن "أمور أومفهومات منوعة مأخوذة من ميادين علوم شتى وهي تذكر دون مبدأ في ترتيبها ودون مراعاة قاعدة معينة في التصنيف، وإذا ما قورنت برسالة جابر تبين أن رسالة جابر تمثل مرحلة نشأة المصطلح الفلسفي وبداية التعامل به، أما رسالة الكندي فقد تطورت بالمصطلح الفلسفي إلى مرحلة متقدمة من حيث دقة الحدود وتوسع مدلولاتها، و" تعد أول معجم وصل إلينا للمصطلحات الفلسفية عند العرب.)) [84] (ص19-20).

2.6.1.3. رسالة الحدود لابن سينا (ت428هـ) : ألفها أبو علي الحسين بن عبد الله الشيخ الرئيس ابن سينا وهي الرسالة الرابعة من مجموع رسائله في الحكمة والطبيعيات.)) [85] (ج1،ص50). وتتألف من ثلاثة وسبعين (73) مصطلحا وتعريفا.

وترجع قيمة هذه الرسالة إلى أنها تشكل نظرية متكاملة في الحدود، فإنها تمتاز على رسالة الكندي بمقدمة بين فيها كيف تحصل الحدود والرسوم، مدركا صعوبتها، يقول: "وتبتدئ قبل ذلك بالدلالة على صعوبة هذه الصناعة، ويقول: " أما الصعوبة التي يحسب الحد الحقيقي فهي أمر ليس بعادتنا وإشفاقنا على أنفسنا من الزلة وإنما هو بحسبها"، ثم يسرد سبب هذه الصعوبة ليصل إلى القول:" فهذه الأسباب وما يجري مجراها مما يطول به كلامنا هاهنا توسينا عن أن نكون مقتدرين على توفية الحدود الحقيقية حقها إلا في النادر من الأمر، ويبتدئ حدوده ب: حد الحد، ثم في الرسم وهكذا. .)) [85] (ص52،51).

ويؤثر في تعريفاته أسلوبا أكثر بسطا وتفصيلا معرضا عن الإيجاز الذي التزمه الكندي ومن تابعه ليستغرق في بيان حقيقة واحدة عدة صفحات (...)، وهو وإن اقتصر على المفاهيم الفلسفية لم يخل من إشارة إلى رأي الأطباء، والمتكلمين أحيانا وإن لم يصرح بذلك، ويحتفظ كما فعل أسلافه باللفظ الأجنبي المصطلح متى شاع وانتشر كالهيولى والاسطقس، ويورد مصطلحاته وهي قليلة العدد دون ترتيب هجائي أو موضوعي .)) [76] (ص25-26).

7.1.3. معاجم في علم التصوف:

لقد استقى الصوفيون مصطلحاتهم من مصادر متعددة ، وقد كان القرآن الكريم المصدر الأول لهم، ثم الحديث والفقه ثم النحو وعلم الكلام والفلسفة وحتى من العلوم البحتة كالكيمياء والفلك وعلم التنجيم ، ومن الأدب خاصة شعر الغزل ، فهم قد أخذوا ألفاظهم من مختلف هذه العلوم وألبسوها مدلولات قد لا تخطر على بال أصحاب هذه العلوم ولا يفهمها إلا أهل الذوق الصوفي.

ويذهب بعض الدارسين إلى أن المتصوفة كان لهم دور بارز في وضع علم الاصطلاحات .))[86] (ص46) . وذلك راجع إلى أن الكثير من المتصوفة تصدوا للبحث في مصطلحات التصوف منذ وقت مبكر، وذلك بهدف تقريبه إلى الآخرين نظرا لخصوصية دلالته الاصطلاحية .

وعليه إن الحديث عن المصطلح الصوفي سيضطرنا خاصة إلى الحديث عن مصادره التي تتوعت على غرار أغلب علوم العربية بين مؤلفات مصنفة ، ومعاجم. وعليه سأحاول الاقتصار على المشهور من معاجم ومؤلفات مصطلحات الصوفية وطريقة عرضهم وشرحهم وتعريفهم لها ، مركزة على القسم المعجمي منها.

1.7.1.3. الفتوحات المكية لابن عربي : ألفه محي الدين بن عربي، وهو موسوعة تمثل مذهب ابن عربي الفلسفي وتجربته الروحية، بل موسوعة الفكر الصوفي منذ أن بدأ حتى انتهى إلى ابن عربي ، وفي هذه الموسوعة معجم صوفي صنعه ابن عربي على نحو فريد ، وفيها عرض موجز لمفهوم الاصطلاح وغرضه عند الصوفية.

ويضم المعجم مائة وثمانين مصطلحا أفردها برسالة ذكر في مقدمتها أنه صنفها إجابة لمن سأله أن يضع رسالة في اصطلاحات الصوفية تشرح لغير السالكين طريقهم ما يجري بينهم من ألفاظ،والرسالة مستخرجة من الفتوحات وموجزة وعلى غير ترتيبها فيها.

منهجه:

قد ذكر ابن عربي المصطلحات تحت عنوان طريف هو"مساق المسلسل في لغة العرب : شرح ألفاظ اصطلاح القوم .)) [86] (ص46).غير أن ابن عربي جعل المصطلحات جميعا بابا واحدا ، بدأه بكلمة التصوف التي تعقبها وتتعلق بها كلمة اليقظة التي تعقبهاوتعلق بها كلمة الانتباه (...) إلى آخر الباب ، فحصل بذلك فائدتان ، الأولى معرفة المصطلح في حد ذاته ، والثانية معرفة علاقاتهم بالمصطلحات الأخرى ، وكان المسلسل هذا يعطينا قمة التعالق الدلالي والمفهومي في المنظومة المصطلحية الصوفية.

هذا ويحدد ابن عربي مدلول المصطلح عند الصوفية بعامة إذا كان المصطلح عاما أوعند صوفي بعينه إذا كان منسوبا إليه ، أوعنده إذا كان خاصا به(...) كما يحدد المعاني المتعددة للمصطلح .))[80] (ص152) .

2.7.1.3. اصطلاحات الصوفية للكاشاني (ت 835ه أو 836ه) : ألفه كمال الدين أبو الغنايم عبد الرزاق الكاشاني وله أيضا في المصطلحات الصوفية :" رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال " و"لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام ".ويرى محمد حسن عبد العزيز أن هذا المعجم (أول معجم مختص بالمصطلحات الصوفية مرتب وفق حرف (أ ، ب ، ج ، د ، هـ ... الخ) وهو قسمان: قسم في بيان المصطلحات (...) وبوبه على ترتيب حروف (أ ، ب ، ج ، د) ، وقسم في بيان التفاريع المذكورة بأسرها والإشارة إلى ترتيبها وحصرها وبوبه على ترتيب كتب (منازل السائرين إلى رب العالمين للهروي) .))[80] (ص152) .

فكان تأليفه له أصلا " تلبية لدعوة أهل العلوم المنقولة والمعقولة في عصره إلى أن يفسر لهم ما جاء في كتاب "منازل السائرين/ من مصطلحات صوفية مبهمة ". ويذكر جواد حسني سماعنة أنه قد رتب القسم الثاني تصنيفا رياضيا يناسب المقامات التي يتغير صدر كل منها مع مدلول المصطلح .))[82] (ص397) .

وكتابه الثاني " رشح الزلال " لا يختلف كثيرا من ناحية منهجه عن كتابه "اصطلاحات الصوفية" ، وترد المصطلحات في هذا الكتاب دون ترتيب لفظي أوموضوعي مطرد ، وأغلب مصطلحاته وتعريفاته للهروي وابن عربي .أما " لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام " فقد رتب مصطلحاته على حروف المعجم (أ ، ب ، ت ، ث ... إلى الياء) مع مراعاة الحرف الثاني.

ويأخذ الكاشاني مصطلحات عن ابن عربي الذي وردت عنده مترابطة ،متوالية وفق علاقات معتبرة عند هذا الأخير ، فيوزعها على حروف المعجم فيفقدها ترابطها في أغلب الأحوال ، وإن كان كما أشار يلحق المصطلحات بعضها ببعض .))[80] (ص154) .

8.1.3. معاجم في علم النحو:

بعدما كان الحد النحوي عبارة تطالعنا مفتتح الأبواب والمباحث النحوية، ظهرت معاجم كثيرة في النحو اختصت بالحدود النحوية ،وإن التأليف فيها على هيئة كتاب مستقل قد عرف منذ وقت مبكر، فقد ألف الفراء (207هـ) وثعلب (291هـ) والرماني(384هـ) .))[87] (ص) . وغيرهم و أهم هذه المعاجم ما يأتي :

1.8.1.3. شرح كتاب الحدود في النحو للفاكهي (899هـ ت972هـ) :ألفه جمال الدين عبد الله بن أحمد الفاكهي: له كتاب "الحدود النحوية"، وهو متن هذا الكتاب، اقتصر فيه المؤلف على ذكر حدود المصطلحات النحوية فحسب دون شرح أو شواهد أو أمثلة.

ويبدو من شرح الفاكهي للحدود عنايته بالتدقيق في بيان الحد وما يحترز به عليه، ويفسر الكلمات الواردة فيه، بل وإعرابها أحيانا. والاستشهاد عليها وبيان اختلاف النحاة في الحد، والنزعة المنطقية واضحة في تقسيماته، وهو يستخدم مصطلحات المناطقة وينحو نحوهم الجدلي، ولا غرابة في هذا فالكتاب جماع ما

انتهى إليه نحو المتأخرين من شراح الألفية وغيرها من متون النحو المشهورة وشروحها .))[80] (ص138-139) .

يقول محقق كتابه المتولى رمضان أحمد الدميري:" الشروح المتداولة تتنوع في تناولها لمتونها إلى نوعين:

1- أن يأخذ الشارح قطعة من المتن بحروفها ويضعها في كتابه مستقلة. ثم يتحدث عنها شارحا على جهة الاستقلال أيضا.

2- أن يخرج الشارح بين كلمات المتن والشرح، فيداخل بينهما بحيث يكونان بعد المزج أسلوبا مترابطا.

وقد أخذ الفاكهي: " في شرحه هذا بالطريقة الثانية، وقد صرح هو بذلك في الشرح .يقول : فقد كنت ألفت حدودا في النحو جمعتها من كتب [جمة] ثم سنح لي أن أضع عليها شرحا ممتزجا بكلماتها، يناسبها في الاختصار والإتقان، كافلا لحل مبانيها وتوضيح معانيها"، فقام أولا بتأليف كتاب في الحدود باعتماد مصادر مختلفة، ثم قام بعدها بشرح هذه الحدود وتوضيح معانيها،"الكتاب ليس مقسما إلى أبواب أو فصول وإنما هو يسرد الحدود على التوالي، إلا أنه يجمع بين الحدود المتقاربة أو التي ينتظمها موضوع واحد" ، .))[87] (ص23) . فهو إذن لم يتبع ترتيبا محددا كالترتيب حسب الحروف أوغيره، واقترب قليلا من الترتيب حسب الحقول الدلالية وإن لم يجعلها على شكل أبواب.

2.3. المعاجم المختصة العلمية:

1.2.3. مرحلة الانتقال من المعجم اللغوي العام والفني إلى المعجم المختص العلمي: قبل الانتقال إلى الحديث عن المعجم المختص العلمي في مجال الطب بالتحديد -وهو أشهر المجالات العلمية التي كان لها اهتمام كبير - يجدر الحديث عن معجم يشكل مرحلة انتقالية من المعجم اللغوي والفني العام والمختص إلى المعجم المختص العلمي وهو : كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري :(ت 282 هـ / 895م) : حلقة بين المعاجم اللغوية العامة والعلمية المختصة القديمة:

لقد كثر التأليف في النباتات تمهيدا لظهور كتاب جليل القدر في صفات النبات وأسماء أعيانه ... ألا وهو " كتاب النبات " لأبي حنيفة الدينوري (ت 282 هـ) .و هذا الكتاب موسوعة في حوالي ستة أجزاء ، أربعة منها في موضوع النبات عامة ، واثنان في مصطلحات النبات خاصة ، مرتبة على حروف المعجم (...) وقد نحا نحو سابقيه من اللغويين في[المصادر]والتمثيل بالشواهد وخاصة من الشعر والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف (...) إلا أن أبا حنيفة قد تجاوز سابقيه من اللغويين المؤلفين في المادة النباتية تجاوزا كبيرا ، بإتيانه بإضافات كثيرة مهمة ، وأهم إضافاته كان في منحنين

1.1.2.3. في ترتيب المادة : إن مواد كتاب أبي حنيفة قد أخضعت لنوعين من الترتيب أولهما هو الترتيب الموضوعي على غرار ما فعله أبو عبيد الهروي في الغريب المصنف ،(...) ، وثاني النوعين هو ترتيب أسماء أعيان النبات على حروف المعجم في الجزئين الأخيرين من الكتاب (...)، وقد اتبع ترتيبا ألفبائيا عاديا من الألف إلى الياء ، ولم يراع في مداخله المعجمية الجذور الأصول ، بل أثبت مداخله غير معراة من زوائدها (...) إلا أن ترتيب مداخل الكتاب شديد الاضطراب والخلل ذلك أن المؤلف لم يراع في الكلمة إلا حرفها الأول (...) أما تتابع الحروف الثواني والثوالث وما يليها فقد أهمل .)) [21] (ص27-28) .

وكأن الفصلين الأخيرين هما صورة بدائية بسيطة ومرحلة أولى لظهور معاجم المصطلحات مرتبة ترتيبا ألفبائيا من لدن معاجم مفردات لغوية .

2.1.2.3. والمنحنى الثاني الذي ظهر فيه تجديد أبي حنيفة في كتاب " النبات " هو " التعريف العلمي " ، فإن تعريف المداخل أي أسماء أعيان النبات في كتاب " النبات " يختلف اختلافا كبيرا عن التعريف في معجم الخليل بن أحمد " كتاب العين " ومعجم أبي عمرو الشيباني " كتاب الجيم " ،[وغيرهما] فإن التعريف عندهم تعريف لغوي عام يقوم في الغالب على المزاوجة أوالمضادة أوالإخبار الموجز عن الماهية(...) وهذا الصنف من التعريف يسمى تعريفا لفظيا ، وهو الغالب في معاجم اللغة العامة ، أما أبو حنيفة فقد تجاوز هذا الصنف إلى صنف ثان يعرف عند المحدثين بالتعريف المنطقي (...) وهذا الصنف هو الذي يغلب في المعاجم العلمية المختصة .)) [21] (ص29) .- وأهم الأركان التي بنى عليها أبو حنيفة تعريفه المنطقي أربعة :

1- التعريف اللغوي المحض . وثانيها التعريف العلمي بخصائص النبات . وثالثها التعريف بمنافعه ، ورابعها التعريف بمواضع نباته ، غير أن هذه الأركان ليست قارة في كامل مداخل الكتاب ، ولم يتبعها أبو حنيفة اتباعا صارما.)) [21] (ص30) .وذلك حسب ما يتوفر لديه من معلومات حول المادة النباتية قلة وكثرة.

ولعل هذا التجديد الحاصل في طريقة عرض المواد المعجمية وطريقة شرحها وتعريفها لدى أبي حنيفة الدينوري راجع لعاملين مهمين توفرا له في ذلك العصر وهما : اعتماده أقوال الأطباء والأخذ باصطلاحاتهم ، وهذا أمر مستحدث لحداثة المادة الطبية المنقولة خاصة عن الكتب اليونانية ، لا نعرف له عند غير أبي حنيفة من اللغويين سابقة ، فقد كانت ألفاظ الأطباء واصطلاحاتهم من المولد المحدث الذي لا يعتد بفصاحته ،ولكنه خالف غيره من اللغويين واعتمده في معجمه اللغوي العلمي إن صحت التسمية .و ظهور المعجم العلمي المختص في اللغة العربية قبل كتاب أبي حنيفة ، وقد ظهر في أواسط النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، كما سنرى لاحقا إن شاء الله.

حوى معجم الدينوري في النبات إلى جانب الألفاظ اللغوية العامة ثروة مصطلحية خاصة بالنبات وما يتعلق به ،وهي خطوة جريئة وعظيمة خطاها الدينوري في نقل التأليف المعجمي من اللغوي العام إلى المختص . فكان معجمه وسطا بين المعجم العام والمعجم العلمي المختص .

2.2.3. المعجم العلمي المختص في علم الطب:

- أخذت دراسة النباتات والحشائش الطبية في العصور الوسطى مكانة هامة في البحوث الطبية، وإليها ترتكز معظم الجهود في تركيب الأدوية والعقاقير الطبية ، وقد بدأت هذه الدراسات في وقت مبكر جدا، ويعود الفضل الأول في ظهورها إلى ترجمة عملي العالمين والطبيبين اليونانيين بدانيوس ديوسقريدس العين زربي وجالينوس البرغامي، الذين اشتهرا بكتابيهما عن الأدوية والحشائش الطبية ومركبات الأعشاب، وهما :"المقالات الخمس "أو "الحشائش"للأول منهما، وهو في الحقيقة قاموس مختص في الأدوية المفردة، أي في مواليد الطبيعة الثلاثة التي تكون أدوية مفردة وهي النبات والحيوان والمعادن.)) [88] (ع24،ص13) . و"الأدوية المفردة " للثاني منهما. فكانا مصدرين نفيسين من مصادر الطب والمؤلفات الطبية العربية.

فعني العلماء المسلمون بدراسة النباتات عموما وبالحشائش والأعشاب الطبية وبتصنيفها وبيان خصائصها العلاجية تأثرا بأعمال هذين الرجلين فتنوعت المؤلفات فيها وتعددت ما بين مؤلفات طبية ، ومعاجم خاصة في الطب والصيدلة ، فلمعت أسماء كثيرة في أفق البحث في هذا الاختصاص العلمي الدقيق(الطب)وتركوا لنا ذخائر وكنوز فيه .

وقد ظهر في العربية بالفعل في القرنين الرابع والسابع الهجريين الموافقين للعاشر والثالث عشر الميلاديين حركة مصطلحية قوية ترتكز على الترجمة العربية لكتاب المقالات الخمس وتمثلث في إعادة ترجمة الكتاب، وفي مراجعة الترجمة الأولى أي البغدادية وتأليف شروح وتفاسير لها، وقد كانت الغاية الأساسية من تلك الحركة إيجاد المقابلات العربية لما عجز اسطفن وحنين عن إيجاد مقابل له من المصطلحات اليونانية وتوسيع دائرة التعريف بالمصطلحات التي وجد لها مقابل بذكر مرادفات لها قد تكون عربية خالصة وقد تكون مقترضة من اللغات المستعملة في بلاد الإسلام ، وخاصة الفارسية والسريانية في المشرق واللاتينية والبربرية في بلاد المغرب والأندلس .

وكان من أهم مظاهر تأثيرمعجم "جالينوس" أن كاد المعجم العلمي المختص في اللغة العربية ينحصر في كتب الأدوية المفردة ، أوما اتصل بها كالحيوان والنبات والمعادن ،حيث إن أهم ما عرفته العربية من معاجم علمية مختصة كان في الأدوية المفردة وفي مصطلحات الطب العامة ، وفي مصطلحات الحيوان ، ومصطلحات النبات ، ومصطلحات الأحجار ، وخاصة الأحجار الكريمة ، إلا أن النوع الأول – الأدوية المفردة – كان الأغلب والأحظى ، وقد ظل هذا النوع من التأليف المعجمي مطروقا حوالي ثمانية قرون(من القرن الثالث إلى القرن الحادي عشر الهجريين .)) [21] (ص38) .

ولم تكن الغاية من تأليف هذه الكتب المتخصصة في ألفاظ الطب والأدوية كما هو واضح هي الألفاظ ذاتها، وإنما مدلولاتها ومسمياتها وماهية الأشياء التي ترمز لها الألفاظ وخصائصها وصلاحيتها واستعمالها، ولا تولى تعريفاتها اهتماما كبيرا لجانب الدال بقدر ما تهتم بالمدلول، ولا تقف في الغالب عند المعاني اللغوية العامة للألفاظ ولا عند اشتقاقها ومبانيها وصياغتها، وإنما تركز على الجانب الاصطلاحي منها.

وسنعمد في هذا القسم إلى التركيز على الجانب المعجمي في الأعمال الكبيرة حتى تظهر لنا بعض ملامح وخصائص بناء التأليف المعجمي العربي في هذا المجال .

1.2.2.3. كتاب الأدوية المفردة لإسحاق بن عمران (ت 279هـ / 892م) :يقول عنه ابن مراد :" هو أول معجم علمي مختص يؤلف في اللغة العربية ، فقد ظهر المعجم العلمي المختص – إذن – أول ما ظهر في إفريقية بالقيروان ، على أن الكتاب اليوم مفقود ولم يبق لنا منه إلا شواهد أخذها عنه أبو جعفر أحمد الغافقي(ت 560 هـ /1165م) في كتاب " الأدوية المفردة " وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار (ت646 هـ / 1248م) في كتابيه " الجامع لمفردات الأدوية والأغذية " و" المغني في الأدوية المفردة . وهي تعطي لنا صورة واضحة عن بنائه المعجمي العام. وتبرز أهمية معجم ابن عمران أكثر - بالإضافة إلى تأثيره في غيره - في ذكره أدوية نباتية جديدة – وهي كثيرة – لم يكن لليونانيين بها سابق معرفة بل هي من نباتات الأرض الإسلامية في المشرق والمغرب ، فهذا المعجم يعتبر إسهاما حقيقيا في إثراء المعجم العربي .)) [9] (ص13) .

منهجه:

لقد اقتفى فيه أثر ديوسقريدس في "مقالاته الخمس".)) [89] (ص123) .، حيث نجده ينحو في تعريف مواده تعريفا موسوعيا فكان يتميز " بإخباره عن خصائص الشيء المتحدث عنه، وهو هنا الدواء المفرد من نواح عدة كالشكل والأبعاد والوظيفة والزمن أوالمواضع الذي يوجد فيها ... الخ ، وقد نتج عن هذه النزعة إلى التوسع العلمي في تعريف الدواء المفرد ظهور أركان قارّة في التعريف عند إسحاق بن عمران يخبر فيها عن الدواء المتحدث عنه بمجموعة من المعلومات الضرورية وهي عنده خمسة ،أولها: التعريف اللغوي وهو في الغالب تعريف ترادفي يعرف فيه المصطلح بمرادف أومرادفات تكون عادة من أكثر من لغة واحدة ،وأهم اللغات المعتمدة في المرادفة هي الفارسية واليونانية واللاتينية والبربرية والسريانية (...).وثانيها ذكر طبيعة الدواء من حيث القوة والدرجة والطبيعة من حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة، وثالثها وصف الدواء وصفا علميا دقيقا بذكر خصائصه وخاصة ما يتميز به عن غيره، ورابعها ذكر خواصه العلاجية من حيث المنافع والمضار ،وهذا الركن هو أطول الأركان غالبا ، وخامسها ذكر أبداله في حال انعدامه (...). وقد انتشرت هذه الطريقة انتشارا واسعا وظلت مستعملة حتى القرن الثاني عشر الهجري ، إذ نجدها متبعة في كتاب "كشف الرموز" لابن حمادوش الجزائري .)) [9] (ص20) .

2.2.2.3. كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة لابن الجزار (285 / 369 هـ) :ألفه أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن أحمد بن الجزار القيرواني، ويعد ابن الجزار في هذا الكتاب من أوائل من فصلوا الأدوية المفردة عن المباحث الطبية العامة ، وفي ذلك في الحقيقة فصل بين الطب والصيدلة .)) [21] (ص46) .

منهجه:

قسم المؤلف كتابه أربع مقالات بحسب درجات الأدوية الأربع وقواها وبحسب طبائعها في المقالة الواحدة ، وهي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة (...) وقد وزع الأدوية ضمن المقالة الواحدة [الدرجة الواحدة] بحسب طبائعها فقدم في الغالب الأدوية الحارة على الأدوية الباردة ، وهذه الطريقة في التصنيف تجعل من الترتيب على حروف المعجم صعبا بل ثانويا ، وهذه طريقة مبتكرة ، لم يسبق إليها ابن الجزار ، وليس ذلك بغريب فكتاب الاعتماد هو ثاني معجم في الأدوية المفردة يؤلف في العربية بعد كتاب إسحاق بن عمران ، إلا أنها طريقة صعبة جدا تدل على مدى خبرة ابن الجزار بمعرفة قوى الأدوية وطبائعها وقواها ، واتباعه هذه الطريقة يدل على أن الكتاب موجه إلى جمهور خاص هو جمهور الأطباء والصيادلة وليس إلى عامة القراء .)) [9] (ص15-16) .

أما التعريف فقد اتبع طريقة ابن عمران ، إلا أن ابن الجزار قد طور من هذه الطريقة أيما تطوير بإضافته أركانا أخرى إلى الأركان الخمسة ، أهمها ذكر المكان الذي يوجد أو ينبت فيه الدواء المعرف ، وذكر زمن نباته إن كان نباتا ، وذكر معدل الشربة منه ، وما أضافه ابن الجزار يعد مهما جدا في تطوير التأليف في الأدوية المفردة (...) ، على أنه لابد من ملاحظة أن هذه الأركان جميعا لا تعتمد دائما مجتمعة مع كل مدخل معجمي بل إنها قلما تجتمع كلها في المادة الواحدة.

3.2.2.3. الحاوي للرازي: محمد بن زكريا (ت 311 أو 320ه): مما لا شك فيه أن الفضل الأكبر في إحياء التراث الطبي العربي القديم يعود إلى الطبيب محمد بن زكريا الرازي ، ذلك لأنه استطاع أن يجمع في كتابه "الحاوي" مقتطفات ومصطلحات من مؤلفات يونانية وفارسية وسريانية بعد أن ترجمها إلى العربية يوحنا بن ماسويه ، وحنين بن إسحاق ومدرسته ، إلى جانب المؤلفات الطبية والنباتية التي ظهرت في صدر الدولتين الأموية والعباسية (...)، ومن مميزات كتاب الحاوي أنه يضم عدة معاجم ، فمنها معجم بأسماء الأمراض ،ومعجم بأسماء الأدوية المركبة ، ومعجم بأسماء الأدوية المفردة ، ومعجم بأسماء الأوزان والمكاييل .)) [90] (ع77،ص111) .

وفي المقال الذي خصه الرازي للأدوية المفردة نباتية أوحيوانية أومعدنية ، حصر فيها أسماءهما في مداخل رتبها على حروف المعجم (أ ، ب ، ت ، ث إلى الياء) دون مراعاة الحرف الثاني أوالثالث ، مع اعتبار لفظ الكلمة المستعمل بافتراض أن كل حروفها أصلية .(الترتيب النطقي). وهذه المقالة فيما نعلم على حد قول محمد حسن عبد العزيز ، أول معجم للأدوية المفردة مؤلف بالعربية ، وهو يضم تسعمائة و أحد

عشر (911) مفردة ، يذكر المفردة أو المدخل ثم يعدد خصائصها العلاجية نقلا عن مصادره التي يشير إليها مباشرة بعنوانها أو باسم مؤلفيها أوباستخدام الرمز هكذا (د/ ديوسيقوريدس ، ج/ جالينوس ... الخ) .

وقد يمدد أحيانا صفاتها أوماهياتها ، وهو يهتم كذلك بنسبة المفردة إلى لغتها ، فإذا ما كانت المفردة أوالمدخل عربية ذكر في أغلب الأحوال ما يكافؤها من الأسماء اليونانية أوالفارسية أوالسريانية (...) وفي بعض الأحيان إذا كان المدخل العربي أعجميا يذكر مكافئه العربي أو يفسر معناه .)) [80] (ص162) .

ورأى الرازي أن الداء أو الدواء أوالعرض قد يذكر باسم غير اسمه المعروف في اللغة التي نقل منها ، فأراد أن يجمعها جميعا في كتاب ، وقد اعترضته عقبتان ، الأولى: نقصان حروف العربية بالوفاء بما تفي به حروف اليونانية والفارسية والسريانية والهندية، فبعض حروف هذه اللغات لا يمكن أن تكتب بالعربية محققة ، والثانية: أن النقلة والمصنفين لم يتحروا أن يكتبوا تلك الأسماء محققة على ما هي في اللغة المنقول منها ، بل تهجّوها بأنواع مختلفة من الهجاء ، حتى إن الاسم الواحد منها يوجد مكتوبا على وجوه كثيرة .)) [80] (ص162) .، وهذا ما يدخل في إطار ما يعرف قديما بتعريب الحروف والأسماء الأعجمية.

وقد وجد حلا لذلك ، فوضع جداول جمع فيها كل اختلافات الاسم الواحد مما وقع له في الكتب المصنفة بحيث لا يكاد يفوت الناظر في الكتاب استخراج اسم من أجل اختلاف هجائه في العمود الأول (أو في البيت الأول كما يسميه) يذكر الاسم المجهول بهجائه أوبأهجيته المتشابهة ، ثم يرمز له برمز يشير إلى اللغة التي ينتسب إليها ، هكذا: "ي" لليوناني ، و"ف" للفارسي ، و"ه" للهندي ، و"س" للسرياني ، ونجد العلامة "؟" حين لا نجد رمزا للغة ، وفي العمود الثاني يأتي بمكافئه المعلوم أو بترجمته أو بالتعريف به تعريفا قصيرا ، وقد يذكر في العمود الثاني المصدر الذي أخذ منه الاسم (كالمؤلف أوالمؤلَّف مثلا) . ولم نجد أحدا فيما وصلنا من مصنفات ارتضى طريقة الرازي بل ساروا على نهج من سبقه أو على مناهج مبتدعة.

4.2.2.3. الرسالة الألواحية لابن سينا (ت 429 هـ) : سميت بالرسالة الألواحية نظرا لاشتمال الرسالة على ألواح، مع أن ابن سينا قد ذكر في مقدمة الرسالة اسما آخر هو "الرسالة الفيضية " .)) [82] (ص402) . وهي معجم في أسماء الأدوية المفردة (...) من معاجم الصيدلة القديمة التي تذكر فيها أسماء الأدوية وطرائق تركيبها واستعمالها ومنافعها ومضارها ، وخصائصها وقواها و ما إلى ذلك ، وتشتمل رسالة "ابن سينا" على مائة وتسع وأربعين (149) لوحة مفصلة ، الأولى بعنوان " الأدوية التي تنفع مع جميع أنواع الصداع" ، والأخيرة في "الأدوية الجالبة للنوم والمسبتة والمسكرة" ، صنف فيها المواد بحسب علاقاتها بالأمراض عضوا عضوا من الرأس إلى الأطراف ، مع التعريف بدرجات هذه الأدوية وخصائصها وقواها ومنافعها .)) [82] (ص403) .

5.2.2.3. كتاب الأدوية المفردة لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز (460هـ/529هـ) :رتب الأدوية المفردة في هذا المعجم بحسب منافعها للأمراض في الجسم، وهذه الطريقة من ابتكار أبي الصلت، وهي وإن كانت

أيسر من طريقة ابن الجزار في كتاب الاعتماد، إلا أنها لا تخلو من صعوبة على القارئ العادي، وذلك دليل على أن هذا المعجم ليس موجها إلى الجمهور العريض بل إلى أصحاب الاختصاص من الأطباء، ولقد كان لهذه الطريقة صدى بعد أمية فاتبعها أكثر من مؤلف، منهم أبو محمد بن عبد الله بن البيطار في كتابه "المغني في الأدوية المفردة" (...) وأحمد بن عبد السلام الصقلي في معجمه "الأدوية المفردة" .)) [21] (ص 18) .

أما التعريف فقد نحا أبو الصلت فيه نحو جالينوس، وطريقته " تقوم على التوسع في تحليل خصائص الدواء المفرد العلاجية(...) أي أنه لا يهتم بالتعريف اللغوي وبخصائص الدواء العلمية الخارجية المحضة، ولا بالظروف الزمانية والمكانية المحيطة به، وهذا ما يجعل من كتابه كتاب ممارسة طبية وليس معجما موضوعيا علميا في الأدوية المفردة، ولذلك غلب على مواد كتابه الاختصار والإيجاز .)) [9] (ص22) .

فهو يختلف اختلافا جذريا في الحديث عن الأدوية(...) إذ لم يهتم إلا بالمداواة والعلاج مهملا الملاحظات اللغوية والنباتية ، فهو معجم طبي علاجي وليس معرفي فقط .

6.2.2.3. التصريف لمن عجز عن التأليف: لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ت 404هـ/ 1013م).

يعد من أكبر علماء الأندلس الذين أسهموا في تطوير علم الجراحة وصنعة الصيدلة، يشتمل كتابه على ثلاثين مقالة، تضم تقريبا علوم الطب المعروفة في ذلك الوقت (...) وقسم الزهراوي المقالة التاسعة والعشرين إلى خمسة أبواب، تكلم في الباب الأول على أسماء العقاقير النباتية بخمس لغات هي: العربية، اليونانية، السريانية،الفارسية، والبربرية، وجعلها على شكل معجم .)) [42] (ع77،ص117-118) . ويستدل القارئ لهذه المقالات على أن الزهراوي لم يكن ناقلا ومقتبسا لعلوم الصيدلة، بل كان متقنا في تحضير الأدوية ومتقنا أيضا في صناعتها.

7.2.2.3. كتابا ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي النباتي المعروف بابن البيطار، (ت 646هـ): يذكر له العلماء اثنين من الكتب المعجمية الطبية :

1- كتاب المغني في الأدوية المفردة .

2- كتاب الجامع لمفردات الأغذية والأدوية : هو أشهر كتبه، ألفه في أخريات حياته .

يمثل هذا الأخير مرحلة استقرار المصطلحات العلمية في القرن السابع الهجري في العالم الإسلامي، وبعد ابن البيطار من أشهر علماء هذا العصر في النبات والأدوية المفردة والطب النباتي عامة، فضلا عن أنه اعتمد على الذخيرة التراثية الكبيرة التي تركها القدامى من علماء الغرب وبالتحديد العالمان "جالينوس" و"ديوسقريدس" ومصادر المحدثين من معاصريه عربا أوغيرهم، هذا بالإضافة إلى إضافات ابن البيطار نفسه لما شاهده ولمسه واختبره في تجاربه ومشاهداته ورحلاته الخاصة ومزاولته مهنة الصيدلية، يقول: " واستوعبت فيه جميع ما في الخمس مقالات من كتاب الأفضل ديوسقريدس بنصه وكذا فعلت أيضا بما

أورده الفاضل جالينوس في الست مقالات من مفرداته بنصه، ثم ألحقت بقولهما من أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية ما لم يذكراه، وصفت فيها عن ثقات ثقات المحدثين وعلماء النباتيين ما لم يصفاه .)) [91] (ج1، ص1) .

ويقول: " الغرض الثاني بعدما ذكر الغرض الأول وهو استيعاب القول في الأدوية والأغذية ((صحة النقل فيما أذكره عن الأقدمين وأحرره عن المتأخرين، فما صح عندي بالمشاهدة والنظر وثبت لدي بالخبر لا الخبر ادخرته كنزا سريا وعددت نفسي عن الاستعانة بغيري فيه سوى الله عنيا، وما كان مخالفا في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية وفي المنفعية والماهية للصواب والتحقيق أو أن ناقله أو قائله عدل فيه عن سواء الطريق نبذته ظهريا وهجرته مليا .)) [91] (ج1، ص2) .

ويقول في الغرض الخامس: التنبيه على كل دواء وقع فيه وهم أو غلط المتقدم أو متأخر لاعتماد أكثرهم على الصحف والنقل، واعتمادي على التجربة والمشاهدة حسب ما ذكرت من قبل.)) [91] (ج2،ص2) .فتميز المؤلف في هذا الكتاب بأمور جديدة أهمها:

1- نقد المؤلف العلمي والمنهجي الدقيق لأخطاء العلماء الذين سبقوه في هذا الصنف من التأليف بما فيهم التراجمة الذين نقلوا كتب الطب والصيدلة الأعجمية إلى العربية لاعتماده على التجربة الخاصة والمشاهدة واعتمادهم الصحف والنقل.

2- إسهام ابن البيطار في المادة النباتية العربية بإضافة نباتات جديدة من محض اكتشافه إلى النباتات التي عرفها العرب من قبل، سواء عن طريق الترجمة أو نتيجة التجارب الخاصة، وإضافة ابن البيطار صنفين تمثل أولهما نباتات جديدة جدة كلية باعتبارها نباتات مستقلة، ويمثل ثانيها أصنافا جديدة لنباتات قد عرفت عند العرب من قبل.

وقد كان اعتماده في معرفة هذه الأنواع من الألفاظ التي تختلف باختلاف الأقاليم، مع أن مدلولها واحد أحيانا، على كتب الطب والصيدلية العربي منها والمعرب، فضلا عن كتب الرحلات الجغرافية. وإن اللغة التي وضعها مؤلفوها من مختلف البقاع الإسلامية، وبالنسبة للألفاظ الأندلسية والمغربية اعتمد ابن البيطار من جهة على مشاهداته ومعرفته الشخصية (...) ومن جهة أخرى على المؤلفات الأندلسية والمغربية السابقة له والمعاصرة له، وهي كثيرة جدا .)) [51] (ص116) .

لقد تضمن منهجه الخطوات الآتية والتي سماها أغراضا وهي:

1- استيعاب القول في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة مما يحتاج الناس إليه في ليل كان أو نهار.

2- ذكر ما ينتفع به الناس من شعارأو دثار.

3-استيعاب جمع ما في كتابي الأفضل والفاضل اليونانيين: ديوسقريدس وجالينوس.

4- إيراد أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية التي لم يذكرها أطباء اليونان كجالينوس وديوسقوريدس.

5 – إسناد الأقوال لأصحابها و إيراد الصحيحة منها فقط.

6- تجنب التكرار إلا ما يزيد في المعنى والبيان.

ويذكر الودغيري أنه قد " بدأ كل مادة بذكر أصلها الأجنبي إن كان اللفظ عربيا ثم ذكر الاسم الذي تعرف به في بعض الأقاليم و البلدان كما ذكرنا ، وقد احتفظ لنا الكتاب نتيجة ذلك بطائفة كبيرة من الكلمات الدخيلة والمعربة من اللغات اليونانية واللاتينية والإيطالية والهندية والصينية ولغات ولهجات العرب العامة والمحلية مع اعتناء خاص بالألفاظ والاستعمالات المغربية والأندلسية التي بلغت بدورها قدرا لا بأس به.)) [51] (ص115) .، ففي هذا المعجم تنوع واختلاف في الألفاظ والمصطلحات من مختلف المستويات اللغوية ربما لا نجد له نظيرا في معجم آخر.

وبما توفر له من مادة علمية خصبة وزاخرة فإننا نتوقع أن تكون مصطلحاته قد حظيت بأوسع التعاريف وأدقها، ولعل أظهرها هو التعريف الترادفي بإعطاء المقابل لمصطلح بلغات أخرى فأصبح بذلك معجما متعدد اللغات وقد كان " يحدد ماهية الشيء الذي وضع له اللفظ ، فيعرف شكله وطعمه ولونه ومكان وجوده ،ويصفه وصفا دقيقا يقل وجود نظير له في المعاجم اللغوية الكبرى ،التي تكتفي في الغالب عند ذكر النبات أوالحيوان بالتنصيص على أنه " معروف " أو" مشهور "،وما أشبه ذلك من التعميمات ويكفي مقارنة مادة منه بما ورد عنها في بعض معاجم اللغة للتأكد من هذه الحقيقة ، ذلك أن دقة التعريف في كتب الصيدلة غرض مقصود لما يترتب عليه من صناعة للأدوية الصالحة لمعالجة الأبدان .

وبعد مرحلة التعريف والوصف يأتي الجانب الصيدلي والطبي المتمثل في تقديم الكيفية التي يستخرج بها الدواء من تلك المادة المذكورة والمقدار الواجب استعماله والأمراض التي يصلح لها . وهذا هو الجانب الوحيد الذي ليس للغوي به اهتمام في هذه المعاجم .)) [51] (ص116) .

3.3. المعاجم العلمية و الفنية المختصة في مجموعة من العلوم والفنون:

سيتم عرض أشهرها دون تكرار المعاجم التي تتكرر فيها معالم البناء المعجمي العام.

1.3.3. مفاتيح العلوم لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي (ت 387 هـ) :

صاحبه رائد من رواد المعاجم العربية المتخصصة ،قام الخوارزمي بتصنيف الكتاب على أساس موضوعي ، حيث "يضع الكتاب في مقالتين وقف أولاهما على العلوم الشرعية والعربية ، ووقف الثانية على العلوم الأعجمية والدخيلة ، وتحت كل مقالة عدة أبواب ، وتحت كل باب عدة فصول .)) [08] (ج34،ص18) ، (...) يتوارد في كل فصل مصطلحاته كيفما اتفق دون ترتيب واضح .)) [80](ص107) .

وقد أورد محمد حسن عبد العزيز مخططا تفصيليا بمواضع مفاتيح العلوم مبينا شمولية المعجم ومدى استيعابه لعلوم عصره .))[80](ص109) .

ويقول إبراهيم مدكور عن هذا الكتاب : ((ولهذا الكتاب شأن خاص في توضيح تطور المصطلح العلمي العربي ، والإشارة إلى مصادره الأساسية من وضع أوتعريب ، ولعله أوضح المراجع العربية.))[08](ج34،ص18) .

2.3.3. معجم "التعريفات" لعلي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف ، من رجال القرن التاسع الهجري (740/816ه): جاء بعد الخوارزمي بنحو خمسة قرون ، وعاش في عصر غلبت فيه الدراسات النقلية من فقه وتفسير وحديث (...).))[08](ج34،ص19) لذا ألفه صاحبه في ألفاظ العلوم العقلية والنقلية ، أي الألفاظ المصطلح عليها بين المحدثين والمتكلمين (...) والفقهاء والنحويين والصرفيين والمفسرين.))[82](ص392). فهو قد "عني خاصة بالعلوم الدينية والأدبية (...) وحظ العلوم الطبيعية والرياضية فيه جد ضئيل ، فهو صورة صادقة لثقافته وبيئته وعصره ، سلك فيه مؤلفه مسلكا واضحا في التلخيص و التركيز .))[05](ص19) ، و((يعتبر من أدق المصادر المعجمية في تحديد دلالات الألفاظ والكشف عما بينها من فروق خفية ، فقد وضع فيه المؤلف كل معارفه اللغوية على نسق يؤكد اعتماده على مختلف المصادر والعصور والبيئات ناحيا في ذلك إلى تحديد الفروق الخفية للفظة الواحدة في مجالاتها المختلفة".))[82](ص393) . ويلاحظ أنه يمتاز عن سابقه (يقصد مفاتيح العلوم للخوارزمي) بالترتيب الهجائي(...)وإلى جانب هذه الناحية التطورية فإن له عناية خاصة بالمصطلحات الفقهية ولكن بنزعة حنفية وبالمصطلحات الصوفية (...) وهو وإن كان أقل شمولا لفروع العلوم المختلفة بالقياس إلى سابقه (مفاتيح العلوم) يضم عددا أكبر من التعريفات ويمتاز بالدقة والتحديد.))[76](ص12) .

فالكتاب معجم شرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والمتكلمين والنحاةو البلاغيين والمتصوفة ، وغيرهم من علماء العربية والشريعة (...) ومن أهم مزاياه:

1- أنه يذكر في عديد من المداخل المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظ.

2- أنه يذكر المعاني المتعددة للمصطلح ، إذا ما تعدد مجاله الموضوعي ، وينص غالبا على المجال فيقول: في اصطلاح النحاة أوفي الشرع أوفي اصطلاح أهل الحقيقة ... الخ.

3- أنه يخصص للمصطلح الواحد غير مدخل إذا ما تعدد مدلوله الاصطلاحي .

4- أنه يهتم أحيانا بإيراد المعلومات الصرفية المتعلقة بالمصطلح (...) كما يهتم ببيان أصول المصطلح المعرب .))[80](ص114) .

5- رتبت مصطلحاته ترتيبا ألفبائيا بحسب الحرفين الأولين من كل كلمة.

3.3.3. التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ، المناوي الشافعي .))[92](ص05) . (952 هـ – 1031 هـ) :هو معجم مصطلحات ميسر، تدور مواده حول أمور تتعلق بأصول الدين، والتصوف والمنطق واللغة، والنحو والصرف والبلاغة

والعروض وعلوم القرآن والحديث والطب وتاريخ العقائد والأديان والجغرافية ... إلى أمور لغوية كثيرة مما يكثر تداوله من الألفاظ في وجوه من أحوال الإنسان وحياته.

رتب المناوي كتابه (التوقيف) على تتابع حروف المعجم من الألف إلى الياء ، مراعيا ترتيب مواد كل حرف من الحروف أوائل الكلمات ولكن باعتبار هيئتها القائمة أي الترتيب النطقي ، دون ردها إلى أصولها اللغوية (...) وقسم كل حرف من الحروف إلى فصول ، وعنون لكل حرف باسم (الباب) على أن مصطلح الباب والفصل عنده مختلف عما نعهده في المعاجم التي تعتمد على هذه الطريقة ، فالباب عنده يعني الحرف الأول من الكلمة (على حالها دون رد إلى الأصول) ، والفصل عنده يعني الحرف الثاني التالي من الكلمة ، ويغلب أن يلتزم بهذا التسلسل الهجائي في الحروف التالية ،الثالث فالرابع فالخامس ، وربما خالف ذلك.

وهو في العادة يورد الكلمة أو المصطلح فيشرحه ، ثم يخرج منه إلى مفردات أو مصطلحات أخر من مادة تلك الكلمة حتى يستوفي ما يريد إيراده (...) وقد ينتقي كلمة من المادة نفسها ليفردها بعنوان مستقل تنويها بها .))[92](ص17) ، فهو يخالف غيره في اتباعه الترتيب النطقي للمصطلحات دون مبدأ الجذرية بالإضافة إلى أنه يتتبع متعلقات المصطلح من اشتقاقات وتركيبات حتى يستوفي مادته الجذرية دون أن يشعر ، ويعرفها تعريفا موجزا.

وقد كان المناوي مع عنايته بالتعريف العلمي معنيا بضبط بنية المصطلح و بيان الفروق الدقيقة بين الألفاظ المترادفة، وتحقيق الأصل فيما هو معرب أوأعجمي أو أصيل .))[80](ص115) .

4.3.3. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (1028- 1094 هـ) :كليات أبي البقاء موسوعة صغيرة في كتاب واسع الشهرة ، كثير التداول ، أفاد منه كل من عني من المتأخرين بدراسة الفلسفة بعامة، والفلسفة الإسلامية بشكل خاص، وبمعرفة مصطلحات كل من الفلسفتين، وهو مصدر غني لمن يتصدى من المحدثين لدراسة الفقه الحنفي (...) وهو أيضا مرجع هام للمهتمين بالدراسات اللغوية، وخاصة لهؤلاء الذين يقومون بمحاولات في تتبع مسار حياة الألفاظ العربية، كيف تعيش وكيف تشب وتفنى ، ثم كيف يتغير مدلولها بمقتضيات المعطيات الحضارية التي تولد مع تطور المعارف الإنسانية كل يوم ، وبذا يحتاج إلى المصطلح والكلمة المنحوتة ، والكليات غني بجمع ما اصطلح السابقون عليه والمعاصرون له وحفظه وإيراده .

ثم هو آلة طيّعة للعاملين في ميادين العلوم النحوية والصرفية والبلاغية والعروضية وفي العلوم الفلكية والحكمة الطبيعية (الفيزياء) والطب والرياضيات ، والعمران وغير ذلك من الفنون والعلوم منذ نشأتها عند العرب حتى عصر المؤلف في القرن الحادي عشر للهجرة السابع عشر للميلاد (...) والكتاب أيضا معين على تفسير معاني آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية .))[93](ص05) .

يقول في مقدمته "قد جمعت فيه ما في تصانيف الأسلاف من القواعد(...)وتسارعت لضبط ما فيها من الفوائد (...)، منقولة بأقصر عبارة وأتمها ، وأوجز إشارة وأعمها ، وترجمت هذا المجموع المنقــول ، فــي المسموع والمعقول ورتبتها على ترتيب كتب اللغات وسميته الكليات " .))[93](ص17) .

فجعل بذلك كتابه فصولا على حروف الهجاء ابتدأ بالألف وانتهى بالياء ، وقسم فصــل الألــف فقــط فصولا أخرى فرعية ، بدءا من فصل الألف مع الباء وانتهاء بفصل الألف مع الياء ، مراعيــا أول الكلمــة وثانيها ، دون الرجوع إلى أصول اشتقاقها (...) ولم يقسم فصول الكتاب الأخرى (من الباء حتــى اليــاء) إلى فصول ثانوية ، بل أورد الألفاظ كيفما اتفق .

ولا فرق عنده إن كان اللفظ فعلا أومصدرا أواسما للفاعل أوظرفا أولفظا اصطلح عليه علمــاء فــن بعينه ن فيذكر معناه ، وقد يبين أصله الاشتقاقي وكيفية استعمال القدماء والمحدثين له ، لــم يــذكر معنــاه اللغوي ومعناه عند أهل علم أوفن بعينه ، وذلك هو معناه الاصطلاحي ، كما يورد معناه العرفي. كما يلجــا أحيانا إلى ذكر الفرق بين لفظ وآخر يرادفه أويعاكسه (...) وأولى الاستشهاد عنايته ، فكان اعتمــاده علــى القرآن الكريم كثيرا (...) كما استشهد بالأحاديث النبوية ، وبأشعار القدماء التي اعتمدها النحاة أوالبلاغيون، كما تمثل بشعره وشعر المحدثين .))[93](ص08) ، رغم أن معجمــه فــي الاصــطلاحات ولــيس فــي المفردات اللغوية.

5.3.3.كشاف اصطلاحات العلوم والفنون لمحمد علي بن شيخ علي بن قاضي محمد حامد بن محمد صــابر الفاروقي السني الحنفي الهندي التهانوي ،(1157ه):هو علم من أعلام الفكر الإسلامي في الهند ، يقول فــي مقدمة معجمه إن أكثر ما يحتاج به في تحصيل العلوم المدونة والفنون المروجة إلى الأســاتذة هــو اشــتباه الاصطلاح ، فإن لكل علم اصطلاحا خاصا به إذا لم يعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه الاهتداء إليــه ســبيلا ، وإلى انفهامه دليلا " .))[94](ص01) .

وحاول أن يحصر في مقدمة معجمه العلوم المختلفة من عربية وغير عربية، شرعية وغير شرعية، جزئية وكلية، حقيقية وغيرحقيقية يقول: " ولم أجد كتابا حاويا لاصطلاحات جميع العلوم المتداولة بين الناس وغيرها ، وقد كان يختلج في صدري أوان التحصيل أن أؤلف كتابا وافيا لاصطلاحات جميع العلــوم كافيــا للمتعلم من الرجوع إلى الأساتذة العالمين بها كي لا يبقى حينئذ للمتعلم بعد تحصيل العلوم العربيــة حاجــة إليهم إلا من حيث السند عنهم تبركا وتطوعا .فلما فرغت من تحصيل العلوم العربية والشرعية من حضــرة جناب أستاذي ووالدي شمرت عن ساق الجد إلى اقتناء ذخائر العلوم الحكمية الفلسفية من الحكمة الطبيعيــة والإلهية والرياضية كعلم الحساب والهندسة والهيئة والاسطرلاب ونحوها، فلم يتيسر تحصيلها من الأســاتذة فصرفت شطرا من الزمان إلى مطالعة مختصراتها الموجودة عندي فكشفها الله تعالى علي ، فاقتبست منهــا المصطلحات أوان المطالعة ، وسطرتها على حدة، في كل باب باب يليق بها على ترتيب حــروف التهجــي كي يسهل استخراجها لكل أحد ، وهكذا اقتبست من سائر العلوم فحصلت في بضع سنين كتابا جامعــا لهــا

.))[94](ص1) . وهذه المقدمة ضرب من تصنيف العلوم(...).))[08](ج34،ص19) وهو يحتل مكانة مرموقة بين كتب التعريفات العامة لكونه من أكثرها شمولا واستيعابا مع الدقة والترتيب .))[76](ص15) .

ويقول عن مقدمته جواد حسني سماعنة بأنها تعد من أشمل المقدمات التي جاءت في التأليف المعجمي المختص في التاريخ العربي القديم والأوسط .))[82](ص394) .

قسم المؤلف مضمون معجمه إلى قسمين كبيرين على غرار(المفاتيح) للخوارزمي ، فجعلهما في فنين الأول في الألفاظ العربية،والثاني في الألفاظ العجمية، ويضم كل منهما علوما ، وكل علم فروعا وكل فرع اختصاصات أدق ،وهكذا بحسب العام فالخاص فالأخص (...) ثم أخذ الألفاظ المنتمية إلى أسرة لفظية واحدة تحت جذر لغوي واحد (...).))[82](ص395) . يقول في مقدمة معجمه :" ولما حصل الفراغ من تسويدها سنة ألف ومائة وثمانية وخمسين جعلته موسوما وملقبا بكشاف اصطلاحات الفنون ،ورتبته على فنين: فن في الألفاظ العربية ، وفن في الألفاظ العجمية .))[94](ص02) .

ولقد أورد محمد حسن عبد العزيز مخططا تفصيليا لفروع هذين الفنين بالتفصيل .))[80](ص116) .

و" رتب هذا المعجم ترتيبا أبجديا ، وقسم إلى أبواب حسب حروف الهجاء ، وتحت كل باب عدة فصول ، ولوحظ في الباب الحرف الأول من الكلمة ، وفي الفصل الحرف الأخير منها ، على عكس ما صنع صاحب " الصحاح " ، وهو تبويب معقد بعض الشيء (...) ولقد نهج المؤلف في الشرح على أن يبدأ بالدلالة اللغوية ثم ينتقل إلى الدلالة الاصطلاحية ، ويتوسع فيها ما استطاع ولا يتردد في أن يبين مختلف المذاهب والآراء ، وأن يشير إلى بعض المراجع ، وقد يثبت نصوصا فارسية للدلالة على معنى خاص ، فجاء معجمه إلى حد ما ثنائي اللغة .))[05](ص19) .

فجاء الكشاف استجابة لملء الفراغ في المكتبة العربية والإسلامية، وقد استقصى فيه التهانوي بحث المعاني وإيرادها على مختلف دلالاتها متدرجا من الدلالة اللغوية إلى الدلالة النقلية فالعقلية ثم العلمية ، وتوسع أحيانا في إيراد المسائل التي اقتضاها البحث في مجال من المجالات وأسهب وسار على المنوال نفسه في بعض الألفاظ الفارسية التي طعمها في الكتاب ولاسيما في آخره .))[94](ص37) .

خلاصة الفصل:

1- إن التأليف في كتب غريب القرآن كان في وقت مبكر جدا، في حدود القرنين الأول والثاني للهجرة ، وقد أفرد بمؤلفات عديدة يقول جلال الدين السيوطي: " أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون (...) ومن أشهرها كتاب الغريزي فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري ومن أحسنها المفردات للراغب. .))[96](ج1،ص115)

ومما يلاحظ في كتب الغريب في القرآن أنها لم تحاول أن تطور من بنائها العام، وأنها كانت تقريبا على شاكلة وبناء واحد، فيما عدا بعض الخطوات البسيطة، وكان الاختلاف بينها أساسا في طريقة الترتيب خاصة، والترتيب جزء من البناء العام للمعجم.

- إيراد اللفظ وفق ترتيب معين (السور، الحروف).
- شرحه اللغوي.
- الآية التي تحمل اللفظ.

ولعل الموضوع هو المجال الذي ينتمي إليه هو الذي فرض هذا النمط في التأليف دون محاولة تقليد المعاجم اللغوية فيما وصلت إليه من أوج تطورها وعطائها.

2- يعتبر كتاب "النهاية" لابن الأثير أهم المعاجم المتخصصة في غريب الحديث من حيث الاستقصاء والشمول، ولعل ذلك هو الذي دفع ابن منظور (ت 711ه)، إلى أن يجعله مصدرا من مصادره في لسان العرب، ولعل أبلغ رد على بعض اللغويين القدماء الذين رفضوا الاستشهاد بالحديث النبوي في اللغة ، بحجة أنه يروى بالمعنى دون اللفظ ، وهم لا يدرون أنهم بهذا الموقف المتعسف حرموا المعجم العربي من ثروة لفظية هي جزء من لغة العرب، ولولا هذه المعاجم المتخصصة لما عرفت حكم هذه الثروة وقيمتها، خاصة أن الحديث النبوي قد انفرد باستعمالات لغوية قد لا نجد لها نظيرا في النصوص الأخرى. (ص454)[97]((.

3- لعل هذا القدر من المعاجم سالفة الذكر كاف لإعطائنا صورة عن كتب غريب القرآن وغريب الحديث، وكانت لها نفس صورة وبناء المعاجم العربية من حيث إيراد الكلمة وشرح معناها والاستشهاد عليها وذكر مشتقاتها، وغير ذلك بالإضافة إلى عرضها على ترتيب معين في الغالب، إما الترتيب الألفبائي أو الترتيب حسب سور القرآن، آخذين بمبدأ الجذرية عند بعضهم تاركينه عند بعض آخر، حسب اللفظ وما يقتضيه شرحه وإيفاد معناه، وهي على العموم إن صح التعبير عبارة عن معاجم في مجال خاص ذات بناء خاص يستوجبه هذا المجال. و سارت في طريقين للانتظام:

- الترتيب وفقا للسور في المصحف، وهو أقدمها، وكانت ترتب في داخل هذه السور بحسب ورودها في الآيات أيضا

- الترتيب الألفبائي الذي ابتدأ معقدا، ولكنه ارتقى سريعا وتخلص من كل تعقيداته وقيوده على يد الراغب الأصفهاني، الذي اعتبر الحروف الأصلية وحدها، ونظرا إلى الألفاظ من أولها إلى آخرها.

وحاول بعضهم أن يتتبع دوران الألفاظ في السور المختلفة فظهر ذلك بصورة أولية عند العزيزي واشتد عند الراغب واختلف هذا الأخير عنهم أيضا في عنايته بالصور المجازية المستمدة من الألفاظ القرآنية، ويدل هذا على أن الراغب هو القمة التي وصلت إليها حركة التأليف في غريب القرآن في الترتيب

والمعالجة. .))[98](ص13) ،أما التأليف في غريب الحديث فهو يختلف كثيرا عن التأليف في غريب القرآن، فقد بدأ متأخرا عنه فوصل إلى قمته متأخرا في القرن السادس.

4- أضف إلى هذا " أننا نستطيع أن نرجح أنهم اختلفوا في طبيعة المادة التي ضمتها كتبهم، ذلك أن حد الغرابة في اللفظة يتغير بتغير العصر، فما تصدق عليه الغرابة من الألفاظ في زمن معين (...)، لا تصدق عليه بعد أكثر من مائة عام (..)، والعكس بالعكس، والمسألة نسبية فيما بينهما من مؤلفات، وذلك أنه قد تهجر بعض الألفاظ في الاستعمال فتدخل في عداد الغريب ولم تكن كذلك، أو تحيى ألفاظا في الاستعمال بعد موتها، فتخرج من حظيرة الغريب إلى غيرها وهكذا، ويجب ألا ننسى أيضا أن البيئات التي أخذ اللغويون منها مادتهم تختلف غرابة باختلاف لهجاتهم"،.))[06](ج2،ص325) خاصة إذا عرفنا أن بداية التأليف في الغريبين منفردين أو معا كان منذ بداية القرن الأول للهجرة، (مع ابن عباس ت68ه) بالنسبة لغريب القرآن، والقرن الثاني للهجرة مع أبي عدنان عبد الرحمان بن عبد الأعلى بن شمعون السلمي بالنسبة لغريب الحديث، وصولا إلى القرن الثالث عشر مع كتاب" تفسير غريب القرآن" لمصطفى بن حنفي بن حسن الذهبي ت 1280ه،.))[18](ص16) والقرن السابع بالنسبة لغريب الحديث، وتجدر الإشارة إلى أن " العناية بغريب هذين المصدرين الهامين (القرآن والحديث) كان المقدمة للعناية بسائر اللغة شعرا ونثرا. .))[29](ص13)

ثانيا : كتب ومعاجم بعض الاختصاصات الفنية المختلفة :

5- إن موضوع معاجم لحن العامة والتصويب اللغوي يتصل بدراسة التطور اللغوي من جهة وبآثار الاختلاط اللغوي الذي حدث في الأمصار الإسلامية من جهة أخرى(...) وهي كتب تحفظ لنا تاريخ تسرب العامية إلى الألسن،" و" أهميتها تقوم على تصويرها الشعب العربي وحياته في جميع الأقاليم تصويرا دقيقا محكما، لا تعطيناه معاجم اللغة الفصحى".))[6](ص93) .

6- وقد اعتمدت طرقا مختلفة للترتيب، بعضها اتبع الترتيب الموضوعي حفاظا على الترابط المفهومي بين مصطلحات باب معين من أبواب الفقه، وبعضها الآخر اتبع الترتيب الألفبائي العادي الميسر كما هو في معاجم اللغة العامة . وهي أقرب إلى المعاجم اللغوية العامة منها إلى المعاجم المتخصصة، وقد اعتمدت عليها بدرجة كبيرة. وهي تقوم دائما على مؤلف فقهي (أو مذهب أو مذاهب).و تعتمد التعريف اللغوي أولا في الغالب ثم تنتقل إلى التعريف الشرعي الاصطلاحي . وهي مرتبة في الغالب على أبواب الفقه، وبعضها ترتيبا ألفبائيا، لأن أغلبها لا يريد الخروج عن دائرة التأليف الفقهي إلى دائرة التأليف المعجمي.

7-عرف العرب التأليف في المعجم العلمي المختص، وقد بدأ وتواصل بالتأليف في الأدوية المفردة خاصة بتأثير من اليونانيين بخلاف تأليفهم في المعجم اللغوي العام الذي كان محض اكتشافهم وخالص تجربتهم ، وذلك لارتباطه الأساس بتفسير النص القرآني وغريبه كما رأينا سابقا.

8 - إنه لمن المعلوم أن فئة غير قليلة من الألفاظ الدائرة في مجال الطب والصيدلة والأعشاب والنبات والعقاقير أعجمية منقولة من لغات يونانية وسريانية ولاتينية وهندية وفارسية ونبطية وتركية وبربرية وإفريقية وآسيوية، وفيها طائفة أخرى محلية واردة بلهجة أهل مصر أو الشام أو العراق أو الأندلس أو المغرب أو غيرها من البلاد .مما يعكس التطور الذي عرفته العربية في الحياة اليومية خارج نطاق القواميس الشاملة التي خضعت لمعايير صارمة ووقفت مواقف متحفظة. وهذا من أهم ما يميزها.

9- ومما يلاحظ أن المعاجم المختصة كانت تجد متابعة مستمرة ومتجددة من حيث استدراك الفائت وإضافة المستحدث من ذلك مثلا ابن خلكان المتوفي سنة (681 هـ) يؤلف معجمه " وفيات الأعيان " فيستدرك عليه ابن شاكر الكتبي المتوفى سنة (764 هـ) ، ويؤلف معجمه " فوات الوفيات " ثم يأتي بعد ذلك الصفدي المتوفى سنة (764 هـ) فيؤلف معجمه " الوافي بالوفيات " مستدركا ومضيفا ومن ذلك أيضا عن " كشاف اصطلاحات الفنون " للتهانوي (حوالي 1158) استكمالا ل " مفاتيح العلوم " للخوارزمي.

الفصل 4

المعاجم المختصة الحديثة.

1.4. مفهوم المعجم العربي المختص الحديث :

إن الحديث عن المعجم العربي المختص الحديث يختلف اختلافا كبيرا عن الحديث عن المعجم العربي المختص القديم ، وشتان بينهما من حيث الجمع والوضع .

وقد نشط هذا النوع من التأليف المعجمي من جديد ، في عصر محمد علي بعد عودة البعثات من أوربا ، فظهرت أعمال معجمية نقلت ما وجده المبعوثون هناك من تقدم علمي وتقني ، وكان لقلم الترجمة التابع لمدرسة الألسن التي أسسها رفاعة الطهطاوي دور بارز في هذا النشاط ، فقد حرص العاملون به على أن يلحقوا بترجماتهم قوائم بالمصطلحات التي حوتها هذه الأعمال مع مقابلاتها الأجنبية .

1.1.4. بداية الاهتمام بالمصطلح العلمي حديثا :

لقد بدأ العرب يعنون في العصر الحديث بقضايا المصطلح العلمية بدايات القرن الثالث عشر هجري (بداية القرن التاسع عشر الميلادي)، أثناء حركة الإحياء العلمي العربية التي انبعثت في مصر بتشجيع من محمد علي باشا (1183 هـ / 1769م – 1266 هـ / 1849م) ، وقد كانت تلك الحركة الإحيائية شبيهة في جوهرها ب " حركة الإنشاء " .التي عاشتها الثقافة العلمية العربية بداية من أواخر القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) فقد اعتمدت كلتاهما على " الترجمة " من اللغات الأعجمية، فأقبل علماء " بيت الحكمة " البغدادي - ومن تلاهم من تلاميذهم – على نقل الآثار اليونانية إلى العربية بتشجيع من السلطة العباسية وبعض العائلات الثرية .كما أقبل طلاب البعثات المصريون الذي وجههم محمد علي من مصر إلى أوربا لتعلم لغاتها على نقل الآثار العلمية الأوربية إلى العربية مستعينين في ذلك ببعض من علماء الأزهر . ثم إن الحركتين تتشابهان في نزعتهما إلى التأسيس، ذلك أن رواد الحركة الأولى كانوا ينشؤون ثقافة علمية عربية لم يكن للعرب بها سابق علم، فكانوا المؤسسين لثقافة جديدة مستحدثة تختلف في كثير من مفاهيمها ومصطلحاتها عماعرفته الثقافة العربية في الجاهلية ثم في القرنين الهجريين الأول والثاني من مفاهيم ومصطلحات. ولم يكن رواد "حركة الإحياء " أقل تأسيسا من الأقدمين لأنهم هم أيضا كانوا يقدمون إلى الناس حركة علمية جديدة مستحدثة هي بدون شك ،ثقافة ذات أصول يونانية وعربية ، ولكن غلبة التنظير والتجريب والتطبيق عليها وميلها إللى تفريع الكليات إلى جزيئات وتقسيم العلوم إلى مباحث واختصاصات مختلفة قد جعلا العلماء المحدثين يولدون من المفاهيم والمصطلحات المعبرة عنها ما لم يكن للقدماء به سابق علم ، ولم يكن عندهم له سابق تصور .))[16](ص29) .

وفي أوائل القرن العشرين ، كان إنشاء الجامعة المصرية فاتحة لنهضة علمية وثقافية حديثة في مصر، استعادت فيها اللغة العربية مكانتها مرة ثانية بعد احتلال بريطاني (1882) باعد بين اللغة العربية والعلوم الحديثة . وقد واكب هذه النهضة نشاط في حركة التعريب وجمع المصطلحات وتحقيقها ،وإصدار بعض المعاجم العلمية المختصة .))[99](ص18)

ولقد أدى تفرع العلوم وتعدد وتزايد الاختصاصات العلمية في العصر الحديث إلى ظهوركثير من المصطلحات العلمية، وفي تنوع وتعدد واختلاف المعاجم العلمية التي تضمها معا أو حسب الاختصاص .

2.1.4. المعاجم العلمية المطروحة في السوق حاليا نوعان :

الأول : نوع عام أو شامل : يضم بين دفتيه كثيرا من المصطلحات المعبرة عن حقائق علوم كثيرة ، هذا النوع من المعاجم(الشاملة)لا يعتبر(علميا) بالمفهوم المنهجي، بل باعتبار اشتماله على مصطلحات علمية ، إنه معجم(مفردات) يساعد المبتدئين،وهولا يسهم في تقدم العربية إلا بقدر ما يؤثر في لغة هؤلاء الشادين(...) ولا يتصل بالتخصص الدقيق المتطور دائما .والأحرى بمؤلفي هذا النوع من المعاجم أن يضيفوا إلى أوصافه وصف(اللغوي) ليزيدوا القراء وعيا بقدر ما بين أيديهم من المادة اللغوية، العربية، والانجليزية أوالفرنسية.

والثاني : نوع متخصص يقتصر على مصطلحات علم واحد ، يوردها ويعالجها على وجه الاستقصاء ، بقدر الإمكان ، وهو يتابع دائما ما يجد في مجاله ، ويحاول ترجمته أو تعريبه إذا عسرت الترجمة ، أوتدخيله إذا استحال التعريب وهو من مجامع اللغة العربية بسبب لا ينقطع ، يستفتيها ويأخذ عنها ، فهذا هو المعجم العلمي الحق مادة ومنهجا .))[100](ص29) .

لكننا عندما ننظر في أغلب هذه المعاجم لا نجد اسما أصلح لها من : كتب قوائم المصطلحات العلمية المتخصصة ،على غرار ما يقدمه مكتب تنسيق التعريب بالرباط كما سنرى لاحقا.

ولا يمكننا أن ننهج نفس المنهج في عرضها ودارستها وذلك لأسباب منها :

1 - العدد الكبير والهائل لهذه المعاجم .

2 - التنوع الكبير في أصنافها .

3 - التشابه والاشتراك الكبير في أهم خصائصها .

ولقد أغنتنا كثير من الكشافات (البيليوغرافية) عن عرض وسرد كثير منها ولعل أهم أهم الكشافات :

1 – أحمد إقبال الشرقاوي ، معجم المعاجم (ألف معجم ونيف) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، د ت ، د ط .

2 – وجدي رزق غالي ، وحسين نصار ، المعجمات العربية (بيلوغرافيا شاملة ومشروحة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة 1971 ، د ط .

3 – سمير عبد الرحيم الجبلي ، بيلوغرافيا الترجمة والمعاجم في الوطن العربي ، جامعـــة المستنصـــرية ، بغداد ، 1974 ، ط 1 .

4 – علي القاسمي وجواد حسني سماعنة ، بيلوغرافيا المعاجم المتخصصــــة ، اللســـان العربـــي ، ع 20 ، 1983 ، ع 21 ، 1983 .

5 – محمد ماهر حمادة ، المصادر العربية والمعربة ، مؤسسة الرسالة ، د ب ، 1972 . د ط .

6 – معهد العالم العربي ، المعجم العربي وتحديات العصر ، ببليوغرافيـــا ، مـــاريس ، 2004 ، ص 37 – 124 .

و هي تبين المعاجم العربية الحديثة بكل أنواعها وفي كل التخصصات والمجالات اللغوية والأدبيـــة والفنيـــة والعلمية والتقنية الحديثة .

إذن قد تنوعت المعاجم المختصة الحديثة وهي تصنف غالبا حسب الزوايا الآتية :

1 – المعاجم المختصة حسب درجة التوسع في شرح وتعريف المصطلحات ، وتضم الأنواع الآتية :

1.1. المسارد : وهي مؤلفات أو معجمات تضم قائمة من المصطلحات مع مقابلاتها بلغة واحـــدة أوأكثـــر ، على ترتيب ألفبائي في الغالب ، كما هو الحال مع المعاجم الموحدة الصادرة عن مكتـــب تنســـيق التعريـــب والتي بلغت لحد الساعة (فيفري 2010) واحد وثلاثون معجما في اختصاصـــات لســـانية وغيـــر لســـانية كالفيزياء والرياضيات ،والموسيقى والفلك ،وغيرها وهي في الغالب تتشكل مما يأتي :

1 – مقدمة .

2 – مسرد ألفبائي عربي المصطلحات .

3 - مسرد ألفبائي فرنسي المصطلحات .

4 – المدخل باللغة الانجليزية . مع مقابلاته بالفرنسية والعربية .

وفيما يأتي عرض لأسماء لهذه المعاجم:

3- قائمة المعاجم الموحدة الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب

رقم المعجم	اسم المعجم	مكان و تاريخ الطبع	عدد المصطلحات
1	المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (الطبعة ال...)	المغرب – 2002	1744
2	المعجم الموحد لمصطلحات الفيزياء العامة والنووي...	تونس – 1989	6315
3	المعجم الموحد لمصطلحات الرياضيات والفلك	تونس – 1990	4066
4	المعجم الموحد لمصطلحات الموسيقى	تونس – 1992	846
5	المعجم الموحد لمصطلحات الكيمياء	تونس – 1992	4532

6	المعجم الموحد لمصطلحات الصحة وجسم الإنسان	تونس – 1993	2146
7	المعجم الموحد لمصطلحات الآثار والتاريخ	تونس – 1993	3024
8	المعجم الموحد لمصطلحات علم الأحياء	تونس – 1993	6596
9	المعجم الموحد لمصطلحات الجغرافيا	تونس – 1994	2700
10	المعجم الموحد لمصطلحات التجارة والمحاسبة	تونس – 1995	8846
11	المعجم الموحد لمصطلحات الطاقات المتجددة	تونس – 1996	1180
12	المعجم الموحد لمصطلحات المهنية والتقنية : - الجزء الأول : طباعة – كهرباء	تونس – 1996	2838
	- الجزء الثاني : بناء – نجارة	تونس – 1996	3734
13	المعجم الموحد لمصطلحات العلوم الإنسانية	تونس – 1997	4344
15	المعجم الموحد لمصطلحات السياحة	تونس – 1996	3121
16	المعجم الموحد لمصطلحات الزلزال	تونس – 1996	1962
17	المعجم الموحد لمصطلحات الجيولوجيا	المغرب – 2000	4623
18	المعجم الموحد لمصطلحات الاقتصاد	المغرب – 2000	2039
19	المعجم الموحد لمصطلحات النفط (البترول)	المغرب – 1999	6089
20	المعجم الموحد لمصطلحات البيئة	المغرب – 1999	1747
21	المعجم الموحد لمصطلحات الهندسة الميكانيكية	المغرب – 1999	2828
22	المعجم الموحد لمصطلحات التقنيات التربوية	المغرب – 1999	1314
23	المعجم الموحد لمصطلحات الإعلام	المغرب – 1999	3428
24	المعجم الموحد لمصطلحات الفنون التشكيلية	المغرب – 1999	1524
25	المعجم الموحد لمصطلحات الأرصاد الجوية	المغرب – 1999	2031
26	المعجم الموحد لمصطلحات المياه	المغرب – 2000	2204
27	المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية	المغرب – 2000	3210
28	المعجم الموحد لمصطلحات الاستشعار عن بعد	المغرب – 2000	1196
29	المعجم الموحد لمصطلحات علوم البحار	المغرب – 2000	3913
30	المعجم الموحد لمصطلحات الحرب الإلكترونية	المغرب – 2004	1021
31	المعجم الموحد لمصطلحات تقانات الأغذية	المغرب – 2004	2683

الجدول رقم 2 : يمثل قائمة المعاجم الموحدة الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب .

2.1. المعاجم المختصة : وهي على درجة أعلى من الفائدة مقارنة بالمسارد التي تفتقر إلى التعريف والتوثيق وهي نوعان :

أ – المعاجم المختصة الموسوعية :

وهي التي تشتمل على عدة معارف وعلوم وفنون ، وتتوسع في شرح مصطلحاتها وفي استعمال وسائل الإيضاح المختلفة من صورورسومات وبيانات وجداول ، وخرائط وكشافات وغيرها ، وتعرف غالبا باسم دوائر المعارف .

ب – المعاجم المختصة في علم أو فن معين أومجال معين : وهي التي تشتمل على مصطلحات اختصاص معين كالصوتيات والطب ،والفلك ، والفلسفة وغيرها .أو مجموعة اختصاصات متجانسة تنتمي لنفس العلم والمجال كمجال العلوم اللسانية أوالإنسانية والاجتماعية أوالاقتصادية أو التقنية كل بفروعها المختلفة . وكما سبق الذكر فقد تم رصد أغلبها وجمعه في كشافات خاصة سبق ذكرها .

والملاحظ أن مجالاتها أوسع بكثير من مجالات المعاجم المختصة القديمة ، وقد كان فيها للعلوم التقنية والتكنولوجية نصيبا كبيرا من الاهتمام .

- وتجدر الإشارة أيضا إلى أن أغلب هذه المعاجم المختصة هي إما ثنائية أومتعددة اللغات تحل فيها اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية المرتبة الأولى و تصل في بعض الأحيان حتى خمسة عشر لغة وأكثر.))[101](ص126) .

وتنقسم المعاجم المختصة الثنائية ومتعددة اللغات من حيث عرضها وطريقة استعمالها ونوعية المعلومات المتوفرة فيها وكميتها إلى أنواع ثلاثة هي :

1 – المعاجم المنشورة في شكل كتاب (كما هي مدونة في الكشافات المعجمية) .

2 – المعاجم المعدة للخزن في بنوك المصطلحات (الإيزو ، الانفوتيرم ...) .

3 – المعاجم المعدة للترجمة الآلية بالحاسوب.))[102](ص65) .

وسنكتفي في هذا القسم بإيراد مجموعة من المعاجم العربية المختصة الحديثة لملاحظة قواعد بنائها ومناهج أصحابها في تأليفها ، ومدى تأثرهم بالمعاجم القديمة العامة والمختصة.

4. المعاجم المختصة الحديثة :

لم تحظ المعاجم المختصة الحديثة بالدراسة والبحث كما حظيت المعاجم اللغوية العامة أيضا، ومع ذلك فإننا نستطيع من هذا العرض أن نتبين أهم خصائص البناء المعجمي فيها مركزين في ذلك على أشهرها

سواء فيما يخص المعاجم العلمية أوالمعاجم الفنية والجدير بالملاحظة أن النصيب الأوفر من الاهتمام بالمعاجم المختصة العلمية الحديثة كان كما كان الحال قديما بالمعاجم النباتية والحيوانية والطبية والتي يمكن إيراد أهمها مرتبة حسب تواريخ صورها ، وهي :

1 – " معجم انجليزي عربي في العلوم الطبية والطبيعية " لمحمد شرف الصادر في القاهرة 1926م .

2 – " معجم أسماء النبات " لأحمد عيسى الصادر في القاهرة 1930 .

3 – " معجم الحيوان " لأمين المعلوف الصادر في القاهرة 1932 .

4 – " معجم الألفاظ الزراعية " للأمير مصطفى الشهاني الصادر في دمشق 1943 .

5 – " معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات " الذي أصدر في دمشق 1956 ثلاثة من أساتذة الجامعة السورية بدمشق هم مرشد خاطر ، وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي ترجمة لمعجم فرنسي انجليزي ألماني لا تيني وضعه الطبيب الفرنسي ألكس كليريفيل

6 – " مجموعة المصطلحات العلمية والفنية " الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة في ستة أجزاء بين 1957 – 1964 .

7 – " المعجم الطبي الموحد " الصادر في بغداد سنة 1973 عن إتحاد الأطباء العرب .

8 – " المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام " الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – ممثلة في مكتب تنسيق التعريب بالرباط – في بغداد ودمشق بين 1976 ، 1978 في ستة أجزاء هي : الرياضيات ، والفيزياء والكيمياء والحيوان والنبات والجيولوجيا.)) [88](ص31).

هذا فيما يخص المعاجم العلمية المختصة ، أما المعاجم الفنية المختصة – والتي تنوعت وتعددت مجالاتها، وسنصب اهتمامنا على المجال اللساني دون بقية المجالات الفنية، لأنه شغلنا الشاغل لأجل الوصول إلى الحديث عن المجال الصوتي – ، فالحديث عنها شبيه إلى حد كبير بالحديث عن المعاجم العلمية ، حيث تأخر ظهور مثل هذا النوع من التأليف المعجمي على الرغم من أهميته إلى أواخر العقد الثامن من القرن العشرين حين ظهر كتاب

1- المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية " لمحمد رشاد الحمزاوي سنة 1977 .

2- جاء بعده معجم علم اللغة النظري لمحمد علي الخولي سنة 1982 .

3- معجم مصطلحات علم اللغة الحديث لمحمد حسن باكلا و رفاقه سنة 1983 .

4- معجم المصطلحات اللغوية و الأدبية لعلية عياد 1983 .

5- المعجم الفلسفي – لمجمع اللغة العربية الصادر 1983 بالقاهرة كأنموذج .

6- قاموس اللسانيات لعبد السلام المسدي سنة 1984 .

7- معجم اللسانية لبسام بركة سنة 1985 .

8- معجم علم اللغة التطبيقي لمحمد علي الخولي سنة 1986 .

9- المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس سنة 1989 .

10- معجم المصطلحات اللغوية لرمزي بلعيكي الذي صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1990 عن دار العلم للملايين .

11- معجم المصطلحات اللغوية في كتابات المستشرقين لإسماعيل اعمايرة سنة 1992م .

12- معجم المصطلحات اللغوية لخليل أحمد خليل سنة 1995م)) [103](ص183). وغيرها .

قبل الحديث عن المعاجم العربية العلمية المختصة الحديثة التي سبق ذكرها يجدر بنا الحديث عن معجم " الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية للشيخ محمد بن عمر التونسي (1204 هـ / 1798 أو 1790م) " لأنه فاتحة التأليف المعجمي المختص الحديث ، حيث يعتبره الدارسون المحدثون أول معجم عربي مختص يؤلف في العصر الحديث فهو إذن منزلة وسطى بين المعاجم العربية القديمة والحديثة .

1.2.4.الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية للشيخ محمد بن عمر التونسي (1204 هـ / 1798 أو 1790م) " : إن الكتاب " ذو أصل أعجمي إذ كان مصدره الأول معجم فرسي هو معجم المعاجم الطبية Dictionnaire des Dictionnaires de Médecine لفابر الفرسي (fabre) ، فالمادة المعجمية المصطلحية الأصلية التي اشتمل عليها مادة مترجمة، فهي مقترضة معبرة أساسا عن مفاهيم قد تصورت بلغة أعجمية حديثة هي الفرنسية على أن المشرف على ترجمة المعجم الفرسي قد تصور خطة للترجمة تضيف إلى الأصل الفرسي مصطلحات من مصادر عربية إسلامية)) [16](ص133).، ومن ثم فهو مظهر من مظاهر الاقتراض الثقافي الذي واكبه اقتراض معجمي مهم للتعبير عن المفاهيم والأشياء المستحدثة في الثقافة الأخرى، ولكن بالإسناد إلى الأصول والمصادر العربية الإسلامية " وهذه المصادر صنفان : أولهما علمي طبي وصيدلي قد ذكر منه التونسي – في المقدمة – الشيخ داود الأنطاكي صاحب " تذكرة أولي الألباب " وابن سينا صاحب " القانون (...) وثاني الصنفين لغوي وقد ذكر المؤلف في المقدمة الفيروزأبادي في القاموس المحيط وأبا منصور الثعالبي في فقه اللغة(...)، وهذه المصادر العربية الإسلامية - بنوعيها – كما يلاحظ قديمة ، وهذا الاعتماد على التراث مهم بدون شك لأنه دال على التواصل بين القديم والحديث)) [16](ص133).

لقد تناول إبراهيم بن مراد)) [16](ص131). خصائص البناء المعجمي في هذا الكتاب ويمكن إجمالها عموما فيما يأتي :

1.1.2.4. مسألة الجمع : تشمل : المصادر : هي موزعة بين مصادر عربية قديمة ومصادر حديثة عربية وغير عربية خاصة .و المستويات اللغوية .

يقول : إن تصنيف الوحدات المعجمية بحسب درجتها من الفصاحة يظهر أربعة مستويات لغوية في الشذور الذهبية ، الأول هو مستوى الفصيح ، وجلّ هذا مأخوذ من المعاجم اللغوية العامة ، وخاصة ما دل على أسماء المواليد من حيوان ونبات ومعادن" ، خاصة أن المعاجم التي اعتمدها هي المعاجم القديمة التي تعتد بالكلمات الفصيحة بالدرجة الأولى .و ثاني المستويات هو المولد : وهو نوعان : قديم وحديث ، فأما القديم فهو ما نقل من المصادر الطبية والصيدلية العربية الإسلامية (...) فإن المصطلحات الطبية القديمة التي نقلتها إلينا كتب الأدوية المفردة أو الموسوعات الطبية مثل كتاب الحاوي للرازي أو كتاب القانون لابن سينا ، يعد جلها من المولد الذي لا يعترف له بالفصاحة ولا يحظى لذلك بحق التدوين في المعجم اللغوي العام " ، ولكنها حظيت بحق التدوين في المعاجم العلمية المختصة وهو المكان الأنسب لها .و ثالث المستويات هو العامّي : " هو مما يستعمله العامة من العرب في لهجاتهم استعمالا ساذجا عفويا)) [16](ص134). والمستوى اللغوي الرابع في الشذور الذهبية هو الأعجمي ، والأعجمي في المعاجم القديمة نوعان هما المعرب. وهو ما أخضع لأقيسه العربية وأوزانها فألحق بأبنيتها ، والدخيل وهو ما استعصى على الإلحاق فبقي حاملا لقليل أو كثير من عناصر عجمته، والأعجمي في الشذور الذهبية نوعان ، قديم ، وحديث : القديم ما وجد من لغات في المعاجم والكتب الطبية والصيدلية العربية القديمة .و" جديد قد أدخل العربية في عصر المؤلف إبان حركة الترجمة في القرن التاسع عشر)) [16](ص135).، وهو من لغات مختلفة لاتينية ، فرنسية وفارسية ، وأكثره من اليونانية .وهذا منطقي باعتبار أن اختصاص هذا المعجم أصوله يونانية تعود إلى كتابي العالمين ديوسقريدس وجالينوس اليونانيين .

أما تصنيف المستويات اللغوية بحسب التعميم والتخصيص فنجد الوحدات العجمية المختصة هي الغالبة في هذا المعجم وقد أخذت صور وهيئات متعددة ، بسيطة ومركبة تركيبا إضافيا أوإسناديا ، حتى تصل في بعض الأحيان إلى مصطلحات سداسية العناصر)) [16](ص137).

2.1.2.4 مسألة الوضع :شملت مسألة الترتيب حيث يقول المؤلف : " ورتبت جميع ذلك على حروف المعجم ليكون أسهل للمراجعة و أقوم وسلكت في ذلك مسلك صاحب المصباح ، لسهولته من مسلك القاموس والصحاح ، وأعتبر الأفعال المزيدة كالمجردة والواوي كاليائي خلافا لمن أفرده ، لأني لا أعتبر إلا أوائل الكلمات واعتبار أواخرها في هذا الكتاب من المتروكات .وقد أورد إبراهيم بن مراد تفاصيل أخرى تخص الوحدات المركبة وطريقة ترتيبها في هذا المعجم)) [16](ص143).

بالإضافة إلى مسألة التعريف وبرجوعنا إلى المصادر المعتمدة والتي تنوعت بين معاجم لغوية عامة ومعاجم علمية مختصة ، بالإضافة إلى المصدر المعتمد الأصل الفرنسي وهو " معجم المعاجم الطبية " فإنه يمكننا القول : إن " التعريف في الشذور " مزيج : من تعريف لغوي مسند إلى ألفاظ اللغة العامة التي أخذت من المظان اللغوية ، وتعريف منطقي أوموسوعي قد نقل من الفرنسية أونقل من المصادر العلمية العربية القديمة)) [16](ص148).

ونظرا لأهمية هذا الركن فإننا سنتناول بعض التفصيلات التي تخصه . حسب ما أورده إبراهيم بن مراد دائما .

1 – التعريف اللغوي :عرفه ثم ذكر الأنواع التفصيلية التي تندرج ضمنه.)) [16](ص149).

2 – التعريف المنطقي : يقول بن مراد : التعريف المنطقي في جوهره تحديد لماهية المسمى ، ولذلك يمكن تسميته " التعريف الماهوي " (Définition substantielle) ، وهو في الشذور الذهبية نوعان أساسيان : الأول نسميه التعريف المنطقي البسيط ، وهو – من حيث الطول والقصر – ضروري لأن مكوناته تختلف باختلاف خصائص المسمى التمييزية التي ينبغي ذكرها (...) والنوع الثاني (...) نسميه " تعريفا منطقيا معقدا " وهو معقد لأنه يقوم على الجمع بين ركنين يبدوان متناقضين لما بينهما من الفروق ، وخاصة " الفرق التاريخي " ، فإن أحد الركنين قديم والآخر حديث ، أما القديم فعربي مستمد من المصادر العلمية العربية القديمة ، وأما الحديث فمستمد من الثقافة الأوربية الحديثة(...) على أن هذا الجمع بين القديم والحديث في التعريف أيضا، وقد رأيناه مكثفا في ركن الجمع– دليل آخر على أهمية الأسس العربية الإسلامية القديمة في تأليف الشذور الذهبية)) [16](ص152).

- وفيما يأتي دراسة ووصف لخصائص البناء المعجمي في بعض المعاجم العربية المختصة الحديثة علمية وفنية وأغلبها ظهر منذ زمن ليس بالبعيد عنا في حدود القرنين التاسع عشر والعشرين . وقد اخترت نماذج منها ، وكان معيار الاختياروالتصنيف حديثا يختلف عن معيار التصنيف قديما، وقد ركزت فقط على أشهرها تناولا ودراسة، مرتبة حسب تاريخ صدورها .

2.2.4. أمين المعلوف ومعجم الحيوان:(1908: في مجلة المقتطف) (1932: طبع ككتاب)

يقول في مقدمة هذا المعجم : " ...وكان ما نشرته يومئذ ثمرة بحث ومطالعة ومراجعة استمرت عدة سنين ، فكان لذيوع ما تضمنته من التحقيقات أثر بين فيما ظهر بعده من الكتب التي على شاكلته ... ثم إن جميع الأسانيد التي ذكرتها كانت من المؤلفات التي أخذت عنها بالذات ، فنسبت كل قول إلى قائله حيا كان أو ميتا ... ثم إنه إذا لم يكن هناك إسناد ، بل كانت اللفظة مما وصلت إليه بالبحث و الاستقراء فقد أتيت بأدلتي على ذلك ، أي أنني لم أثبت لفظة واحدة بمجرد الحدس أوالظن ، كذلك لم أترجم أوأعرب أوأضع ألفاظا إلا قليلة جدا ، لأن الغرض من هذا المعجم كان تحقيق ألفاظ وردت في كتب اللغة و المؤلفات العربية وصحة ما يقابلها بلسان العلم الحديث ، كذلك أهملت كثيرا من الألفاظ الواردة في اللغة ، لأنني رأيت إهمالها خيرا من التخبط فيها بلا دليل كاف ، على أني ذكرت كثيرا من الألفاظ المعربة حديثا ، أو التي وضعها المحدثون من العلماء الذين يؤخذ بأقوالهم وأهملت ما سواها (...) وقد توخيت إيراد أفصح الألفاظ أولا ، ثم الفصيح ، ثم ما عربته العرب ثم ما عربه المولد المولدون ، ثم العامي وما عربته العامة)) [104](ج10ص2).

إن ما يمكن ملاحظته من هذا العرض لمنهج و خطة المعجم الآتي :

1 – يعتبر عمل أمين المعلوف من التحقيقات بمعنى البحث في صحة المصطلحات و في وجودها في المؤلفات العربية قديمة وحديثة ، ومقابلتها بمصطلحات بلسان العلم .

2 – تنوعت مصادره بين مصادر قديمة ومصادر حديثة عربية وغير عربية .

3 – عدم اعتماده على الترجمة أو التعريب أو الوضع إلا قليلا .

4 – الغرض من معجمه هو تحقيق ألفاظ واردة في كتب اللغة والمؤلفات العربية وما يقابلها بلسان العلم الحديث على حد تعبيره .

5 – تنوع المستويات اللغوية في معجمه بين الأفصح ، والفصيح ثم المعرب قديما وحديثا ثم العامي وما عربته العامة ، وكان للمعرب وللمولد نصيب الأسد في معجمه فهذا المعجم إذن " لا يشتمل على مصطلحات علم الحيوان ، ولا على أسماء آلاف الحيوان التي خلت منها معاجمنا وكتبنا القديمة، ولكنه أجمل صورة للتحقيق العلمي وتحري الأسماء العربية الصحيحة للحيوانات القليلة التي ذكرت فيه)) [105](ص56).

3.2.4. أمين المعلوف و المعجم الفلكي : 1935 :

لقد وضع المعلوف معجمه هذا وفيه أسماء النجوم وصورها ، وأهم المصطلحات الخاصة بأقدارها وأفلاكها (...) والمعجم مرتب وفقا للألفباء الأعجمية)) [58](ص299). ويذكر محمد علي الزركان [106](ص371). مجموعة من الملاحظات حوله : " فقد وردت في (المقتطف) كما يلي :

" – لم يكتف المؤلف بذكر الاسم العلمي باللغة الأعجمية وما يقابله باللغة العربية ، بل وضح الاسم العربي في الغالب . نبذة تاريخية أوعلمية تدل على واسع علمه ولا يستغني عنها الباحث .

- ولم يكتف المؤلف بترتيب ما حققه السابقون من أعلام في البحث بل حقق بنفسه ألفاظا مختلفة وأسماء عدة نجوم (...) كما وضع المعلوف بضع كلمات اصطلاحية في علم الفلك " .

4.2.4. معجم انجليزي عربي في العلوم الطبية والطبيعية الصادر سنة 1926 في القاهرة لمحمد شرف:

أدرج الطبيب "محمد شرف"تحت عنوان معجمه الكبير أسماء العلوم التي احتواها وهي : الطب ، التشريح ، علم وظائف الأعضاء ، الجراحة ، القبالة ، المادة الطبية ، أمراض النساء ، الأطفال ، العيون ، الأعصاب ، الجلد ، الطب الشرعي ، علوم النبات ، الحيوان ، الكيمياء ، الطبيعيات ، الكهربائية ، علم حفظ الصحة والصيدلة ، وغيرها .

- و كان غرض المؤلف من معجمه تحقيق مجموعة من الأهداف أهمها :

1 – " تعريف الناطقين بالعربية بالمفردات القديمة والمستحدثة والاصطلاحات الحديثة في الطب و الطبيعيات و ما اتصل إليها من فنون وعلوم .

2 – نقل الأوضاع التي يكون لساننا خلوا منها أولا مقابل ولا مرادف لها فيه لافتقارنا إليها ، وإيراد أوضاع عربية طريفة تؤديها ، أو إلباسها حلة عربية ، فتتسع بذلك اللغة و تتوفر فيها الوسائل التي تتمشى بها ما تتطلبه سرعة التقدم في هذا العصر .

3 – استيعاب أكثر الألفاظ العلمية .

4 – إصلاح النطق البين في معاجم العربية ودواوينها ، لأنها لا تحتوي إلا على الألفاظ الفصحى القديمة دون المستحدثة أوالتي عربت منذ وضع هذه المعاجم . ولأن فيها ألفاظا كثيرة مبهمة أوغيرصريحة التأدية.وألفاظا مصحفة أغلق معناها، وألفاظا مهجورة أو ميتة ، وما هي كذلك بل يجدر بنا بعثها وإذاعتها . وأخرى تغيرت معانيها المشروحة بتغير الزمن أوالأصقاع أو ضاقت بالمعاني الحديثة بفعل الحضارة)) [107](ص5).، وغير ذلك من الأحوال .

ولتحقيق هذه الأهداف عوّل المؤلف على مجموعة من الطرق رآها جديرة بالاتباع وهي:

القاعدة 1 : الألفاظ الفرنجية أو الأعجمية التي عرفنا لها ما يقابلها أو يرادفها بالعربية وتؤدي معناها تأدية صحيحة مميزة أثبتناها بمرادفاتها هذه ، مجتنبين الألفاظ الوحشية و الحوشية بشرط التحقق من ورود هذه الألفاظ في معاجم العربية ودواوينها أوكتب اللغة والأدب وغيرها ، أوتواتر سماعها وإن لم تذكرها هذه المصادر المؤلفة من عهد بعيد (...) ، ولم ننقض هذا المنهاج إلا إذا عرض عارض اضطرنا للشذوذ .

القاعدة 2: الألفاظ والمفردات التي لم نقع على مرادفات لها في العربية ، ولكننا رجحنا وجود مرادفات لها فيها كنا نفرغ كل جهد للبحث والتنقيب عنها في مختلف المظان التي نظن وجودها فيها . أما الألفاظ والأسماء التي لم يعرف لها مرادفات في العربية فقد تخيرنا لها ألفاظا من العربية الفصحى (...) أواشتققنا لها من أصولها مقابلا ، أوجعلنا ألفاظا مأخوذة من مفاد المعنى ، وإذا تعسر ذلك رجعنا إلى معاني الألفاظ وأصول اشتقاقها وترجمناها ترجمة دقيقة بما يفيد ذلك مع المحافظة التامة على أصول المعاني .

القاعدة 3 : الأعلام الفرنجية التي شاع استعمالها في العربية حافظنا على تصويرها بالرسم الذي رسمت فيه من قديم ، (...) أما ما عدا ذلك فقد صورناه كما يلفظه أهله أوبأقرب ما يكون من لفظه الأصلي ، وتوخينا حسن التطبيق والصدق في النقل وراعينا قوام العربية .

القاعدة 4 : المفردات الحديثة العهد بالوضع ، والتي لا وجود لمرادفات لها في العربية ، وعربت من قبل ، وشاع استعمال الألفاظ المعربة بصورة معينة أثبتناها كما هي .

القاعدة 5 : كذلك تابعنا علماء الغرب في تصوير (تعريب) المفردات العلمية الأخرى التي لم يعرف لها مرادف عربي،سواء أكانت أسماء حيوانات أم نبات أم حشرات أم أعضاء من أجسامها ، وذلك حرصا على الوحدة العلمية التي لم تخالفها أمم الغرب المتقدمة علينا في العلوم ، ولعدم الابتعاد عن أصول هذه المصطلحات العلمية التي صارت بمثابة أسماء دولية تأخذ بها سائر الأمم ، ولأنه لا ضرر من ذلك إذا قيس بالضرر الناشئ من تعدد المناهج في التعريب أومسخ الألفاظ وعدم الإبقاء على أصولها .

القاعدة 6 : أما المعاني سواء أكانت حقيقية أم مجازية فلم نجد أدنى صعوبة في إيجاد أوضاع تؤديها لاتساع العربية في الوضع لكل معنى ولانقيادها للكاتب .

القاعدة 7 : الألفاظ الفرنجية المأخوذة من أصل عربي أو فارسي و تغير رسمها أرجعناها إلى أصولها القديمة .)) [107](ص20).

5.2.4. معجم أسماء النبات لأحمد عيسى 1930 :

يقول عنه الشهابي : ومن المعاجم المفيدة معجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى رحمه الله ، فقد ذكر فيه الأسماء العلمية والفرنسية والعربية لعدد كبير من النباتات الطبية خاصة ، و راجع في تصنيف معجمه أهم الكتب التي كتبها علماء النبات الأعاجم في نباتات البلاد العربية كما راجع ترجمة مفردات ابن البيطار وغيرها وذكر في مقدمة المعجم أنه تعمد إثبات جميع الأسماء العربية الصحيحة والمولدة والعامية للنبات الواحد)) [105](ص56). مما جعله ذا قيمة لغوية كبيرة .

و لقد سعى أحمد عيسى)) [108](ص3). في معجمه هذا إلى تحقيق مجموعة أشياء هي :

1- أن يكون المعجم شاملا كل ما عرف من أسماء النبات في المصنفات العربية مهما اختلفت جنسية الكلمة .

2- أن يكون المعجم مرجعا لتحقيق الكلمات التي أتت بها المصنفات العربية ولم تكن معروفة الأصل ، مقتصرا على معرفة أسماء النبات ، فيكون بمثابة ذيل للمعاجم العربية ، ويرجع إليه في البحث عن الكلمات الغريبة وأصولها.

6.2.4 معجم الألفاظ الزراعية الصادر سنة 1943 لمصطفى الشهابي.

يعتبر الشهابي من أنشط العاملين في مجال المصطلح العلمي في العصر الحديث في علوم وفنون مختلفة ، وخاصة في العلوم الزراعية والجراحية .

ألف معجمه وسماه " معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية " يقول عنه : " معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية " وهو مطبوع بدمشق سنة 1943 ، فهذا المعجم الذي لم أذكر فيه سوى المهم من ألفاظ العلوم الزراعية لبثت نحو عشرين سنة في تحقيق ألفاظه المذكورة البالغة نحو تسعة آلاف لفظة ، وراجعت في تصنيفه عشرات من المراجع في دمشق وفي القاهرة ، بغية التثبت من اسم عين من أعيان المواليد الثلاثة أوبغية معرفة الاسم العربي القديم ووصفه إلى جانب الاسم الفرنسي والاسم العلمي، أوبغية إيجاد مصطلحات جديدة سائغة أوراجحة في الموضوعات العلمية التي لم يعرفها أجدادنا العرب)) [105](ص57).

فعمل الشهابي في معجمه على تتبع المصطلحات العلمية القديمة وإعادة إحيائها وإيجاد مقابلاتها باللغة العلمية واللغة الفرنسية وذلك بالعودة إلى كتب التراث القديمة بالإضافة إلى وضعه لمصطلحات جديدة لم يكن للعرب قديما سابق معرفة بها خاصة أن النباتات لم تكن كلها في بقعة العرب بل توزعت على أراضي

المعمورة الشاسعة يقول: " أما أعيان النبات التي لم يعرفوها فهي آلاف مؤلفة لم تعرف إلا بعد كشف أمريكا، وبعد أن طاف علماء النبات المحدثون في أصقاع كثيرة من الأرض لم تطأها أرجل القدماء من العشابين ، وقد تبدلت العلوم الزراعية عما كانت عليه في القديم تبدلا كليا ، ولاسيما بعد أن كشف النقاب عن كيفية اغتذاء النبات بالأملاح المعدنية، وبعد الكشف عن الميكروبات، ومعرفة الاختمار وكيف يحصل وتحليل الأتربة والأسمدة واختراع الآلات الزراعية الحديثة)) [105](ص31).

يقول محمد رشاد الحمزاوي عن الشهابي: " إن مصطفى الشهابي يعتبر أول من سعى إلى تجديد النظرية النقدية في المعاجم بعد الشدياق ، فهو يمثل في رأينا المرحلة النقدية الثانية الداعية إلى تجديد المعجم العربي)) [50](ص63).

ثم يدلل على صحة رأيه هذا في الهامش بمجموعة العيوب التي استخرجها الشهابي من المعاجم العربية القديمة ، والمبثوثة في مجلة المقتطف ومبثوثة أيضا في كتابه المصطلحات العلمية في اللغة العربية وقد لخص الشهابي هذه العيوب من أجل التأسيس لرؤيته المعجمية في النقاط الآتية :

1 – لقد خلت معجماتنا من أسماء الألوف من أعيان النبات والحيوان (وأورد أمثلة) .

2 – خلطت معجماتنا القديمة كثيرا من أسماء أعيان المواليد بعضها ببعض وعرفت الواحد بالثاني ، على حين أن كلا من هذه الأحياء يعد في التصنيف الحديث نوعا مستقلا عن الآخر (وأورد أمثلة) .

3 – فسرت المعجمات العربية كثيرا من الألفاظ المشهورة تفسيرا بعيدا عن التفسير العلمي الحديث (وأورد أمثلة) ثم قال : فهذه التعريفات وأشباهها في معاجمنا لا تصلح لهذا الزمن ، ولا بد من تعديلها ومن التفريق بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي العلمي .

4 – ومن أشنع عيوب معاجمنا ما نرى فيها من نقص في تحلية أعيان النبات والحيوان . فمعظمها لم توصف بأكثر من أنها نبت أو شجر أوعشب أو بقل أو حيوان أوطائر أوما أشبه ذلك ، وإذا كانت مشهورة يضيفون على هذه الكلمات كلمة " معروفة " ، والأعيان التي حليت جاءت تحلية الكثير منها ناقصة أوغير صحيحة ، وهي في الحالين بعيدة عن التحلية العلمية سواء أكانت موجزة أو مسهبة ، فأول شرط من شروط التحلية العلمية ذكر موقع النبات أوالحيوان في التصنيف أي ذكر الفصيلة النباتية أو الحيوانية التي ينتسب إليها على الأقل ، وقد يكون من الضروري ذكر حلقة أو أكثر فوق الفصيلة أحيانا تعريفا به ، (وأورد أمثلة لهذا) . وإن كنا نجد غير هذا خاصة في المعاجم النباتية الطبية العربية القديمة كما رأينا في فصل المعجم العلمي المختص القديم .ليذكر عيوب أخرى .

5 – من عيوب معاجمنا تفسير الكلم بألفاظ أعجمية .

6 – في المعجمات العربية أغلاط علمية كثيرة .

7 – التصحيف كثير في المعجمات ، فقد كان القدماء يهملون التنقيط .

ثم يقول : واعتقد أن إهمال الشكل في القديم كان سببا مهما آل إلى ورود الحرف على حركات مختلفة في بعض أسماء المواليد المعربة . (وكان يورد أمثلة في كل عيب مما ذكر) .

8 – تبدل اليوم مدلول بعض من أسماء أعيان النبات أي أن بعض الأسماء كانت في القديم تطلق على نباتات ، وأصبحت في زماننا هذا تطلق على نباتات أخرى ، فمن معايب المعاجم القديمة عدم ورود المدلول الحديث فيها (وكيف ذلك وقد ظهر المدلول الحديث في غير وقتها ! ؟) .

9 – لدينا عدد من الأسماء العامية نطلقها اليوم على نباتات وحشرات ليس لها أسماء في معاجمنا القديمة)) [105](ص33).

ليقول الشهابي:" وكل ما ذكر من عيوب المعاجم القديمة حاول تجنبه في معجمه في الألفاظ الزراعية وقد رجع في تأليفه إلى أمهات المعاجم العربية القديمة بغية التثبت من صحة أسماء أعيان المواليد الثلاثة أوبغية معرفة الاسم العربي القديم . بالإضافة إلى المراجع الحديثة .

ولقد كان للشهابي منهجية وشروط علمية دقيقة في وضع المصطلحات العلمية وفي تحقيقها وقبولها)) [105](ص92).، وهي شروط تصلح لنقل أي مصطلح علمي وكان ميله الشديد وتفضيله الكبير للمصطلحات العربية القديمة دون الجديدة على غرار سابقيه كمحمد شرف وغيره .

7.2.4. المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام الصادر بين عامي 1976 - 1978 عن مكتب تنسيق التعريب :

أحذنا منه جزء : " مصطلحات علم النبات " (أنموذج)

هو معجم ثلاثي اللغة (عربية، فرنسية، انجليزية) يحتوي مجموعة من العلوم هي الرياضيات ، والفيزياء ، والكيمياء والحيوان والجيولوجيا ، والنبات وقد تناول إبراهيم بن مراد الجزء الخاص بمصطلحات علم النبات بالدراسة والتحليل ، وخلص منها إلى مجموعة قضايا وأمور .

بعد عرض بن مراد للخاصيات الإيجابية في هذا المعجم،)) [88](ع3ص33).انتقل إلى عرض المشاكل المنهجية الموجودة فيه ، يقول : إلا أن النظر المعمق في هذا المعجم قد بين لنا أن المشاكل المنهجية فيه عديدة.

1 – المشكلة المنهجية الأولى : وهي أهون المشاكل * هي مشكلة التعريف فمعجم مصطلحات علم النبات مثله مثل بقية أجزاء " المعجم الموحد " خال من التعريفات، والحق أن هذه الظاهرة لم يختص بها " المعجم الموحد " بل إنها السمة الغالبة على معظم المعاجم العلمية العربية المختصة في العصر الحديث ، فقد اكتفي في هذا المعجم إذن بذكر المقابلات العربية للمصطلحات الانجليزية والفرنسية والمترجمة معتبرة بدون شك تعريفات ، فالمصطلح العلمي في المعجم إذن يعرف بمصطلح علمي آخر . وهذا في نظرنا نقص كبير يقلل من قيمة هذا الكتاب ، ثم يبرز هذا الحكم بقوله : " إذ لا يمكن في نظرنا في كتاب مثل هذا موجه توجيها بيداغوجيا مقصودا ، أن يعتبر مرادفة المصطلح الأعجمي المدخل بمصطلح أعجمي آخر ثم بمصطلح عربي

نوعا من أنواع التعريف ، ذلك أن هذا الصنف من التعريف – أي التعريف بالمقابلة أوالمرادفة – يمكن أن يقبل في المعاجم اللغوية العامة الثنائية اللغة أوالمتعددة اللغات التي يراد الترجمة أساسا أي ترجمة ألفاظ من لغة معينة بألفاظ مقابلة لها من لغة أولغات أخرى ، أما " معجم مصطلحات النبات " ، وبقية أجزاء " المعجم الموحد " أيضا ، فليس معجم لغة عامة بل هو معجم مصطلحات علمية وفنية خاصة بعلم بعينه ، فهي إذن مصطلحات ذات خصوصيات دلالية مضبوطة ، ومن تلك الخصوصيات تنشأ ضرورة التعريف العلمي بالإخبار عن المصطلح بمجموعة من الألفاظ الدقيقة والعبارات المنتقاة تصفه و تبين خصائص الشيء أوالمفهوم المصطلح عليه به ، خاصة وأن العدد الأوفر من مصطلحات هذا المعجم دالة على أشياء هي أشخاص النبات ، ذات خصوصيات تميزها .

ثم قام بن مراد بعرض سلسلة من المشاكل المنهجية في هذا المعجم أهمها :

1 – ترجمة ما يسمى بالسوابق واللواحق .

2 – تعريب الأصوات الأعجمية .

3 – تحريف مصطلحات عربية ذات أصول عربية مفترضة في اللغة اللاتينية .

4 – القطيعة بين القديم والحديث بإهمال مصطلحات قديمة أو مصطلحات حديثة .

5 – الاشتراك والترادف .

6 – الاضطراب في رسم المصطلح الواحد .

7 – التسرع في الترجمة وعدم الدقة والوقوع في بعض الأخطاء العلمية وقد كان بن مراد)) [88](ع3ص34).يورد أمثلة من المعجم لكل حالة من الحالات السابقة مدعما رأيه وأقواله فيها . فكادت هذه المشاكل المنهجية وعلى رأسها : مشكلة التعريف شبه المنعدم في هذا المعجم أن تقضي على حسناته وأن تقصيه من التأهيل لأن يكون أحسن ما ألف المحدثون في مصطلحات علم النبات .

8.2.4. المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة الصادر سنة 1983 :

يتحدث إبراهيم مدكور في تصدير المعجم عن مبادئه مبينا منهجه :

1 – أريد به أن يكون معجم مصطلحات فحسب ، فتركت فيه الأعلام جانبا ، سواء أكانت أسماء أشخاص أو أسماء أماكن ، اللهم إلا ما أصبح منها شبيها بالمصطلح .

2 – عنى بالمصطلحات التي لها صلة بالمجالات الفلسفية فقط دون الاجتماعية أو النفسية أوغيرها .

3 – قام أساسا على أساس الفلسفة الإسلامية والفلسفات الغربية وقليلا من الفلسفات الشرقية كالفلسفة الهندية .

4 – قصد إلى إحياء المصطلح العربي القديم ما أمكن ، ولم يأخذ من المصطلحات العربية الفلسفية الجديدة إلا ما أقره جمهرة الباحثين والدارسين وأيده الاستعمال زمنا كافيا)) [8](ص5).

ولم ير بأسا في التعريب إن دعت إليه ضرورة (...) على أن نسبة المعرب في هذا المعجم ضئيلة جدا .

5 – حرص على ذكر المقابل الفرنسي والإنجليزي أمام المصطلح العربي عونا للباحث والدارس (...) وأشير أحيانا إلى المقابل اليوناني واللاتيني بيانا للأصل وزيادة في الإيضاح)) [8](ص5).، ويقول : " والتزم أيضا أن يقابل المصطلح الأجنبي بلفظ عربي واحد ، إثباتا للاستعمال السائد ، ومنعا للبلبلة والاضطراب ")) [8](ص6).، واستبعدت على كل حال البحوث اللغوية والملاحظات الفيلولوجية .

6 – اعتمد الشرح على التركيز ، وعرض الأفكار الأساسية بلغة سهلة وأسلوب واضح مع الإشارة إلى أهم الآراء والمذاهب (...) وأشير إلى بعض المصادر " .

ويصفه إبراهيم مدكور بأنه معجم موسوعي لأنه يستقصي البحث ويستوفي الشرح والبيان ، ومعجم تاريخي لأنه يتتبع الفكرة منذ نشأتها ، ويعرض لما ألم بها من تعديل وتغيير في شتى المذاهب والعصور)) [109](ص5). ويراه بأنه ألصق بالمعجمات اللغوية منه بالمعجمات العلمية)) [109](ص5).

7- عنى عناية خاصة بوضوح التعريف ودقته لكي يؤدي المعنى المراد أداء صادقا ، ويمكن للباحث و الدارس من فهمه على حقيقته)) [109](ص6).

8- هو عمل جماعي لمختصين وخبراء وباحثين . وزعم أنه معجم مختص في المصطلحات الفلسفية إلا أن أصحابه قد نحوا فيه نحوا لغويا .

وهذه نماذج أخرى لبعض المعاجم المختصة الحديثة(علمية ،فنية)وأهم خصائصها باختصار شديد ، ولقد سبق أن أشرنا في بداية الحديث أنها تتشابه في العموم في خصائص بنائها .

9.2.4 . قاموس رد العامي إلى الفصيح " لأحمد رضا العاملي" 1872 ط1 1952:

يبدو من عنوانه نوع المادة التي يحتويها،فهو معجم لغوي متخصص يعنى باللفظ العامي ذي النسب العربي،وقد ألفه أحمد رضا العاملي بعد كتابه متن اللغة،يقول في مقدمته:

"ولما بلغت النهاية من تأليف "متن اللغة" رأيت إنه قد أصبح في يدي طائفة من هذه الكلمات العامية صالحة لأن يفرد لها مؤلف خاص يتوسع في البحث فيه حسب الوسع والطاقة، فشرعت في كتابي رد العامي إلى الفصيح وأنجزته والحمد الله جامعا لأكثر من ألف وأربعة مائة مادة")) [110](ص10).

يقول الشيخ سليمان الظاهر في مقدمة هذا القاموس: " ونعود إلى بيان ما له من قيمة قيّمة وما سيكون له من أثر مما عثر عليه المؤلف من كلم يستعملها العامة ويعرض عنها الخاصة ظنا بأنها مولدة أو دخيلة لا تمت بنسب أو سبب بالفصحى على أن ضرورة التعبير عن المتجددات من أفكار وفنون ومخترعات ومكتشفات وصناعات مما تدعو إلى استعمال كثير منها بعد أن أبان المؤلف بالحجة التي لا تدفع والبرهان الذي لا يرد عن اتصالهما بالنسب العربي العريق وإنما باعد ما بين الأصل والفرع ما لا يخرج عن سننها من قلب وإبدال ولحن واشتقاق .))[110](ص05)

وإن كثيرا من اللغويين من وضع معاجم للغة العامية ولكنها لم تتناول ما تناوله المؤلف من التحليل والبحث اللغوي الفيلولوجي.))[110](ص08)

ويشير أحمد رضا إلى أن العامية التي سعى إلى جمع مفرداتها هي عامية محلية وهي كما يقول: " لهجة جبل عاملة وساحل دمشق وما يليه من سفوح لبنان(...) ومع ذلك فقد وصل عدد المفردات المجموعة إلى أكثر من ألف وأربعة مائة مادة.))[110](ص10)، وهذا يعني أنه يمكن اعتماد منهجه في مناطق أخرى من المشرق والمغرب وإعادة تحقيق المفردات العامية وردها إلى أصولها، مما سيغني العربية حتما للتعبير عن حاجيات أهلها، وقد فصل القول في منهجه وفي نظرته إلى المفردات يقول: " وربما كان اللفظ العامي هو لفظ الفصيح، ولكن الفصيح غريب والعامي مشهور، فأعده من الغريب الفصيح في العامي(...) أو يكون في العامي تحريف قليل أو كثير، من قلب أوإبدال فأدل عليه، ولم أعن بالتحريف في الحركات لأنها فيها أرى أكثر من أن تحصى بين العامي والفصيح.

وربما كانت العامية دخيلة أومولدة لم يعرفها الأولون، بل عرفت في عصر العباسيين ومن بعدهم، فأذكر ما وصل إليه بحثي فيها المقصور على الكتب العربية التي بيدي، وربما تراءى لي في بعض ما نسبه الباحثون في الألفاظ المعربة إلى غير العربية وعده دخيلا فيها أنه عربي، ويمكن تخريجه على أنه عربي، فأذكر ما تراء لي فيه، لأنني رأيت أن بعضهم أسرف في إلحاق كثير من الكلمات العربية بالسريانية أو غيرها من اللغات مع أن إرجاعها إلى أصل عربي واضح أو ممكن على الأقل، فلا ينبغي والحال هذه جعله دخيلا مادام لعروبته وجه.))[110](ص09)

10.2.4. معجم الألفاظ العامية : أنيس فريحة 1913 (ط 1947،1 ، ط 1973،2):

حسب عنوانه هو معجم يشمل مستوى محددا أيضا من مستويات الاستعمال اللغوي وهو المستوى العامي الذي يتفق أغلب العلماء على أنه دون الفصيح في الدرجة والقيمة اللّغوية،ولكن أنيس فريحة له وجهة نظر جديدة ومتميّزة في النظر إلى العامي ، إذ إنّه " يعتقد اعتقادا راسخا أن في دراسة العامية جزيل النفع ، فهو يرى أن الكثرة الكثيرة من المفردات العامية سامية الأصل إذ هي عربية غير مثبتة في معاجمنا " .))[22](ص91) ،وكأنها في مستوى الفصيح لكنها ابتعدت ابتعادا كثيرا عن أصلها حتى بدت في مستوى أدنى وهو العامي ، ويرى أن معنى اللفظة العامية محدد و" ليس من المستبعد أن يكون المعنى العامي المعنى الأصيل للكلمة " .))[06](ج2ص34) ، ويوافقه عبد الله العلايلي في وجهة النظر هذه إذ يقول : " وما أظنني في حاجة إلى التنبيه بعد ، إلى أن العاميات الدارجة ليست منزلة في " سلم التصاعد " بل خطوط منحرفة تذرّع بها التطور في حركة تشكله الدائب ، ويضيف أنيس فريحة بأن دراسة العامية على المنهج الوصفي الذي اتبعه " يفيدنا في المستقبل عندما نحاول أن نضع معجما عصريا فقهيا تاريخيا للّغة العربية " .))[06](ص93)

فهذه وجهة نظر جديدة تؤيّد ما ذهب إليه فيشر بضرورة المساواة بين كل كلمات اللّغة ، لأنها وإن كانت تبدو في مستوى الاستعمال عل درجات متفاوتة (فصيح ،عامي) فإنها في أصولها في مرتبة واحدة في اللّغة.

يتميز هذا المعجم بتطبيقه المنهج الوصفي في دراسة ألفاظ العامة ، في قرية مـن قـرى لبنـان (رأس المتن) وقد تتبعها في أفواه الناس وهو عمل ميداني يعبّر عن الاستعمال الحقيقي للغة وفي كراريس الشـعر الزجلي والقصص العامي،وبعض المعاجم العربية مثل محيط المحيط ومعجم دوزي وغيرها .

ويبدوجهد المؤلف واضحا في تحقيق الألفاظ عبر العودة إلى أصولها،والبحث عـن دوائـر السـريانية والعبرية في اللفظ العربي،ويتميزهذا المعجم بتطبيق صاحبه المنهج الوصفي في دراسة ألفاظ العامة ،وهـي دراسة مبّكرة نسبيا،وخطوة في اتجاه عمل رصيف تفيد منه العربية الفصحى ، ومساهمة إيجابية فـي بنـاء معجم تاريخي لألفاظ العربية .))[22](ص93)

خلاصة الفصل :

1- اتبع الشيخ محمد بن عمر التونسي طريقة الترتيب الألفبائي العادي مراعيا أوائل حروف المداخل دون اعتبار للجذور أوتجريد المداخل من حروف الزيادة فيها أو ما بعد حروف زيادة ،.))[16](ص143) وهذا منطقي حتى يحافظ على الصورة الأصلية للمصطلح لأنه صورة للوضع الثاني وليس الأصل الذي قد تبتعـد دلالته عن الدلالة الاصطلاحية الجديدة ، فالتجريد من الحروف الزائدة قد يفقده صـورته الوصـعية الثانيـة وبالتالي دلالته الاصطلاحية ويبعده عنها . فكان التونسي موفقا في هذا التفكير .حيث يقـول بـن مـراد: ((فليس " الشذور الذهبية " إذن بالمعجم العلمي المختص بالمعنى التام ولا هو بالمعجم الذي يغلب فيه الحـديث على القديم ، بل هو مزيج من ثقافتين هما العربية و الفرنسية الأوربية ، ومن صنفين من المعاجم هما العـام والمتخصص ، ومن صنفين من المصادر هما المصادر القديمة والمصادر الحديثة ، لكن الشـذور الذهبيـة مهما يكن أمر النقص فيه يفضل جل معاجمنا العلمية المختصة العربية الحديثة لأنه معجـم عربـي عربـي بخلاف معاجمنا العربية الحديثة فهي أوربية عربية لأن المادة المصطلحية فيهـا مبويـة بحسـب المـداخل الأعجمية التي تتخذ مراجع ثم لأنه مشتمل على ركن التعريف وهو الركن الذي لا يكـون المعجـم بدونـه معجما ،وهو كالمنعدم في معاجمنا العلمية العربية الحديثة .))[16](ص155) . ويمكننا دون أدنى حـرج أن نسقط عنها مصطلح وتسمية معجم أوقاموس واستبداله بتسمية مسـرد مصـطلحات أوقـوائم مصـطلحات بمقابلاتها ، والمثير للحرج أن بعضها مداخلها بغير اللغة العربية .

2- يقول الشهابي : " ومن أوثق المعاجم العلمية التي ألفت في هذا القرن معجـم الحيـوان للـدكتور أمـين المعلوف ، وهو بالانجليزية و العربية ، حقق فيه عددا من الأسماء العربية لأعيان الحيوان ، وذكر صحة ما يقابلها بلسان العلم وباللغة الانجليزية " .))[105](ص56) . فالملاحظ أن الغالب في عمل المعلوف المعجمي هو التحقيق العلمي الدقيق والمتميز للمصطلحات العلمية .

3- إن القواعد السبع التي اعتمدها محمد شرف مفتاحا لمصطلحاته في معجمه، تؤكد تأكيدا واضـحا علـى أهمية المصطلح العربي التراثي في هذا المجال ، وقد عني باستخراجه واستخلاصه من المؤلفـات العربيـة العلمية القديمة ، فكانت له المنزلة الأولى قبل اللجوء إلى وسائل أخرى كالترجمـة الحرفيـة ، والتعريـب

اللفظي ، والإبقاء على المصطلح العلمي الدولي ، وقد كان للمصطلحات المستحدثة أيضا نصيبا وافرا من الاهتمام في معجمه نظرا لخطورتها ولما تحمله من مظاهر التطور والحضارة في عصره . وهو رغم اهتمامه بالمولد على أهميته إلا أن الاهتمام الأكبر كما ذكرنا كان بالمصطلح العلمي التراثي المبثوث في المؤلفات العلمية التي كانت ذخرا كبيرا استغله لتأليف معجمه ، مما يدل دلالة واضحة على مدى عناية علماء العربية قديما به وتحقيقهم فيه درجات من القوة والثبات والديمومة ورغم كل هذه الدقة في إتباع أسلوب متميز في إحياء واستعمال ووضع المصطلحات .

4- ونجد الشهابي في نقده لعمل الأفراد في وضع المصطلحات العلمية في العصر الحديث. يقول : " فالمعجمات الأعجمية العربية الشاملة لعلوم مختلفة لا يمكن أن تكون جميع مصطلحاتها العربية صحيحة أو صالحة أوراجحة ، لأن ليس في مقدور الفرد أن يتقن علوما عصرية كثيرة وأن يحقق جميع مصطلحاتها وأن يميز الصالح منها من غيره ".))[105](ص53)

5 - وهنا إشارة منه مباشرة إلى عمل محمد شرف الذي ضم مجموعة من العلوم الكثيرة من طب وكيمياء وطبيعة وزراعة وغيرها ليقول:" فالمعجمات الأعجمية المشهورة (كمعجم لاروس القرن العشرين مثلا) لا يضطلع بعبئها إلا العشرات بل المئات من العلماء كل منهم في نطاق اختصاصه ، وقد عددت أسماء مئتين وتسعين (290)عالما وأستاذا شاركوا في تصنيف ذلك المعجم (...) ومن الطبيعي القول بأن الموضوعات العلمية شيء ومصطلحاتها شيء آخر ، ولكن معرفة المصطلحات العربية كثيرا ما تكون أشق من معرفة الموضوعات العلمية نفسها.))[105](ص93) وخاصة إذا تعلق الأمر بموضوعات علمية في لغة أجنبية يسعى صاحبها إلى نقلها إلى العربية. ليقول : " ولهذه الأسباب كثرت الأغلاط في المعاجم الأعجمية العربية الشاملة التي صنفت في عصرنا هذا على ما لأصحابها من فضل ومن ثقافة واسعة ، فمعجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف هو مثال للمعاجم التي تضمنت ألفاظ علوم مختلفة (...) فليس من الغريب أن يصيب صاحبه في الكثير من ألفاظ معجمه ، وأن يخطئ في الكثير منها ، ولو تجاوزت حدود اختصاصي وعملت عمله لما قلت أغلاطي عن أغلاطه ، أقول هذا لأني عارف بفضل الدكتور محمد شرف رحمه الله (...) ولكن لبعض علمائنا رأي خاص في صنع المعاجم ، فهم يظنون أن المعجم الكبير هو الذي يدل على فضل صانعه على حين أن الأدل على الفضل إنما هو تصنيف معجم صغير تكون ألفاظه العربية العلمية كلها أوجلها ألفاظا صحيحة أو راجحة.))[105](ص54)

6- إن الأمير مصطفى الشهابي مصيب في رأيه الأخير خاصة في عصرنا الحاضر حيث أصبح يوكل صنع معاجم عدة علوم أو معارف إلى فرق بحث متكاملة وليس من الممكن إنجازها من قبل فرد واحد . يقول الشهابي بعد عرضه لعيوب المعاجم العربية وأمثلة كثيرة لكل عيب منها : " وبعد يتضح من هذا البحث الموجز الذي لم أتعد فيه أسماء المواليد أن المعجمات العربية القديمة تشتمل على معايب وشوائب كثيرة ، وأنها لا تصلح لهذا الزمن . وقولي هذا لا يقدح بالذين صنفوا تلك المعجمات ، فقد كان من الصعب

أن يأتوا بأحسن منها في أيامهم والمقصرون هم علماء العصور الأخيرة الذين جمدوا ولم يعملوا شيئا في إصلاح المعجمات القديمة ، وفي تصنيف معجمات تساير العلوم الحديثة وتتسع لها ، ومن العلوم أن المعاجم العربية الحديثة (كمحيط المحيط وأقرب الموارد والبستان والمنجد وغيرها) ليست إلا صورا صغيرة " مشذبة " للمعاجم القديمة " .))[105](ص40) .

7- لكن الملاحظ لتلك النقود التي ذكرها ، والأمثلة التي أوردها برغم أنه قد أشار إلى أنه لم يتعد فيها أسماء المواليد وهي مصطلحات علمية ليست كلمات لغوية عامة ، إلا أنه رغم ذلك فقد كانت أغلب أمثلته مأخوذة من المعاجم العربية اللغوية العامة القديمة ، وليست من معاجم الاصطلاحات وعلى رأسها معاجم أسماء المواليد التي توفرت بعناوين مختلفة كمعاجم النبات والأدوية المفردة ، والعشب والعقار ، والحيوان وغيرها .

8- وعليه فإن حكمه على المعاجم القديمة بأنها لا تصلح لهذا العصر للأسباب والأدلة والأمثلة التي ذكرها ، يجب إعادة النظر فيه ، لأن المصطلحات التي عني بها كان اهتمام القدماء بها في المعاجم المتخصصة و ليس المعاجم اللغوية العامة كلسان العرب والفيروزأبادي وغيرهما ولم يذكر لنا الشهابي من أمثلته ما هو مأخوذ من معاجم الأدوية المفردة أو معاجم النباتات على سبيل المثال ، حتى إننا نجده يقول عن محيط المحيط وأقرب الموارد وغيرهما بأنها " قد اشتملت على معظم ما ذكرنا من شوائب ، وألفاظها لم تعرف تعريفا علميا ،والمصطلحات العلمية منها قليلة لا تذكر " .))[105](ص40) وهي أيضا معاجم لغوية عامة وليس معاجم اصطلاحات حتى يؤسس عليها حكمه العام فكأنه بمثابة محاسبة أصحاب المعاجم اللغوية بضرورة توفرها على المصطلحات ، وضرورة تعريفها تعريفا علميا ، وهذا ما يجب توفره في المعاجم العلمية والفنية المختصة وليس المعاجم اللغوية العامة ، على الأقل ليس بالقدر الذي يؤدي إلى اعتبارها غير صالحة لهذا الزمن .

9- إن " معجم مصطلحات علم النبات " مؤهل لأن يكون أحسن ما ألف المحدثون في مصطلحات علم النبات ، لتوفر خصائص أربع فيه : أولها : كونه تتويجا للأبحاث العربية في علم النبات ، وهي أبحاث قديمة جدا ، كانت قد انطلقت منطلقا علميا حقيقيا في القرن الثالث للهجرة وخاصة بعد ترجمة كتاب " المقالات الخمس " المسمى " كتاب الحشائش " أيضا ، لديوسقريدس العين زرني اليوناني في النصف الأول من القرن الثالث ، وتأليف أبي حنيفة الدينوري (ت282 هـ / 895م) في النصف الثاني من القرن الثالث موسوعته النباتية المشهورة المسماة " بكتاب النبات " .))[88](ع3ص33) بالإضافة إلى كل الأعمال الكبيرة التي قدمها علماء العربية قديما مما وفر زادا معجميا ثريا جدا ، وخاصة فيما عرف بكتب المفردات ، أي كتب الأدوية المفردة . وقد أضاف أولئك المحدثون وخاصة محمد شرف وأحمد عيسى ومصطفى الشهابي وأدوار غالب إلى الزاد الاصطلاحي النباتي القديم إضافات مهمة جدا .والخاصية الثانية هي أن هذا المعجم ثمرة عمل جماعي (...)، أسهم فيه أكثر من عالم واحد. والخاصية الثالثة هي كونه معجما

موحدا كما يدل على ذلك عنوانه ، فهو عمل قد سعي أثناء المراحل التي مر بها وضـعه إلـى أن تحظـى مصطلحاته بنوع من الإجماع العربي . والخاصية الرابعة هي أن هذا المعجم معجم موجه ، فهو موضـوع لجمهور بعينه هو جمهور التعليم العام ، أي تلاميذ التعليم الثانوي . .))[88](ع3، ص33) .

3.4. المعجم العام والمعجم المختص/المعجمية العامة والمعجمية المختصة:

دراسة وصفية مقارنة:بين المعاجم العامة والمعاجم المختصة(العلمية خاصة):

1.3.4. في نقطة البدء: إن الحقلين يختلفان في نقطة البداية ،فبينما ينطلق المعجم العام من الكلمات لمعانيها ، فإن المعجم المختص يتحرك من التصور للمصطلح ، والكلمة هي رمز لغوي يتألف من صيغة ومضـمون وقد تتسم معاني الكلمة بالتعدد أي بظلال مختلفة للمعاني ، ولا بد أن يتوفر لها قدر كبير من المرونة حتـى تلبي كل حاجات السياق .أما المعجم المختص يتضمن مصطلحات] والمصطلح هو رمز يمثل تصور داخـل نظام التصورات system of concepts . وبالتالي فإن الكلمة في المعجم العام تعتمد إلى حد كبيـر فـي معناها على السياق .بينما المصطلح في المعجم المختص يعتمد بشكل كبير على نظام التصور الذي ينتمـي إليه .

إذن لدينا ثلاثة أنواع من الألفاظ : مفردات لغوية ومصطلحات فنية ومصطلحات علمية.تضم :

1- المفردة اللغوية أو اللفظ العام هو أصل الوضع الأول.

2-المصطلح العلمي هو ما استعمل في العلوم المحضة : كالطب والصيدلة والرياضيات ، والعلـوم التقنيـة والهندسة وغيرها.

3-أما المصطلح الفني فهو ما استعمل في العلوم الإنسانية كالفلسفة،وعلوم الكلام والفقهاء وغيرهم ، ولعـل هذا الأخير(المصطلح الفني) وسيط بين اللفظ العام (في المعاجم اللغوية) والمصطلح العلمي (في المعاجم المتخصصة)، والمصطلح سواء كان علميا أوفنيا مكتسب لخصائص معينة تميزه عن اللفظ اللغـوي العـام أهمها: ذاتية الدلالة (Denotation) في مقابل إيحائيتها ، وأحاديتهـا (فـي مقابـل الاشـتراك والتعـدد) وخصوصيتها(في مقابل عموميتها) ، والانتهاء إلى جعل مفهومي قابل للضبط والتحديث وقابلية التعريـف المنطقي)) [21] (ص32) . وغيرها من الفروق.

تتضمنها ثلاثة أنواع من المعاجم ، الثاني والثالث يدرجان في نوع واحد هي:

1- معاجم عامة لغوية. (من صنع اللغويين).و يتفرع تحتها صنفين:معاجم الألفاظ و معاجم المعاني.

2- معاجم مختصة فينة. (من صنع اللغويين في الغالب).

3- معاجم مختصة علمية. (من صنع العلماء في الغالب)

2.3.4. في نظام التسمية : المعجمية العامة تنشغل بكل أقسام الكلم من أسماء وأفعال وحروف .في حين المعجمية المختصة فإن في نظام التسمية المصطلحية ، تتركز عناية الباحـث المصـطلحي فـي الوحـدات

المصطلحية الاسمية(...) فالاسم المعرفة هو قطب العناية في المنهج الأونوماسيولوجي ومحور اهتمام علم المصطلح لأنه جوهر التعيين الذي يربط الاسم بالشيء المسمى(أي مرجعه)،وفي ذلك يرىألان راي : (أن المصطلحية لا تهتم بالعلامات اللسانية إلا حين تعمل كأسماء تعين بها الكائنات ، وكمؤشرات إلى المفهوم ، وتستبعد الأنظمة المصطلحية كل العلامات اللسانية(Signs) التي ليس لها وظيفة تعيينية وتصنيفية ، أولا تعمل كرمز للمفهوم كالألفاظ والظروف ، فالمعول عليه إذن ، في المصطلحية ، هو الأسماء والمركبات الإسمية ، وبعض الأفعال التي لا يمكن اختزال مضمونها المفهومي إلى مضمون الاسم وتستعمل كأسماء أفعال وكذلك بالنسبة للصفة) .

وإن المصطلح مكتسب لخصائص معينة تميزه عن اللفظ اللغوي العام أهمها :

ذاتية الدلالة(Demototion)في مقابل إيحائيتها وأحاديتها(في مقابل الاشتراك و التعدد) وخصوصيتها(في مقابل عموميتها)، والانتهاء إلى حقل مفهومي قابل للضبط والتحديث ، وقابلية التعريف المنطقي .

3.3.4. في أسس البناء: إن الأسس العامة التي يقوم عليها المعجم العربي منذ وضع الخليل تصوره النظري وتطبيقاته المنهجية في القرن الثاني الهجري هي نفسها التي يقوم عليها المعجم المختص (...) وأهم تلك الأسس اثنان:

1.3.3.4. الجمع : ونعني به تكوين المدونة التي يشتمل عليها المعجم ، وتتفرع عن الجمع مسألتان: أولاهما هي مسألة المصادر. وثانيهما هي مسألة المستويات اللغوية ، وهي تصنف بحسب التعميم والتخصيص في الوحدات المعجمية ، وإما بحسب درجة هذه الوحدات من الفصاحة ، فصيح ثم مولد (بعد عصر الاحتجاج بعد ق 2 ه) ثم العامي ثم الأعجمي المقترض وهكذا.

1.1.3.3.4. المصادر: إن معاجم اللغة العامة مشتملة على الألفاظ المجمعة من خمسة مصادر هي : القرآن الكريم ، والشعر الذي قبل في الجاهلية والقرنين الأول والثاني الهجريين ، والحديث النبوي ، والمأثور من كلام العرب (...) ثم ما أخذه عنهم العلماء اللغويون من ألفاظ بطريقة الرواية عنهم بعد الرحلة إليهم في بواديهم ومحال إقامتهم)) [21] (ص06) .و نفس الوضع مع المعاجم المختصة الفنية.

أما المعاجم المختصة العلمية فمصادرها قامت على لغة في طور الإنشاء والتكوين ،وإن واضعيها لم يكونوا في الغالب عربا ، بل كانوا عجما – من السريان خاصة – قد تخرجوا من مدرسة جنديسابور ببلاد فارس ، ثم دعوا إلى بغداد عاصمة الخلافة فاعتمد عليهم العباسيون في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وكامل القرن الثالث في إنشاء الثقافة العلمية العربية ،وقد كانت ترجمة الآثار العلمية الأعجمية – اليونانية – خاصة ، الوسيلة التي اعتمدت في تلك الحركة الإنشائية ، وقد كان العلماء الأعاجم المنقولة كتبهم إلى العربية مصادر النقلة الذين وضعوا بالعربية مؤلفات في المباحث العلمية ، ثم كانت هذه الطبقات اللاحقة من العلماء، وخاصة في الطب والصيدلة، خلال القرون الستة الأخيرة من الخامس إلى الحادي عشر

الهجريين، ولم يكتفوا بالاعتماد على العلماء المؤلفين في المباحث التي تعنيهم بل توسعوا في النقل فاعتمدوا علماء اللغة أيضا.

وإذن فإن المصادر في معاجمنا العلمية المختصة تصنف من حيث الزمن إلى طبقات يعد أقدمها أفضلها قيمة، وأعلاها حجة وأوثقها مرجعية (لأنها أقرب إلى الأصول الأعجمية).

وهي تصنف من حيث المادة إلى علمية مختصة و لغوية عامة.

1- المصادر الأعجمية يتقدمها العالمان اليونانيان " ديوسقريديس و جالينوس ".

2- المصادر العربية الإسلامية:

1- المصادر الطبية والصيدلية.

2- المصادر اللغوية.خاصة الرسائل اللغوية.

3-المصادر الشعرية والأدبية ، وهي محدودة المنزلة.

– يغطي المعجم العام أكبر عدد ممكن من مفردات اللغة في حين يتحلى اختصاص المعجم بعدد معين من الألفاظ (المصطلحات) في موضوع علمي معين .

وكلما اتجه التأليف نحو التخصيص قل الاعتماد نسبيا على المصدر اللغوي بحسب حظ موضوع المعجم من الاصطلاحية.)) [16] (ص132) .

فتميز منهج الجمع (لديهم) بالتقصي الآني ، ولم يخضعوا الرصيد إلى النظرية التزامنية ، و لم يقفوا عند عصر بعينه ، كما هو الشأن عند أصحاب المعاجم اللغوية.)) [20] (ص61) .

2.1.3.3.4. المستويات اللغوية : يتنزل الفصيح في المعاجم اللغوية القديمة المنزلة الرفيعة ، ويتلوه الأعجمي(أعجمي أدبي) ، أما المولّد والعامي فنادران في المعاجم العامة ، أما المعاجم المختصة فيغلب فيها المولّد و العامي على الفصيح ، وهذا راجع إلى المصادر المعتمدة إما أعجمية أو لهجات أو غيرها.)) [16] (ص132) . فهي قد اشتملت على مصطلحات علمية وفنية قد ظهر جلها في العربية بعد العصر الذي جمعت فيه اللغة الفصحى ، ويسمى " عصر الاحتجاج "، وقد ارتبط ظهور تلك المصطلحات بعلوم وفنون (أغلبها) مستحدثة في الثقافة العربية ، فهي علوم أعجمية قد انتقلت إلى العربية بوساطة الترجمة ، ولذلك عدت المصطلحات التي استعملت للدلالة عليها من المولّد الذي لا يسمو سمو العربي الصريح الفصيح من الألفاظ،)) [21] (ص06) . ولكنه لا يقل أهمية في تكوين مادة المعجم المختص(شأنه شأن العامي) عن الفصيح في تكوين مادة المعجم العام ، ومن ثمة فهي محتوية على رصيد "العربية الحية" المعجمي ، في مجال علمي أوفني مخصوص ، فهي مدونات تتضمن أساسا مصطلحات عربية فصيحة ، مولدة ، عامية ، محلية ، أعجمية مقترضة ، معربة ، دخيلة ، ومستوى المقترضات هذا أهم منزلة في هذا الصنف من المعاجم ، وأغلب ظهورا وأكثر تواترا من المستويات الأخرى ، وقد أكسبت المستويات الثلاثة الأخيرة هذه المعاجم ميزات فضلت بها على معاجم اللغة العامة ، فهي أقل محافظة وأكثر تجديدا ، وأصدق تعبيرا عن

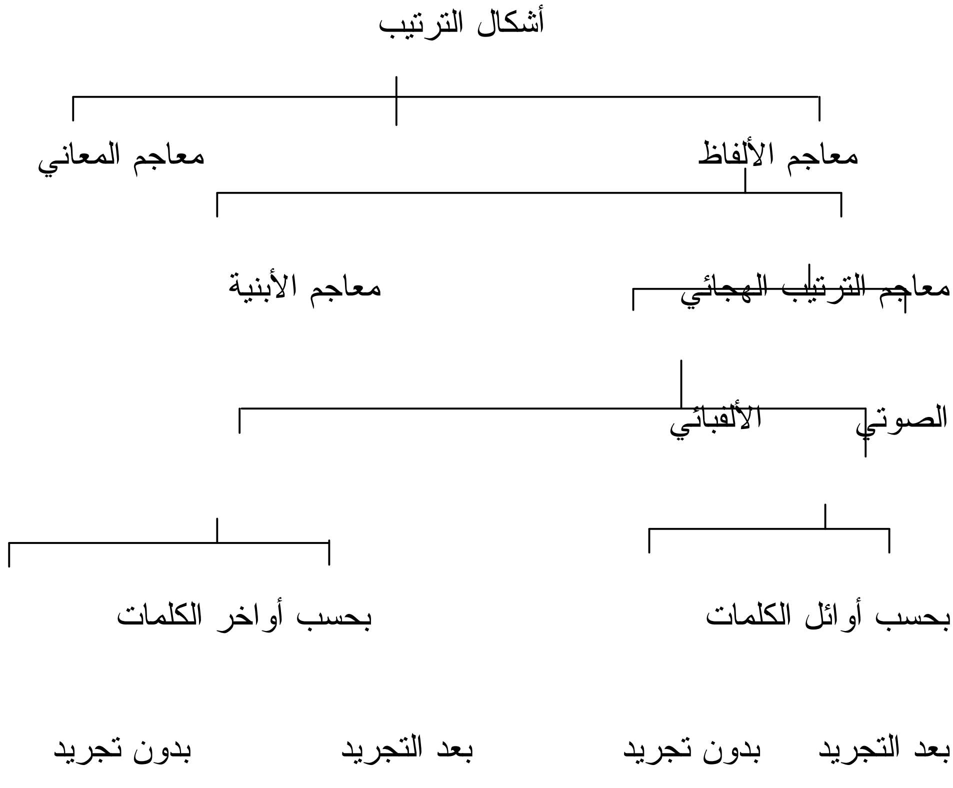
حركية اللغة وتطورها ، وأوسع تفتحا على البيئة أو البيئات العربية ، وما طرأ فيها من مولّدات ومستحدثات لغوية معجمية.)) [16] (ص156) .

2.3.3.4. الوضع : ثاني الأسس هو ما نصطلح عليه بالوضع ، وهو إخـــراج المعجـــم الكتـــاب أوإنجـــازه أوتأليفه فتصبح الوحدات المجمعة مداخل معجمية ذات وظائف في كتاب مدون بعد أن كانت مفردات مشـــتقة موزعة على جذاذات مستقلة تحملها دون تصنيف مقصود.

وتتفرع عن الوضع مسألتان أيضا : أولاهما: الترتيب أي المنهج الذي يتبعه مؤلـــف المعجـــم فـــي تبويب مداخل معجمه وتصنيفها (...)وللترتيب صنفان مشهوران،(...) وأول الصنفين هـــو الترتيـــب علـــى الحروف وثانيهما هو الترتيب بحسب المواضع. وثاني المسألتين هي مسألة التعريـــف وللتعريـــف أصـــناف كثيرة خص بها كل صنف من صنفي المعجم ، سنأتي عل تفصيلها لاحقا)) [21] (ص131) .

1.2.3.3.4. الترتيب في المعجم العام و في المعجم المختص :

1.1.2.3.3.4.الترتيب في المعجم العام : لا تخرج طرق الترتيب المعجمي فـــي العربيـــة عـــن الأشـــكال الموجودة في الرسم التالي)) [111] (ص36) .



الشكل رقم 4 : يمثل أنواع الترتيب

وقد وجد في العربية كل أنواع الترتيب في المعاجم اللغوية العامة المختلفة بالإضافة إلى الترتيب التسلســـلي المشجر للمعاني كما هو الحال مع معاجم المسلسل.

2.1.2.3.3.4. الترتيب في المعجم المختص :هناك أنواع محددة اعتمدها المؤلفون التراثيون في ترتيب مداخل معاجمهم المختصة كالترتيب بحسب المواضيع ، والترتيب على حروف المعجم ،أوالترتيب الهجائي ، والترتيب بحسب المداخل الأعجمية.

يتبع المعجم العام الخط الألفبائي [غالبا] للمداخل ، فكل مدخل يبدأ بالكلمة الرئيسية Read word متبوعة بنص شارح أوتعريفي أوسياق توضيحي أما العمل في المعجم المختص المصطلحي لا يعنى بتعريف الكلمة أواستعمالها في سياق معين بل بالتصور او النظام الدلالي والمفهومي العام الذي يصاغ فيه بعد ذلك)) [20] (ص143) .

1.2.1.2.3.3.4. الترتيب بحسب المواضيع : يعد أقدم الأنواع المذكورة ، جاء تكريسا لإرهاصات أولى بدئت بالرسائل اللغوية التي أعدها أئمة اللغة الأقدمون في موضوعات بعينها (...) ثم استقرت نمطا معروفا في التأليف المعجمي (فيما بعد).)) [82] (ص423) .

تنبه المعجميون العلميون إلى أهمية هذا الضرب من الترتيب فاتخذه البعض منهم منهجا في ترتيب مواد معاجمهم العلمية منهم من راعى الترتيب العلاقي الموضوعي للألفاظ ومنهم من لم يفعل ذلك ولكنه اكتفى بتقسيم شكلي لموضوعات المعجم بحسب الأبواب والفصول.

-درجات الأدوية.

-أبواب الطب.

-أنواع الأمراض.

بالنسبة للمعجم العلمي الطبي ، وبالنسبة للمعجم الفني مثلا في الفقه نجدها مرتبة وفقا لأبواب الفقه.

2.2.1.2.3.3.4. الترتيب على حروف المعجم.بنفس صورة المعجم اللغوي.

3.2.1.2.3.3.4. الترتيب بحسب المداخل الأعجمية:

يأتي هذا الترتيب في ترجمات وتفاسير المعاجم الأجنبية(كتفسير كتاب ديوسوقريدوس اليوناني في الأدوية المفردة) لابن البيطار،حيث تركه على طريقته الأصلية في الترتيب ،(وغيره)، ويدخل في هذا الترتيب معجمات المعربات كـ (المعرب) للجواليقي ، فهي مرتبة ألفبائيا بحسب حروفها الأعجمية.)) [82] (ص429) .

2.2.3.3.4. التعريف : ثمة ثلاثة أنواع من التعريف في معاجمنا العربية القديمة ، تعكس بشكل أو بآخر الحالات المنطقية لمفهوم التعريف ، وهي:

1.2.2.3.3.4. التعريف اللغوي:

معمول به في " معاجم الألفاظ " المعاجم العامة ، ومعاجم الموضوعات التي تعتمد أساسا على مصادر لغوية (...) معززة بمعلومات صوتية وصرفية ونحوية وتاريخية وبشواهد شعرية ، ونجده أيضا في المعاجم المختصة العامة وهي معاجم المصطلحات الموسوعية في علوم العربية كـ (التعريفات) للجرجاني

، و(الكليات) للكفوي ، وكشاف اصطلاحات الفنون ، غالبا ما ينحو فيها المؤلفون إلى التعريف اللغوي أولا قبل أن يدلوا بالتعريفات المصطلحية بحسب ما تدل عليه اللفظة باختلاف مراحلها ، معززين ذلك بما تيسر من نصوص القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وخاصة الشعر العربي.

ثم يأخذ التعريف اللغوي مدى أبعد في معاجم المصطلحات العلمية من النوع الموسوعي ، لتضاف عناصر أخرى إلى التعريف السابق ، بذكر مرادفات المصطلح والإحالات والمقابلات اللغوية في اللغات الأخرى.

2.2.2.3.3.4. التعريف الموسوعي : سمي أيضا بالتعريف المنطقي أو الجوهري لأنه يقوم بتحديد الخصائص الجوهرية للشيء المعرف به أوالذات ، وليس للفظ الذي يدل عليه وهو يشتمل على ركنين أساسيين هما:

1- التعريف بالحد ؛ وهو تعريف ماهوي يحدد نوع الشيء المعرف و فصله.

2- التعريف بالوصف ؛ وهو التوسع بتعريف الشيء وذكر خصائص أكثر وأعم.

وقد توسع المعجميون من علماء النبات والطب في هذا النمط من التأليف خاصة في مجال الأدوية والنباتات الطبية ، فضمّنوا التعريف الموسوعي الأركان التالية:

1- ديباجة: تعريف لغوي قبل الدخول في التعريف الموسوعي.

2- وصف بنيان الدواء أو النبات.

3- وصف خصائص الدواء.

4- وصف منافع الدواء.

5- ذكر أسماء الدواء بالألسن المختلفة ، و هويدخل في إطار التعريف اللغوي.

6- ذكر ماهيته ؛ جيدة ، رديئة ، درجته ، مضاره ، مقاديره ، تركيباته ، وطرائق استعماله ، وغيرها.)) [82] (ص432) .

3.2.2.3.3.4. التعريف المصطلحي : وهو التعريف الذي لا يعرف اللفظ ولا الشيء الذي يدل عليه اللفظ ، وإنما يعرف المفهوم أوالتصور الحاصل في الذهن عن الشيء)) [12] (ص15) .

وعليه فإن تعريف مفهوم ما لا يمكن أن يكون تعريفا دقيقا ما لم نحدد موقع هذا المفهوم من النظام المفهومي للحقل العلمي الذي ينتمي إليه ، وهذا ما أدركه – في الغالب– مؤلفو المعاجم العربية القديمة ، لذلك جاء التعريف المصطلحي في المؤلفات العلمية التراثية مستندا إلى أربع قضايا أساسية تركز عليها النظرية المصطلحاتية الحديثة وهي:

- تحديد علاقة المصطلح بالمصطلحات الأخرى المتصلة به.
- تحديد المجال المعرفي الخاص بالمصطلح (الحقل والاختصاص).
- التركيز على التعريف المفهومي لا اللغوي أو اللفظي.

- الانطلاق من التصور أوالمفهوم إلى الكلمة وليس العكس)) [82] (ص438) .

وخلاصة القول:

من هذا العرض الموجز تتبين قيمة الأعمال المعجمية العربية والتي يجب الإنطلاق منها من أجل الوصول إلى وضع نظرية عربية معجمية متكاملة، تكون قاعدة للمعجمية العربية الحديثة وتوقفنا على الذهنية الحضارية للأمة في عصورها السالفة، ومقدار ما حققت من تقدم في مجالات المعرفة المختلفة ، كما تمكننا من معرفة مدى التأثير والتأثر بين المسلمين وغيرهم من أبناء الحضارات الأخرى السابقة ، وما تم من إقراض أو اقتراض لغوي أومعرفي.

كما تفيدنا في معرفة أثر تلك المعاجم المتخصصة في المعاجم العامة القديمة ، معاجم الألفاظ أو معاجم المعاني ، لأنها كانت تمثل مرحلة مبكرة متقدمة على المعاجم العامة ، وفي الوقت ذاته تفيدنا في وضع معاجم عامة منشودة كاملة معاصرة ، إن تاريخية وإن تأثيلية و إن تخصصية.

وتفيدنا في تأريخ العلوم المختلفة ودراسة تطورها،وفي مجال الترجمة اللغوية،كما تفيدنا في الحصول على ثروة غزيرة من الألفاظ (الأضداد،المترادفات...) لإثراء المصطلحات وتنميتها وتصحيح أخطاء الوضع المصطلحي الراهن.

الفصل 5

المعطيات الأساسية في المعجم المتخصص

1.5. تقدمة لغوية اصطلاحية:معجم.قاموس.مصطلح :

شاع استخدام لفظتي معجم وقاموس بين اللغويين والباحثين بوصفهما مترادفتين وهـذا مـا أدى إلـى محاولة الكثيرين إلى تخصيص هاتين المترادفتين للتعبير عن ثنائيات مصطلحية مفهومية متكـاثرة تكـاثرا مطردا في البحث اللساني الحديث .

فكان الحاصل من هذا أن كثرت المصـطلحات الثنائيـة والثلاثيـة وكثـرت المفـاهيم والتعـاريف المخصصة لها فظهر : معجم ، ومُعجمية ، ومَعجمية (كما هو الحال مع الحمـزاوي) .)) [60] (ص18). ومعجمانية وعلم المعجم وعلم المعاجم ، صناعة المعاجم ، معجمية عامة ، معجمية متخصصة ، والمعجمية والمعجماتية.

وظهر : قاموس ، وقاموسية ، وقاموساتية . كما ظهر : مصطلح ، مصطلحية علـم المصـطلح.)) [115] (ص22). ومصطلحاتية ، كل له ما يبرر استعماله في مقابل مفاهيم متعددة ومتداخلة في مقابل مصـطلحات أجنبيـة متعـددة أيضـا , Lexicographie , Lexicologie , dictionnaire – Lexico – Lexique Terminologie , Terminolographie وغيرها . وكله يلقي بظلاله الفوضـوية فـي ذهـن الباحـث والقارئ والدارس،مما يشوش مفاهيمها ويدفعه إلى تبني أي منها دون معرفة أصولها وما أخطر هذا النـوع من التبني للمصطلحات.

1.1.5 كلمة معجم : اصطلاحا : يتبادر في الذهن للوهلة الأولى أن نجد كلمة معجم على رؤوس المعـاجم اللغوية القديمة منذ أول ظهورها مع الخليل والبستاني وغيرهما ، لكن واقع الحال غير ذلك تماما ، فإن هـذا المصطلح لم يكن أصلا في بداية استعماله من وضع أصحاب المعاجم اللغوية (وهم الأولى بفعل هذا)، بـل قد ظهر في وقت متأخر عند علماء الحديث أولا أطلقوها على كتبهم المرتبة فيها أعلامهم على نمط معـين هو في الحقيقة حروف المعجم كما فعل أبو يعلى بن المثنى (825م – 909م) في " معجم الصحابة " وقـد كان في الحقيقة مرادفا لمصطلح " الفهرست " مثل فهرست ابن النديم وغيره . فمصطلح معجم فـي بدايـة استعماله -وإن كان على استحياء - لم يكن له أدنى علاقة مفهومية بين ما كان يحيل عليه في ذلك الوقـت (الترتيب على حروف المعجم) ، وما اعتبره اللسانيون المحدثون أنه يحيل عليه من دلالة .

نورد رأي الحمزاوي على سبيل التمثيل والذكر لا الحصر : معجم وقـاموس . فالمصـطلح الأول يمثل ما عبر عنه الخليل " بـالموجود بـالقوة " ، و" تشومسـكي " بالقـدرة اللغويـة (competence) و يستحسن أن نعبر عنه اليوم ب " الرصيد اللغوي " ،والثاني هو ما عبر عنه الخليل ب " الموجـود بالفعـل" وابن دريد بــ " الجمهرة " ، وتشومسكي بالمنجز أوالمطبق (Performance) ، ويجوز لنا اليوم أن نطلق عليه مصطلح " المعجم " ، وما يلحقه من أوصاف ، أما الثالث فهو يتكون من القائمة الشاملة لكل الكلمـات التي تحتويها مدونة معينة أو ميدان معين ، ولقد أطلق عليه ابن سـيدة " المخصـص "،ويمكـن أن نسـميه مخصص الألفاظ ، أو مخصص المعاني .

ولعلنا نستغرب أن يطلق اسم جزء بسيط وهو الترتيب على حروف المعجم ، على كل كبير متعـاظم في بنيات تركيبه ، فليس ترتيب المواد على حروف المعجم إلا جزءا بسيطا جدا مـن هيكـل البنـاء العـام للمعاجم العربية الذي يتضمن : الترتيب والتعريف ، والمصادر والمستويات ، أي الجمع والوضع على حـد تعتبر ابن منظور .

ولعلنا نستطرد هنا لنستغرب وضعا آخر ، وهو تصنيف المحدثين للمعاجم العربية القديمة إلى مـدارس أساس كل ذلك هو : طريقة الترتيب فنجد :

1- مدرسة الخليل : الترتيب الصوتي .
2- مدرسة الجوهري : القافية.
3- مدرسة ابن سيدة : الموضوعات..

أضف إلى هذا أن هذا الترتيب على حروف المعجم الذي أخذ منه المضاف إليه لا المضاف الأصل لـم يكن دائما معتمدا ، فقد ظهر على قدم المساواة معه الترتيب الموضوعي كمـا هـو مطبـق فـي معـاجم الموضوعات بداية من مخصص ابن سيدة والغريب المصنف لأبي عبيد ومن اتبع منهجهما .

2.1.5 تاريخ استعمال كلمة معجم : بعودتنا إلى ما أطلق عليه تجاوزا مصطلح : " معاجم لغوية " نجد أن أصل تسمياتها الحقيقية متعدد ومتنوع بتنوع أهداف أصحابها ووجهات نظرهم ، ورؤيتهم اللغوية الشاملة .

بداية من الأعمال الأولى فيما يدل عليه مصطلح معجم حديثا ، والمتمثلـة فـي أعمـال المسـلمين المرتبطة بالقرآن الكريم والحديث الشريف حرصا منهم على فهمها والوقوف على غريبها ظهر ما يسمى بــ : غريب القرآن وغريب الحديث ، وغريبي القرآن والحديث ، وقد سبق التفصيل فيها والملاحـظ أنـه لـم تستخدم كلمة معجم لوصف تلك الأعمال .

ومع عصر رحلة العلماء إلى البادية لمشافهة الأعراب وجمع اللغة من مصادرها الأصلية وتـدوينها وتصنيفها وإصدارها في كتب اصطلح عليها باسم الرسائل اللغوية ،وكانت تضم عنـاوين مختلفـة حسـب موضوعها ، فنجد منها مثلا : كتاب الخيل ، وكتاب الإبل، وكتاب الحشرات، وغيرها. وقـد سـبق أيضـا التفصيل فيها ، وقد كان لها دور مزدوج في التأليف المعجمي فيما بعـد : فكانـت نـواة حقيقيـة للمعـاجم

المختصة ، وكان مخزنا وكنزا بما تحمل من مادة غنية للمعاجم اللغوية العامة. والملاحظ أيضا أنها لم تحمل أبدا مصطلح معجم في عناوينها .

ومع ظهور المعاجم الحقيقية بظهور – حسب اتفاق كل العلماء – معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي أوالجيم للشيباني، وكل المعاجم التي تلتهما تقليدا أو تطويرا أو إبداعا أيضا، فإننا نجدهم يسمون كتبهم تسميات متنوعة منها : جمهرة اللغة، والبارع، والتهذيب، والمحيط، والمحكم والعباب والقاموس وغيرها، وكل له وجهة نظر ومنطلق يبرر سبب التسمية ، وقد أشرنا إلى بعض منها أثناء شرح بناء هذه المعاجم المختلفة .والملاحظ أيضا أننا لا نجد كلمة " معجم " في عناوين مؤلفاتهم .

لنصل إلى أواخر القرن الرابع الهجري حيث نجد أبا هلال العسكري صاحب كتاب الصناعتين (الشعر والنثر) في الأدب ، يؤلف معجما مختصا في ما تبقى من الأشياء ، فكان استخداما متميزا لهذا المصطلح (المعجم) على ما عمم عليه تجاوزا ، فسمى كتابه " المعجم في بقية الأشياء " . ولعله سماه كذلك لترتيب مواده على حروف المعجم لا لسبب آخر مما يدور في أذهاننا وشاع بيننا .

ونجد إلى جانبيه في أواخر القرن الخامس الهجري مؤلفا آخر ظهر مصطلح معجم في عنوانه هو : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد البكري ، ولعله أطلقه لنفس السبب السابق . والملاحظ أن المؤلفين كلاهما من المعاجم المختصة .

أما المعاجم اللغوية العامة فلم تطلق هذا المصطلح على عناوينها حيث استمر الوضع على حاله فنجد: تاج العروس، ونجد محيط المحيط، وقطر المحيط والمنجد والمورد والبستان ، وغيرها .ولم نجد فيما وقع بين أيدينا من مؤلفات معجمية للأفراد كلمة معجم مضافة أو موصوفة أو مفردة .

لنجد هذا المصطلح يأخذ مكانه بقوة في العمل الجماعي المعجمي الكبير وهو المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وظهر بعده المعجم العربي الحديث لمؤسسة لاروس ، والمعجم العربي الأساسي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،ونجده في عناوين أعمال بعض الأفراد كعبد الله العلايلي في " المعجم " وقد سبق التفصيل فيها جميعا .

وقد كانت هذه البداية الحقيقية لظهور المصطلح " معجم " على عناوين الأعمال المعجمية وأصبح يعني فيما يعني من مفاهيم كثيرة يحددها العلماء على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم بأن " مجموع المفردات المفترضة في اللغة " أوهو الكتاب الذي يضم بين دفتيه كلمات اللغة مرتبة ترتيبا معينا ومشروحة شرحا وافيا.

ولعل الملاحظ للأعمال المعجمية المنجزة أن كلمة معجم تطلق في الغالب على المعاجم المختصة كما هو الحال مع معاجم مكتب تنسيق التعريب ولا نجده إلا قليلا في عناوين المعاجم اللغوية العامة .

3.1.5. كلمة قاموس :((لغة : قمس : قمس في الماء يقمس قموسا ،:انغط ثم ارتفع،(...) والقاموس والقومس قعر البحر ،وقيل وسطه ومعظمه،قال أبو عبيد :القاموس أبعد موضع غورا في البحر.))[53](ص189).

اصطلاحا: لعل حكاية مصطلح القاموس أبسط بكثير من حكاية مصطلح المعجم حيث في غمار تلك التسميات المتنوعة للعلماء لمؤلفاتهم كان إطلاق الصحاح والجمهرة والمحيط ، والقاموس الذي اتخذه مجد الدين الفيروزأبادي علما على مؤلفه فسماه " القاموس المحيط " اعتبارا منه أنه يحيط بكل اللغة ويغوص في أعماقها، وبعد صدور " القاموس المحيط " بفترة وجيزة وانتشاره انتشارا كبيرا لما فيه من ميزات وحسنات يفضل بها عن غيره، فاعتمد عليه القاصي والداني من اللغة، واتخذه العلماء من بعده منطلقا لهم في أعمالهم كما فعل الزبيدي في" تاج العروس من الجواهر القاموس "، ومحيط المحيط للبستاني ،والشدياق في أفكاره المعجمية النقدية التصحيحية، ونظرا لقيمته الكبيرة فقد ترك أثره في كثير من الباحثين والدارسين قديما وحديثا.

كل هذه الأسباب نجد فيها المبرر الكافي لانتشار مصطلح " القاموس " ومحاولة إطلاقه على كل عمل يدخل في باب المعجم بمعناه الحديث، والملاحظ أن مبرر استعمال مصطلح قاموس وإطلاقه على هذا النمط من التأليف، وهذا أوضح من استعمال مصطلح معجم الذي لم يكن استعماله كبيرا في القديم ، وليس له صلة غير دلالته اللغوية وهي الإيضاح والإبهام فكان مرتبطا في البداية بحروف اللغة (الألفبائية) ثم اتصل مباشرا بكلمات اللغة . وإن كان مبرر المصطلح الأول (معجم) أوضح ، فإن مبرر المصطلح الثاني(قاموس) أقرب جدا إلى الموضوعية والعلمية .

4.1.5.. الترادف بين معجم وقاموس : مما سبق نلاحظ التدرج الزمني في دلالة كلا المصطلحين حتى العصر الحاضر ، حيث نجد أنفسنا أمام مصطلحين حسب مسيرتهما الدلالية التاريخية قد وصلا إلى نفس المفهوم في نهاية المطاف. فأصبح المصطلحان مترادفين في نظر بعض، وغير مترادفين في نظر آخرين .

ولعل أشهر من يرى الترادف بينهما وقد أقره بالإجماع هو مجمع اللغة بالقاهرة ، لنجده يتكرر بنفس الدلالة والمفهوم في المعجم العربي الأساسي ، وغيره و إن كان إطلاق المعجم على المعاجم الأحادية اللغة والقاموس على المتعددة اللغات، وهم وإن اتفقوا حول ترادف المصطلحين فإنه على مستوى التنظير والتطبيق للعلمين المختصين بهذا النمط من الأعمال " معجم " أو " قاموس " فإن الاختلاف فاحش في مفهوم كل منهما.

أما مصطلح " مصطلح " عومل باعتبارات عدة في الدراسات المصطلحية كونه مصدرا ، أو اسما محضا ، أو اسم مفعول تسمية يراد بها معنى مضادا للتوقيف الالهى ، ومنه اشتق مصطلح "مصطلحية "للدلالة على العلم الذي يختص بالمصطلح.

2.5. في مقدمة المعجم ونوعه وهدفه :

تضم صناعة المعجم عامة شقين مختلفين ومتكاملين ، يتصف أولهما بطابع نظري ، ويتمثل في اختيار الأسس النظرية والمنهجية العلمية والأهداف المرجوة من وضع المعجم أما الشق الثاني فهو ذو طابع عملي ويشمل الخطوات التطبيقية التي يمكن اتباعها من أجل إنجاز المعجم العلمي المختص الأحادي أوالثنائي أو متعدد اللغة.

((وإن العمل المعجمي العربي الحديث تعوزه النظرية المعجمية التي تؤطره في نظام محدود، وهذه النظرية يمكن أن تؤخذ من منجزات اللسانيات الحديثة سواء في مستوى اللسانيات نفسها أو بما توفره من مدارس متعددة (تاريخية ، بنيوية ، وظيفية ، تحويلية ، توليدية ... الخ) أو في مستوى المعجمية الحديثة التي أتت بنظرات ومفاهيم وتقنيات يمكن لها أن تحل كثيرا من المشاكل العالقة في المعجمية العربية، وللأسف لم نجد مقاربات لسانية لقضايا المعجم في جمل الدراسات العربية التي وقفنا عليها ، باستثناء ما كتبه الحمزاوي ، والفاسي الفهري وإن بدت كتابات الفهري صعبة التمثل أوغامضة بعض الشيء)) [115](214) ،ولعل التعريف يبدو أشد مكونات المعجم إثارة للإشكالات من حيث فهمه نظريا ثم تطبيقه عمليا .

1.2.5.مقدمة المعجم : إن مقدمة المعجم تحتل أهمية قصوى ، وهي أهم مكونات المعجم ،ويتعين وجودها في بداية المعجم للتعريف بما يلي :

1 - الهدف من تأليف المعجم ودواعيه لتوضيح الفئة الموجه إليها وعدد مصطلحات المعجم أي رصيده .

2 - المصادر المستعملة في المعجم .

3 – المستويات الداخلية للمداخل .

4 – طرق التعريف .

5 – طرق الترتيب .

6 - موضوع المعجم و تفريعاته ومفاهيمه الكبرى .

7- بيان النطق و الهجاء: الكتابة الصوتية للمداخل المعجمية:

8 - الملاحق : تدرج في نهاية المعجم ، تتضمن كشافات وفهارس وجداول حسب موضوع المعجم ، فالفهارس الألفبائية ضرورية وأساسية في المعاجم المختصة الثنائية اللغة ومتعددة اللغات ، حيث يتعين على المعجمي أن يتضمن معجمه المبدوء بمداخل أجنبية قسما آخر مبدوءا بمداخل اللغة الثانية المتضمنة فيه أو إذا كان معجم مرتبا مفهوميا يلحق بمسرد ألفبائي لمداخله . وتضمين المعجم الكشافات الخاصة بأسماء الأعلام والمدن والمواقع والرموز الكيميائية والأسماء العلمية ومجال النبات الطب والصيدلة ومجموعة الصورة والجداول البيانية حسب كل معجم ، مع تعريف القارئ برموز التدوين التي ينبغي أن يفرد له المؤلف صفحة خاصة بعد المقدمة.

وعليه فإنه يجب أن يتوفر المعجم على مقدمة توضيحية يستهل بها . لتوضيح الكثير من الأمور المتعلقة بهذا العمل وتكون كدستور العمل به إلزامي وضروري.

2.2.5. الهدف من إنجاز هذا المعجم : وهو بالنسبة لنا ملأ الفراغ الحاصل في المكتبات العربية في مجال المعجمية الصوتية (بكل فروعها: الفونتيكية والفنولوجية والتجريبية) والأنموذج هو الصوتيات الوظيفة.هذا من جهة.

ومن جهة أخرى هومحاولة التأسيس لنظرية مصطلحية عربية أصيلة في بناء المعاجم المتخصصة ، من أجل تقليص الهوّة العميقة التي تفصل النظريات اللغوية المتصلة بالمعنى والدلالة من جهة، وصناعة المعاجم الحقيقية من جهة أخرى ،والتي تبقى مفتوحة لكل ما يقدمه الدرس اللساني من جديد وذلك وفق مبدأ : ضرورة تحيين المعجم .

ولعل أهم أركان البناء المعجمي الذي يكاد ينعدم في أغلب المعاجم المختصة الحديثة هو ركن التعريف ، (كما رأينا فيما سبق) والذي بانعدامه لا يتحقق الوجه الثاني من ورقة المعجم : مصطلح / دلالة ، وبغيابه يفقد المعجم أهم مقومات قبوله واستعماله ودوامه .

ومن الأهداف المنظورة أيضا من هذا العمل :

1- تقديم معجم يفي بحاجات الطالب و بحاجات العلم موضوع المعجم .

2 - وضع معجم يحمل بين دفتيه المصطلحات الصوتية الوظيفية معرفة مصنفة ومحددة ، ومرتبة الترتيب الأنسب، ليسهل الوصول إليها محاولين في ذلك إيفاءها حقها ومستحقها من الوضع المصطلحي من أجل العمل على وضع خطة أوسع، لعمل معجم تاريخي للمصطلحات الصوتية الوظيفية تهيئة لعمل معجم تاريخي للمصطلحات العلمية ككل، وحسب ما سيقدمه هذا العمل من خطة ومنهجية في وضع وبناء معجم متخصص .أيا كان اختصاصه ، وهو موجه بالخصوص للطلبة والباحثين في الاختصاصر

3- ولا يكتفي بمجرد الإحصاء والرصف والتجميع للمصطلحات وترتيبها ترتيبا مشهورا ، وشرحها شرحا بسيطا ، بل يسعى إلى توضيح مبادئ مشروع علمي يرتكز على أصول معجمية نظرية وتطبيقية عربية قائمة على قواعد المعجمية العربية الحديثة ، واصلا التراث العربي القديم بالجديد بتمظهراته المختلفة حسب المدارس والمذاهب والاتجاهات والنظريات اللغوية الغربية والموقف منها ، وكل هذا من أجل ضبط المفاهيم الصوتية المتداولة وتعميم فهمها واستعمالها .

4- وهو في الآن نفسه يعمل على التوفيق بين وجهات النظر المختلفة في دراسة المصطلحات، وكذا في بناء المعاجم العامة والمتخصصة خاصة، وذلك بعرض مختلف الرؤى والمقاربات وترجيح الأنسب منها. وننزلها المنزلة التي تليق بها ، ونوظفها التوظيف الفعال لإنجاز المعجم المأمول، وهو لن يكون معجما مثاليا خالصا، بل يحتاج دائما إلى التحيين في بنائه الداخلي والخارجي كلما دعت ضرورات ومستجدات العلم الحديث.

3.2.5. تحديد نوع المعجم ومنهجه : هو معجم أحادي اللغة في أصل وجوهر وضعه حاضرا، متعدد اللغات في غرض وضعه مستقبلا إن شاء الله. حيث إنه لم يتم ثبت المقابلات باللغة الأجنبية إلا إذا كان هذا المقابل مما يزيد في الفهم والتوضيح لا الإبهام والغموض والدوران في دوامة الفوضى المصطلحية المفهومية دون طائل .

نتناول المصطلحات في هذا المعجم بالوصف، والتحليل ، وفق عرضها عرضا تأريخيا بداية من استعمالها الأول (ما أمكن) وصولا إلى استعمالها الحديث، بمعنى أننا نعتمد المقاربة الوصفية في رصد مواصفات المدخل المصطلحي في تزامنيته المطلقة، ثم ننتقل بعد استقصاء المراحل الزمنية المتعددة والمتتابعة إلى اعتماد المقاربة والمقارنة التاريخية لتتبع المصطلح منذ ظهوره إلى استعماله في العصر الحديث حسب نتائج الدراسة الوصفية السالفة الذكر. ورصد كل جديد إن بالإيجاب أو بالسلب .تقليدا أو تطورا أو حتى جمودا وموتا. فيتمثل المهجم بذلك الجهاز المفاهيمي المكتمل الأجزاء لموضوعه واختصاصه ، فلا يعرض المصطلحات مستقلة لوحدها بل يعرضها في إطار المنظومة المفهومية للعلم موضوع المعجم .

3.5. ركنا الجمع والوضع في المعجم :

1.3.5.الجمع : المصادر والمستويات اللغوية في المعجم : يعد التوثيق المصدري أولى خطوات إعداد المعجم المختص ومن أكثرها أهمية ، إذ يتعين على المعجمي الذي يقوم بإعداده أن يتبين ويحدد لائحة المصادر التي اعتمدها في جمع مادته المصطلحية ، حتى يعزو المصطلحات وتعريفاتها وشروحها والبيانات المتعلقة بها إلى مواقعها في مصادرها الأصلية ، وهذا كله سعيا لتحقيق الدقة والموضوعية في المعجم . وتتنوع مصادر المعجم المصطلحية بين عدة أصناف : المعاجم اللغوية والمصطلحية بكل أشكالها وأنواعها وأصنافها .والمؤلفات العلمية في الاختصاص .والمنشورات والوثائق الصادرة في موضوع الاختصاص إثر الملتقيات والندوات المنعقدة. وعليه فإن وضع ثبت بالمصادر المعتمدة والمختارة ضروري جدا لتوثيق المادة المعروضة.

ولأنه ليس ثمة مرجع كامل متكامل في حقل الصوتيات يمكن اعتباره موسوعة شاملة تغطي الحقل برمته ، لذا فالحاجة ماسة إلى قائمة مستفيضة من المراجع للإحاطة التامة الدقيقة بمفاهيم الحقل وتعريفاتها قبل البدء في اختيار المقابلات العربية ووضع المعجم المتخصص .
و بحسب مصادر المعجم تتحدد المستويات اللغوية فيه.

2.3.5. الوضع : التعريف والترتيب في المعجم :

1.2.3.5. ظاهرة التعريف في الفكر العربي القديم : ((إن تحديد مفهوم التعريف Définition يعد من أكثر المصطلحات صعوبة ، وذلك لارتباطه بجل الدراسات الإنسانية والطبيعية مما يجعل تحديده يتباين من مجال إلى آخر ، بل في نوع واحد من المعاجم إلى نوع آخر في المجال ذاته [116](ص37). ولا نريد الخوض

في فلسفات المتفلسفين حول هذا المصطلح لأن ذلك سيبعدنا عن صلب الموضوع ، فليس مقصودنا هو تعريفات التعريف بقدر ما هو تقديم المعنى الأصلح والأنسب لهذا المصطلح ليكون واضحا في أذهان الجميع .

إن الجهود الأولى في التعريف ((كانت من عمل اللغويين، إن لم نقل الفقهاء لأن التعريف بدأ مع تفسير ألفاظ القرآن الكريم ، وازدهر في كتب اللغة عند جمع موادها من بعض المناطقة و محاولة التعريف بها ، ولهذه النشأة دورها في تحديد التعريف نفسه الذي غدا في مرحلة من مراحل تطور المعجم اجترارا مكررا لا جدة فيه [115](ص117) .

وإن المتتبع لظاهرة التعريف في الفكر العربي القديم يكتشف أنهم ميزوا بين درجات عديدة في تحديد ماهية الشيء، هذه الدرجات يمكن إجمالها في نوعين من التعريفات : رئيسة ومساعدة .

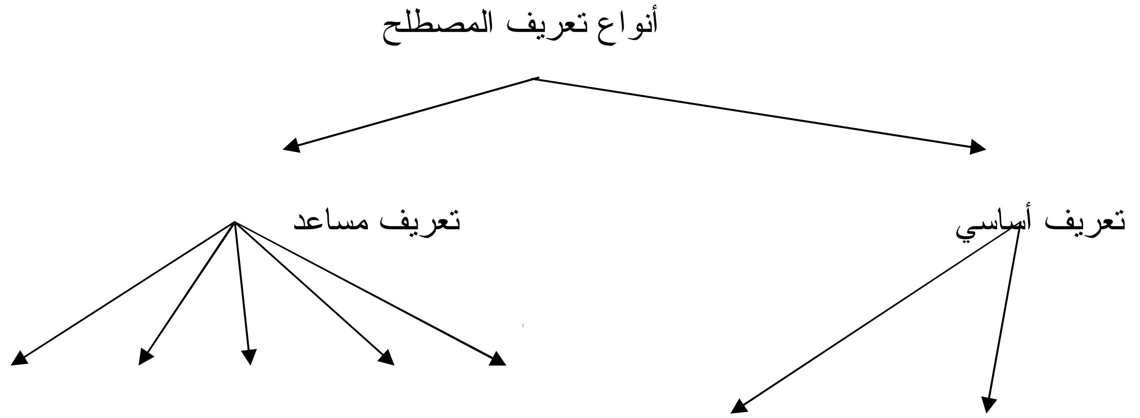
1.1.2.3.5. التعريفات الرئيسة : وتضم الحد والرسم [117](ص 95-96) : يقول جابر بن حيان عن كتابه "الحدود" : ليت شعري كيف يتم عمل لمن لم يقرأ كتاب الحدود من كتبنا ، فإذا قرأته يا أخي فلا تجعل قراءتك له مثل قراءة سائر الكتب ، بل ينبغي أن تكون قراءتك للكتب مرة في الشهر، وأما الحدود فينبغي أن تنظر فيه كل ساعة ، وإن إعطاء الحد أعظم ما في الكتاب [20](ص78) .

1.1.1.2.3.5. الحد : قسم القدماء الحد إلى قسمين هما : الحد التام : وتعرف بمقتضاه الألفاظ والمصطلحات بحيث يلتجأ إلى جميع أجزاء الحقيقة الداخلة تحت اللفظ : وهو عند السكاكي . أتم التعريفات لأنه يكون في درجة عليا بالنسبة لباقي التعريفات المقترحة لنفس الوحدة المصطلحية .والحد الناقص : وتعرف بمقتضاه المصطلحات ببعض أجزاء الحقيقة التي تعبر عنها . إذ يكون محتوى التعريف مساويا للمصطلح المعرف في عمومه ، ولكن لا يساويه في المعنى .

2.1.1.2.3.5. الرسم : إن المفكرين العرب القدماء (...) اعتبروا التعريف بالرسم قولا شارحا يتألف من العرضيات (...) وتعريف المصطلح عن طريق الرسم يميزه فقط عن غيره ولا يصور كنهه .

والتعريف بالرسم ينقسم إلى الرسم التام وتعرف بمقتضاه حقيقة المصطلح ببعض أجزائها وبعض لوازمها .والرسم الناقص : ((وتعرف بمقتضاه حقيقة المصطلح عن طريق تعريفه بلوازمه فقط)) [117](ص98-99).

((وعليه يصنف التعريف عند القدماء)) [117](ص101) كالآتي :



الإضافة التمثيل المقابسة المرادف لخاصية

الحد الرسم

حد تام حد رسم تام رسم

حقيقة تامة حقيقة بعــض أجــزاء لوازم الحقيقة
الحقيقة ولوازمها

الشكل رقم 5: يمثل أنواع لتعريف المضطلح قديما

وقد ارتبط مصطلح التعريف لدى بعض اللغويين والمعاجميين القدماء بمفاهيم أخرى، كثيرا ما وقــع التداخل الترادفي بينها (...)، وأهم هذه المفاهيم هي: الشرح والتفسير والتأويل والترجمة .

1 – الشرح : (Explication) :

اصطلاحا: ((هو التعليق على مصنف درس من وجهة نظر مختلفة)) [118](ص87) ، أي التعليــق علــى المتن لتوضيح الغامض وتفصيل المجمل، ومن هنا يرتبط الشرح بالنص أوالجملة أوالمفردة ضمن سياق مــا ، ولا يعنى بالكلمة الفذة إلا تجاوزا .

2 – التفسير : (l’ exégèse) : ((يأتي بمعنى التوضيح والإبانة في إظهار الأحكام مفصلة كما في قولــه تعالى " ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا " (الفرقان 33) ، أي مفصلا ومبينا ، وقد اختص التفسير اصطلاحا بدراسة القرآن الكريم وما في حكمه)) [116](ص42) .

((ويتضح مما ذكرنا أن الشرح والتفسير يشتركان في معنى توضيح النصوص وإبانتها ، غير أن المصــطلح الثاني أكثر ما اختص بالنصوص الشرعية)) [116](ص41).

3 – التأويل: ((يعني صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجــوح لــدليل يقتــرن بــه ، يقــول الجرجاني (81 ، 1413م) التأويل هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمــل يراه موافقا بالكتاب والسنة، مثل قوله تعالى " يخرج الحي من الميت " (الأنعــام 90) إن أراد بــه أخــرج

الطير من البيضة كان تفسيرا، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر أوالعالم من الجاهل، كان تأويلا)) [119](ص28)، ((والتأويل يتجه في استنباط الأحكام والقيم المسكوت عنها في النص من خلال الرموز والإشارات والضرورات المنطقية)) [116](ص41). ((وعلى كل فكل توضيح لغوي عام فهو شرح ، وما ترجحت دلالته بالنص الحرفي كان مفسرا و كل ما علم بالرأي كان مؤولا)) [119](ص105).

4- الترجمة : وهي إعطاء المقابل باللغة الأخرى .

5- التعريف : هو الوصف اللفظي لتصور ما، وذلك بتحديد المفهوم (Intension) و الماصدق (Extention) لهذا التصور، ولأن التصور الذي يختص به التعريف هو جزء لا يتجزأ من نظام كلي من التصورات المرتبطة ، أي تقوم بينه وبينها علاقات فلا بد من تحديد هذا التصور بالنسبة إلى المتصورات الأخرى، ويتم ذلك بدراسة العلاقات الرأسية (paradigmatic) وعلاقات الاحتواء، وعلاقات التفريق أي الجنس الأقرب (genus proximum) والفروق النوعية (differecia specifia) .)) [8] (ع76، ص101-102) .

وتوضيحا للفروق بين هذه المصطلحات تقدم الجدول الآتي)) [116](ص42-43):

المصطلح	تعريفه	مادة اختصاصه
تعريف : Définition	شرح معنى الكلمة بذكر مكوناتها الدلالي اشتقاقها و استعمالها	مفردة فذة / مفردة ضمن سياق
حد: limite ،عند الفلاس العرب	قول دال على ماهية الشيء وحقيقته	الشيء جنسه و فصوله الذا مجتمعة .
شرح Explication	توضيح المعاني البعيدة بمعان قريبة مألوفة	مفردة ضمن سياق / سياق / نص
تفسير Exégèse	توضيح معاني السياق أوالنص واستنبا انطوى عليه من أحكام وملابسات ...	سياق / نص (في القرآن بخاص
تأويل Interprétation	استنباط المعاني الخفية المسكوت عنها ف ظاهر النص أوحرفيته ...	سياق / نص

ترجمة Traduction	تحويل الكلام من لسان إلى لسان آخر مع المحافظة على المعنى الثابت	مفردة – سياق / نص .

الجدول رقم 3 : يمثل الفروق بين المصطلحات

2.2.3.5. التعريفات المساعدة أو دعائم التعريف :

إن التعريف في المعاجم يحتاج إلى دعامتين أساسيتين هما مجموعة المناهج : وتشمل التقنيات الإجرائية التي اعتمدتها المعاجم في تعريف المداخل ، وهي تعود بالضرورة إلى نظرية من نظريات المعنى ،و مجموعة الوسائل ونعني بها الأمثلة التوضيحية التي تفرغ فيها المسميات لتكون مثالا لها ، وهي ليست تعاريف بل أشباه تعاريف ، إما لأنها ليست لغة واصفة كالأسيقة والشواهد . وإما لأنها لا تنتمي إلى ((اللغة الطبيعية ولا يمكن أن تعوضها كالصور والرسوم التوضيحية)) [116](ص52).

1.2.2.3.5. مجموعة المناهج : ((انطلاقا من المناهج المتمخضة عن النظريات اللسانية في معالجة المعنى كالنظرية الإشارية والنظرية التصورية ، ونظرية الحقول الدلالية ،والنظرية السياقية ،وغيرها)) [120](ص54) . توجد ثلاثة أنواع من التعاريف :

1.1.2.2.3.5. التعريف اللغوي : أويسمى أحيانا بالتعريف العلاقي، حيث يبين كل أنواع العلاقات الموجودة بين المعرف والمعرف، ويرمي إلى إيضاح معنى الكلمة في سياقها اللغوي ، أي اعتمادا على علاقاتها بالكلمات الأخرى في الجملة. فالمفردة المعزولة عن محيطها تستعصي على التعريف ، ويسميه العلماء أيضا التعريف الاسمي ، وقد سمي تعريفا اسميا ، لأنه يكتفي بتقديم معنى اسم الشيء المعرف ، ولا يتجاوزه ، والدلالة على معنى الاسم تعني أن المعرف ليس بحاجة إلى ذكر حده و ماهيته وخصائصه المميزة .

ولا نقصد الاسمية هنا كونها لا تحتوي الفعل ، وإنما لأن التعريف فيها يكون كالتسمية للمدخل بشكل يخرج به من الشرح التفصيلي الذي يكون في التعريف المنطقي .

((وقد أخذ بهذا المنهج كثير من علماء اللغة القدماء والمتأخرين كما اعتمد المعجميون ابتداء من الخليل بن أحمد (175 هـ/ 791م)، وحبذه علماء أصول الفقه (...) وبذلك أصبح أكثر المناهج استخداما في المعاجم اللغوية العربية والأجنبية القديمة والحديثة والمعاصرة)) [116](ص105).

وتنقسم التعريفات الاسمية إلى أقسام فرعية اختلف الباحثون في تصنيفها نذكر منها التعريف الاسمي بالترادف ، وبالمخالفة ، وبالإحالة ، وبالتخصيص .

والتعريف بالترادف : ((تعرف الكلمة بمعادل لها أو بأكثر باعتماد سياق أوتركه)) [50](ص186). ويكون كالمكافئ والمعادل (كلمة أوعبارة) هذا النوع لا يصلح الاعتماد عليه بمفرده، (...) ويعيب هذا الاعتماد ما يأتي :

1 – أنه يخدم غرض الفهم وحده و لا يصلح لغرض الاستعمال .

2 – أنه يعزل الكلمة عن سياقاتها ، ويقدمها جامدة لا روح فيها ولا حياة .

3 – ((أنه تقوم أساسا على فكرة وجود ظاهرة الترادف، وإمكانية إحلال كلمة محل أخرى دون فارق في المعنى، وهو أمر مشكوك فيه [بل مرفوض أيضا] مما يجعل الاعتماد على الكلمة المرادفة نوعا من المخاطرة أو التضحية بالدقة المطلوبة وبالفروق الموجودة بين الكلمتين في المعاني الهامشية والإيحائية وتطبيقات الاستخدام)) [111](ص141-142).خاصة على مستوى المداخل المضطلحية.

والتعريف بالمخالفة : ((وهذه المخالفة قد تكون على أساس الضدّية أوالسلب أي تعريف الكلمة بضدها وإن التعريف بالضد يفترض مسبقا أن القارئ على معرفة بالضد وهذا غير منطقي في العمل المعجمي ، لأن الهدف من التعريف هو وضع القارئ أمام دلالة واضحة للمدخل وليس إحالته على مدخل آخر)) [116](ص114)، ((وبالتالي فإن هذا التعريف هو تعريف مفرغ لأنه يقتضي معرفة أحد الطرفين حتى يفهم الطرف الآخر ، وهو ما يقود إلى ظاهرة التعاريف الدائرية)) [115](ص198).

والتعريف بالإحالة : ويكون بإحالة معنى اللفظ على لفظة أخرى ، وتلجأ إليه المعاجم تجنبا للتكرار الذي قد تقع فيه في حالة أن يتواجد معنى واحدا لمدخلين، ولكنهما يختلفان اختلافا بسيطا في الرسم[116](116). والإحالات في التعريف يجب أن تراعي الآتي :

1 – إذا وجد في التعريف مصطلح مذكور في مكان آخر من المعجم فلا بد أن يشار إلى مكان شرح هذا المصطلح وتعريفه بدقة، وذلك باستخدام الأرقام أو الحروف البارزة أوأي وسيلة أخرى مبسطة حتى نضمن لمستعمل المعجم فهم التعريف .

2 – الإشارة إلى المفاهيم المتصلة بالمفهوم المعرف .

3 – الإشارة إلى معنى المصطلح في مدرسة أو نظرية لسانية معينة .

4 – الإشارة إلى الحقل الذي استعمل فيه المصطلح أوإلى فرع من فروعه .

5 – ((الإشارة إلى علاقات التضاد والترادف وغيرها)) [88](ص167-168).

والتعريف بالكلمة المخصصة : وهو تعريف اسمي شبه ترادفي ، غير أنه لا يكتفي بالكلمة المفردة في تعريف المدخل بل يخصها بكلمة أخرى (...) ويبدو أن هذه الطريقة أحسن حظا من التعريف بالكلمة المفردة، لأنه عن طريق التخصيص يقف القارئ على سمة إضافية من سمات المعرف، مما يجعل المدخل يتميز – ولو نسبيا – عن بقية الأشباه، غير أن هذا التمييز يظل محدودا ولا يفي بالغرض [خاصة] مع ألفاظ الذوات التي تحتاج إلى ذكر أكثر من خاصية لتعريفها أوإلى إثبات صورة لها أورسم توضيحي أوسياق [116](ص119-120).

والتعريف بالعبارة : ((يتميز بأنه يتجاوز الكلمة المفردة (...) ليظهر في شكل عبـارة أو جملـة ، إلا أنه لا يصل إلى التعريف التـام ، حيـث يظـل عـاجزا عـن تغطيـة خصـائص المعـرف أواسـمه)) [116](ص120).

ونضيف إلى هذه الأنواع :

1- التعريف الصوتي : ((والمقصود منه كتابة المدخل كتابة صوتية تختلف عن كتابته الخطية أوالإملائيـة. ولا بد للمعجم العربي أن يعتمد نظاما صوتيا لنقل المداخل نقلا فنولوجيا موحدا متفقا عليه، كما هـو الشـأن في اللغات الرائدة ومعاجمها، لأن الصوت يلعـب دورا أساسـيا فـي المسـتوى الـدلالي كمـا رأينـا)) [26](ص22-23) ، ونعني به هجاء المدخل هجاء ينسجم والكيفية التي ينطق بها (...). وقضية التهجئـة لا تطرح عمليا في اللغة العربية كما تطرح في اللغات الأخرى كالانجليزية في الدرجة الأولـى أو كالفرنسـية بدرجة أقل فالحروف العربية تكتب كما تنطق والتركيب بين بعضها لا يفضي إلى تغيير في نطقهـا، ولكـن يبرز على المستوى الصوتي مشاكل أهمها: التداخل بين بعض الحروف في عملية النطق كما فـي نطـق " الصراط " في بعض القراءات .

فدور التعريف الصـوتي هنـا هـو أن يـورد شـكلا كتابيـا يتنـوع بحسـب تنـوع المنـاطق أواللهجات، إذا مان المعجم عاما، أما إذاكان المعجم مختصا يكتب المصطلح كتابة صوتية عالمية ،بالإضافة إلى ضبطه التام بالشكل والحركات.

ويحسن هنا الإشارة إلى أن المعاجم العربية ((كانت تنص أحيانا على التعريف الصوتي بالكلمات كـأن تصف حركات الفعل أو الاسم ، ضبط الشكل ، وهذا المنهج فضلا عن قيامه بالتعريف النطقـي، فـإن لـه دورا في حفظ اللفظ وصيانته من التصحيف والتحريف، وهما ظاهرتان استفحل أثرهما الضار فـي المعجـم العربي فكانتا مغمزا على المعاجم القديمة والحديثة على حد سواء)) [115](ص185-186).

2- التعريف الصرفي : وغايته ذكر صيغة المدخل وتصريفاتها [هذا في المعجم العام] وما تعبر عنه مـن دلالات(...) فضلا عن توزيعاتها وتوليداتها في النصوص المختلفـة)) [26](ص23). ويكـون التعريـف الصرفي بالجملة ((مؤشرا ندرك به أصل المدخل المعرف صرفيا ، فإن كان المدخل عربيا أشير إلى جذره الذي عنه نشأ ، وإن كان المدخل معربا أشير إلى أصل لغته التي أخذ منها بمعنى الإسناد الحضاري للكلمات المعربة)) [115](188).

3- التعريف النحوي : ((ومنه الإشارة إلى المذكر أوالمؤنث، والمفرد أوالجمع والتراكيب وما لها مـن دور دلالي(...)، ويلحق بهذا كذلك التقديم والتأخير والحذف واللزوم والتعدية ... الـخ)) [26](ص26).((وتبـدو علاقة النحو بالمعجم أوسع من أن تناقش في بعض السطور [115](ص189).

4- التعريف الأسلوبي : ((وهو التعريف الذي يقر الاستعمالات الأسلوبية الواردة في النصوص الكبرى مثل القرآن الكريم ، وفي الدواوين الشعرية المشهورة وفي النصوص الأدبية النثرية الراقية ، وهو يتميز أسلوبيا بعدولها عن التركيب اللغوي المعياري)) [26](ص24).

2.1.2.2.3.5. التعريف المنطقي : ((أوما سمي أحيانا بالتعريف الجوهري ، ويهدف إلى معرفة خصائص الشيء (أو الذات) الذي تدل عليه الكلمة. ويميز المناطقة بين نوعين من التعريف : التعريف بالحد ، والتعريف بالوصف ، فالأول يحدد خصائص الشيء الجوهرية فقط . ويتم عادة بالنص على جنس ذلك الشيء وفصله ليكون التعريف جامعا مانعا ، (...) أما التعريف بالوصف ، فيأتي على خصائص المعرف الجوهرية)) [23](ص74).

- والتعريف المنطقي : ((هو تعريف خارج اللغة يعتمد المنطق ، فهو يصنف الكلمات بحسب المحسوس والمجرد، والحقيقة والمجاز، وكثيرا ما يفسر المدخل بجمل أوبنص يصف مضمونها من دون أن يعرفها لغويا)) [50](ص187) .

وقوام التعريف المنطقي في المعجم المختص ((هو الإخبار عن خصائص الشيء أوالموجود الذهني المسمى في المعجم ، من نواح عدة منها : الجنس أو النوع أو ما له صلة بالهرمية المقولية التي ينتمي إليها، والشكل والأبعاد والحجم والمقدار والزمان والمكان اللذان يوجد فيهما ، وقد أخذ بهذا المنهج أغلب علماء المنطق الأرسطي ، كما استفاد منه النحاة وبعض علماء الأصول ، واستخدمه أصحاب المعاجم المختصة منذ أواخر القرن الثالث الهجري على غرار أبي حنيفة الدينوري (282 هـ ، 890م) في معجمه " كتاب النبات ")) [21](ص26) .((ويعتبر ابن سينا خير من أثرى هذا الاتجاه ، فرسم له الأطر النهائية ، وأضاف إليه شروطا جديدة)) [116](ص26).

وقد أشار إبراهيم بن مراد إلى أن هذا لا نجده عند العرب قديما ليقول :" لكن مؤلفي هذه المعاجم في أوربا مثلا لا يكتفون بالتقابل بين المصطلحات لتعريف المداخل الرئيسية ، بل إن المقابلة مرحلة أولى تسبق التعريف المنطقي الذي يجتهدون في إكسابه الدقة)) [16](ص96).

ويهدف التعريف المنطقي أساسا إلى معرفة مالذي يجعل الشيء جوهريا ، أي الوقوف على جنس الشيء وفصوله الذاتية ، ومن هنا فهو يختلف عن كل من التعريف الاسمي الذي يهدف إلى تحديد اسم الكلمة كما هي مستعملة بين المتكلمين، وهذا يعني أنه تعريف خارج اللغة، يعتمد المنطق فهو يصنف الكلمات حسب المحسوس والمجرد والحقيقة والمجاز .

وإذا كان التعريف الاسمي يعتمد على العلاقات التي تربط أوتفصل بين الألفاظ ، فإن التعريف المنطقي يحاول حصر مكونات المعرف ، لتكون هذه المكونات هي الشروط المطلوبة لتعريف المدخل ويتحقق هذا المنهج – في شكله التام – بتحليل المفردة المدخل ، وتسجيل الخصائص المكونة لها على النحو التالي :

أ – أن ينسب الشيء المعرف إلى جنسه الذي ينتمي إليه [حيوان ، نبات ، شكل هندسي ، معدن ...].

ب – أن يفصله عن بقية الأشياء التي تنتمي على الجنس نفسه ، وذلك بذكر نوعه أوفصله .

ج – ((أن يميزه عما يشاركه في بعض الصفات والملامح الأخرى الخاصة أو العامة والأغراض المفارقة(...)وقد تذكر بعض الملامح مع الخاصة (...) وهكذا كلما أضفنا عنصرا من عناصر المعرف ازداد تميزا عن غيره من الأشياءوالنظائر)) [116](ص129 وما بعدها).

3.1.2.2.3.5. التعريف المصطلحي : ((وهو التعريف الذي يعتمده علم المصطلح الحديث، ويتوخى تعريف المفهوم وليس الكلمة أو الشيء، والمفهوم تصور(أو فكرة) يعبر عنه بمصطلح أورمز، ويتكون هذا التصور من الخصائص المنطقية والوجودية المتعلقة بشيء أو بمجموعة من الأشياء ذات الخصائص المشتركة)) [23](ص75).

يجدر بنا أولا تحديد معنى ومفهوم المصطلح وتمييزه عن العناصر اللسانية الأخرى كالكلمة مثلا لنستطيع من خلال ذلك تحديد أهم أسس الدراسة المصطلحية الأنسب وفقا لتلك الحدود والخصوصيات :

وقد فرق العلماء بين الكلمة والمصطلح على النحو الآتي :

1- الكلمة : هي رمز لغوي يتألف من صيغة الكلمة ومضمون الكلمة وتضمها وحدة لا تنفصم ، وقد تتسم معاني الكلمة بالتعدد أي بظلال مختلفة للمعاني ، ولابد أن يتوفر لها قدر كبير من المرونة حتى تلبي كل حاجات التواصل في اللغة المشتركة ، بيد أن المعنى المحدد إنما يثبته السياق ، أي أن عماد الكلمة سياقها .

2- المصطلح : هو رمز يمثل تصورا داخل نظام من التصورات System of concepts

ويمكن القول أيضا " إن المصطلح لا يطابق الكلمة من الناحية الصورية بل يتضمنها وغالبا ما تتمثل سيرورات الانتقال من الكلمة إلى المصطلح في تبني أربع عمليات متلازمة:

1 – التوسيم : (Nominalisation) ويخص نقل الكلمة من مقولة اشتقاقية غير اسمية إلى صيغة اسمية .

2 – تجريد المصطلح من صرفاته (كلواصق الزمن و الجهة) .

3 – عزل المصطلح عن السياق اللغوي، أي فصله عن المتغيرات الناتجة عن موقع وروده في النص ، وضرورة ربطه بالعلاقات المفهومية .

4 – تعريف المصطلح ليتسنى تمييزه بعد هذا التحديد عن باقي المصطلحات المحايثة له في الدلالة .

وتتحدد أوجه التباين بين الكلمة والمصطلح في :

1 - إن الكلمة وحدة اللغة العامة ، تستعمل في الخطابات اللغوية وتدون في المعاجم العامة، بينما يمثل المصطلح وحده اللغات الخاصة الموظفة لتسمية المفهوم في العلوم والفنون والتقنيات والمعارف .

2 - كما تحدد دلالة الكلمة انطلاقا من سياقها داخل الجملة(أو الخطاب)أما سياق المصطلح فهو من طبيعة مختلفة ، فيتبين مفهوم المصطلح من خلال العلاقات التي يقيمها مع باقي المفاهيم المنتمية إلى مجال معرفي

محدد (...).غير أنه غير خاف تأثير المصطلح في السياق نظرا لأثره البالغ في عملية بناء معنى الخطاب العلمي .

3 - تنطلق الكلمة أو العلامة اللغوية (Signe linguistique) من الدال لتصل إلى المدلول والعلاقة بينهما في الأصل اعتباطية ، ويأخذ المصطلح مسارا مختلفا إذ ينطلق من المدلول (أو المفهوم) ليحدد الدال المتمثل في صورة التسمية (أي المصطلح).

4 - ويلاحظ أيضا ضياع المعنى الاصطلاحي عند إرادة تفكيك مكونات المصطلح المركب (...) خلافا لما هو كائن باللغة العامة حيث يمكن لمكونات التركيب اللفظي أن تستغل بذاتها دلاليا ومعجميا.

وعليه فالمصطلح العلمي يختلف عن المصطلحات التقنية التي تصف أدوات وأجهزة تقنية وتقانية كالتلفزة والحاسوب والمسبار والأقمار الاصطناعية ،(...)ويختلف عن المصطلحات التي تنتمي إلى حضارة معينة وتعبر عن فكر أمة من الأمم كمصطلحات الشورى والإمامة والخلافة (...) ويختلف عن المصطلحات العامة التي لا تتقيد بميدان علمي محدد ، ولا تشكل - بالضرورة – مكونا من مكوناته كالمصطلحات الدالة على المهن و غيرها مثلها [125](ص147) . ((أما المصطلحات العلمية فهي : تلك الألفاظ التي تسمي مفاهيم معينة في أي علم من العلوم ، بأصنافها الثلاثة : العلوم الشرعية ، والعلوم الإنسانية ، والعلوم المادية ، في أي عصر من الأعصار ، وفي أي مصر من الأمصار، ولدى أي اتجاه من الاتجاهات وأي تخصص من التخصصات)) [121](ص81).

وترجع خصوصيات المصطلحات العلمية إلى كونها :

1 – مصطلحات تشكل مكونا من مكونات أي علم من العلوم سواء أكانت علوما شرعية أم علوما إنسانية أم علوما مادية ، حتى إنه لا يمكن تصور قيام علم دونها . بل يمكن قياس درجة نضج علم من العلوم بمدى توفقه في بناء أنساقه الاصطلاحية متعالقة مع أنساقه المفهومية .

2 – ومن خصائص المصطلحات العلمية انتظامها في نسق اصطلاحي مربوط بواسطة الحدود والتعريفات بنسق المفاهيم المعتمد ، ويعني ذلك أن يحد لكل مصطلح مفهومه بالنظر إلى باقي المصطلحات التي تتوارد معه في النسق .

كما يشترط أيضا بالإضافة إلى هذا :

وحدة البنية اللغوية للمصطلح : صوامت وصوائت .

وحدة البنية الدلالية للمصطلح .

وحدة العلم الذي ينتمي إليه المصطلح فلا يجد الدارس نفسه يخلط بين مصطلحات العلوم ويدخل في علم ويخرج إلى آخر .

والتعريف المصطلحاتي تعريف مفهومي ينطلق من التصور العلمي إلى الكلمة ليؤكد المعرف من خلال علاقته بالمصطلحات الأخرى في مجال من المجالات المعرفية المختصة.

ومن هنا فهو يختلف عن التعريف الحقيقي [المنطقي] في أنه يسعى إلى تحديد المفهوم في مجال معين و ليس في إطاره العام .

((ويرتبط التعريف المصطلحاتي ارتباطا وثيقا بالمعاجم المتخصصة، وإن كانت المعاجم اللغوية العامة في حاجة إليه عند تحديد المدخل في مجال من مجالات الاختصاص)) [116](ص138).

((والتعريف المصطلحي ليس مجرد تلخيص للمضمون المدلولي للاسم في جملة أو عدة جمل، بل هو بناء يخضع لمبدأ الترتيب التدريجي للسمات الدلالية التي تمكن من تحديد المصطلح في إطار مجموعة من العلاقات)) [82](ص437).

هو ينبغي أن يلبي أربعة شروط هي :

أ – تحديد المجال المعرفي للمصطلح .

ب – تحديد علاقة المصطلح بالمصطلحات الأخرى المتعلقة به .

ج – المصطلح ينبغي أن يعرف مفهوميا .

د – الانطلاق من المفهوم لتحديد المصطلح وليس من المعنى العام ، أي البدء بتعيين المفهوم لتسمية مصطلح ما .

4.1.2.2.3.5. التعريف البنوي : لقد ظلت المعاجم اللغوية على اختلافها حتى نهاية القرن التاسع عشر تنظر إلى اللسان نظرة معيارية في مقاييس اللغويين القدماء مما جعلها تعالج الكلمة ، وكأنها معزولة من واقع المتكلمين في المجتمع، وبذلك استعانت في تعريفها للكلمات بالمنهجين الاسمي والمنطقي ولم تحاول أن تخرج عنها على ما بهما من ضعف و قصور .

ولما كان التعريف البنوي ((منهجا عاما متعدد الاتجاهات ، لا يتحقق في نظرية واحدة ، فإننا نجده يظهر في شكل مجموعة من التقنيات وفق نظريات متباينة تهدف كلها إلى تحديد معنى الكلمة من خلال عناصر بنيتها في علاقتها بغيرها من المفردات الشيء الذي يجعله يختلف عن كل من التعريف الاسمي والتعريف المنطقي اللذين ينظران إلى المعجم بكونه جداول من الكلمات المتفرقة)) [116](ص153).

ولعل أهم النظريات البنوية التي لها صلة وثيقة بقضايا التعريف في المعاجم المعاصرة هي:

1- نظرية الحقول الدلالية : وينتج عنها التعريف بالحقل الدلالي .

2 - التحليل التوزيعي : وينتج عنها التعريف التوزيعي .

3 – التحليل المقوماتي : وينتج عنها التعريف المقوماتي .

4 - التحليل الإجرائي : وينتج عنها التعريف الإجرائي . وهو قليل الاستعمال.

ولا يمكن تصوره إلا باعتبار ما يسمى بالحقل المعجمي، والحقل الدلالي ، والحقل المفهومي.

فالأول يعني مجموع الكلمات التي توفرها اللغة ، أوتنشئها للتعبير عن مختلف عناصر تقنية من التقنيات أوشيء من الأشياء .

أما الحقل الدلالي أوالسيمي فهو يعني مجموع استعمالات كلمة واحدة للتعبير عــن معــان تســتخرج باستقراء ما يحيط تلك الكلمة من سياقات .ويتجاوز هذا الحقل ما يسمى بالحقل المفهومي : ((وهو يتميز عن الحقل المعجمي باعتماده على معايير خارج لسانية وعلى المرجع، أي المفاهيم تولد وتنمو في ظــل علــوم مجاورة للسانيات (علوم إنسانية) أوعلوم تعتبر اللغة منطلقا أساسيا لتفسير الظواهر الطبيعية والاكتشــافات الجديدة ، (وعلوم دقيقة أو طبيعية) ، وربما ولدت في العلــوم الإنســانية نفســها إذ ســاهمت المــدارس والتيارات اللسانية في ظهور العديد من المفاهيم الجديدة التي لم تكــن معروفــة لــدى اللغــويين القــدماء)) [122](ص304-305).

وإن الحقلين متكاملان ،((يطابقان تماما مبدأي الجمع والوضع اللذين تحدث عنهما ابن منظور فــي لسان العرب ، إنهما يعتبران منهجان أساسان في وضع المعاجم، لأن الحقل المعجمي يحصر الميدان الــذي يسعى المعجم إلى معالجته ، دون الخروج عن هدفه المعين ، فهو يساعد أصحاب المعاجم على اختيار لغــة معجمهم وميادينها وزمانها مثلا، مما ظل مخلوطا في معاجمنا أما الحقل الدلالي فهو ربــط تلــك الميــادين بنصوص، ومدونات مكتوبة ومقولة مضبوطة، لا يمكن الاستناد إلى دونهــا، ولا يمكــن اســتنباط معــاني الكلمات إلا منها ، وهكذا يستطيع المعجمي أن يوفق، ولو نظريا بين الجمع والوضع اللذين استحال أمرهمــا حسب ابن منظور على كل المعجميين العرب السابقين، لانعدام هذا المنهج عندهم)) [50](ص188).

5.1.2.2.3.5 – التعريف الموسوعي : Encyclopédique : هو تعريف شمولي ليس له ضــابط معــين ، سوى أنه يتميز بالوصف المسهب للمدخل والاشتمال على عدد من الأركان ، وهو ما يميزه عن التعــاريف الأخرى كالاسمي والمنطقي وغيرهما وبنية هذا النوع من التعريف واضحة في أكثر الموســوعات العلميــة الشاملة والمعاجم المختصة .

ويقوم التعريف الموسوعي في المعاجم العلمية المختصة على الوصف العلمي الدقيق والتوســع فــي ذكر الخصائص ، وقد ظهر ظهورا كبيرا في معاجم الأدوية المفردة والمركبة في الطب والنبــات . فكــان العلماء يصفون أدويتهم وأدواءهم وصفا علميا دقيقا مبينين فيه خصائصها ومنافعها وعلاجها، ويتراوح حــظ كل مصطلح منها في التوسع وعدمه في المؤلف الواحد للعالم الواحد وبين العلماء في مؤلفاتهم ، ولقد توســع المعجميون فيه توسعا مستمرا فضمنوه الأركان الآتية :

1- ديباجة لغوية [تعريف لغوي] قليل الدخول في التعريف الموسوعي .

2- وصف بنيات النبات أو الدواء .

3- وصف خصائص الدواء .

4- وصف منافع الدواء .

5- ذكر أسماء الدواء بالألسن المختلفة و هو يدخل في إطار التعريف اللغوي .

6- ذكر ماهيته من لون وطعم ورائحة وطول وقصر ولزوجة وخشونة وما إلى ذلك .

7- ذكر جيده و رديئه .

8- ذكر درجته إذا كان دواء أو عقارا من حيث الحرارة والرطوبة و البرودة واليبوسة .

9- ذكر مضاره .

10- ذكر ما يصلحه .

11- ذكر مقاديره .

12- ذكر تركيباته .

13- ذكر إبدالاته .

14- ذكر طرائق استعماله .

((وقد تباين المعجميون في مدى اعتمادهم لكل هــذه الأركــان مــع كــل مصــطلح مــن مصــطلحاتهم)) [82](ص434-435).

2.2.2.3.5. وسائل التعريف : العناصر التكميلية للتعريف :الامثلة والشواهد والرسومات :

1.2.2.2.3.5. الأمثلة التوضيحية : الأسيقة والشواهد .

يرجع استخدام الأسيقة والشواهد في المعجم العربي إلى القرن الثاني الهجري / الثامن المــيلادي ، أي منذ ظهور أول معجم عربي شامل، معجم الخليل .

((ولما كانت الأمثلة السياقية تضفي على المعاجم اللغوية نوعا من الموســوعية لتكمــل مــا عجــز التعريف عن إيضاحه ، أصبحت المعاجم المعاصرة تؤكد على إيرادها)) [116](ص194-195).

((ولم يظهر استخدام الشواهد والأمثلة السياقية في المعجم الأوربي إلا مع بدايــة القــرن الســادس عشــر الميلادي،بما في ذلك المعاجم اللغوية الأحادية أوالثنائية أوالمتعددة الألسن)) [123](ص173).

وتعتبر الامثلة والشواهد التوضيحية اللغوية والعلمية أحد أهم الوسائل المســاعدة فــي تعريــف المــداخل المعجمية، سواء على مستوى ضبط الدلالات السياقية أم على مستوى تحديد التراكيب النحوية .

((في الغالب أن لا يكون في المعجم المختص بل في اللغوي العام، وهــو التعريــف المعتمــد فــي المستوى التربوي، وغايته توضيحية تطبيقية فهو يرتكز على شواهد شعرية أو نثرية مأثورة لتأييد وظــائف متعددة في اللغة)) [26](ص24).

وكثيرا ((ما يعتمد التعريف بالشاهد لاعتبار قصور التعريفين الســابقين ، (...) إلا أنــه لا يحــيط بجميع الاستعمالات ، وهو يضع مشاكل عدة منها : عدد الشواهد و طولها أو قصرها ، ونوع اللغــة التــي تعتمد (شعر أو نثر) والمستويات اللغوية (الفصيح وغيره من مستويات الكلام) ، فضلا عن أنها تعــرض في المعاجم العربية مضطربة دون التمييز بين ما هو قديم وحديث فيها ، ويمكن أن نلحق بالشواهد التعريف بالصورة وما إليها)) [56](187).

ويظهر الشاهد في المعجم ((ضمن التعريف بعد إعطاء التحليل الدلالي للمدخل غالبا ، وذلك بصيغته الأصلية التي أنتجه عليها صاحبه ، دون تدخل المعجمي ، ولذا يحصر بين قوسين أوعلامتي التنصيص كنص مقتبس ومقيد بقائل)) [116](205). ((ويشمل : القرآن، الحديث، الشعر، الأمثال، الحكم، وكل عبارة مقتبسة من نص أدبي أوعلمي)) [116](ص205).وللشاهد وظائف منها ما يأتي :

1 – تأكيد وجود الكلمة المدخل أو دلالتها في اللسان المعجم .

ويمثل هذا الاتجاه مرحلة من مراحل الجمع عند القدماء ، وسرعان ما تراجعت هذه الوظيفة في العصور التالية إلى أن فقدت معناها في العصر الحديث .

2 – ضبط دلالة المدخل والإسهام في تعريفه ، لتحديد الدلالة الخاصة (السياقية) والمجال الاستعمالي لها .

3 – تسهيل قضية تتبع نشأة الكلمة وتطورها الدلالي عبر العصور، وهي قضية أكثر ما تخدم الجانبين التأثيلي والتأريخي، وهو بعد حضاري يوقفنا على تاريخ الكلمة من حيث المولد والنشأة والجنسية والتغيير الدلالي وتاريخ هذا التعبير شكلا ومضمونا في الآن نفسه 4 – الوقوف على الخصائص الأسلوبية للمدخل ومستواه الاستعمالي من حيث درجة فصاحته

5 – تهذيب الذوق الأدبي ضمينا بمحاكاة الروائع والتراكيب البلاغية الراقية وتكريس عبقرية اللغة .

6 – إبراز المرجعية الحضارية للفظ باعتبار الشاهد مثالا حيا ، ونموذجا صادقا يعبر عن القيم الفنية والعلمية ، فيم يظهر ضمينا من آداب راقية ، وأبعاد فكرية ومجالات علمية مختلفة.

((والشاهد لا يتجاوز نسبة 10 % من مساحة التعريف)) [116](ص207).

وهذا كله يخدم المعجم اللغوي لا المختص كما ذكرنا .وهناك فرق بين المثال السياقي والشاهد :

1- ((تكاد تحوم دلالات المثال في المعاجم العربية القديمة والحديثة – حول معاني – التسوية بين المختلفين أوالمتفقين والتكافؤ والشبه وصفة والمقدار والعبرة والآية والفضل)) [114](437) ((وأما دلالات الشاهد فتكاد تنحصر في معاني الاشهاد والاخبار والاحضار)) [114](374-375).

2- إن الأمثلة السياقية في معجم ما ، (Exemples contextuels) تدرج في التعريف حرة ، غير مقيدة بقائل ، سواء كانت صياغتها قبليا أم بعديا .أما الشواهد اللسانية (Citations) فأكثر ما ترد مصوغة صياغة قبلية ، وذات مرجعية تعود إلى قائل أو مدونة ما .

3- تدرج الشواهد في المعجم من باب تأكيدا وتحديد الدلالة وتطورها، في حين تدرج الأسيقة اللغوية لتحديد الدلالات المختلفة للمداخل والتراكيب النحوية في بعض الحالات ، وكثيرا ما يعمد المعجمي إلى تأليف الأسيقة آنيا أو يضعها لتناسب الدلالة المقصودة أوالتركيب النحوي أو القاعدة البلاغية أثناء تعريف المدخل .

4- ((تختلف المعاجم في إيراد الأمثلة السياقية ، فقد تظهر في صدر التعريف متبوعة بالشرح وقد يرد الشرح متبوعا بسياق أوأكثر ، على خلاف الشاهد الذي يظهر غالبا بعد تحديد الدلالة)) [116](ص188).

ويذكر العلماء للأمثلة في المعجم وظائف متعددة ، تساعد في بناء التعريف وتوضيحه ، نجمل أهمها فيما يلي :

1 – تمييز الدلالة المركزية للمداخل عن الدلالات السياقية المختلفة في المجالات المتعددة لها .

2 – ضبط الاستخدام الفعلي للكلمة ونوعيتها في النظام اللساني ، كالتبدلات الصوتية والصيغ الصرفية ، والتراكيب النحوية .

3 – إثراء منهج التعريف المستثمر كوسيلة مساعدة لضبط دلالات الكلمات الأكثر تجريدا كالألفاظ البنائية ، والمتعددة دلاليا لتقريب الفهم ومنع التداخل .

4 – إدماج المدخل في الخطاب ، وذلك بنقل المدخل من سكون الإفراد إلى حركة التسييق يجعل القارئ يقف على نص حي ، يوضح الخصائص الأسلوبية والدلالية والاستعمالية للمداخل ضمن خطاب .

5 – إبراز الاستخدام الآلي والتطوري والتعاقبي للدلالات .

6 – تأكيد مرجعية المدخل في اللسان ، وبذلك تتجسد حضارية اللفظ [المدخل] ومجالاته الاستعمالية بصفة غير مباشرة [116](ص189).

ضرورتها في المعجم اللغوي [ولأن الدلالات] التي يثبتها المعجم اللغوي ليست من نمط واحد كما هو الشأن في المعاجم المختصة .

2.2.2.2.3.5. الرسوم والصور التوضيحية : تعتبر الرسوم التوضيحية Illustrations ، أوالأمثلة الصورية (Les exemples Formels) من الوسائل الأساسية في تعريف نسبة كبيرة من مداخل أي معجم عملي، مهما كان نوعه ويقصد بالرسم التوضيحي في المجال المعجمي ، كل دال غير لساني .

ويعتبر أصحاب الكتب العلمية والمعاجم المختصة، والموسوعات أول من اهتم بالصورة والرسوم التوضيحية، على غرارما هو موجود في كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي يوسف بين أبي بكر (ت 626 هـ / 1229م) (...) والتعريفات للجرجاني (816 هـ / 1413م) الذي نجده يلجأ أحيانا إلى تدعيم التعريف برسم توضيحي [116](ص232-233).

أما بالنسبة إلى المعاجم اللغوية، فلعل الفيروزأبادي في معجمه القاموس المحيط ، يعتبر أول من استعان بالرسوم التوضيحية في تعريف المداخل – عربيا وعالميا – وإن لم يكثر منها ، كما أنه اكتفى بالرسوم التوضيحية ، ولم يستعمل الصور المجسدة .

- ومن هذه النماذج وغيرها ، يمكن التأريخ لظهور استخدام الرسوم التوضيحية في المعاجم اللغوية العربية بأوائل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي .

((غير أن الأمثلة الصورية ظلت محدودة الاستعمال في المعاجم العربية ، حتى أواخر القرن الثامن عشر، حيث ظهر بعض دعاة التجديد في المعجمية العربية أمثال أبي الطيب الشرقي و أحمد فارس الشدياق

وسعيد الشرتوني والمجمع القاهري ، والمنجد ومتن اللغة والرائد ، ولاروس العربي، وغيرهم ممن دعا إلى إعادة صياغة تعاريفها وتحليتها بالصور والرسوم)) [116](ص232).

أما المعاجم الأجنبية الأوربية ، خاصة فلم تستثمر الصور والرسوم التوضيحية إلا منذ وقت قريب نسبيا ، يرجع إلى النصف الثاني من القرن السابع عشر وقد بدأت بعد هذا التاريخ أغلب المعاجم الأوربية تستعين بالرسوم التوضيحية إدراكا منها بأهميتها التربوية في الإيصال وتقريب الفهم ، وظلت الصور حتى أوائل القرن الثامن عشر ترسم يدويا ، وتعتبر سنة 1830م بداية لظهور الصورة الشمسية (photographie) في الكتب والصحف والمجلات ثم المعاجم ، كما استكشف الصور الملونة ابتداء من سنة1940م [116](263).

ويكاد يخلو كثير من معاجمنا المصطلحية من هذا العنصر الهام .

وإن الأشكال التوضيحية هي وسيلة من وسائل توضيح التعريف لكنها لا تغني عنه ، فهي تسهم في فهم المصطلح ، ومن ثم تسهم إلى حد كبير في اختيار المقابل له ، فالشاهد الصوري يمكن القارئ من إدراك أكمل وأدق و أسرع للمفهوم المراد تعريفه وخاصة في توضيح العلاقات التتابعية أو المكانية ، فالوسائل البيانية ومثالها الجداول والرسوم تساعدنا في سهولة ويسر على إدراك العلاقات القائمة بين المفاهيم بشريطة أن ترسم هذه الأشكال:

1 – بالتركيز على المفهوم المعنى وعلى العناصر الجوهرية لتمييز المفهوم عن المفاهيم الأخرى ، وتفضل الرسوم على الصور لسهولة التحكم فيها وإبراز العنصر المراد إبرازه.

2 – ((بالخلوص من اللبس في التفسير،وقد يسهم التجريد إلى حد كبير في نقل المفهوم وخاصة في الرسوم التشريحية كما أن استعمال السهم والأرقام كفيل بالتخلص من اللبس)) [63](ص166-167).

وللأمثلة الصورية في المعجم وظائف ، نذكر اهمها :

1 – وظيفة تعريفية : وتعد أهم وظيفة يسعى المعاجمي إلى تحقيقها من خلال إثبات الصور والرسوم التوضيحية باعتبارها ذات هدف تربوي تعليماتي (...) إن للصورة قدرة على إظهار التفصيلات الدقيقة والتمييز بين المتشابهات،ونقل الشيء المصور بدقة وأمانة وموضوعية ، من حيث الأبعاد والمسافات والأشكال والألوان ترتيباوتنسيقا مما يقرب الفهم ويبعد اللبس .

2 – وظيفة نفسية : إذ تجيب الصورة حاجة نفسية لدى الإنسان الذي يريد أن يتجاوز اللغة ليلامس الواقع كلما سمحت له الإمكانات بذلك .

3 – وظيفة جمالية (الرواج التجاري).

ويجعل بعض الكتاب معادلة التعريف بالصورة كما يلي : الشاهد الصوري : رسم + توضيح لفظي [115](ص204).فدخول الصورة الحقل المعجمي حديث قياسا بالسنوات التي قطعها المعجم في حضارات العالم (...) ، ولكن مع كل ذلك تبقى الصورة قاصرة عن أداء المداخل المجردة [115](ص204-206).

خلاصة القول في التعريف المعجمي :

1- إن قضية التعريف قضية هامة وهي أعوص قضية في المعجم ، وعليه لا مناص من التفصيل فيها لإيجاد الإضاءات النظرية حتى نتحسس مشاكل التعريف وندرك القضية في مظهرها التجريبي في معاجمنا المدروسة .

2- وإذا كان إعداد المعاجم ((يحتاج إلى جملة من الخطوات كجمع المادة وترتيبها وتنظيم مداخلها المعجمية نطقا وكتابة وصرفا وتركيبا فإن التعريف المعجمي أصعب خطوة على الإطلاق، لأنه يقتضي الإحاطة بدقائق معاني الكلمات العامة والخاصة ، والعلم بأسرار اللغة ومضامينها المستحدثة وبالعلائق الممكنة بين المفاهيم المتقاربة ، مما يستدعي الدخول في غمار المصادر العلمية لتقديم تعريف علمي للمصطلح المعني)) [124](ص52).

ويعتبر التعريف أهم أركان المعجم عاما كان أومختصا، وبدونه يتحول المعجم إلى مجرد مسرد للألفاظ تقل فائدته كثيرا .

3.2.3.5. الترتيب في المعجم

إن استقراءنا للمنهجيات المختلفة لترتيب المداخل في المعاجم العربية قديمها وحديثها يدل على وجود مجموعة أنماط من الترتيب ،يمكن إجمالها في الآتي:

1.3.2.3.5 الترتيب الألفبائي:

يعتبر الترتيب الألفبائي أكثر أنماط الترتيب المعجمي العام والمختص اعتمادا وشيوعا قديما وحديثا، سواء في معاجم أحادية أومتعددة اللغة، ويندرج تحت هذا النمط نمطان أساسيان ، تندرج تحتهما أنماط أخرى وفيما يأتي تفصيل القول فيها :

1 - الترتيب الجذري الألفبائي : وهو الترتيب الذي يعتمد جذر اللفظ أساسا ومنطلقا في ترتيب مواد المعجم . وتندرج تحته أنماط مختلفة هي :

1-1- الترتيب الجذري الألفبائي حسب الحرف الأول : ولعلنا أن نعتبره البداية المحتشمة لهذا النمط من الترتيب .

1-2 - الترتيب الجذري الألفبائي حسب الحرف الأول والثاني والثالث وغيره . وهو الذي شاع كثيرا في معاجم العربية العامة والمختصة القديمة ، بلغ قمته مع الزمخشري ويعتمد كثيرا في المعاجم الحديثة عامة ومختصة فهو الأشهر في الاستعمال .

1-3- الترتيب الجذري الألفبائي حسب الحرف الأخير: وظهر فيما سمي بمعاجم القافية يعتمد الحرف الأخير بدل الأول ، وشاع كثيرا في المعاجم العربية العامة ، وبلغ ذروته مع صحاح الجوهري ، ولكنه لا يعتمد كثيرا في المعاجم الحديثة عامة أو مختصة .

1-4- الترتيب الجذري المخرجي :(بدل ترتيب أ ب ت ث ترتب الحروف حسب مخارجها.) كما هو عند الخليل . يعتمد الجذور والتقليبات المختلفة التي يهدف من خلالها إلى حصر جميع الألفاظ التي يمكن للغة العربية أن تولدها،وذلك باعتماد الأصوات والرياضيات والصرف ، ويؤدي هذا الترتيب إلى تضخم المادة اللفظية المدرجة تحت الحرف الأول وانخفاض حجمها تدريجيا في بقية الحروف ،إلى أن تصل إلى حدها الأدنى في الحرف الأخير من المعجم .

وإن الترتيب الجذري يقسم الثروة اللغوية التي تجمعت لديه إلى أسر لفظية تشتمل كل واحدة منها على عدد من المشتقات التي تولدت من جذر واحد ، وتتكون المداخل الرئيسة للمعجم طبقا لهذا الترتيب من الجذور فقط . أما المشقات فتندرج تحت الجذر الذي تنتمي إليه على شكل مداخل فرعية ،وهنا يواجه المعجم مشكلة ترتيب هذه المشتقات ترتيبا ألفبائيا ، لأنها تولدت نتيجة لتطبيق قواعد توليدية تحويلية تتسم بمنطقية رياضية على المعجمي أن ينفذ إلى صميمها و يدرك تسلسلها و يتبعه في ترتيب مشتقات الجذر في المادة ، وهذه إحدى الصعوبات التي يواجهها الترتيب الجذري ،ولقد كان ترتيب المشتقات في التراث المعجمي مضطربا غير مطرد تقدم تدريجيا بتقدم الأبحاث الصرفية . وإن كنا نرى أن هذا النمط من الترتيب هو المنتشر والطابع لكل أنماط الترتيب المذكورة ، فمبدأ الجذرية قد اتبع في أغلب المعاجم العربية قديمها وحديثها و ظهر في مقابله ما يسمى بالترتيب النطقي أي حسب نطق اللفظ لا حسب جذره الذي تولد وتفرع منه .

وإذا كان الترتيب الجذري يستند إلى حقيقة أن مشتقات الجذر تشترك جميعا في معناها العام ، ولهذا ينبغي إدخالها تحت مدخل واحد هو الجذر ، فإن الترتيب التقليبي ينبني على وجهة النظر القائلة بأن ترتيبات الجذر الواحد يجمعها كلها معنى مشترك ، وهذا ما أطلق عليه ابن جني اسم " الاشتقاق الأكبر " ،ولهذا فإن هذا الترتيب يحتاج – مثل الترتيب الجذري–إلى منهجية في ترتيب مشتقات المادة.

ويحافظ الترتيب الألفبائي الجذري على شمل الأسرة اللفظية ، إذ يجمع المشتقات من جذر واحد في مادة واحدة وتحت مدخل واحد ، مما ييسر على القارئ فهم الصلات والعلاقات الاشتقاقية والدلالية بين أفراد الأسرة الواحدة ، ويسهل عليه بالتالي حفظها واستذكارها(...) ويؤدي الأخذ بالترتيب الجذري إلى الاقتصاد في حجم المعجم ،وذلك لعدم اضطرار المعجمي إلى إعادة تعريف كل لفظة مشتقة،لأن المشتقات جميعها تشترك في معنى عام [23](ص66). وهذا ضروري في المعاجم اللغوية العامة .

2.3.2.3.5. الترتيب النطقي : حسب نطق اللفظ ، ويدرج تحته نوعان : الترتيب النطقي الألفبائي ، والترتيب النطقي المفهومي .

1. الترتيب النطقي الألفبائي :

1.1 . في المعاجم العامة:

وهو يختلف عن النمط السابق في عدم تجريد اللفظ من حروف الزيادة وعدم اعتماد مبدأ الجذرية فينظر للفظ باعتباره وحدة لغوية كاملة، وهو مذموم مردود في المعاجم اللغوية.

وهو نمط من الترتيب " على نمط المعاجم اللاتينية [الأوربية والأمريكية].

2.1. في المعاجم المختصة:

هذا فيما يخص المعاجم اللغوية العامة ، أما في المعاجم المختصة علمية وفنية أي معاجم المصطلحات ، فالأنسب لها هذا النوع من الترتيب لأنها تقتصر على إيراد الأسماء غالبا دون الأفعال والأدوات، ولأنه يحافظ على الوضع الجديد للمداخل المعجمية والذي يعتبر وضعا أصيلا في الاختصاص لا يمكن تجريده من أي حرف منه لأنه سيمس مباشرة دلالته فيفقده قيمته في المعجم وفي المنظومة الاصطلاحية التي ينتمي إليها ، فتورد المداخل المصطلحات بحروفها كلها دون تجريدها من الزوائد .

على أن هذا النوع من الترتيب وإن كان الأنسب والأصلح في معاجم المصطلحات لأنه يحافظ على اللحمة النطقية و الدلالية للمصطلح موضوع الاختصاص إلا انه يثير مشكلات عديدة نبرزها بإثارة التساؤلات التالية:

1- ما العنصر المعرف في المركب المصطلحي الأكثر دلالة من غيره ، والذي يمكن اتخاذ مادته الأصلية عنوانا للمصطلح المركب ؟.

2- ما هي عدد مرات الإحالة التي يجدر بالمعجمي الاعتداد بها في المصطلحات المركبة المطولة والمؤلفة من ثلاث وحدات فأكثر ؟ ومثل هذا كثير في المعاجم المختصة فهل يذكر المعجمي التركيب بعدد وحداته إذا كانت هذه الوحدات كلها دالة في التركيب ؟ لنتخيل هنا ، الحجم الذي سيؤول إليه المعجم لكثرة الإحالات .

3- ما العمل ((في حالة ورود مصطلحات أعجمية صرفية مفردة أو مركبة أو تراكيب مصطلحية يختلط فيها الأعجمي بالعربي ؟ خاصة وأن الألفاظ العجمية لا تستقيم دائما للاشتقاق اللغوي المعمول به في العربية ، مما يتعذر معه تخيل أصول لغوية لها)) [82](ص496-470). و نضيف إلى ذلك ما يلي : وإن كنا نعتمد الترتيب النطقي وهو الأنسب إلا أننا يجب أن نضع حسابنا ما يأتي :

في معاجم المصطلحات أوالمعاجم المختصة الترتيب النطقي الألفبائي يعمل على بعثرة المصطلحات المنتمية لمادة لغوية واحدة تحت حروف المعجم وإلى هدم وحدة الحقل المفهومي الواحد [82](ص469). وإنه لا يجدي تجميع حشد من الوحدات المصطلحية المتصلة وترتيبها في نظام ألفبائي أفقي لكونها قد سبق جمعها أوأنها وردت في هذا أو ذلك المرجع ، فهذا تشتيت لبنية تصورات الحقل الخاص ، لأنها تشكل منظومات ، ومنظومة التصورات هي " كل علامي متكامل " ترتبط عناصره ترابطا داخليا .)) [63] (ص148-150) .والترتيب الألفبائي يؤدي إلى تشتيت المنظومة المفهومية (...) ولهذا التشتيت ثلاث نتائج سيئة :

1 - عدم الاقتصاد في التعريف .

2 - صعوبة الفهم .

3- ((اضطرار مستعمل المعجم إلى العودة إلى أجزاء أخرى من المعجم لفهم التعريف)) [82](ص752).

فالترتيب النطقي الألفبائي لا يظهر أي نوع من العلاقة غير العلاقة العرضية لجمع الكلمات المصطلحات ،المتحدة في الجذر، وهذا ما يساعد من جهة على إدراج المصطلحات المشتقة من مادة واحدة في حيز واحد ، ومعالجتها مرة واحدة . وهذا في أفضل الأحوال لا يحقق ما نصبوا إليه ، فالحاجة هنا ماسة إلى معاجم متخصصة تتكون من مصطلحات وتعريفات بطريقة منظومية (لا ألفبائية) ، ومن ثم إلى المكانز المصطلحية Terminological theasures ، في هذا المعجم المنظومي المصطلحي لا بد من وجود خارطة للتصورات في صدر المعجم،وترتيب تصنيفي لها يتبعه كشاف ألفبائي.

3.3.2.3.5. الترتيب الموضوعي : يكون في المعاجم اللغوية معتمدة الجذر اللغوي ، ومع المعاجم المتخصصة معتمدة النطق (غير معتمدة الجذر).

وبذلك نصل إلى النمط الآخر من أنواع الترتيب، وهو: الترتيب النطقي المفهومي (أوالموضوعاتي) أوما يسمى النظام المفهومي في مقابل النظام الألفبائي .

وينقسم بدوره إلى : ترتيب نطقي مفهومي جزئي .

وترتيب نطقي مفهومي كلي .

- ((إن المفهوم أوالمصطلح هو جزء لا ينفصل عن منظومة المفاهيم وعلائق ترابط بين هذه المفاهيم (سبب – نتيجة / كل – جزء / تتابع – / مادة / نتاج و غيرها) ، لذا وجب في معالجة هذه المفاهيم معجميا تثبيت موقع كل مفهوم من منظومة المفاهيم وفقا للعلائق المنطقية والوجودية مثلا بين هذه المفاهيم (...) ومن ثمة نشأت فكرة المعجم المفهومي الذي يختلف عما هو معروف بالمعجم الألفبائي (...) فالعلاقات القائمة بين المفاهيم و دلالتها تمثل عنصرا هاما في عملية فهم المصطلح وتعريفه، ومن ثم إيجاد المقابل المناسب له في العربية بل والحد من الترادف والتحكم في نظم الإحالة وحصر المصطلحات التكاملية)) [20](ص161-162) فهو بذلك على درجتين :

الدرجة 1 : الترتيب المفاهيمي الجزئي : تجمع ضمنه المداخل المعجمية تحت حقل واحد من حقول الاختصاص وقد تكون مرتبة ألفبائيا أو ترتيبا علاقيا ، أي بحسب العلاقات فيما بينها في إطار الحقل الواحد .

و يسمى أيضا بالترتيب حسب الموضوعات ، وقد عرف قديما بقوة في المعاجم اللغوية الموضوعية كالمخصص والغريب المصنف وفقه اللغة للثعالبي وغيرها، وهي تضم مداخل كثيرة مبوبة حسب موضوعات معينة ، يصلح خاصة في المعاجم المتخصصة . ((ولكن هذا الترتيب لا يغني من تنظيم فهرس ألفبائي شامل لجميع مصطلحات المعجم بغض النظر عن موضوعها ويوضع هذا الفرس في نهاية المعجم لإرشاد القارئ إلى الصفحة التي يوجد فيها كل مصطلح)) [82](ص64).

الدرجة 2 : وهي أكثر انتظاما في موادها ومداخلها وهي : الترتيب المفاهيمي الكلي : وهو الترتيب الذي يراعي كل حقول ومجالات الاختصاص الواحد، كما كان الحال مع معاجم الطب والصيدلة عند العرب القدماء ، فهو بالإضافة إلى محافظته على اللحمة الموضوعية بين مداخل الحقل الواحد، يحافظ أيضا على اللحمة الموضوعية داخل المعجم ككل أي بين حقول الاختصاص موضوع المعجم .

ولعله أدق أنواع الترتيب الذي يمكن أن يتبع في المعاجم المتخصصة حفاظا على وحدة العلم موضوع الاختصاص .

- ((يمكن للمعجم المختص المرتبة مداخله ترتيبا مفهوميا أن يشتمل في آخره على كشاف لجميع المداخل مرتبة ترتيبا ألفبائيا مع أرقام الصفحات أوأرقام المفاهيم حيث يستطيع القارئ الذي يبحث عن مصطلح معين أن يصل بسهولة إليه وهو مدرج ضمن حقله العلمي ومنظومته المفهومية)) [125](ص963-964).

فالترتيب المفهومي والتعريف المصطلحي (المفهومي) متكاملان في المعجم المختص .

4.3.2.3.5.الترتيب حسب المداخل الأعجمية : عرف في المعاجم العربية المختصة القديمة، وكان غالبا في ترجمات وتفاسير المعاجم الأجنبية كتفاسير كتابي جالينوس وديوسقريدس اليونانيين في الأدوية المفردة كما هو الحال مع اصطفن بن بسيل في " المقالات الخمس لديوسقريدس " وإصلاح حنين بن إسحاق (ت 260 هـ) وكتاب " الأدوية المفردة " لجالينوس لحنين بن إسحاق ، وابن البيطار في تفسير كتاب ديوسقريدس وابن جلجل (ت 384) في تفسير أسماء الأدوية المفردة لديوسقريدس ، وغيرهم .ويضاف إليها كتب المعربات كا " المعرب للجواليقي " ، فهي أيضا مرتبة ترتيبا ألفبائيا حسب حروفها الأعجمية .

5.3.2.3.5. الترتيب الأبجدي : لم يعرف في معاجم اللغة العامة بل في بعض المعاجم العلمية المختصة و((خاصة في معاجم الأدوية المفردة . وأشهر من طبقه عالمان متعاصران من القرن السادس هما أبو جعفر أحمد الغافقي (ت 560 هـ / 1165م) في كتابه " الأدوية المفردة " وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الشريف الإدريسي(ت 560 هـ / 1165م) في كتابه " الجامع لصفات أشتات النبات)) [20](ص12).

4.5. الملاحق:

تعد ملاحق المعجم المختص أحد المكونات الأساسية له، وتضم الأدوات المكملة للمعجم: المقدمة ، والفهارس والكشافات الألفبائية ، والجداول واللوائح التي تشتمل على بيانات ومختصرات و رموز تتعلق بمتن المعجم و ببليوغرافيا شاملة للمراجع المعتمدة وأية صور إيضاحية ، وهي كما يلاحظ ، ملحقات تعريفية لمواد المعجم الداخلية مما لا يحتمل عادة إدراجها داخل المتن لأسباب فنية .

5.5. منهج دراسة المصطلحات في المعجم :

إن منهج الدراسة المصطلحية لن يكون سليما وصحيحا ودقيقا إلا إذا أخذ بعين الاعتبار خصائص هذا النمط من المصطلحات ، من أجل إنجاز المعجم العلمي المختص الذي سيكون مرآة صادقة للعلم الذي تنتمي

إليه هذه المصطلحات . وبهذه الصورة لا نقدم مجرد معجم يحوي قائمة مصطلحات فقط (مسرد) بل العلم ومصطلحاته بنسقهما المتداخل المتكامل.

- الخطوات الإجرائية لمنهج دراسة المصطلحات لإنجاز معجم متخصص :

- يقوم منهج الدراسة المصطلحية على مجموعة أركان ضرورية :

1.5.5. الإحصاء أو الجرد المصطلحي :

((ويقصد به الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس وما يتصل به لفظا و مفهوما وقضية في المتن المدروس)) [121](ص95).

- و إن مرحلة الجرد الاصطلاحي تنقسم إلى قسمين :

1- أحدهما يتناول الجانب التراثي ، ويقوم على رصد المصطلحات التراثية ،ومتابعة الدلالات التي تحتملها الألفاظ المخصصة لكل مصطلح من المصطلحات ،ويقوم بعد ذلك بتسجيل جميع المعلومات التي تخص هذه المصطلحات على بطاقات خاصة ، تتضمن دلالة المصطلح اللغوية ، ودلالته الاصطلاحية عند واضعه الأول ،وما طرأ على لفظه أودلالته من تطور ، والصورة التي استقر عليها المصطلح لفظا دلالة عند العلماء الذين استخدموه أو عند جلهم . ويستند مثل هذا الرصد إلى الكتب اللغوية القديمة على اختلاف موضوعاتها ومناهجها والمدارس التي تتبع لها ، ويمكن [بل يجب] أن يدخل في عملية الجرد البحث في المعاجم اللغوية القديمة ، وتتبع ما تحتمله الألفاظ من دلالات يمكن استثمارها مجازا واشتقاقا وتخصيصا بمفاهيم لغوية خاصة . كما يمكن أن يدخل في عملية الجرد مؤلفات في مواضيع أخرى [لها صلة باختصاص المعجم] نحو كتب القراءات والدراسات القرآنية والتفسير [والنحو والبلاغة وفقه اللغة] و غيرها .

2- والقسم الثاني من عملية الجرد موجه نحو الكتب والدراسات اللغوية الحديثة ، ورصد الألفاظ التي تم تخصيصها لأداء مفاهيم محددة [في الصوتيات الوظيفية] وتحددت بوصفها مصطلحات لها مدلولاتها المحددة في العلوم التي تستخدم فيها ، كما يمثل النظر في معاجم المصطلحات والملاحق التي ذيلت بها الكتب مصدرا مهما لتحديد ألفاظ المصطلحات وما تحمله من مفاهيم ، ويمكن إتباع المنهجية المتبعة في القسم الأول في متابعة المصطلحات الواردة في هذه الكتب والأبحاث .

ويمكن ، بل يجب أيضا، ((أن يمتد العمل في هذا الجانب ليصل إلى تتبع ألفاظ المصطلحات ومفاهيمها في الكتب الأجنبية التي [ظهرت فيها] أواستخدمتها أوحددت مدلولها . وتمثل معاجم المصطلحات اللغوية الأجنبية [وموسوعاتها اللسانية] رافدا مهما لعملية الجرد الاصطلاحي ، لما تتضمنه هذه المعاجم من مصطلحات وفدت إلى العربية ومصطلحات أخرى مؤهلة لدخول العربية ولما تدخل بعد)) [103](154-155).وعليه فإن عملية جرد المصطلحات ضرورية في توثيق المصطلحات، و دلالاتها.

فإذا استخلص كل هذا وصنف حسب حاجة الدراسة والتصنيف الأولي أمكن الانتقال إلى الركن الثاني وما بعده، حيث يتم معالجة البيانات المصطلحية أومعالجة المدونة المتوفرة : ويتم ذلك بصور هي :

2.5.5. الدراسة المعجمية :

ويقصد بها دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية فالاصطلاحية ، دراسة تبتدئ من أقدمها مسجلة أهم ما فيه ، وتنتهي بأحدثها مسجلة أهم ما أضاف ، بمعنى دراسة معنى المصطلح لغة واصطلاحا اعتمادا على المعاجم اللغوية وما في حكمها فالاصطلاحية وما في حكمها .)) [121] (ع5،ص32) .

ويشترط أيضا في مصادر الدراسة المعجمية : أن يعتمد الدارس على أكبر قدر منها دون تغليب مصادر اتجاه على آخر .

فتكون بذلك الدراسة المعجمية : " دراسة تضع نصب عينها علام مدار المادة اللغوية للمصطلح، ومن أي المعاني اللغوية أخذ المصطلح ، وبأي الشروح شرح المصطلح، وذلك لتمهيد الطريق إلى فقه المصطلح وتذوقه وليسهل تصحيح الأخطاء التي قد يكون جلبها الإحصاء .لتأتي بعدها وفي أثنائها :

3.5.5. الدراسة النصية :

ويقصد بها دراسة المصطلح وما يتصل به ، في جميع النصوص التي أحصيت من قبل والنصوص نوعان :

1 - نصوص متخصصة مقعدة للعلم ، تكون أغلب المصطلحات فيها مكتملة النمو وتعاريفها واضحة ، محدودة الصفات ، مبينة العلاقات من قبل مؤلفيها .

2 - ((نصوص هي المادة الخام للعلم : لا يوجد بها تعريف للمصطلح ولا إشارة مبينة لدرجة اصطلاحيته ، ولا تصريح مقعد لصفاته وقضاياه ،ولذلك فإن دراسة المفهوم في هذه [النصوص] يكون بمثابة تأسيس أول له)) [121](ص54) ،وكل هذا بهدف تعريفه ، واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه من صفات وعلاقات ضمائم وغير ذلك .

وركن الدراسة النصية هي عمود منهج الدراسة المصطلحية، ما قبله يمهد له، وما بعده يستمد منه، من أجل الفهم السليم العميق للمصطلح في كل نص، والاستنباط الدقيق لكل ما يمكن استنباطه مما يتعلق بالمصطلح في كل نص.

يقول مصطفى فوضيل : ((وهذا الكلام المقطر ينبه على مسألة في غاية الأهمية ، وهي أن النص المتضمن للمصطلح يمثل المجال الحيوي للمصطلح فالمصطلح يأخذ موقعه في النص بصورته ، ثم هو يمتد في سائر أجزاء النص بعروقه وفروعه ، فلا يقبل بحال تناول المصطلح مجردا عن تتبع ذلك الامتداد الذي ينطوي على كثير من عناصر المفهوم وأجزاء العلم)) [121](ص43).

وهذا كله من أجل :– ضبط مفهوم المصطلح وتفهمه وتدقيق تعريفه ، فالدراسة النصية لا تكفي بتحلية المفهوم من خلال التفصيل في بيان أجزاءه المكونة له والنص على العلاقات المؤثرة فيه ، بل إنها تجعل من ذلك مادة لوضع التعريف بل لتدقيقه .

4.5.5. الدراسة المفهومية :

ويقصد بها دراسة النتائج التي فهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به وتصنيفها تصنيفا مفهوميا يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن اللغوي.

ولذلك شكلت الدراسة المفهومية أحد أركان الدراسة المصطلحية، بل وخلاصتها، ففيها تدرس النتائج المفهومية والمستخلصة من دراسة نصوص المصطلح وما يتصل به ، وتصنف النتائج تصنيفا مفهوميا عبر مجموعة من العناصر المنهجية التي تعين على استخلاص التصور المستفاد من نصوص المصطلح المختلفة .

فيتم بذلك :

- إقامة الروابط بين مختلف الوحدات المصطلحية والحكم على مدى التلاؤم بينها تقنيا ولسانيا و اصطلاحيا.

- اختيار الوحدات المصطلحية والتأكد من مدى التطابق بينها وبين المفاهيم التي تدرج تحتها .

- ((معالجة كل مصطلح على حدة ، فيعطى كل مصطلح رقما تسلسليا خاصا به ، ثم يجري تحديد المواصفات الخاصة به ، نحو وظيفته والحقل الذي ينتمي إليه ، وواضعه ،والبنية الصرفية التي اختيرت له ، ومدى وفاء هذه البنية بالدلالة التي يحملها اللفظ ،وتعدد الألفاظ الدالة على مفهوم واحد ، وجميع التعريفات التي وردت للفظ الواحد واستخلاص التعريف الأنسب منها)) [103](ص159).

وربما يكون من الأنسب في هذا المجال ((أن يطبع كل مصطلح على بطاقة خاصة، تتضمن كل ما يتعلق بالمصطلح من معلومات ، بدءا بلفظه في اللغات الأجنبية ، وتعريفه فيها ، وانتهاء بما أقر له من ألفاظ في العربية ، حتى يسهل على العلماء والدارسين معالجته في ظل توفر كافة المعطيات اللازمة والمصاحبة له)) [103](ص153). ويتحدد لنا بذلك مدى تمثل الألفاظ للمصطلحات الحاملة لها بلغتها الأم ، ومدى وفائها بالمفاهيم التي وضعت لها .

5.5.5. العرض المصطلحي :

ويقصد به الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها ، وهو الركن الوحيد الذي يرى بعينه لا بأثره .

والغاية منه :

1 – معرفة الدلالة الخاصة بكل مصطلح ، وذلك من خلال تبيين المراد الدقيق بالمصطلح المدروس .

2 – ((معرفة النسق المفهومي والرؤية ولا نستطيع التوصل إلى ذلك إلا بالعرض الجيد للدراسة المصطلحية المفهومية)) [121](ص65).

وجماع القول فيه حسب ما انتهت إليه التجربة أن يكون متضمنا للعناصر الكبرى التالية على الترتيب :

1.5.5.5.التعريف :وهو يشكل جوهر الدراسة المصطلحية، ولب المعجم المختص ، ويتضمن :

1- المعنى اللغوي ، و لاسيما الذي يترجح أنه منه أخذ المعنى الاصطلاحي .

2- المعنى الاصطلاحي العام في الاختصاص ، ولاسيما الأقرب إلى مفهوم المصطلح المدروس .

3- مفهوم المصطلح المدروس معبرا عنه بأدق وأوضح وأجمع لفظ ، ما أمكن .

فإذا تم التعريف ، وهو اللب والنواة بدأ الحديث عن الصفات .وهي الخصائص التي تحدد طبيعة وجود المصطلح في الجهاز المصطلحي موضوع الدراسة.وتحدد درجة الاتساع أوالضيق في محتوى المصطلح ، ومدى القوة أوالضعف في اصطلاحيته وغير ذلك . وكل علاقاته بغيره من المصطلحات ،

ويضاف إلى عناصر العرض المصطلحي عنصر :

2.5.5.5. الترتيب : استنادا إلى كل ما سبق فإنه يمكن القول بضرورة اعتماد ترتيب مفهومي للمداخل المصطلحية اللسانية – على الأقل داخليا - لضمان تواصل أفضل بين النسقين المصطلحي والمفهومي للمداخل المعجمية المصطلحية " فقد تتبين أن الفوضى المنظمة (...) والمتمثلة في الترتيب الألفبائي [في المعاجم المختصة طبعا]، علة تشتيت المنظومات الاصطلاحية إلى أشلاء متفرقة يصعب معها الاهتداء إلى بسهولة إلى المدخل المبتغى ، ويبدو من المفيد إلحاق المعجم المصنف تصنيفا مفهوميا بمسارد صنافية متعددة اللغات مرتبة ترتيبا ألفبائيا تسهيلا للباحث عن مدخل محدد بأسرع وقت ممكن

وما يجدر التنبيه عليه في ختام هذا العرض أنه لا يشترط توفر كل عناصر العرض المصطلحي في كل مصطلح من مصطلحات العلم المدروس .

ونتمكن من هذا المنهج الدقيق الوصول حسب الحاجة والهدف إلى إنجاز ثلاثة أنواع من المعاجم :

1 – معجم أحادي اللغة : مصطلح + تعريف .

2 – معجم ثنائي اللغة : مصطلح + تعريف + مقابل .

3 – معجم متعدد اللغات : مصطلح + تعريف + مقابلات + تعريفات باللغة المقابلة .

الفصل 6

المعجم الصوتي الوظيفي

1.6. أصول الصوتيات الوظيفية عند العرب وعند الغرب

لقد عمدت في بداية هذا العمل أن أعرض لأهم المدارس والأعلام في الصوتيات الوظيفية عند العرب وعند الغرب على حد سواء . والملاحظ أن تصنيف العلماء للمدارس الغربية في الغالب يأخذ بعين الاعتبار مكان نشوئها وظهورها مثل مدرسة براغ والمدرسة الفرنسية والانجليزية وغيرها، فالعلم

والاختصاص واحد، مع تعدد لغاتها واختلافها، وهذا أمر يجب مراعاته ونحن نتناول مصطلحات ومفاهيم هذا العلم.

أما العرب، فلأن الدرس الصوتي عامة والوظيفي خاصة لم يكن منفصلا عن الدراسة اللغوية عموما ، ولا كان مستقلا بذاته منذ بدايته. ونظرا للعلاقة الوطيدة بين علوم العربية المختلفة، فقد كان لزاما أن يكون الدرس الصوتي منتميا إلى هذه العلوم المتكاملة المتداخلة، وهو يؤسس لكثير من نتائجها في الوقت نفسه.

ولأن الدرس الصوتي العربي مما لا يجمع ولايدرك في شموله من علم واحد، إذ تتوزع مباحثه على غناها وكثرتها بين اختصاصات علمية مختلفة تمنحه بعض مظاهر الاكتمال والنضج فنجده عند أصحاب المعاجم والقراء المجودين، والنحاة والصرفيين والأطباء والفلاسفة وغيرهم فاللغة واحدة في علومها المتعددة.

من أجل ذلك فقد صنفت المدارس عند العرب حسب اختصاص علوم العرب فكانت مدرسة المعجميين والصرفيين والنحاة والقراء وغيرهم كما سنرى.

.لماذا هذا المدخل ؟ :

إن هذا المدخل له علاقة وطيدة ومباشرة بما ستقدمه الدراسة العلمية للمصطلحات، لأنه لا يمكن أخذ المصطلح خارجا عن عالمه اللغوي والعلمي والمعرفي الذي له حتما أثر مباشر في دلالته وتطورها والاختلاف فيها، وقد كان هذا حظ المصطلحات الصوتية لا لسبب سوى أنها تعتبر جوهر اللغة مادتها الأصلية،، ووجودها مرتبط بكل تفاصيل الكيان اللغوي.

إن هذا المدخل ضروري جدا ولازم للتأسيس والتقعيد والتحقيق والتأكيد على صحة منهج الدراسة المصطلحية، فله بذلك دور وظيفي معرفي دقيق في التحقق من صحة وسلامة النتائج المتوصل إليها.بالإضافة إلى علاقته المباشرة بموضوع اختصاصه فهو كالوضوء (أو التيمم) للصلاة لا تصح إلا به، كذلك معجم الصوتيات الوظيفية يجب أن نبدأه بمعرفة أصول هذا العلم.

وقد عملت على أن أقف على الإجراءات والاحترازات الآتية:

1- يتم عرض المصطلحات تاريخيا حسب وجودها وتوفرها على مساحة الزمن، كالآتي:

1-1- المصطلح في المعاجم اللغوية القديمة، وقد تم التركيز على التعريف اللغوي الأقرب للاصطلاحي و وقع اختيارنا على:

1- معجم مقاييس اللغة لابن فارس باعتباره معجما تأصيليا.

2- معجم لسان العرب لابن منظور: باعتباره جامعا لما قبله بداية من عصر معجم العين للخليل حتى عصرابن منظور.

3- معجم المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: باعتباره معجما لغويا دقيقا.

1-2- المصطلح في الدرس اللغوي العربي القديم: تم التركيز على أهم أعلام الدرس الصوتي العربي: الخليل، ابن جني، سيبويه، الكسائي وغيرهم في مصنفاتهم اللغوية والنحوية والصوتية والتجويد والقراءات وغيرها.

1-3- المصطلح في الدرس اللغوي العربي الحديث: وقد ركزنا على المؤلفات اللغوية والصوتية لأهم أعلام الدرس اللغوي والصوتي العربي الحديث وهم:

إبراهيم أنيس، أحمد مختار عمر، كمال بشر، تمام حسان ومعجم علم الأصوات لمحمد علي الجبوري كنموذج للمعاجم العربية الصوتية المتخصصة الحديثة على ندرتها إن لم نقل انعدامها في المكتبات العربية والعالمية.

1-4- المصطلح في الدرس اللغوي الغربي الحديث: وقد ركزنا فيه على أشهر المؤلفين في الصوتيات العربية من المستشرقين وغيرهم منهم "هنري فليش"، "جان كانتينو"، "مالمبرغ"، "أبركرومبي"، سواء في مؤلفاتهم بالعربية أو مؤلفاتهم المترجمة من قبل علماء عرب محدثين،و معجم اللسانيات Dictionnaire de linguistique. ل Jean Du Bois et autres. باعتباره نموذجا جيدا حديثا للمعاجم الغربية الحديثة المتخصصة.

2- محاولة التفريق بين ما هو تعريف علمي، وما هو نص وشاهد علمي على كيفية استعمال المصطلح وتوظيفه.

3- محاولة تقديم التعريفات الجديدة، وتجنب تكرار التعريفات المتشابهة.

4-حاولنا التثبت من دلالة المصطلح ، وذلك في إطار دراسة المفهوم الذي يعبر عنه، وعلاقاته بالمفاهيم الأخرى المتقاربة ، وبيان الفروق الدلالية الدقيقة بينها ، لتأكيد مبدأ إنكار الترادف، حيث تتبعنا كل مصطلح في السياق اللغوي الذي استعمل فيه سواء في المعاجم ،أوالمؤلفات اللغوية القديمة والحديثة ، حتى يكون ذلك هاديا لمعرفة دلالة المصطلح حسب الوضع والاستعمال والسياق معا ، مراعين في ذلك العامل الزمني قدر الإمكان لملاحظة التطور الحاصل في تعريف المصطلح ، وكذلك المصطلحات التي ظهرت تقاربه في الدلالة دون مطابقتها .

5-نؤثر عدم إعطاء المصطلح المقابل الأجنبي ، وذلك تحريا للدقة وعدم التسرع في تقديم المقابل (فرنسي أوإنجليزي أوألماني مع ما يوجد بينها من فروق كبيرة في وضع المصطلح ، والاصطلاح على مفهوم ما) قبل التيقن من تطابق الدلالة بينها ، وهذا ما سوف نتبينه إن شاء الله في البحوث المستقبلية .

وما يجدر التنبيه إليه أن خطة السير هذه في عرض المصطلحات لا تتحقق بنسبة كاملة مع كل مصطلح، لأن من المصطلحات ما لا نجده في معجم من المعاجم المذكورة أو عند عالم من العلماء، ولكن ما يتحقق من العرض هو أن المصطلح يستوفي حقه كاملا من التعريفات المختلفة والنصوص والشواهد العلمية من أجل الوصول إلى تعريف علمي دقيق جامع مانع إنشاء الله.

ويجدر بنا في هذا الموضع تسجيل ملاحظة في غاية الأهمية، إن على مستوى التنظير أوالتطبيق في مجال العمل المعجمي ودراسة المصطلحات (وضعا واستعمالا) ،وهي كالآتي:

إن التتبع التاريخي للمصطلح في بنائه وتشكله ودلالته وتطورها وتعددها واختلافاتها أيضا، لا يمكن أن يتحقق بأي حال من الأحوال من مجرد حصر لقائمة معاجم ومراجع معينة، لأن تاريخ المصطلح الواحد قد نتناوله في مجلد كامل وذلك حسب استعماله الحقيقي من أفواه وأيدي العلماء في الاختصاص بعينه، وفي الاختصاصات القريبة منه، وفي كل بلد عربي انتقل بين أرجاء مجالس علمائه وغير ذلك، ولعل مقصود القول من كل هذا هو أن خطة العرض التي أقدمها بين يدي العلماء والأساتذة والباحثين إنما هي صورة جد مصغرة عن خطة العرض الحقيقية التي ستعطي المصطلح كل حقوقه ، وبأثر رجعي كذلك.

وهذا لا يعني استحالة هذا العمل بل على العكس تماما، هو ممكن التحقيق وبصورة علمية دقيقة محكمة تعطي لنا تاريخ كل مصطلح علمي، وهو جزء من عمل جبار مما سيدخل في إطار المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية في اللغة العربية.

1.1.6. أصول الصوتيات الوظيفية عند العرب:

تعد الدراسة الصوتية الوظيفية للأصوات العربية لدى علماء العرب القدامى من أجل الأعمال التي أنجزت في مجال الدراسات اللغوية وأقربها إلى المنهج العلمي السليم، كون أغلب هذه الدراسات مبنية على أساس القراءات القرآنية التي تعد الوثيقة المرجعية لها، والتي دفعت علماء العرب القدامى لتأمل أصوات اللغة وملاحظتها ملاحظة دائبة دقيقة أنتجت في وقت مبكر جدا دراسة طيبة للأصوات العربية، كما نجدهم تناولوا الأصوات مؤتلفة فيما بينها فتعرضوا لما ينتج عن هذا الائتلاف من ظواهر وقوانين وعلاقات صوتية مختلفة كالإدغام والإعلال والإبدال والقلب، وكالنبر والتنغيم والمماثلة والمخالفة وغيرها، وهي من صلب موضوعات الفونولوجيا (الصوتيات الوظيفية)، فكان للعرب بذلك اهتمام بفرعي الدراسة الصوتية العامة والوظيفية.

يقول حسام البهنساوي : ((بل إننا نجد لهؤلاء العلماء إسهامات ثرية، ودراسات فاحصة ووقفة لما يطرأ على الأصوات من تغيرات بسبب كونها في سياق لغوي، أو ما يطلق عليه بالدراسة الفونولوجية في الدرس الصوتي الحديث، حيث أبدع هؤلاء العلماء في حديثهم عن الإدغام وشروطه وأنواعه وقواعده كما أبدعوا في وضع أحوال الإعلال والإبدال والقلب وغير ذلك)) [126](ص05) ، ومثل هذا القول هو تأكيد على وجود إشارات وتنبيهات في المؤلفات القديمة لا سيما في الميدان النحوي الصرفي، كانت لها ملامح فونولوجية، والتي تتعلق بتجاوز الحروف المكونة للصيغة، وما يطرأ عليها من تغيرات عند وقوعها في تراكيب كلامية، في سياقات صوتية معينة.

ويضيف حسام البهنساوي أنه ((لا نجاوز الحقيقة عندما نقول بأن العلماء العرب قد أدلو بدلوهم – أيضا- في الحديث عن القيم اللغوية، كما يطلق عليه في الدراسات الصوتية الحديثة الفونيمات التطريزية

"الفونيمات الثانوية"، وهي النبر والتنغيم والمقاطع الصوتية بأنواعها، الوقفات والسكتات والاستراحات وإن لم يسموها بهذه المصطلحات اللغوية الحديثة)) [126](ص08) ، ومثل هذا الرأي تأكيد على وجود ولو بعض الإشارات التي تؤكد على أن العرب عرفوا كثيرا مباحث الفنولوجيا وإن لم يطلقوا عليها نفس مصطلحاتها.

وفيما يأتي عرض موجز لأهم جهود وأعمال العلماء العرب القدامى في مجال الصوتيات عموما والصوتيات الوظيفية خصوصا وقد تم تصنيفها إلى مدارس -إن صح التعبير- حسب العلوم المختلفة التي كان الدرس الصوتي العربي أساسا لها.

1.1.1.6. مدرسة علماء التجويد والقراءات : إن علم التجويد في الاصطلاح هو "إعطاء كل حرف حقه ومستحقه من الصفات والمدود وتوفية الغنات والترقيق والتفخيم ونحوها.

وحق الحرف: هو صفاته الذاتية اللازمة كالجهر والشدة والاستعلاء والاستقال.

ومستحق الحرف: هو صفاته العرضية الناشئة عن الصفات الذاتية كالتفخيم فإنه ناشئ عن الاستعلاء.

أما علم القراءات فهو علم تعرف به كيفية أداء الكلمات القرآنية واختلافها معزوا لناقله وله مجالان:

1- الأصول العامة: كالإظهار والمد والقلقلة.

2- الفروع: أو فرش الحروف وقراءة الكلمات المختلف فيها بين القراء.

((فالتجويد أداء والقراءة لفظ، فبينها عموم وخصوص فالقراءة أعم والتجويد فرع من علم القراءات، وينفرد بدراسة مخارج الحروف وصفاتها بينما تنفرد القراءات بفرش الحروف وهو ما يعرف بالفروع القرآنية)) [127](ص15 وما بعدها).

تكمن أهمية القراءات القرآنية من الناحية اللغوية كونها اهتمت بالجانب الصوتي للغة، لما له من أهمية في الحفاظ على القراءة السليمة والصحيحة للقرآن الكريم فـ "معظم المؤلفات في القراءات اشتملت على بحوث دقيقة قيمة في أصوات اللغة العربية وطبيعتها وصفاتها وأنواعها ومخارجها، والمد وأحكامه ومدته وما إلى ذلك من مسائل خاصة بالأصوات الخاصة باللغة العربية ، وكغيرها من المدارس اهتمت مدرسة القراء والمجوّدين بتحديد أعضاء الجهاز النطقي وذكرت الأعضاء المشاركة في النطق بالتفصيل مع وصف الأصوات وصفا دقيقا.

((وتقوم الدراسة الصوتية في هذه المدرسة ضمن دائرتين هما: دائرة الأحكام التعاملية ودائرة الظواهر الصوتية)) [129](ص121 وما بعدها) ، ((وكان اهتمام القراء ومعالجتهم لهذا الأمر لا يعدو تصحيح الأداء بالإعادة والتكرار، إذ ثبت لديهم أن "التجويد والأداء الحسن أساسهما رياضة الألسن والمعاودة للفظ الملتقي من فم المحسن)) [96](ص100)، ((وفي نهاية القرن الثاني الهجري، دخلت القراءات القرآنية مرحلة التخصص العلمي فتعمقت مباحثها وضبطت مصطلحاتها، فأصبحت علما مستقلا

بذاته فانتقل علم القراءات إلى مجال البحث في المدونة التي تناثرت بين أفواه المقرئين والمعلمين لأداء اللفظ القرآني(...) فتمكنوا من تحديد مفهوم التجويد وضبطوا مباحثه ومراتبه)) [130](ص37 وما بعدها).

وعرفوا مصطلحات عديدة كالإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب والمد وأحكامه، كما عالجوا الوقف والروم والإشمام والمد وأحكامه والاختلاس ومما يعرف بقواعد التلاوة والتجويد، وهي كما تبدو جميعا قواعد صوتية تتعلق بالشروط التي ينبغي مراعاتها أثناء قراءة القرآن الكريم.

وتعد مصنفات التجويد أهم مصادر التراث الصوتي، أدت دورا مهما في الحفاظ على النطق السليم لأصوات اللغة العربية، ولعل ما يميز أصحابها عن غيرهم أنهم حاولوا تقديم منهج تعليمي دقيق للعالم والمتعلم المتصدي لتلاوة القرآن الكريم وتعليمه.

ومن أهم كتب القراءات السبع "كتاب السبعة" لابن لمجاهد، وكتاب "النشر في القراءات العشر "لابن الجزري، وفي القراءات الشاذة نجد "كتاب المحتسب في القراءات الشاذة" لابن جني، إذ أفاد مؤلفو كتب القراءات من المصطلحات الصوتية عند النحويين العرب، كما أفاد مؤلفو الكتب النحوية هم الآخرين من كتب القراءات [131](ص16-17).

((وعليه فقد وصفت مصنفات علماء القراءة والتجويد بأنها أكثر الكتب احتفاء بالمادة الصوتية وأوفرها اسهاما في مجال علم الأصوات ، والتي ساعدت على تطور هذا العلم، وذلك من أجل الدقة في تأدية القرآن الكريم قراءة وتدوينا، إلى حد جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن هذين العلمين قد انفردا بالدرس الصوتي وعملا على إغنائه، وفي هذا يقول برجستراسر: "كان علم الأصوات في بدايته جزءا من النحو ثم استفاد أهل الأداء والمقرؤون منه وزادوا في تفصيلاته الكثيرة المأخوذة من القرآن الكريم)) [126](ص5-6).

2.1.1.6.مدرسة المعجميين الصوتية : تعتبر المعاجم العربية من أهم مصادر التراث الصوتي العربي لأنها تزخر بفيض هائل من الفكر الصوتي عند العرب، وقد تناولت مختلف القضايا الصوتية وذلك إما في مقدمة المعاجم أو في ثنايا المادة اللغوية ضمتها بين دفتيها.

ولعل الحديث عن مدرسة المعجميين الصوتية لا يمكن أن يكون أو يتم دون الحديث عن أعمال الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب أول معجم عربي محدد الأسس وواضح أركان البناء .

نبغ الخليل في علوم عدة كعلم اللغة والنحو والعروض والموسيقى والرياضيات وغيرها، وجميع هذه العلوم تشترك في اهتمامها بالصوتيات العربية، وكل علم كان ينظر إلى الأصوات من منظوره الخاص.

1- ففي علم العروض مثلا ((قد تناول الأصوات من الزاوية الخاصة بمقاطع الكلام المبنية أساسا على الحركة والسكون، وما يتعلق بذلك من العلاقات بين الأصوات في حال التراكيب كالإدغام والتنوين والمد والقصر والتقاء الساكنين، حتى اخترع علماء العروض كتابة خاصة بهم سميت الكتابة العروضية، وهي في حقيقتها لا تعدو أن تكون كتابة صوتية حيث يحذف فيها خطا كل ما لا ينطق)) [132](ص15).

2- وفي مجال صناعة معجمه لم يكن هدف الخليل في مقدمته هو دراسة أصوات العربية في ذاتها، وإنما كان يسعى أساسا لمعرفة الخصائص التركيبية أوالفونولوجية لبنية الكلمة العربية ، وقد سن مجموعة قوانين تحكم بنية الكلمة وتحقق عربيتها أوعجميتها وسبق الإشارة إلى ذلك في حديثنا عن معجمه وأهم أسس بنائه في الفصل الأول من الباب الأول ، ولذلك نجد في مقدمة معجمه - إذا استثنينا ملاحظات حول الأصوات المعزولة وتصنيفها - نجد هذه المقدمة تكاد تخلص لقواعد بنية الكلمة العربية، وحتى حينما عرض الخيل لخصائص الأصوات المعزولة إنما كان يريد أن يضع يده على الخصائص المميزة لكل صوت من حيث دخوله مع صوت آخر في بنية ما ، كما كان يريد أن يستنبط القوانين العامة التي تحكم علاقة هذه الأصوات بعضها ببعض في بنية الكلمة العربية من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنه يريد أن يرتب معجمه ترتيبا صوتيا حسب مخارج الأصوات، وهذا يعني أن الوظيفة اللغوية للصوت داخل البنية وعلاقة الصوت بغيره من الأصوات والقوانين العامة التي تحكم هذه العلاقة، كل ذلك كان هدف الخليل في مقدمة معجمه، وهذا كله مدار التحليل الصوتي الفونولوجي للغة.

يقول أحمد محمد قدور بعد عرضه لمقدمة العين للخليل بن أحمد: ((وهكذا يتضح من خلال ما تقدم أن ما في مقدمة كتاب العين ليس دراسة شاملة أوخاصة بالأصوات لذاتها، بل هي مسوقة لغاية معجمية حددت ما ينبغي التعرض له دون غيره، وإن معظم ما ورد جاء لإيضاح الأبنية وخصائص تركيبها من الوجهة الصوتية التشكيلية)) [133](ص65).

وإلى جانب الخليل، نجد الكثير من المعجميين الذين ((تناولوا في أعمالهم القضايا الصوتية منهم: "ابن دريد" في معجمه "الجمهرة"، و"الأزهري" في معجمه "تهذيب اللغة"، "كما اتبعه في ذلك 'أبو علي القالي في المنهج والطريقة، ولم يخرج عنه إلاّ في بعض الأمور القليلة التي لا تقلل من هيمنة منهج الخليل على منهج القالي في معجمه البارع، من ذلك تسلسل الأصوات، فقد جاء مختلفا من حيث تقدير مخرج الصوت، فأدى ذلك إلى التقديم والتأخير)) [129](ص30-31) ، ولعله أخذ ذلك عن سيبويه هذا تداركا لبعض الهفوات التي وقع فيها الخليل والله أعلم.

3.1.1.6. مدرسة النحاة (صرفيين، نحاة): من المصادر -أيضا- التي ((تضم مباحث الصوتيات، نجد المصنفات النحوية الصرفية التي احتوت بين ثناياها كثيرا من ملامح التراث الصوتي العربي، بل هناك من الدارسين من أرجع أول مبادرة في هذا المجال إلى أبي الأسود الدؤلي (ت69هـ) وهي قبل ظهور المؤلفات، وذلك حين قام "بوضع ضوابط تحفظ القرآن الكريم من اللحن حيث اختار كاتبا من قبيلة بني عبد القيس، وشرع يتلو عليه القرآن، وقال: "إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه إلى أعلاه، وإن ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة أسفل الحرف، وإن أتبعت ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين)) [134](ص49).

وبذلك يمكن القول: إن النظام القواعدي (النحو) في مرحلته الأولى نشأ نشأة صوتية بحتة، ومصطلحات حركات الإعراب في اللسان العربي أساسها الجانب الفيزيولوجي من العملية الصوتية ، وهي تمثل نقطة تلاق مهمة بين المستويين الصوتي والنحوي للغة.

كما سجلت المؤلفات الأولى آراء لعلماء آخرين تدل على تنبه هؤلاء إلى أهمية الجانب الصوتي في دراسة اللغة.ومن أبرز العلماء الذين خلفوا أثرا واضحا في الدراسات الصوتية "سيبويه" الذي خلف مادة شكلت تراثا هاما للعلماء الذين جاؤوا بعده، بل هناك من رأى أنها الأساس الفعلي لدراساتهم ولم يخرجوا عنها. ونذكر أن سيبويه أيضا لم يتناول الأصوات كعلم مستقل، بل تحدث عنها في نسق حديثه عن الصرف العربي، وبالذات عند حديثه عن ظاهرة الإدغام باعتبار أن العوامل الصوتية تؤثر في الصيغ الصرفية.

1.3.1.1.6. سبويه و "الكتاب": جاء كتاب (سيبويه) متضمنا لدراسات غاية في الدقة والأهمية، إذ تنوعت بتنوع مادته، إذ كان منها ما يتعلق باللهجات (...)، ومنها ما يعرض للقراءات، ومنها ما يتحدث عن ظواهر صوتية مختلفة كأحكام الهمز من تحقيق وتسهيل وهمزة بين بين، والإمالة والفتح وما يتعلق بهما من أحكام، والإعلال والإبدال والتعليل الصوتي لهما، إلى غير ذلك من المباحث الصوتية المبثوثة هنا وهناك بين طيات الكتاب ويستأثر الجزء الرابع من الكتاب بأجلّ هذه المباحث وهو "باب الإدغام" الذي استهله (سيبويه) بباب بعنوان " هذا بأن عدد حروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها، واختلافها"، مما يدخل في تكوين النظام الصوتي العربي ليغدو أساسا ومرجعا لكل من صنف في هذا الباب من نحاة ولغويين وقراء .

وقد كان بذلك خير من مثل النحاة في حديثهم عن الأصوات أصدق تمثيل، حيث يعد الكثيرون كتاب المصدر الأول لعلم الأصوات العربي، ويضعونه بعد كتاب (العين) مباشرة، إذ لخص فيه أراء أستاذه (الخليل) بدقة وأمانة في آخر الكتاب، وورث عنه ما ورث وصفا دقيقا لأحوال العربية في مخارجها وصفاتها[28](ص15) .((حيث يتحدث عن مخارج الحروف ويرى أنها ستة عشر مخرجا.وعدد صفات الحروف وكيفية حدوثها)) [135](ص431). ((وهذا كله لغرض معين ،يقول سيبويه: "وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه وما لايحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، ولا تبدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك)) [135](ص436).

2.3.1.1.6. ابن جني وكتاباه : سر صناعة الإعراب، والخصائص : إن دراسة ابن جني ((تعتبر أحسن مصدر لبيان طبيعة الدراسات اللغوية العربية واستجلاء طرقها في وصف القضايا اللغوية، مع اعتبار تطور مناهجها لمعالجتها، لأن القرن الرابع يعتبر القرن الذي استكملت فيه الدراسات النحوية واللغوية عناصرها مما يفتح المجال واسعا للمقارنة بين النظريات والمناهج المختلفة ويساعد على تقييم محصول الدراسات النحوية واللغوية العربية)) [136](ص228).

وعليه نقول: لقد تناثرت مواضيع الصوتيات في مصادر مختلفة، وتعددت أسماء العلماء والباحثين في هذا الميدان، إلا أن ظهور مصدر مستقل، يجمع شتات القضايا الصوتية، ويضم متفرقاتها، لم يكن إلا بعد أن قطع البحث اللغوي العربي شوطا هاما في مسيرته.

ومن الذين استطاعوا أن يحدثوا في هذا المسار منعطفا هاما ((نجد ابن جني ت(392هـ) والذي يعد المؤسس الفعلي لعلم الأصوات، وهذا عندما "ألف كتابا مستقلا في هذا العلم وهو كتاب "سر صناعة الإعراب)) [135](ص1-20) وكتاب الخصائص، ويعد كتاب "سر صناعة الإعراب" أول كتاب مستقل يؤلف في هذا العلم، فالعرب قبل هذا لم تعرف عملا مثله، ولقد تميزت مؤلفاته أنها لم تكن جمعا لأفكار السابقين وآرائهم فقط كسيبويه وغيره ، وإنما احتوت إضافات كثيرة تعبر عن نظرة ابن جني العلمية الصائبة ودقته الفائقة، وجعل الحديث عن الحروف التي خصها بالدراسة في كتابه ميدان علم مستقل قائم بذاته لا يقل أهمية عن الصرف والنحوهو"علم الأصوات".

تطرق ابن جني إلى عدة مباحث صوتية في كتابه "سر صناعة الإعراب" ومع ذلك فلا يمكن اعتباره كتابا في الصوتيات بالمعنى الذي نعرفه عند المحدثين، كون ابن جني تناول فيه حروف العربية ابتداء من الهمزة إلى الياء، مرتبة ترتيبا ألفبائيا حيث كان يتناول الحرف وما يتصل به من الأحكام الصوتية والصرفية، كقوله مثلا: "الظاء حرف مجهور يكون أصلا لا بدلا ولا زائدا... العين حرف مجهور يكون أصلا وبدلا، فإن كان أصلا وقع فاءا وعينا ولاما... أما البدل فقد بدلت.

((فكانت الأصوات الشغل الشاغل لابن جني، لها في تفكيره اللغوي جذور عميقة، وعلى هدي منها عالج قضايا لغوية كثيرة، وخاصة ما اتصل منها بالصرف الذي كان فيه العالم الأول بلا منازع))[42](ص239-240).

أما موضوعات الكتاب فيمكن إجمالها بالإضافة إلى ما سبق فيما يلي:

1- وصف جهاز النطق: ويعتبر أول الواصفين له وصفا كاملا متكاملا.

2- عدد حروف المعجم وترتيبها وذوقها واعتمد في ذلك على الخليل وسيبويه اعتمادا كاملا.

3- وصف مخارج الحروف وصفا تشريحيا دقيقا.

4- الأجراس الطبيعية للحروف، وبيان صفاتها الطبيعية وتقسيمها إلى أقسام مختلفة.

5- ما يعرض للصوت عند بناء الكلمة ومقاربته لآخر من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف، وهي من صلب مواضيع الصوتيات الوظيفية.

9- حديثه عن القيمة التعبيرية والدلالية للأصوات وإن كانت واضحة المعالم في كتابه الخصائص بصورة أكثر دقة وتوسعة في باب "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني". كما تطرق ابن جني إلى عدة مباحث صوتية في كتابه هذا. وغيرها من المواضيع.

سار ابن جني في دراساته هذه دراسة النحاة للأصوات، إذ اهتم هو الآخر بدراسة الأصوات من حيث التركيب وعالج الظواهر الصوتية كالإدغام والإبدال، والوقف والروم والإشمام والإمالة والإعلال، في هذا المستوى من اللغة لارتباطها بالجانبين الصرفي والتركيبي.

4.1.1.6.مدرسة علماء البلاغة : تضم المصنفات البلاغية بين ثناياها حديثا عن الأصوات لوجود علاقة جد وثيقة بها، وقد احتوت مصنفاتها دراسات هي من صميم علم الأصوات والفونولوجيا خاصة،وهذا في تعريفها للفصاحة، ونسيج الكلمات العربية وتنافر الحروف وائتلافها. ((وتحدث علماء هذه المدرسة عن "الأصوات الأصول والفروع في اللسان العربي، وانطلقوا في ذلك من منطلقات نطقية ولهجية وتعاملية متنوعة)) [129](ص187). وكانوا غير بعيدين في رؤيتهم هذه عن علماء العربية عموما، ميزوا بين الحروف التي يستحسن استعمالها في الفصيح و التي لا يستحسن استعمالها فيه.

((كما ميزوا أيضا الأصوات التي لها دور في تحسين النغم سواء كان ذلك في الشعر أو النثر، وحددوا جملة من الأصوات يستحسن أن تكون في القافية، ولكن الرازي أنكر "أن يكون العيب في الصوت نفسه"، وذكر أنه في موقعه من التأليف ولولا ذاك لاستقبح الصوت أصلا في النطق قبل التأليف)) [129](ص189-190).

وكان لهم حديث عن مخارج الحروف .

ومن الذين يستشهد بهم في هذا المجال نذكر:

1.4.1.1.6. ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة : يعد ((أول من تحدث عن الفصاحة حديثا شافيا، وحاول في كتابه هذا تعريف الصوت والتمييز بينه وبين الحرف، وعقد فصولا موسعة للحديث عن صفات الحروف ومخارجها ،واهتم بفصاحة الألفاظ في حال إفرادها وحال تركيبها)) [138](ص28).

2.4.1.1.6.السكاكي في "مفتاح العلوم" : يعد كتابه مصدرا بلاغيا ،((ولكنه لم يغفل للجانب الصوتي فتعرض فيه إلى مخارج الحروف وصفاتها، وما يميز السكاكي أنه كان "أول من حاول وضع رسم أولي للجهاز النطقي للإنسان)) [129](ص189-190) ، بين مخرج كل حرف وكان أول من تنبه إلى أهمية الرسوم التوضيحية في البحوث العلمية، ولعل هذا ما جعل الكثير من الدارسين المحدثين يشيدون بأهمية هذه الإضافة وإسهامها في دفع مسيرة الدرس اللساني على نحو عام، والصوتي منه على نحو خاص.

5.1.1.6. مدرسة علماء الطب والحكمة والطبيعة والفلسفة: عرف الدرس الصوتي العربي في اختصاصات أخرى كالطب والفلسفة وغيرها، وسنركز الحديث على بعض الأعلام:

1.5.1.1.6. ابن سينا: (ق 5هـ) : بالإضافة إلى إسهامات ابن سينا في مجال الطب ، وإلى كتبه في الطبيعيات ومقالاته الفلسفية، ((فإن له إسهامات في مجال الصوت، خاصة في رسالته "أسباب حدوث الحروف".وأسلوبه -فيها- اتسم بالإيجاز في الوصف، والدقة في التعبير وظهرت النزعة العلمية المنطقية في كتاباته، "وتعرض فيها إلى قضايا جوهرية، تتعلق بالجانب الفيزيولوجي والفيزيائي للأصوات، وذلك

لاستعانته بعلم التشريح، فتميزت أبحاثه بمصطلحات لم يذكرها من سبقه من اللغويين والنحاة، وكان حديثه أشبه بحديث علماء وظائف الاعضاء)) [139](ص17).

2.5.1.1.6. الفارابي : أورد ((الفارابي في كتابه "الموسيقى الكبير" دراسات صوتية كثيرة، حيث تحدث عن الصوت والنغم، وربط بين المبدأ الطبيعي لحدوث الصوت وكيفية حدوث الكلام، وعنايته بدرجة الصوت وإشارته إلى وجوب استعمال الآلات للقيام ببعض القياسات التي يصعب تحديدها بالسمع)) [131](ص29).

و خلاصة القول :

1- لقد خطى العرب بالدراسات الصوتية خطوات واسعة، وضربوا فيها بسهم وافر،((فشهد لهم بذلك دارسون كثر من الغربيين حتى قال أحدهم: "لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان العرب والهنود)) [141](ص74) ، ومع أن علم الأصوات لم يعرف بهذا الاسم عند العرب إلا في مرحلة لاحقة، فإنه لم يغب عن مصنفات المتقدمين من علماء العربية في معجمها ونحوها وصرفها وعروضها وبلاغتها وفي موسوعاتها الأدبية وفي كتب الطب والحكمة والموسيقى والقراءة والتجويد، حيث يمكن تصنيف العلوم التي أسهمت في هذا العلم إلى ثلاثة أصناف:

1- علوم القراءة والتجويد.

2- علوم العربية من معجم ونحو وصرف وبلاغة وعروض.

3- علوم الحكمة والفلسفة والطب.

حيث أسهم علماء القراءات والتجويد بقدر كبير في الجانب العملي التطبيقي والوظيفي لعلم الأصوات .وإن القراءات القرآنية تعد الإطار الواقعي الحقيقي للدراسة الصوتية وذلك لاستنادها للتلقي والمشافهة والسماع وهي الأسس الدقيقة في الدراسة السليمة للغة عامة ولأصواتها خاصة.

واستطاعت مدرسة النحاة والصرفيين العرب في أصولها الأولى بقيادة الخليل وسيبويه وابن جني وغيرهم أن تشير إلى الكثير من خصائص وصفات الأصوات، واتسم تصنيفهم لها بالدقة والشمول وظلت التآليف العربية تتناقلها بعدها إلى يومنا هذا.

وتعتبر المصادر البلاغية مجالا خاصا للبحوث الصوتية يمكن للدارس الإفادة منها لفهم كثير من أسرار اللغة العربية ومصطلحات مفاهيمها المعبرة عنها.

2- وما يمكن ملاحظته في هذا الإطار أن العلماء العرب القدامى استوفوا الجانب النطقي بقوة دون الجانبين الفيزيائي والسمعي الذي لم يكن له نصيب وافر، لاعتماد الجانب النطقي على الملاحظة والذوق الحسي كما كان الشأن مع الخليل وسيبويه وابن جني، في حين عجزوا عن تصوير ما يحدث في انتقال الصوت فيزيائيا واستقباله داخل (الأذن)، لكن رغم هذا تفوق العرب في دراستهم التي مثلت الحجر الأساس الذي بنيت عليه الدراسات الحديثة.

3- وقد كان للجانب الوظيفي نصيب وافر من الاهتمام والدراسة وعرف العلماء ظواهر صوتية وظيفية كثيرة في اللغة العربية اصطلحوا عليها وإن اختلفوا في تحديداتها حسب وجهة نظر العلم موضوع الاختصاص والاهتمام، وهي اختلافات بسيطة لأنها لا تخرج عن دائرة الدرس اللساني العربي عموما.

4- ويمكن القول إن الدراسات الصوتية العربية ارتبطت ارتباطا وثيقا بمعطيات وظيفية مؤدية إلى غايات متنوعة ومختلفة باختلاف دارسيها وعلى وفق اختصاصاتهم،(قراءات ،لغة ، نحو، بلاغة ، عروض)، فلم تكن دراسة الأصوات عندهم دراسة هامشية أولغرض الترف اللغوي وإنما هي دراسة جادة مرسومة على خطى علمية دقيقة لها أسبابها ومسبباتها ودوافعها وغاياتها ونتائجها أيضا .

5- وأول ما ظهرت الصوتيات الوظيفية كما ذكرنا سابقا ممارسة مع علماء القراءات والتجويد الذين نظروا إلى الأصوات نظرة كلية متكاملة سياقية أدائية، وأهم مظاهر هذه النظرة هو الجانب الصوتي الذي تتفاعل فيه أصوات العربية، وأصوات القرآن خاصة،تفاعلا متناسقا منسجما يعبر عن نظام العربية الصوتية المتميز.

2.1.6.أصول الصوتيات الوظيفية عند الغرب :

سنقوم بعرض موجزللمدارس الغربية الصوتية المختلفة للفنولوجيا للأسباب الآتية:

1- قد تختلف دلالة المصطلح الصوتي الواحد إذا تتبعنا استعماله وتطوره في نفس المدرسة، ومن مدرسة إلى أخرى، وهذا ما يجب تتبعه ورصده بدقة للوصول إلى التحديد الدقيق للمصطلح والذي حتما لن يكون نهائيا، لأنه لا المصطلحات الخاصة بعلم من العلوم ولا اللغة نفسها ككل، في حالة ثبات أو جمود بل هما متغيران دوما ومتطوران.

2- ((يختلف تحليل ظاهرة من الظواهر الصوتية من مدرسة إلى أخرى ويتبع ذلك استعمال مصطلحات خاصة بكل مدرسة تبعا لتصنيف ومنهج تحليلها.مثال ذلك ما يراه محمد حلمي هليل أن "معالجة مظاهر الإيقاع والتنغيم والنبر في المدرسة الانجليزية تختلف عنها في المدرسة الأمريكية، فبينما توصف أنمطة درجة الصوت بالتعاريج النغمية (intonation contours) في المدرسة الأمريكية، وتحلل هذه الأنمطة إلى مستويات لدرجة الصوت (pitch levels) كفونيم درجة الصوت (pitch phonème) نتحدث في المدرسة الانجليزية عن الوحدة أو المجموعة النغمية (tone unit or tone group) ونواة الوحدة النغمية (tonic))) [12](ص110).

3- حتى المصطلحات التي نجدها في مدرسة قد لا نجدها في أخرى ، وذلك حسب خصائص كل لغة كما هو الحال في المجموعة من المصطلحات التي نجدها في المدرسة العربية (قديما خاصة) والمدارس الصوتية الغربية.

4- وعليه ارتأيت أن يشمل المعجم بين دفتيه مبدئيا مجموعة من المصطلحات في الصوتيات الوظيفية العربية ومجموعة من المصطلحات في الصوتيات الوظيفية الغربية بمختلف مدارسها، والتي تنطلق بداية من نظرية الفونيم وما يحتوي من مصطلحات وقد يكون أو لا يكون لها مقابل في العربية (قديما أو حديثا).

أهم المدارس الصوتية الغربية المختلفة :

1.2.1.6. مدرسة قزان : رائدا هذه المدرسة هما "جان بودوان ديكورتناي" Jean Boudouin De Corteney (1845-1929) ونيكولاي كروسفسكي Nikoley Karecevski(1851-1887) وهما باحثان لسانيان ينتميان إلى عصر المنهج التاريخي الذي بدأت نهايته مع نهاية الربع الأول من القرن العشرين ، إلا أنهما مع ذلك استطاعا تقديم أفكار وملاحظات هامة بشرت بالمنهج البنوي فيما بعد.

((تلتقي جل أعمال بودوان دي كورتناي وكروسفسكي فيما يمكن تسميته بالدراسة اللسانية الحديثة للفونيم، تلك الدراسة التي كانت بدايتها الأولى على أيديهما، إذ يرجع الفضل إلى بودوان دي كورتناي في اكتشاف الطبيعة اللغوية للفونيم، ويعد تلميذه كروسفسكي أول من استعمل مصطلح فونيم من أجل تعيين الوحدة الصوتية غير القابلة للتجزئة، في مقابل الصوت الإنساني الذي يمكننا تحليل خصوصياته المتعلقة بنطقه لدى شخص ما)) [142](ص133).

((وتجدر الإشارة إلى أن دي كورتناي أول من نص على ضرورة وجود فرعين مستقلين من العلوم لدراسة جانبي الأصوات... ولقد أعلن هذا الباحث أن هناك فروقا جذرية بين أصوات الكلام speech sounds ، والصور الذهنية للأصوات phonetic images التي تتألف منها كلمات اللغة ،وانطلاقا من هذا الإدراك أصرعلى ضرورة وجود نظامين من البحث الصوتي لتناول الأصوات بطريقة علمية، أحد هذين النظامين أو العلمين ينبني على أسس فيزيائية وفسيولوجية، وموضوع البحث فيه الأصوات المادية، وثانيهما يعتمد على قواعد علم النفس، ووظيفته دراسة الصور الذهنية للأصوات ومالها من وظائف وقيم في اللغة، وقد سمى دي كورتناي العلم الأول الذي خصصه لدراسة الأصوات المادية بعلم الأصوات العضوي physio-phonetics ،على حين أطلق على الثاني المصطلح علم الأصوات النفسيpsycho phoni وقصر عمله على دراسة الصور الذهنية للأصوات، تلك الصور التي أطلق عليها هذا العالم نفسه اسم "الفونيم" كما يتضح من قوله الذي نقله إلنياكمال بشر يقول:" إن الفونيم هو المعادل النفسي للصوت))...[143](ص73-74).

ولقد عاب اللسانيون على بودوان -ومنهم تلميذة كروسفسكي- أنه ظل على انتماء بحثه في الفونيم للتيار السيكولوجي المهمين في زمانه. وعلى اعتبار العامل النفسي أساسا في الظواهر اللغوية، كما عابوا عليه أيضا تأثره بالضغط العقائدي للنزعة التاريخية التي استطاع دي سوسير وحده التخلص منها بشكل كامل.

ومع ذلك فإن ما جاء به "بودوان وكروسفسكي" من أفكار لسانية تعطي لهما مكانتهما في تاريخ الدراسة اللسانية والملاحظات القيمة التي تحتل واجهة هذه الدراسة في علم اللسان الحديث، وتظل أفكارهما رائدة اللسانيات البنوية خصوصا في مجال دراسة الفونيم.

2.2.1.6. مدرسة فرديناند دي سوسير ت1913 م :Ferdinand De Saussure : يمكن القول إن دي سوسير قد أسهم في التأسيس للدرس الصوتي الحديث بفضل أفكاره في مجال اللسانيات البنوية، ومن هذه المفاهيم التي استفاد منها الفونولوجيون بعده تذكر اللغة والكلام: النظام التقابل، الاختلاف، الاستبدال التركيب، الاعتباطية، والخطية وغيرها.

وقد ميز دي سوسير تمييزا خاصا بين الفونتيك والفونولوجيا و قد أطلق الفونتيك على العلم التاريخي اللذي يحلل الأحداث والتغيرات وهو مرتبط بالزمن، بينما الفنولوجيا فهي بعيدة عن العامل الزمني لانها تهتم بما هو قار، تهتم بالجهاز النطقي وآلية النطق أي الناحية الفيزيولوجية للأصوات ،يقول:

« La physiologie des sons (…) est souvent appelé «phonétique » (…) ce terme nous semble impropre, nous le remplacerons par celui de phonologie, car phonétique a d'abord désigné et doit continuer à désigner l'étude des évolutions des sons (…) La phonétique est une science historique, elle analyse les évènements, des transformation et se meut dans le temps, la phonologie est une dehors du temps, puisque le mécanisme de l'articulation reste toujours semblable a lui-même (…) la phonologie ne relève que de <u>la parole</u> »)) [144] (ص34).

فالفونتيك عنده علم تاريخي، أي يبحث في تطور الأصوات لأنه خصص في بداية الأمر لهذا النوع من الدراسة، وهو فرع أساسي من علم اللغة Linguistics ، أما الفونولوجيا: فيدرس الأصوات من الناحية العضوية أو ميكانيكية النطق، وهو نظام من الدراسة مساعد لعلم اللغة ومقصور قصرا تاما على الكلام speech .

ويكمن اختلاف ما ذهب إليه سوسير عن المدارس التي جاءت بعده في النقاط التالية كما عددها لنا كمال بشر :

1 – الفونتيك دراسة تاريخية فقط عنده ، على حين هي تاريخية ووصفية عند مدرسة براغ و غيرها.

2- الفونولوجيا عنده تطابق الفونتيك عند أغلب الدارسين.

3– الفونتيك عنده جزء لا يتجزء من علم اللغة ، أما الفنولوجيا فلا تعدو أن تكون سوى نظاما من البحث ثانويا يقدم المساعدة والمعرفة لهذا العلم . ثم توسع في هذا العلم " الفنولوجيا " إذ أصبحت الدراسات الفنولوجية عنده تقترب من علم الأصوات العام عند غيره .((أما وظيفة الفنولوجيا فهي النظر في الأصوات

بوصفها أنواعا أو أنماطا عامة، وهذه الأنماط نفسها كثيرا ما يطلق عليها الفونيمات (الوحدات الصــوتية))) [143](ص86).

وقد توسع دي سوسير في مفهوم الفنولوجيا كثيرا خاصة من الناحية التطبيقيــة ولــم يقصــرها علــى المفهوم النظري الضيق، حتى إنه اقترب في بعض مفاهيم الفنولوجيا من أولئك الدارسين الذين عمدوا إلــى التقسيم بين الفنولوجيا والفونتيك تقسيما يختلف عما أقرّ به، ويظهر ذلــك فــي مناقشــته للمقطــع syllabe ومشكلاته في إطار الفنولوجيا وتأكيده أن هذه الدراسة لها مكان في هذا العلم، ومعروف أن دراسة المقــاطع من صميم مباحث الفنولوجيا وكأنه استدرك مفهومي المصطلحين "فونتيك" و"فنولوجيا" و وجههمــا الوجهــة التي اتفق عليها العلماء بعده.

3.2.1.6. مدرسة "براغ" الوظيفية ، 1926م : ((تعد مدرسة "براغ" Prague school(أسست عام 1926) أفضل من يمثل الاتجاه الوظيفي في دراسة اللغة، ويعود إليها الفضل في تأسيس الفنولوجيا بمعناها الحــديث. وقد نشأت هذه المدرسة في أحضان حلقة براغ اللسانية prague linguistic circle ، التي أسسها اللســاني التشيكي فاليم مــاثيوس Vilem Mathesuis (1882-1045)))[145](ص70)، وذلــك بمســاعدة بعــض طلابه، ومجموعة من اللسانيين التشيكيين، ب.ترنكا B.tranka وج.فاشك J.Vachek وغيرهما .

فقامت هذه المدرســة علــى المبــادئ والأصــول النظريــة التــي أرســى دعائمهــا "سوســير"، كما ((اتخذت من تصور "بودوان دي كوتناي" للفونيم نظرية كاملة للتحليل الفونولوجي، (...)وكفل النجــاح لهذا المشروع ما تمتعت به "براغ" من تقاليد راسخة في الفكر اللساني، ولم يستغرق تطور النشاط الخصــب الذي قامت به المدرسة إلا قرابة عشر سنوات، إذ تعد مدرسة براغ مدرسة متخصصة في اللسانيات ...ثــم انضم إليها كل من تروبتسكويN.Troubetzkoy (1890-1938) ورومــان جاكبســون R.Jakobson (1893-1982) اللذين شاركا في أعمال ما عرف آنذاك "بحلقة براغ للسانيات"، فكان الأول المفكر المهيمن عليها والثاني محركها الأساسي. وقد وضعا المفاهيم الأساسية للتحليل الصوتي للغات الأوربية ونشرا جــزءا كبيرا من إنتاجهما في الأعداد التسعة الأولى من مجلة "أعمال حلقة براغ اللسانية". كــذلك شــارك أنــدري مارتينهAndre Martinet وإميل بنفينست في أعمال هذه المدرسة)) [146](ص240).

فكان انضمام اللسانيين الثلاثة سنة 1928 علامة بروز قوية لهذه المدرسة ،وأصــبحت مــن أهــم المدارس اللسانية الحديثة .((إن أهم ما يتميز به هؤلاء اللسانيون الثلاثة هو تأثرهم في درس اللغــة- بمــا جاء به دي سوسير- بالإضافة إلى ما جاء به بودوان ديكورتناي وتلميذه كروسفسكي وأ وأتوجسبرسن" مــن المفاهيم اللسانية المتصلة بالفونيم، والتي تعد القاعدة التي قامت عليها مبادئ مدرســة بــراغ الفنولوجيــة)) [146](ص104).

وامتازت هذه المدرسة خاصة بإسهامها في التفريق بين الفنولوجيا والفونتيك انطلاقا من تفريق سوسير بين اللغة والكلام .

"فالفونتيك هو علم أصوات الكلام ، والفونولوجيا علم أصوات اللغة، والأول أقرب إلى علوم الطبيعة منه إلى اللغة، فهو شيء ثانوي وإن كان يساهم في دراسة الأصوات في مستواها الفنولوجي المرتبط بعلوم اللغة، فالفونتيك -إذن- وظيفته دراسة الأصوات المنطوقة بالفعل في الكلام، فينظر في حركات أعضاء النطق وأوضاعها... أما الفنولوجيا فلا يهتم بالأصوات بهذا الوصف، وإنما عليه دراسة الفونيمات وهي العناصر المكونة للمعنى اللغوي، وهي عناصر غير مادية، إنما عناصر عقلية، ويكون تحقيقها المادي بوساطة الصوت الفعلي أو النطق.

هذا التفريق الواضح بين هذين الفرعين يصر عليه رجال مدرسة براغ وقد ناء بهذه الفكرة أول الأمر كل من تروبتسكون وجاكوبسون وكاريفيسكي، وكان الأول أكثر نشاطا في المجال، وقد نسبت إليه كما لو كان مبتكرها، وقد لخص تروبتسكون هذه النظرية وخرج بها في مؤلفه Bes Chribungen Anleitung phonlogoschen ? (1935) وفي عمله الآخر الذي نشر بعد وفاته بعنوان Grundzuge der phonologie (أسس الفنولوجيا) (1939) وترجم إلى الفرنسية سنة 1949 بعنوان principes de phonologie، ولكن بذرة العمل الأصلية قد وضعها الثلاثة في اقتراح قدموه سنة 1928م إلى المؤتمر اللغوي العالمي الذي عقد في لاهاي في هذا التاريخ)) [143](ص76-77). حيث أشاروا في عرضهم، بصورة مجملة إلى الفرق بين دراسته أصوات الكلام، ودراسته أصوات اللغة ونشروا أبحاثا حول قوانين بنية الانساق الفنولوجية، وامتدت مبادئهم ليس فقط إلى وصف الأصوات، بل كذلك إلى دراسة تطورها التاريخي.

و أصبحت أعمال هذه المدرسة بمثابة النواة لكل ما أتى بعدها في مجال الدراسات الصوتية عموما والوظيفية خصوصا.

((وفي مدرسة براغ نجد عددا من رجالها القدماء والمحدثين على حد سواء لايرتضون هذا الفصل التام بين علمي الأصوات، ويؤكدون شدة ارتباط أحدهما بالآخر، إنه ارتباط متبادل، يصوره واحد من كبار رجال هذه المدرسة وهو "ترنكا"B.tranka الذي قال: "عندما تبدأ الدراسة من الصورة الصوتية وتتدرج في طريقها حتى تصل إلى القوانين المجردة، فإنها تجد نفسها في مجال الفنولوجيا أما إذا أخذت طريقها – هذه المرة- من القوانين المجردة، وسارت في عملها حتى وصلت إلى الصورة الواقعية للأصوات، فإنها تجد نفسها في مجال الفونتيك... إننا إذا علمنا أن الفونتيك إنما يختلف فقط عن الفنولوجيا في إنتاج طريق مخالف في سير الدراسة أدركنا أن مشكلة الحدود الفاصلة بين الظواهر الفونتيكية والفنولوجية أصبحت غير ذات موضوع، لأن هذين النوعين من الظواهر متكاملان ومتعاونان في سبيل تحقيق أهدافهما الفردية والاجتماعية)) [143](ص76-77).

ويمكن إجمال أهم المبادئ التي نادت بها مدرسة براغ فيما يلي:

1- التركيز على دراسة الوظيفة الحقيقية للغة، والتي تتمثل في الاتصال (كيفيته، ومناسبته ولمن يوجه) لأن اللغة –بالدرجة الأولى- نظام للاتصال والتعبير من أجل الرقي والتفاهم المشترك.

2- اللغة حقيقة واقعية، ذات واقع مادي يتصل بعوامل خارجية، بعضها يتعلق بالسامع، والآخر يتعلق بالموضوع الذي يدور حوله الاتصال أو الكلام وهكذا يكون من الضروري التمييز على المستوى النظري والعلمي، بين لغة الثقافة بصفة عامة، ولغة الأعمال الأدبية، والمجلات العلمية والصحف، ولغة الشارع... الخ

3- على البحث اللساني أن يحيط بالعلاقة بين البنية اللسانية والأفكار والعواطف، التي توصلها هذه البنية، لأن اللغة تتصل بكثير من المظاهر العقلية والنفسية للشخصية الإنسانية.

4- اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة لا تتطابقان، فلكل منهما خصائصها المميزة ومن ثمة فإن العلاقة بينهما تحتاج إلى دراسة علمية.

((- دراسة الفونيم ضمن منهج اللسانيات التاريخية والوصفية، من خلال الإسهام في تطويرهم لنظرية النحاة المحدثين المتصلة بقوانين التطور الصوتي تلك النظرية التي لم يتجاوزوا فيها دراسة الأصوات بوصفها أجزاء صوتية مستقلة ولما جاء فونولوجيو براغ تنبهوا إلى أن التغيرات الصوتية لا تحدث تاريخيا (لا يؤثر السابق في اللاحق بمعزل عن النظام الكامن فيه أفقيا كل منهما)، بل أنها تتم من الوجهة البنيوية في ظل علاقات التأثر والتأثير داخل البنية المتكاملة والمتموضعة في إطارها التزامني ...)) [142](ص105).

6- استثمار مفاهيم سوسير في الدراسة الوظيفية للصوت اللغوي مثل: التقابل والنظام، والعلاقات التركيبية والاستبدالية، وثنائية اللغة والكلام.

7- يجب أن يتجه البحث الفنولوجي إلى دراسة العلاقات والتقابلات الفونيمية، ولا ينبغي فصل الظاهرة المورفولوجية عن الظاهرة الفونولوجية.

8- التمييز بين التنوعات variations الصوتية التي هي مجرد تحقيقات نطقية لفونيم واحد. والتغيرات التي تصيب الفونيمات بحيث تقتضي تغيير الوظيفة الدلالية للكلمة وذلك عند تبديل فونيم مكان آخر في السياق ذاته.

4.2.1.6. المدرسة الفرنسية الوظيفية لاندري مارتيني:Andre Martinet

أندري مارتيني هو أحد أبرز مؤسسي اللسانيات البنوية في أوربا، وقد كان من بين أهم إسهاماته في هذا الجانب اللساني الكبير مفاهيمه ونظرياته التي أسس بها اللسانيات الوظيفية على المستوى التركيبي للغة في عدد من مؤلفاته: اللسانيات الآنية سنة 1970، مبادئ في اللسانيات العامة 1960، اللغة والوظيفة سنة 1970.

أما أبرز أفكاره فتتجلى في:

1- وظيفة اللغة: سميت هذه الوظيفة بوظيفة التبليغ والتواصل بين أفراد المجتمع، وهي موجودة إلى جانب وظائف أخرى "كوظيفة التعبير والوظيفة الجمالية" ومن هنا لا يكفي –عنده- معرفة أن اللغة تتشكل عناصرها في صورة بنى متراصة بل لابد من معرفة وظائف هذه البنى.

2- مبدأ التقطيع المزدوج: Double articulation: المراد به هو ذلك المبدأ الذي يمكن من تحليل اللغة إلى وحدات محدودة ونهائية في كل لغة وتنقسم إلى:

أ- Les Monémes: يقابل هذا المصطلح في الاستعمال التقليدي Les mots ويسمى المستوى الذي تتموقع فيه بمستوى "التقطيع الأول" وذلك المستوى الذي يقوم على اعتبار أن أي ظاهرة من ظواهر التجربة البشرية يراد إبلاغها (تجزأ إلى أصغر مكوناتها) تحلل إلى سلسلة من الوحدات لكل منها صورة صوتية ومعنى.

كما أشار إلى تصنيف آخر للمونيم باعتبار طبيعته لا باعتبار علاقاته، ومفاده أن المونيم إما أن يكون وحدة معجمية Lescéme بحيث يشكل جذور الكلمة التي تعود إلى المعجم، وإما ان يكون مورفيما Morphème (وحدة صرفية نحوية) بحيث يشير بشكل مباشر إلى وظيفة نحوية ففي قولنا:

- محمد وخالد يحبان المطالعة← نحصل على التقسيم التالي:

- محمد، خالد، يحب، مطالعة← وحدات معجمية.

-و -أن -أل -وحدات نحوية.

وتشكل المونيمات التي هي وحدات معجمية قسما مفتوحا ذا وحدات متغيرة ومتجددة، بينما تشكل المورفيمات قسما مغلقا، وحداته قارة ومحدودة)) [142](ص11 ومل بعدها).

ب- Les Phonèmes: وتسمى بالوحدات غير الدالة، وتظهر على مستوى التقطيع الثاني الذي يتم داخل الوحدات الدالة.

ويقول الدكتور جعفر دك الباب تعقيبا على هذا : "إن اللغة البشرية حسب مارتيني قابلة للتقطيع على صعيدين، الوحدات الدالة (مونيمات) على الصعيد الأول، وبضع عشرات من الوحدات الصوتية (فونيمات) على الصعيد الثاني، والكلام البشري وحده قابل لمثل ذلك التقطيع المزدوج، ومبدأ التقطيع المزدوج قانون أساسي من قوانين اللغة البشرية."

ويقول: ((صحيح إن الفونيم هو وحدة صوتية دنيا، تتمتع بجملة من الصفات تميزها عن وحدة صوتية دنيا أخرى في نفس النظام اللغوي، ولكننا نرى أن الفونيم إنما هو وحدة صوتية افتراضية لأن التقطيع الفعلي للصيغة الصوتية (...) يوصلنا فقط إلى المقطع الصوتي Syllable، وعليه فإنا لا نوافق مارتيني في أن مبدأ التقطيع المزدوج هو قانون أساسي من قوانين اللغة البشرية، ونرى أن القانون الأساسي المشترك في جميع اللغات البشرية هو مبدأ تقطيع السلسة الصوتية للكلام الإنساني إلى مقاطع صوتية.)) [147](ص03).

3- مبدأ الاقتصاد اللغوي: يقوم هذا المبدأ على أساس العلاقة بين بنية اللغة ووظيفة اللغة، وهو الذي يمكن وظيفة التواصل، أن تتم بأقل جهد ذهني وبدني والذي يساعد على تحقيق هذا المبدأ هو مبدأ التقطيع المزدوج الذي يجعل وظيفة التواصل تتسم بواسطة عدد محدود من الفونيمات والمونيمات.

4- مبادئ التحليل الوظيفي: ينطلق أندري مارتيني في تحليله لوحدات العبارة من مبدأ التفريق بين وظائفها، وحتى يتمكن من وضع إطار تحليلي نموذجي تخضع له جميع الوحدات على ما يقتضيه نظام بنائها التركيبي انتبه إلى مجموعة من المبادئ:

1- الصلات القائمة بين الوحدات: تبرز أهمية هذا المبدأ في أن الفونيم تتحدد قيمته الدلالية والوظيفية من خلال صلته بالمونيمات الأخرى المجاورة له في السياق.

2- موضع الوحدات: يؤدي الموضع دورا تمييزيا في تحديد وجهة العبارة والتمييز بين وحداتها .

3- المحتوى الدلالي للوحدات: يشير مارتيني في هذا الصدد إلى بعض اللسانيين التوزيعيين الذين لا يهتمون بمعنى الوحدات اللغوية في تحليلهم اللساني، بحجة الضبط العلمي لطريقة وصف اللسان، فهو يرى أن مراعاة معنى الوحدات من أجل تحديد وظائفها أمر ضروري في التحليل، ومن الكلمات التي يرى مارتيني أن معناها كاف لتحديد وظيفتها بوضوح ظروف الزمان (مثل: أمس، اليوم، غدا) التي يسميها بالمونيمات المستغنية.

5- المزج: هو ظاهرة نحوية انتبه إليها مارتيني،وهي وحدها تشكل صعوبة عند تحرير العبارة إلى مونيمات، فإذا كان المسار الطبيعي للتحليل هو اكتشاف سمات الدور التمييزي للمونيم من حيث هو قطعة صوتية دالة مختلفة فونولوجيا عما يمكن أن يكون عليه غيرها، ومتماثلة مع مدلول واحد، فقد يحدث أن تكون القطعة الصوتية ممزوجة Analgamé ، وذلك عند وجود مدلولين متداخلين في دال واحد مما يعيق عملية التحليل، إلى قطع متوالية.

((وأهم ما يميز المدرسة الفرنسية بقيادة مارتنيه ،نظرتها إلى الفونولوجيا ومحاولة ربطها بين العلمين من جديد " فإذا كانت مدرسة براغ قد قامت بفصل الصوتيات الوظيفية phonologie عن الصوتيات phonétique ونسبت الأولى إلى العلوم، والثانية إلى الدراسة الإنسانية، فإن مارتيني ساهم مساهمة فعالة في إزالة هذا الفصل، وعد الفونولوجيا نوعا من الفونتيك الوظيفية functional phontics))[143](153).

5.2.1.6. المدرسة الانجليزية: يمثل هذه المدرسة توجهان لسانيان نشآ بشكل مستقل عن اللسانيات البنوية .انطلق أحدهما من جهود العالم الصوتي "دانيال جونز Daniel Jones. " وانطلق الآخر من أعمال اللساني الانجليزي فيرث J.R.Firth (ت1960م).

1.5.2.1.6.أما "دانيال جونز" فقد قدم فيه جونز دراسة للفنولوجيا بطريقة متميزة عن طريقة الفنولوجيين البراغيين، فهو يعتمد على منهج الوصف المادي، الذي يهتم في دراسته للفونيم بطبيعته الفيزيائية ويهتم بوظيفته.

((وفي حقيقة الأمر إن دانيال جونز لم تكن أعماله فونولوجية ، وإنما كانت ذات توجه صـــوتي بحـــت بحيث لم يهتم بما ينجزه الفونيم من تقابلات تؤدي إلى تحقيق وظائف، وإنما اهتم بماهية الفـــونيم، فـــالفونيم عنده ليس سمة تمييزية (أو مجموعة من السمات التمييزية) تسعى إلى تحقيق وظيفة في اللغة إنما هو"عائلـــة من الأصوات المترابطة فيما بينها في الصفات في لغة معينة، والتي تستخدم بطريقـــة تمنـــع وقـــوع أحـــد الأعضاء في كلمة من الكلمات في نفس السياق الذي يقـــع فيـــه أي عضـــو آخـــر مـــن العائلـــة نفســـها)) [143](ص475).

وبذلك يكون جونز قد وقع في ذلك الخطأ الذي يرتكز على إعطاء الفونيم حقيقة واقعية بينما هـــو لـــيس أكثر تجربة موجهة لتحقيق الوظيفة التي تضطلع بها الوحدات الصوتية".

لكنه مع ذلك استطاع أن يسهم بدرسه الصوتي في إثراء الجانب التطبيقي للفونولوجيـــا، فقـــد تـــرك قاموسا تطبيقيا للنطق في اللغة الإنجليزية، مكنه من وضع تسجيل واسع للفونيم أصبح مستعملا فـــي العـــالم بأسره.

2.5.2.1.6.فيرث : ((أما الاتجاه الثاني في المدرسة الانجليزية فتمثله نظرية فيـــرث اللغويـــة: فـــي هـــذه النظرية يميز "فيرث" في تفريقه بشكل صارم بين البنية (وهي ما يعود إلى العلاقات الموجودة على مســـتوى التراكيب) والنظام (وهو ما يعود إلى العلاقات الموجودة على مستوى الاستبدال)، كما اهـــتم فيـــرث بشـــكل خاص بدراسة الظواهر النغمية في الدرس الصوتي)) [142](136).

ويمكن تلخيص نظرية فيرث في كونها تنظر إلى المعنى على أنه وظيفة في سياق، وهـــو مـــا عـــد تحولا في النظر إلى المعنى، بعد أن كان يوصف بأنه علاقة بين اللفظ وما يحيل عليه في الخـــارج أو فـــي الذهن من حقائق وأحداث ،تلك النظرة التي كانت سائدة في الفلسفة الغربية التقليدية بعد انحدارها من الفلسفة اليونانية.

وفي دراسة فيرث للصوتيات الوظيفية ميز بين مقاربتين متمايزتين للغات همـــا: مقاربـــة الأنظمـــة المتعددة، ومقاربة الصوتيات الوظيفية الفوقطيعية.

1- الأنظمة المتعددة: عارض فيرث فكرة إقامة نظام واحد من الفونيمات لوصف اللغات البشـــرية، ونـــادى بمقاربة الأنظمة المتعددة التي تنص على وجود إمكانيات بديلة ترد علـــى مســـتويات مختلفـــة مـــن البنيـــة الفنولوجية، وخلص إلى أنه لا يوجد أمر مبرر منطقي لمطابقة بدائل صوتية في نظام معين بدائل من نظـــام آخر، فالنظام الملازم لعنصر من البنية قد يختلف من بنية إلى أخرى.

2- الصوتيات الوظيفية الفوقطيعية: أتى فيرث بنظرية التحليل الفوقطعي التي تعنـــى بتحليـــل الكـــلام إلـــى فونيمات قطعية، وفونيمات فوقطعية[128](ص182-183). و هذه الاخيرة تشمل ظواهر صـــوتية مختلفـــة كالنبر، والمفصل، والنغم، والتنغيم، وتقترن هذه السمات الفوقطيعية بالمقطع والجمل وشبه الجمل .

وقد تطورت الدراسة الفونولوجية في المدرسة الانجليزية في السنوات الأخيرة وانقسمت إلى فرعين:

1- فونولوجيا الوحدات: ووظيفته البحث في الأصوات بوصفها أنماطا للأصوات classes أو units هي مادة التركيب الصوتي للغة المعينة ،وهذه الأنماط أو الوحدات هي مجموع الأصوات الصامتة consonants والحركات vowels وعرفت "بالفونيمات الأساسية" في مدارس أخرى (الأمريكية مثلا).

2- ((فونولوجيا الظواهر التطريزية (التطريز الصوتي) prosodic phonology: وتنظر في الظواهر التي تنسب إلى سلسلة المنطوق (السياق) مثل: الطول والقصر، والنبر، وبداية المقاطع، والفواصل الصوتية والتنغيم، وهي التي يطلق عليها الأمريكان الفونيمات الثانوية أو "فوق التركيبية)) [143](ص133-134).

((وتتحدد خصوصية الفونولوجيا التطريزية بالمقارنة مع ما تم التركيز عليه في انشغالات "براغ" و"أمريكا الشمالية" (فيما بعد) في الاهتمام الكبير الذي أولته مبادئ التحليل التطريزي لكل مظاهر البنية الفونولوجية)) [128](ص182-183).

((أما فيما يخص مصطلحي "فونتيك"و "فنولوجيا" يقول فيرث :"على الرغم من أننا في هذا البلد قد بدأنا في استعمال مصطلح فنولوجيا للدلالة على فرع معين من فروع علم اللغة، تابعين في ذلك العرق الأوربي، فإن عملنا هذا ينطوي على خسارة لنا، لأن الفنولوجيا الانجليزية علم تاريخي وليس منهجا متزامنا في مناهج البحث، ولكن تمشينا مع الاستعمال العالمي، إذ لا نستطيع أن نفرض المعنى المقصود بالمصطلح فوناتيك، فإذا كان الفنولوجيا يمكن وصفه بأنه علم قواعد الأصوات ورموز الكتابة فإن مصطلحنا Phonetics يغطي هذا المعنى)) [143](ص191-192)، ويصل فيرث في هذا إلى نتيجتين.

1- ((لا يمكن الفصل بين الفونتيك والفونولوجيا، وكلاهما جزأ لا يتجزأ من علم اللغة، وليس من الخطأ تسميتهما معا باسم عام واحد هو "علم الأصوات" "phonetics" دون نعت مميز لأي من الاتجاهين.

2-إن الفونولوجيا في حال التفريق بينها وبين الفونتيك لا تعدو أن تكون منهاجا لتنظيم مادة هذا الأخير أو تقعيدها، أو هو الفونتيك نفسه أصبح وظيفيا وعلميا)) [143](ص94-95).

6.2.1.6. المدرسة الأمريكية: قبل ازدهار البنيوية في فرنسا عرفت أمريكا تيارا عرف باسم "علم اللغة البنوي"، وقد شهد هذا التيار ازدهارا على يد عالمين أمريكيين كلاهما كان مهتما بعلم النفس، هما:"إدوارد سابير"Edward Sapir و"بلوم فيلد" – Bloom - Field Leonard

((غير أن اهتمام إدوارد سابير كان منصبا على المدرسة العقلية بينما كان اهتمام بلوم فيلد يستقي من المدرسة السلوكية)) [150](ص46) ، بالإضافة زيلينغ هاريس.

1.6.2.1.6. إدوارد سابير (1884-1939) : احتل سابير مكانة هامة في اللسانيات الأمريكية ،واستطاع أن ينتبه بشكل واضح لمفهوم الصورة (الشكل) forme، ولضرورته المنهجية في درس اللغات وتحليلها، ويتحلى عمله بمبدأ الدراسة الصورية للغة في تصوره أن اللغات تعود في تكوينها وفي عملها إلى نظام من

الوحدات (الرموز) ،المنتظمة في مجموعة من العلاقات والوظائف، ينظر إليها بصفتها أشكالا وبنى مستقلة عن الظواهر الملموسة المتمثلة في المادة الصوتية للغة.

غير أن الذي يهمنا هو إسهاماته في ميدان الفونيم، إذ يعد من أوائل اللسانيين الذين درسوا مفهوم الفونيم، ولقد أشار تروبسكوي أن سابير قد توصل إلى فكرة وجود الفونيم الذي أسماه في البداية "الصوت النموذجي" sound-patterns بشكل مستقل عن بودوان ودي كورتاي ومن أهم ما جاء به فيما يخصه ما يأتي:

1-تفريقه بين المستوى الصوتي العام والمستوى الوظيفي (الفنولوجي):

حيث يعتقد بوجود نظام محدد داخلي ومثالي يوازي النظام الصوتي الموضوعي الخاص بلغة ما، لايمكن الوصول إليه إلا من خلال تحليل صوتي مضن، وقد خلص ضمن هذا التفريق التقابلي إلى أن الصوت اللغوي تتحدد قيمته في سمات ثلاث:

1- قيمة الصوت اللغوي ليست في مادته الفيزيائية ، إنما تتجلى من حيث أنه يندرج ضمن تنظيم فنولوجي خاص، ومن حيث أنه ذو دلالة وظيفية ويسميه "النظام الصوتي الداخلي" (النموذجي) والمغطى بالنظام الصوتي الآلي، ويعتبره مبدءا مهما في حياة اللغة فهو يتضمن عدد الوحدات الصوتية وعلاقاتها ووظائفها.يقول جين دي بوا في هذا:

Sapir (1884/1939) premier Américain à pénétrer théoriquement la charpente phonétique du langage, affirmait que : « Un son du langage n’est pas simplement une articulation ou une image acoustique, il constitue la matière d’une expression symbolique dans un contexte linguistique approprié, et il insistait particulièrement sur les écarts relationnels entre les sons du langage. »(P26)[150]

2- اعتماده في دلالته على الجانب النفسي الذي يرجع فيه إلى شعور المتكلم ووعيه بما يقول، فهو يرى أن لدى المتكلمين إحساسا بفونيمات لغتهم يقوم على حدس فنولوجي قوي بحيث إن عالما صوتيا شديد التدقيق في التفاصيل قد يتورط في ركام وثائقه من أجل اكتشاف نظام فنولوجي ما ، بينما تستمع الأذن الصحيحة والذوق الفطري اللغوي لملاحظ جاهل أن يحوز – بطريقة أفضل - على النظام الصوتي المثالي. (يقابل النظام الفنولوجي عند البراغيين).

3- تفريقه في الصوت اللغوي "الفونيم" يبين التنوعات التركيبية والوحدات التمييزية، وبهذا يكون سابير أدرك الفرق بين السمات المميزة للفونيم،والتغيرات الصوتية الآلية التي هي مجرد تنوعات لفونيم واحد.

2.6.2.1.6. "بلوم فيلد": وفي الجانب الآخر من موقف سابير كان يقف "بلوم فيلد" وإذا كان سابير قد تبنى وجهة النظر العقلية في علم النفس، فإن بلومفيلد قد تبنى وجهة النظر السلوكية، وقد نشر كتابه الرئيس

بعنوان "اللغة" سنة 1933م وفي هذا الكتاب يتطرق إلى نظريته السلوكية التي تعرف (بالمثير والاستجابة) أو (الفعل ورد الفعل). يقول جين دي بوا:

Ce qui, selon Bloomfield, est pertinent dans la langue c'est sa fonction de relation entre le stimulus du locuteur et la réaction de l'auditeur, et pour que cette fonction soit remplie, il faut et il suffit, au niveau phonique que chaque phonème soit différant de tout les autres.[152](P23).

ويركز بلوم فليد- وهو رائد الدراسات السلوكية في اللغة التي تتمحور حول الثنائية (مثير، استجابة) على التفسير السلوكي وجعله أساس التحليل اللغوي، وعدم اعتباره للخصائص اللغوية والصوتية البحتة بخاصة. ويعتبر أن وظيفة العلاقة بين المثير المتكلم ورد فعل أواستجابة المستمع المتلقي -والتي تتم بوساطة الفونيمات المختلفة- هي الأساس.وجعل للاعتبارات التوزيعية مكانة ضمن الإجراءات التحليلية الفونولوجية، وسيكون من الخطأ، مقابلة الفونولوجيا الأوربية التي تركز على الخصائص الفيزيولوجية والأكوستيكية بالفونولوجيا التوزيعية الأمريكية. يقول جين دي بوا:

Tout a fait, les considérations distributionnelles vont entrer de façon tout à fait légitime dans l'héritage connu des procédure d'analyse de la phonologie, et il serait vain d'opposer la phonologie européenne, pragoise, a la phonologie américaine distributionnelle.[152](P31-32)

يرى بلوم فيلد أن الأصوات يمكن تناولها بثلاث طرق هي :

1- تصنيف الأصوات من جانبها المادي فتسجل خواصها النطقية والفيزيائية عن طريق الفونتيك الضيق (الصرف) Pure phonetics بفروعه : النطقي، الفيزيائي، التجريبي.

2- تعرف الأنماط والوحدات الصوتية المكونة للنظام الصوتي للغة معينة عن طريق علم الأصوات العملي Pratical phonetics وهو ليس نهج علمي، بل مهارة وفن.

3- النظر إلى الأصوات بوصفها وحدات مميزة للمعنى في اللغة ما يعرف "بالفونيم" وهي مقابل الطريقتين الأوليتين، وهي التي تتوج العمل الصوتي وتحيله إلى مجموعة من القوانين والقواعد العامة، وهي النهج العلمي الدقيق.

لكن بلوم فيلد لم يرد الفصل بين هذه الطرق فصلا تاما خاصة الأولى والثالثة فكثيرا ما كان يستعمل مصطلح Phonetics في بيانات تستدعي Phonology وما يؤكد هذا الارتباط الوثيق هو تناولهما جميعا تحت "علم اللغة"، وجعلهما جزءا منه.

((وأهمية الفونيم-كما يقول- ليست في صيغته الفعلية التي ينطق بها بوصفه أمواجا صوتية، بل في الفرق الذي يقسم بين هذه الصيغة وصيغ الفونيمات الأخرى في اللغة)) [150](ص53).

3.6.2.1.6. زيلينغ هاريس zelling-harris : هو من أعلام المدرسة التوزيعية في اللسانيات الأمريكية، وقد كان علم اللغة التوزيعي عند هاريس بمثابة نظرية لغوية تتميز بالصلابة والتناسق، حاول خلالهما إكمال المذهب الوصفي عند [أستاذه] بلومفيلد وتصحيحه وتجاوزه ويظهر تأثره ببلوم فيلد حين يستعمل بشكل متناوب معيارين لكشف البنية الفونولوجية أو البنية النحوية للغة ما هما: معيار المعنى، معيار التوزيع.

وفيمايأتي تلخيص العلاقة بين الفونتيك والفنولوجيا من وجهة النظر الأمريكية ببيان مراحلها :

1- المرحلة 1: كان الأمريكيون في هذه المرحلة يطلقون مصطلح "فنولوجيا" على الدراسة التاريخية للأصوات، مستخدمين "الفونتيك" في الدراسة الصوتية العامة التي لم تعن بالتفريق الواضح بين جانبي الأصوات والتي كانت تنتظم عددا غير قليل من مسائل الفنولوجيا بالمعنى الحديث.

2- المرحلة 2: وتعنى بتخصيص منهجين لدراسة الأصوات:

2-1- الفونتيك: أطلقوا هذا الاسم على الفرع الذي يعنى بالجانب المادي للأصوات.

2-2- الفونيم:أطلق على الفرع الذي ينظر في أنماط الأصوات ووحداتها من حيث دورها وقيمتها في اللغة (ولم يطلقوا مصطلح فنولوجيا لارتباطه بمفهوم قديم تاريخي).

وعلى الرغم من ذلك نلحظ اشتراك المنهجين في النقاط التالية:

1- لم يفصلوا فصلا تاما بين منهج "الفونتيك" و "الفونيم" لارتباطهما وتداخلهما، "فالفونيم" الذي من المفروض أن يعنى بالناحية التجريدية والوظيفية للأصوات نجده يتطرق في خطواته إلى الجانبين النطقي والسمعي.

2- المنهجان ينتميان علم اللغة ويدخلان في إطاره العام، وهما بهذا الوصف يمثلان مرحلتين من مراحل دراسة اللغة.

3- "الفونيم" عند الأمريكان يعادله "الفنولوجيا" عند معاصريهم.

3- المرحلة 3: ويظهر فيها تشعب في الدراسات الصوتية وبروز مفاهيم جديدة، من ذلك استعمال مصطلح Phonemics (علم الوحدات الصوتية) بدلا من Phoneme (الوحدة الصوتية)، ومن مظاهر تقدم هذه الدراسة وعمقها انقسامها إلى قسمين رئيسين:

1:قسم اختص بالنظر فيما سموه الوحدات أو الفونيمات التركيبية Segmental phonemes .

2:قسم اهتم بما سموه Suprasegmental Phonemes أي "الفونيمات غير التركيبية" أو "فوق التركيب"، ومثال النوع الأول: الأصوات الصامتة والحركات بوصفها عناصر مكونة للتركيب الصوتي للغة، ومثال الثانية الظواهر الصوتية التي تنتمي إلى التركيب كله وتمتد خلاله كالنبر والتنغيم، وكان (النوعان السابقان) يسميان على التوالي الفونيمات الأساسية Primary phonemes والفونيمات الهامشية (الثانوية) Secondary or marginal phonemes وفي هذه المرحلة تطورت بحوث الصوتيات بفروعها المختلفة حتى صار كل فرع كأنه علم مستقل بذاته.

يقول جي دي بوا Jean Du Bois:

On distingue habituellement deux grands domaines de la phonologie :

1.<u>La phonématique :</u> « Etudie les traits distinctifs minimales ou phonèmes, en nombre limité dons chaque langue, les distinctifs ou trais pertinents… ».

Ces deux opération de la phonématique sont la segmentation et la commutation.

2.<u>La Prosodie :</u> « Etudie les trais suprasegmentaux, c'est a dire les éléments phoniques qui accompagnent la réalisation de deux ou plusieurs phonèmes et qui ont aussi une fonction distinctives :l'accent, le ton, l'intonation… ».[152](P375)

إن الباحث جين دي بوا "" يستعمل مصطلح "الفونيماتيك" لدراسة الوحدات التمييزية الدنيا أو الفونيمات محدودة العدد في كل اللغات، فهي فرع من الفونولوجيا يعمل على تجزئة السلسلة الكلامية إلى فونيمات ثم يحددها ويقوم بتصنيفها، أما الفرع الثاني فيدرس المستوى فوق تركيبي ويصف الظواهر التطريزية أي العناصر التي ترافق العملية التمييزية كالنبر والتنغيم وغيرهما.

((إلى جانب ذلك ظهر في أمريكا منهج للبحث اللغوي يجمع الفنولوجيا أو الفونيمات بالصرف عرف باسم علم الفونيمات الصرفي morphophonology أو morphonology ووظيفة هذا الفرع الجديد النظر في التركيب الصوتي للوحدات الصرفية morphemes، فهو يحلل ويصف ما يعرض لهذه المورفيمات من صور صوتية بحسب السياق الذي تقع فيه)) [143](ص98وما بعدها).

7.2.1.6. مدرسة كوبنهاغن: تأسست هذه المدرسة 1931م وتمثلت مبادئها بشكل خاص في أعمال الدانماركيين فيجوبروغدال (1887-1942م) ولويس هيلمسلف Hjelmslev Louis - (1899-1965) .

لقد كان هدف هيلمسلف هو الوصول إلى نظرية صورية منطقية تتعارض مع النظرية النفسية الذهنية والنظرية السلوكية، لذلك نجده يعتبر الصوتيات وعلم الدلالة علمين ليسا من اللسانيات إنما هما مجرد علمين مساعدين.

ويرى هيمسلف أن الوحدة اللسانية سلبية بشكل خالص وعلائقية أيضا ،حيث إنها تتحدد بكونها لا تستمد قيمتها من ذاتها... بل من العلاقات التي تربطها بالوحدات الأخرى، ولذلك فهو يعمل على دراسة الأصوات اللغوية من حيث هي أشكال وصور ويهملها من حيث هي ظواهر مادية يقول: "ليس المهم هو الأصوات أو الخصائص الكتابية أو الدلالات ولكن المهم هو علاقاتها المتبادلة ضمن سلسلة الخطاب(المحور التركيبي والاستبدالي)".

وفي ظل التركيز على المكون الصوري للغة تمكن هلمسيلف من الانتباه إلى التقابل القائم بين المعنى من جهة والصوت الكلامي (أو الصورة الكتابية أو نظام الشفرة) من جهة ثانية، وبإدراكه هذا التقابل لاح بنظره إلى ما هو أعمق تصورا وأوسع رؤية من مجرد النظرة التحليلية التقطيعية للغة من حيث هي قطع

صوتية مادية، في هذا المستوى من التصور الهلمسلايفي: لا يهم ما إذا كان مقابل المعنى صوتا أو كتابة أو أي نظام سيميائي آخر بديل للغة بقدر ما يهم تحول هذا المعنى إلى وحدة ذات وظيفة سيميائية.

((وعملا بهذا التصور يعتبر هلمسليف الأصوات اللغوية علامات تواصلية ويسعى إلى إخضاع النظام اللغوي لمبادئ علم العلامات، فهو يرى أن الوظيفة التي تمكن من التفريق بين نظام سيميائي ما وأي نظام آخر وشكل اختلافه النوعي وسمته الأساسية -هي الوظيفة التي تنشأ العلامة مثلما هي عليه من حيث أنها تجمع بين الدال والمدلول أوبين التعبير والمحتوى)) [142](ص127).

ويلاحظ على هلمسليف أنه كانت له رغبة واضحة في التميز عن البراغيين، فقد كان في كل مرة يحاول أن يضع مصطلحات جديدة تكون في الغالب مقابلة لمصطلحات البراغيين، فوضع مصطلح cénémes من الإغريقية kénos التي تعني فارغا) في مقابل كلمة phonème و pléréme (من الإغريقية pléros التي تعني مليئة في مقابل كلمة monéme و phonématique في مقابل phonologie[142](ص117).

8.2.1.6.مدرسة الفنولوجيا التوليدية: ((يقصد بالمدرسة التوليدية generativism مجموعة النظريات اللسانية التي وضعها وطورها اللساني الأمريكي نوام تشومسكي Noém Chomeskey (المولود سنة 1928م)وأتباعه منذ أواخر الخمسينات وقد امتد تأثيرها ليشمل إضافة إلى حقل اللسانيات مجالات أخرى كالفلسفة وعلم النفس، وتعتمد هذه المدرسة في مناهجها على استخدام ما يعرف بالقواعد التوليدية، وبلغ تأثيرها في النظريات النحوية حدا يمكن معه القول بأن النحو التوليدي هو النحو السائد في الدراسات اللسانية إبان الأربعين سنة الأخيرة)) [145](ص82).

1- وهم يقرون أن من الناحية النظرية أن أي نظرية صوتية تتناول ثلاث جوانب:

أ- دراسة أية ضوضاء noise تصدر عن جهاز النطق عند الإنسان.

ب- الاقتصار على دراسة تلك الأصوات التي لها وظائف وقيم لغوية linguistically significant في اللغات المختلفة.

ج- الاقتصار على دراسة تلك الأصوات التي لها وظائف وقيم لغوية في لغة معينة particular language.

وتشكل الفونولوجيا التوليدية natural générative phonology نظامين للأصوات:

- تمثيل فونولوجي صوتي نظامي systamic phontic repesentation.

- تمثيل فونولوجي نظامي systamic phonology representation.

وبهذا فالفنولوجيا التوليدية تشغل نفسها بأمرين مقابلين للنظامين السابقين، تشغل نفسها أولا بتفسير العناصر أو الوحدات المشكلة للكلام formative éléments تفسيرا صوتيا، وذلك بالنظر إلى البنية السطحية،كما

تعنى ثانيا بوصف المقدرة الطبيعية compétence التي يمتلكها ابن اللغة ليفهم النظام الصوتي في لغته وليستخدمه استخداما صحيحا.

((فالفونولوجيا التوليدية تربط البنية العميقة للأصوات بالبنية السطحية (المنطوق الفعلي) فيمكننا بذلك تشكيل نظام صوتي: يمثل المنطوق بالفعل وآخر فونولوجي يمثل المخزون العقلي القادر على توليد أصوات هذا المنطوق ما شكل باجتماعهما نظرية صوتية عالمية)) [143](ص109-110).

2- أما فيما يخص العلاقة بين الفونتيك والفونولوجيا فإن النظرية التوليدية تسلك مسلكا صوتيا يختلف عن النظريات الأخرى التي انشغلت بطبيعة هذه العلاقة كما يلي:

2-1- الفنولوجيا التوليدية تعتمد "الفونتيك" و"الفنولوجيا" جناحين متصلين يشكلان معا النظرية الصوتية، وهي بذلك تتفق ظاهريا مع المدارس الأخرى التي تأخذ الجانبين في الحسبان عند أية دراسة صوتية.

ب- على الرغم من هذا الاتفاق الظاهري فإن الفنولوجيا التوليدية تبدأ عملها من البنية العميقة إلى البنية السطحية، وهي تختلف عن المدارس الآخذة بالجمع بين الفرعين ، فهذه المدارس تنطلق من البنية السطحية (أحداث نطقية فعلية) وتحاول تجريدها لاستخلاص الوحدات الصوتية ذات القيم اللغوية وهي التي تكون النظام الفنولوجي للغة معينة (بنية عميقة).

2-2- الفنولوجيا التوليدية أريد بها أن تكون نظرية عالمية، لا يختص تطبيقها على لغة دون أخرى، في حين أن "الفنولوجيا" في مفهومها العام مقصور تطبيقها على اللغة المعينة، لأن لكل لغة نظامها الفنولوجي الخاص، وإن اتفقت اللغات أحيانا في بعض الأحداث المنطوقة الفعلية.

2-3- يبدو من كلام التوليديين ((أنهم لا يقبلون فكرة "الفونيم phonème" أو علم الفونيمات phonemics ، وذلك لأن هذه الفكرة كما قدمها أصحابها ما زالت معتمدة في تفسيرها وتحليلها على الآثار الصوتية المنطوقة بالفعل، في حين أن الفنولوجيا التوليدية ذات سمة تجريدية عقلية تترجم العناصر العقلية إلى آثار منطوقة بطريق التوليد. لذلك تختلف الفنولوجيا التوليدية عن الفونولوجيا التقليدية، حيث تهدف هذه الأخير إلى تحليل العملية الكلامية إلى وحدات متميزة، بينما تهدف الفونولوجية التوليدية، بالإضافة إلى عملية التحليل الفونيمي، إلى رصد السمات والخصائص التي تتميز بها هذه الفونيمات، كذلك وصف قدرة المتكلم (compétence) وبيان طاقته على إنتاج الأنظمة الصوتية وإدراكها للغته الأم)) [153](ص281).

ومن أهداف الفونولوجيا التوليدية وضع قواعد الربط بين الاشكال الصوتية للتراكيب، وأبنيتها النحوية، ((حيث تؤكد النظرية التحويلية التوليدية على أهمية المستوى الصوتي كأحد مستويات التحليل اللساني، لذلك نجد أن نحو تشومسكي توليدي يحتوي على جزء تحويلي "فإذا كانت المدرسة الأمريكية من بلومفيلد إلى هاريس تستند إلى نحو يصف متنا منتهيا، فإن النحو التوليدي يهتم بالشخص المتكلم الذي يمكنه أن ينتج ويفهم عددا لا يحصى من الجمل الجديدة، وفي اللحظة التي اقتصرت فيها التوزيعية على الوصف، بحثت التوليدية في التفسير، فلم يبق لها صلة بالتصنيف وترتيب الوحدات اللسانية)) [155](ص179).

((والفونتيك هو المستوى الذي يخصص لدراسة المادة الصوتية أما علم اللغة فيدرس الجانبين الآخرين فالفونتيك ليس جزءا من علم اللغة أما الفنولوجيا فهي مستوى خاص من البحث اللغوي هو في الموقع الوسط بين الفونتيك وعلم اللغة (رابط بينهما) فالفنولوجيا يقدم وسائل ربط المادة الصوتية بالبنية أو التركيب اللغوي، أي وضع أصوات اللغة في نظم وأنماط تستغل في بناء التركيب اللغوي وعناصره كذلك تتسب الفنولوجيا إلى كل من الفونتيك وعلم اللغة وتناقش مبادئهم ا من خلالهما معا)) [143](ص110 ومابعدها).

وما يمكن الخلوص إليه أن هذه المدرسة قامت على أسس مخالفة للمدرسة البنوية بعامة، وبخاصة المدرسة التوزيعية، وكان الاختلاف الجوهري يتمثل في منهج الدراسة، حيث تبنت التوزيعية المنهج التصنيفي للغة، بينما تبنت المدرسة التوليدية المنهج التفسيري والتعليلي. ((وإن لم يكن تشومسكي قد اعتنى في هذه المرحلة الأولى بدراسة القواعد الصرفية الفنولوجية فقد شارك هو و Halle بعد ذلك في وضع أسسها وأصبحت <u>الفونولوجية التوليدية</u> علما قائما بذاته بين علوم اللسان المتفرعة عن النحو التوليدي)) [156](ص84-85).

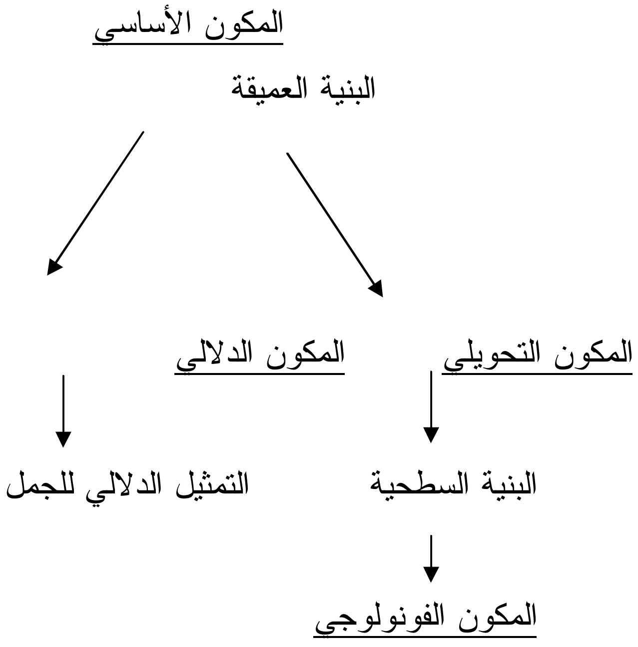
فأدركت هذه النظرية النضوج في كتاب تشومسكي الثاني "وجوه النظرية التركيبية" لسنة 1965، وغدت الأهداف أكثر طموحا، [تصب حول] تفسير كل العلاقات اللغوية القائمة، في اللغة بين <u>نظام الأصوات</u> ونظام الدلالات.

ولبلوغ هذه الغاية كان على "النحو" الكامل للغة معينة (...) أن يتضمن أقساما ثلاثة هي:

القسم التركيبي: الذي يولد ويشرح البنية الداخلية لعدد الجمل اللامتناهي في لغة معينة.

القسم الفونولوجي: الذي يشرح البنية الصوتية للجمل التي ولدها المكون التركيبي.

القسم الدلالي: ((الذي يشرح بنية معناها .وهذا رسم تمثيلي يصور العلاقات بين علم التركيب وعلم الدلالة والفنولوجيا)) [157](ص128).



↓

التمثيل الفونولوجي للجمل

الشكل رقم 6: يمثل البنية العميقة حسب تشومسكي

فالدراسة الصوتية عند هذه المدرسة، وبالأخص الفونولوجيا لم تكن إلا وسيلة تأويلية تخدم المستوى التركيبي الذي تقوم به وعليه الدراسة التوليدية التحويلية.

والتحليل الفونولوجي في المدرسة التوليدية (و تسمى أيضا التكوينية) لتشومسكي "يوزع الوحدات إلى أجزاء منفصلة يتم تحديدها بوصفها عقدا من الخواص الفونولوجيا."

وتمثل الفونولوجيا التكوينية تطورا وتجاوزا للفنولوجيا البنوية (الوصفية والوظيفية).

2.6. نماذج للمصطلحات الصوتية الوظيفية ودراستها.

1.2.6 الفونتيك والفونولوجيا:

من العرض السابق يتبين لنا اختلاف دلالة هذين المصطلحين في المدارس الغربية المختلفة، وقد عرفا مقابلات مختلة وسنركز في العرض على المضطلح الثاني منهما .وهذاعرض بسيط لأشهر المقابلات المستعملة لمصطلح الفنولوجيا عند العرب المحدثين:

Phonology ← قوبلت ب:

1- علم الأصوات التنظيمي، فنولوجيا...........بشر،1975،ص.29

2- علم التشكيل الصوتي.........................تمام، .1955

3- النطقيات (فنولوجيا) ....المعجم اللغوي بالقاهرة، مجلة المجمع،1965، ص.255

4- علم الأصوات...............................عمر، 1973، ص.298

5- فنولوجي...................................عمر، 1976، ص369.

6- علم وظائف الأصوات ....القرمادي (1966)، ص.214

7- علم الأصوات التشكيلي أو التنظيمي.......... شاهين(1980)، ص.34

8- الفنولوجيا، (علم الأصوات..................السعران (1962)، ص403. اللغوية الوظيفي)

12- دراسة اللفظ الوظيفي، فنولوجيا، .... الفكر العربي، 1979، ص280)) [12](ص105).

و غيرها من المقابلات المتعددة.

من هذا الجدول نلاحظ التعدد المصطلحي في مقابلة المصطلح " Phonologie أو phonology

فنجد منهم من يركز على النظام التركيبي لائتلاف الأصوات وقواعد انتظامه ،كما هو الحال مع كمال بشر وتمام حسان ، فوضعا مقابلا له : علم الأصوات التنظيمي أو علم التشكيل الصوتي .

ومنهم من يعتقد بالمدرسة الوظيفية ، فيركز على الصوت ووظيفته باعتبار فرعي الأصوات :الفونتيك يدرس الصوت مجردا عن السياق ، والفنولوجيا يدرس الصوت في السياق ،فاهملوا بذلك النظام العام للتركيب الصوتي .

((ومن العرض السابق يتبين لنا أن فنولوجيا براغ ومبادئها تختلف كثيرا عن فنولوجيا مدرسة مارتنيه الوظيفية ، وكذا فنولوجيا تشومسكي التوليدية.ويطرح محمد حلمي هليل مشكلا من نوع آخر يقول: "إلا أن المشكل هو في استخدام المصطلح في أسرته اللفظية (description, phonologist, phonologicaly, phonological)الخ... ضف إلى ذلك تطور دلالة المصطلح من المدرسة الفونيمية إلى المدرسة التوليدية، فالمدرسة التوليدية تعنى بالعلاقات بين المستوى الفونتيكي والمستوى الفنولوجي، الأول محسوس والثاني تجريدي، ويمكن وصف هذه العلاقات عن طريق قواعد بها نحول التمثيل الفنولوجي للجملة (phonological representation) إلى تمثيل فونتيكي phonetic représentation عن طريق قواعد محددة تعرف بالقواعد الفنولوجية phonologicals rules ، ويمكن أن تمر بمراحل تجريدية للوصول إلى المرحلة المحسوسة، وعلى ذلك فالوصف الفنولوجي الحديث للغة يشمل مستويين لغويين: المستوى الفنولوجي والمستوى الفونتيكي وترفض المدرسة التوليدية مفهوم الفونيم كوحدة وظيفية وترفض فكرة المستوى الفونيمي)) [182](ص106).

نخلص من كل هذا إلى وجوب :

1- دراسة الاستعمال الحقيقي للمصطلح في ذلك حقل الاختصاص.[من خلال النصوص الشواهد].

2- دراسة المصطلح ودلالته بالنسبة للمشتقات الصرفية المستعملة والسياقات المختلفة (قديمها وحديثها) وأثر ذلك على الترجمة إلى العربية.

3- تثبيت دلالة المصطلح ويكون مبدأ الانطلاق من المفاهيم والعلاقات القائمة بينها.

4- التحديد الدقيق المقنن للحالات التي يجب اللجوء فيها إلى التعريب والحالات التي يجب اللجوء فيها إلى الترجمة [كما رأينا سابقا].

إن هذا عرض بسيط لما يعرفه هذا العلم (الفنولوجيا) من مقابلات اصطلاحية مختلفة في الغة العربية ،ووجهة نظر العلماء فيها ،و لعلنا قد لاحظنا من العرض السابق للمدارس الصوتية الغربية الاختلاف الكبير حول التسمية والمفهوم أيضا،ويجب مراعاة كل هذا في استعمال وتوظيف المصطلحات.

و فيما ياتي عرض لبعض المصطلحات الصوتية المشهورة في حقل الفنولوجيا،و سنبدا باهمها و هو المصطلح الذي تأسس عليه هذا العلم و هو:

2.2.6.نظرية الفونيم:

1.2.2.6. ظاهرة الفونيم في الدراسات الغربية : استطاعت الفنولوجيا أن توسع آفاق البحث الصوتي الحديث، وذلك لمحاولة معرفة الحقائق الصوتية التي تتجاوز الأصوات المفردة إلى علاقاتها في بنية اللغة. ومن أهم هذه الحقائق التي توصلت إليها وأولتها عناية فائقة نجد "الفونيم" الذي شكل ما يصطلح عليه "بنظرية الفونيم"، ونجد ضمنه المقطع والنبر، والتنغيم وغيرها. ويرى حسام البهنساوي أن أصول نظرية الفونيم تعود إلى "الماضي البعيد عندما اهتدى الإنسان إلى النظام الألفبائي الذي لا يرمز إلى الكلمة ككل أو للمقطع ككل وإنما للأصوات التي تشكل الكلمة .)) [126] (ص125) .

قبل التطرق لنظرية الفونيم ومصطلحها الفونيم الذي تقوم عليه، نتطرق أولا لمصطلح "فون""phone" و علاقته به:

تعني كلمة "Phone" في المنطوق اللساني "الصوت المفرد" أو الصوت اللغوي البسيط، أو الصوت الموضوعي وقد تولد عنه، على مستوى التنظيم الإجرائي "الفونيم Phonème" وهو مصطلح فنولوجي .

و"الفونيم Phonème كلمة فرنسية بمعنى الصوت الكلامي، كونه واقعة صوتية .)) [153] (ص303) .

، وكان ظهوره في البحوث اللسانية حيث تذكر بعض المراجع أن أول من استعمل مصطلح فونيم Phonème هو العالم البولندي "جون بودوان دي كورتناي" عام 1870، ومنهم من يرى أنه "دفريش ديجينت Difriche des Gentes" عام 1873م ،وثاني من استعمله هو لويس هافي Louis Havet ومنه انتقل إلى دي سوسير .)) [142] (ص171) .

ويطلقه المحدثون على الوحدة الصوتية وترجم بمقابلات مختلفة منها: صوتون، مستصوت، لافظ، صوت مجرد، صيتة،وحدة صوتية وغيرها، وهي توافق ما كان يسميه القدماء بالصوت أو الحرف في بعض الدراسات (...) ويطلقون على صورها الفرعية مصطلح "Allophone" .)) [158] (ص30) .
وهو كما يظهر تعريف عام، يبين أن الوحدة الصوتية لها أساس هو المعنى التجريدي ويقصد به النوع لا الأفراد والصور الجزئية.

1.1.2.2.6. مبدأ الوظيفة في ظهور مصطلح الفونيم : نجد العلماء قد طرحوا سؤالا على قدر كبير من الأهمية وهو: متى يمكن أن يعد الصوت صوتا واحدا؟ ومتى يمكن اعتباره أصواتا عدة ؟

للإجابة على هذا السؤال لاحظوا أن ثمة درجات وتنوعات للأصوات، فما يسمى صوتا واحدا قد يتردد بنفسه أكثر من مرة في كلمة من الكلمات، ولكن ينطق في كل مرة بصورة مختلفة فـ "النون صوت واحد إذا نظرت إليها من الناحية الوظيفية، أي إذا نظرت إليها من حيث كونها قادرة على تغيير معاني الكلمات أو عدم قدرتها على ذلك، ولكنها عدة أصوات إذا نظرت إليها من الناحية النطقية الصرفة فقط، أي: من حيث واقعها في النطق الفعلي في الكلام ومن حيث تأثيرها على السمع. .)) [143] (ص481) . فهذه الاخيرة اصطلحوا عليها ب "ألوفونات" ومجموعها هو الوحدة الصوتية أو الفونيم. حيث له وظيفة في تغيير

معاني الكلمات. فالوظيفة هي المبدأ الأساس في ظهور هذا المصطلح جنبا إلى جنب مع مصطلح الصوت، ثم تجاوزه بل أصبح يحتويه وهذا ما ولد بعد ذلك نظرية الفونيم التي تحاول تفسير الأصوات المتعددة نطقا الموحدة خطا وتجدر الإشارة إلى أن العلماء قد اختلفوا في هذا المبدأ أصلا .

والاختلاف حول نظرية الفونيم كان أولا من حيث قبولها أو رفضها كمبحث مستقل في الدراسة الصوتية، ثم الاختلاف بين الذين رأوا أهمية هذه النظرية لكن طريقة تناولها تختلف باختلاف زوايا النظر إليها.

ومن الرافضين لهذا التوجه في الدراسات الصوتية نجد مدرسة لندن (الانجليزية) اللغوية، وفي مقدمة أعلامها نجد "فيرث FIRTH" "الذي يصرح برفضه في قوله "نحن لا نجد أي وحدة أو جزء وحده يمكن أن يسمى "فونيم" بالإضافة إلى أن هناك تحليلات مختلفة –ليست جيدة في رأيي قد قدمت حول نظرية الفونيم.

وفي مقابل هذا الرأي نجد الآراء القائلة بضرورة نظرية الفونيم وجدواها، من بين هاته الآراء رأي (("ألبركرومبي ALBER CROMBIE" والذي قال إن "بعض المصطلحات الفنية بمجرد صكها، يبدو أنه لا يمكن الاستغناء عنها، لدرجة تجعل من الصعب أن نتصور كيف يمضي الناس بدونها، وربما كان لفظ فونيم واحدا من هذه المصطلحات، وإلى جانبه نجد رأي "كرامسكي KRAMSKY" الذي رأى "أن اكتشاف الفونيم يعد واحدا من من أهم الانجازات التي حققها علم اللغة، وأن ذلك يعادل اكتشاف الطاقة النووية لأن هذا الكشف في مجال علم اللغة، أدى إلى ثورة في التفكير اللغوي.)) [126] (ص157) .

ولكن رغم اختلافهم حول نظرية الفونيم، وما يحوم من شك حول جدواها وقيمتها. إلا أنها رغم ذلك تعد من النظريات اللغوية الجديرة بالاهتمام والدراسة، حيث يرجع الفضل إليها في ابتكار كثير من الأبجديات واختراعها وإنشاء الرموز الكتابية لكثير من اللغات الإنسانية المنطوقة التي كانت محرومة إلى عهد قريب من تمتعها بهذا النظام الأبجدي .)) [126] (ص151) .

حيث ساعد التطور التكنولوجي على إظهار خصائص الأصوات باستعمال الوسائل المعملية التجريبية، فقد ساعد علم الفنولوجيا على تأكيد أهمية نظرياتها بتقييمها و"تصنيفها من حيث الوضوح السمعي وشدته، ودرجة الصوت ونحو ذلك، وكذا علوم هندسة الصوت وقياساته الدقيقة للذبذبات الصوتية، قياسات علوه واتساعه ونحو ذلك .)) [126] (ص151) .

وفيما يلي عرض لأهم الآراء والاتجاهات حول هذا المصطلح ونظريته الكبيرة:

2.1.2.2.6.الاجاهات المختلفة حول نظرية الفونيم: إن المدارس الصوتية الغربية ولدت مجموعة من المذاهب والإتجاهات المختلفة في النظر إلى الفونيم و لعل أشهرها ما يأتي:

1.2.1.2.2.6. النظرة العقلية النفسية أو الاتجاه العقلي النفسي: مثل هذا الاتجاه كل من سابير Sapir، وماريوباي M.Pie، وبودوان دي كورتني. وغيرهم

فسابير يعرف الفونيم بقوله: ((الفونيم صوت مثالي Ideal Sound نحاول تقليده في النطق، ولكننا نفشل في إنتاجه تماما كما نريد أو بنفس الصورة التي نسمعها .)) [126] (ص158) .

وفسره بودوان كورتني تفسيرا نفسيا ((حيث عرفه بأنه صورة ذهنية .)) [143] (ص487) .

فقسم بذلك الفونيم وفقا لأساسين، تقوم عليهما الدراسة الصوتية وهذان الأساسان هما:

"أولا: عضوي ووظيفته دراسة الأصوات المنطوقة بالفعل.

ثانيا: نفسي: وهدفه دراسة الصور الذهنية للأصوات التي تمثلها أو تحاول تحقيقها الأصوات المنطوقة .)) [126] (ص199) .

فهذا الاتجاه يعتبر الفونيم صوتا مفردا له صورة ذهنية يستحضرها المتكلم إلى عقله بالإرادة، وينطقها في الكلام بلا وعي، وقد ينجح في تحقيق الصوت بالنطق مرات وقد يخفق مرات أخرى.

2.2.1.2.2.6. النظرة العضوية التركيبية أو الاتجاه المادي: رائده دانيال جونز Daniel Jonesوقد عرف الفونيم بأنه "عائلة من الأصوات المترابطة فيما بينها في الصفات في لغة معينة والتي تستخدم بطريقة تمنع وقوع أحد الأعضاء في كلمة من الكلمات في نفس السياق الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة نفسها"(...)، فأصحاب هذه النظرة يعترفون بعبارة "عائلة الأصوات" (...) التي "لا تتبادل المواقع الصوتية فيما بينها، فكل عنصر عضو خاص في بيئة صوتية معينة (...) فالفونيمات هي التي تتبادل، ولكن أفرادها أو أعضاءها لا تتبادل .)) [143] (ص485) .

فالصور المختلفة للفونيم لها خصائص نطقية محضة، يمكن تمييزها في النطق والسمع، ولكنها ليست بذات وظيفة لغوية واحدة، وبالتالي لا يتخذ منها مميزا للكلمات لأنها لا تستطيع أن تغير معاني الكلمات ولا تصلح أن تتبادل فيما بينها في الموقع و التركيب.

أما أهمية الفونيم في هذا الاتجاه فهي "التمييز بين الكلمات ومنحها قيما لغوية مختلفة، صرفية أو نحوية أو دلالية ، فالفونيم هو الذي يؤدي إلى تغيير المعنى، أما الصور المختلفة فهي لا تؤدي إلى اختلاف المعنى وإن ((التمييز بين الكلمات قد يكون بصور مختلفة منها استبدال فونيم بفونيم آخر (...) وقد يكون بزيادة فونيم أو نقصه .)) [143] (ص486) .

أما سبب تسمية أحد الأفراد "ألوفونا رئيسا" أو سبب اعتماد تسمية "عائلة" فيرجعها جونز إلى:

"1- كثرة ورود هذا العضو في الاستعمال اللغوي بصورة تفوق بقية الأعضاء.

2- كونه العضو الذي يستعمل وحده منعزلا عن السياق الفعلي.

3- كونه في الموقع المتوسط بين بقية الأعضاء .

وقد كان لدانيال جونز إسهامات عملية باستغلال نظرية الفونيم وذلك في محاولة ابتكار ألفباء فونيمية (رمز واحد لكل فونيم)، حيث وضع ما يعرف بالألفباء الدولية International phonetic transcriptir وتعرف بالألفباء الواسعة "Broad transcription" في مقابل الألفباء الضيقة: "Nanow transcription" وهي نظام كتابي لأصوات اللغة يضمن إلى حد مقبول تصوير الأصوات بتفاصيلها، وصورها المتعددة المتنوعة في النطق الفعلي.

واتفق معظم العلماء على خاصيتين مهمتين للفونيم:

1- الفونيمات جزء من نظام اللغة المعينة: لايقاس فونيم لغة على لغة أخرى.

2- البحث في الفونيمات ينصرف إلى اللغة المنطوقة إذ هي وحداتها الصوتية أما المكتوبة فوحداتها الرموز الموضوعية لترجمة المنطوق وتسمى graphèmes.

ويصنفون الفونيم حسب هذا الاتجاه إلى صنفين:

الفونيم الرئيسي: "Primary phonème" والفونيم الثانوي: "Secondary phonème". والمقصود بالفونيم الرئيسي تلك الوحدة الصوتية التي تكون جزءا من أصغر صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق (جزءا أساسيا من بنية الكلمة كالباء والتاء بوصفها وحدات لا أمثلة نطقية فعلية). أما الفونيم الثانوي فيطلق على كل ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى أو قيمة في الكلام المتصل، معناه أن الفونيم الثانوي لا يكون جزءا من بنية الكلمة وإنما يظهر ويلاحظ في الكلام المتصل . ومراعاة لهذه الفروق رأى بعضهم تسمية فونيمات النوع الأول (الرئيسي) Segmental phonèmes الفونيمات "التركيبية أو القطعية" والثاني "Suprasegmental phonèmes" أي الفونيمات "فوق التركيبية أو غير القطعية".

ويرى فيرث أنه من الأولى أن نشير إلى الفونيمات الثانوية باسم "الظواهر التطريزية"،ولم يقتصر فيرث على الظواهر المحدودة للمنطوق من نبر وتنغيم بل طبقها على ظواهر أخرى تتعلق ببنية المنطوق ذاتها، وأسس بذلك فرع من الدراسة سماه "الفنولوجيا التطريزية .)) [143] (ص493-494) .

3.2.1.2.2.6. النظرة الوظيفية التركيبية أو الاتجاه الوظيفي: تمثله مدرسة براغ، ومن أشهر أعلامها "تروبتسكوي" Troubetszkoy صاحب المؤلف الشهير "مبادئ الفونولوجيا"، واعتنى بتطوير مفهوم الفونيم أيما عناية، ويعرف الفونيمات بأنها الوحدات الصوتية التي لا يمكن تقسيمها إلى عناصر صوتية متتابعة من وجهة نظر اللغة المعينة التي يقوم الباحث بدراستها"، فهم يحاولون اكتشاف العلاقات التي تربط الأصوات بعضها ببعض داخل النظام اللغوي ويحددون منزلتها، ومنه الوصول إلى الوظيفة المنوطة بالصوت في عملية التبليغ، فالفونيمات: "علامة مميزة لا يمكن تعريفها إلا بالرجوع إلى وظائفها في تركيب كل لغة على حدة .

فالفونيم يدرس حين ينضم إلى غيره من الوحدات الصوتية لبناء مفردة معينة يكون لها معنى خاصا، وتكون له وظيفة لغوية، ويؤثر في المعنى ،و إذا ما استبدلناه بفونيم آخر اختلف معنى المفردة وصارت مفردة أخرى.

1.3.2.2.2.6. مفهوم الفونيم عند تروبتسكوي من خلال كتابه "مبادئ الفنولوجيا : يتحدث تروبتسكوي عن الفونيم في إطار حديثه عن التقابل الفونيمي، ويقصد به كل تقابل صوتي ،يستطيع، في إطار اللغة الواحدة،أن يخالف بين الدلالات الفكرية ويسمى كل طرف في هذا المجال "التقابل الفنولوجي" "وحدة فنولوجية تمييزية".ويستخلص من هذا أن الوحدات الفنولوجية يمكن أن تختلف اختلافا كبيرا.

ويسمي تروبتسكوي هذه الوحدات الفنولوجية التي لا تقبل التحليل أو التجزؤ إلى أجزاء أصغر متعاقبة "فونيمات"، فالفونيم إذا هو "أصغر وحدة فنولوجية في لغة معينة ،وأشار إلى أن هذا التعريف للفونيم قد صاغه لأول مرة "رومان ياكوبسون" سنة 1929، كما أشار إلى التعريف الذي وضعه N.F.Jakovlev: "نعني بالفونيم كل خاصية صوتية تبرز في السلسلة الكلامية كأصغر عنصر يستخدم في التمييز بين وحدات الدلالة، وشبه تروبتسكوي الكلمات بالأشباح، فكما يتميز شبح عن آخر بسمات خاصة كذلك تتميز كلمة عن أخرى بواسطة الفونيمات التي تقوم بدور العلامات التمييزية بين الكلمات، وقد أسهب تروبتسكوي في تعريف الفونيم، (وأهم ما ذكره): ((الفونيم هو مجموع الخصائص الفنولوجية الملائمة التي تحتويها صورة صوتية .)) [159] (ص38) ، ((والفونيم لا يتحدد بشكل جيد من خلال طبيعته السيكولوجية، ولا من خلال علاقته مع البدايات الصوتية، لكن يتحدد فقط من خلال وظيفتة في اللغة".ويقول أيضا: "وعندما نحدد الفونيم كأصغر وحدة تمييزية (كما يرى بلومفيلد)، أو كعلامة صوتية في جسم الكلمة (كما يرى بوكلرbukler)، فإن ذلك كله يؤدي إلى نفس المعنى، أي أن كل لغة تفترض تقابلات صوتية فنولوجية تمييزية، وأن الفونيم، هو أحد أساليب هذه التقابلات غير قابل للتحليل إلى وحدات فنولوجية تمييزية أصغر.)) [159] (ص40) .

وبهذا التعريف الواضح لا يرى تروبتسكوي أي مبرر لتغيير مفهوم الفونيم، لأن أي تغيير في هذا الموضوع لا يقودنا –حسب المؤلف- إلا إلى تعقيد لسنا في حاجة إليه .

وقد انتقد التعريفات القائمة على مفهوم "البديل التأليفي" ومنها تعريف "دانيال جونز" الذي اعتبر الفونيم عائلة أو مجموعة من الأصوات متماثلة سمعيا ومخرجيا، وغير قابلة للظهور في نفس المحيط الصوتي .ويرى تروبتسكوي أن تعريف "دانيال جونز"يقتضي أن الخطاب البشري يتكون من فونيمات وأصوات لسان وأن هذين العنصرين لا ينتميان إلى مستويات مختلفة ولكن يتواجدان في نفس المستوى. .

و فيما يلي عرض لأهم مبادئ تروبتسكوي حول الفونيم ونظريته الشهيرة:

أ-قواعد تحديد الفونيمات(عند تروبتسكوي)

بالتمييز بين الفونيمات والبديلات الصوتية:

متى يتحقق صوتان لغويان لفونيمين مختلفين ومتى يتحقق صوتان لغويان لفونيم واحد؟ لتوضيح ذلك وضع تروبتسكوي أربع قواعد:

القاعدة الأولى: إذا ظهر في إطار اللغة الواحدة صوتان في نفس المحيط الصوتي وكان من الممكن أن يحل أحدهما مكان الآخر، دون أن يتغير المعنى (معنى الكلمة)، فإن هذين الصوتين يعتبران بديلان اختياريان لفونيم واحد، ووظيفة "البديل الاختياري" وظيفة تلوين أسلوبي فقط أي أنها من وجهة فنولوجية وظيفة سلبية.

وتنقسم البديلات الاختيارية إلى عامة وخاصة، فالأولى لا تعتبر أخطاء لغوية وانحرافات عن معايير اللغة، بل إنها من الممكن أن تستعمل من طرف نفس المتكلم. (...) .أما بالنسبة للبديلات الخاصة أو الفردية فهي تنتشر بين أفراد المجموعة الألسنية الواحدة، ويعتبر النطق بأحد البديلات هو النطق الطبيعي والنموذج

الأمثل، في حين أن بقية البديلات تعد انحرافات محلية (اجتماعية، مرضية الخ) عن المعيار الصحيح للنطق.)) [159] (ص47) .

ويمكن الإشارة في العربية إلى بعض البديلات الاختيارية مثل الجيم التي تنطق نطقا مختلفا: "جيم قاهرية" و"جيم شامية معطشة" و"جيم مركبة" في العربية المغربية الجبلية".

القاعدة الثانية: إذا ظهر في نفس الموقع الصوتي، صوتان غير قابلين لأن يحل أحدهما مكان الآخر، دون تغيير في معنى الكلمة، أو دون أن تصير كلمة مجهولة (غير مستعملة)، فذلك الصوتان تحقيقان لفونيمين مختلفين .

ويمكن التمثيل للفونيمين المختلفين، في العربية بأمثلة كثيرة منها: أنت (بالفتح) وأنت (بالكسر) ومنها: ضرب (بضم أول الفعل) وضرب (بفتح أوله) ومنها: تكتبون (مخاطبة الذكور) وتكتبين (مخاطبة المؤنث المفردة) الخ..فكل من الفتحة و الضمو والكسرة،و الألف والواو والياء تعتبر فونيمات مختلفة.

القاعدة الثالثة: إذا لم يظهر، في نفس المحيط الصوتي في لغة معينة، صوتان متماثلان في الخصائص السمعية، أو الخصائص النطقية فإنهما يعتبران بديلين تأليفيين لنفس الفونيم.

القاعدة الرابعة: يعتبر في لغة ما الصوتان المتجاوران، وبعبارة أخرى اللذان يكونان مجموعة صوتية، رغم ما تقتضيه القاعدة الثالثة في هذه الحالة لا يعتبر هذان الصوتان بديلين تأليفيين لنفس الفونيم إذا أمكن ظهور أحدهما مستقلا عن الآخر.)) [159] (ص14-15) .

فالفونيمات من حيث هي أصوات ذات سمات وخصائص قادرة على التمييز بين الكلمات في كل اللغات ، وهي قادرة أيضا على التمييز بإبدال الفونيمات ومن حيث إعادة ترتيب مواقعها في البنية اللغوية.

4.2.12.2.6. النظرة التجريدية أو الاتجاه التجريدي : تجدر الإشارة إلى أن ما يعد فونيما في لغة ما قد لا يعد كذلك في لغة أخرى وقد يعد مجرد تنوع صوتي فيها مثل س، ص،ت،ط،ر،غ في العربية وما يقابلها في الفرنسية وغيرها.

و خلاصة القول في مصطلح الفونيم:

إنه مهما اختلفت الاتجاهات في دراسة الفونيم، فإن النتائج التي تم التوصل إليها في نظرية الفونيم هي نتائج متماثلة ومتقاربة إلى حد كبير ويمكن تلخيصها على النحو الآتي:

1- الفونيم يميز كلمة عن أخرى، وبالتالي يفرق بين الكلمات من الناحية الصرفية والنحوية والدلالية.

2- الفونيم وسيلة مهمة في تسهيل عملية تعليم وتعلم اللغات الأجنبية فالأصوات الفعلية الحقيقية لأية لغة كثيرة إلى حد كبير، ولكن فونيمات كل لغة تقل عن عدد هذه الأصوات الفعلية بصورة ملحوظة.

3- يساعد الفونيم على ابتكار أبجديات منظمة دقيقة للغات .وكل هذه الخصائص يختلف تطبيقهخا من لغة إلى أخرى .

2.2.2.6 ظاهرة الفونيم في الدراسات العربية القديمة:

استخدم الخليل بن أحمد مصطلح "الحرف" للدلالة على مفهوم الصوت وللدلالة أيضا على مفهوم الفونيم ، فهو عنده بمعنى الصوت إذا ارتبط بالمخرج والحيز والمدرج، ويعين الفونيم من حيث القيمة التبادلية [والموقعية] والخصائص المميزة لكل صوت، وبالتالي فإن الخليل قد لاحظ بصورة واضحة بعض الخصائص المميزة للأصوات العربية من حيث هي فونيمات، ويتمثل ذلك في أمرين:

1- الخصائص المميزة أو التقابلات المميزة لكل صوت.

2- القيمة التبادلية لكل صوت أو فونيم داخل البنية.

وبناء على هذا التمييز أخذ الخليل يستقرئ الخصائص الفونولوجية لبناء الكلمة العربية من حيث دخول الفونيمات في بناء معين، فوجد مثلا أن تقارب المخرج بصورة عامة من العلل المانعة لدخول فونمين من حيز واحد في بناء واحد ، كما وضع قانونا عاما يتصل بعلاقة الأصوات بعضها ببعض داخل البنية يمكن أن نسميه قانون الذلاقة ، وقد رأى الخليل أن أصوات الذلاقة أكثر دورانا في بنية الكلمة العربية لسهولتها في النطق وهي الراء واللام والنون والفاء والباء والميم، وبناء على هذه الملاحظة الإحصائية يستنتج الخليل قانونا فونولوجيا يحكم البناء الرباعي والخماسي في اللغة العربية وغير ذلك من القواعد الفونولوجية البنائية.

هذا من جهة و من جهة أخرى إن سبب الاتجاه المعاكس للعرب قديما في دراسة الحروف و الأصوات (سبويه وأصحابه) أنهم حين "قصدوا تحليل الأصوات كان بين أيديهم نظام كامل للحروف مشهورفي اللغة العربية، وكانت الحروف التي يشتمل عليها هذا النظام قد جرى تطويعها للكتابة، منذ زمن طويل، فكان لكل حرف منها رمز كتابي، يدل على الحرف في عمومه، دون النظر إلى ما يندرج تحته من أصوات، فارتضى سبويه وأصحابه هذا النظام الصوتي المشهور واتخذوه نقطة ابتداء في دراساتهم للأصوات العربية .)) [126] (ص124) .

فاختلاف نقطة الانطلاق لدى الدارسين أدى إلى اختلاف في النتائج، لكن دون أن يمنع القدماء من الوصول إلى بعض المفاهيم التي توحي بأنهم عرفوا بعض مظاهر الفنولوجيا، فمثلا نجد أن ((صورة الصوت الذهنية أي –الحرف وما يعرف الآن بالفونيم- كانت جاهزة لديهم، فقد وصلت إليهم عن طريق الرسم –أي الرمز الكتابي للصوت فعدوها الصوت الأصلي وما يعتريها من تغيير في أثناء النطق السياقي عدوه فرعا، فالنون مثلا صوت أصلي، والنون الخفيفة فرع، والهمزة صوت أصلي والهمزة التي بين بين فرع منه .)) [160] (ص22) .

وعلى هذا الأساس فإن الأصوات العربية التي تحت كل حرف من هذا النظام لا تعدو أن تكون صفة لهذا الحرف، كأن تكون إدغاما له أو إقلابا أوإخفاء، وهكذا جاء منهج [القدماء] في دراسة الأصوات من حيث اتجاه الحركة عكس المنهج الحديث، و في هذا يقول شرف الدين الراجحي: ((ونجد تفسيرا واضحا للفونيم في العربية مثل صوت "النون" الساكنة ، فهو يقلب ميما إذا جاء بعده صوت الباء ويسمى هذا في

مصطلح علم التجويد "الإقلاب"، وتصبح النون ساكنة إذا جاء بعدها فاء شفويا أسنانيا وهو أسناني إذا جاء بعده تاء أو ذال أو طاء مثل "منثور" .)) [161] (ص151) .

ومن الأدلة التي تؤكد وجود مثل هذه الدراسات في الآثار القديمة، ما خلفه سيبويه، الذي قسم أصوات اللغة العربية إلى أصول (فونيمات) و فروع (تأديات صوتية مختلفة وتنوعات في بعض الأصول ، وهي الألوفونات) ، يقول : "أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا : الهمزة ،والألف ،والهاء ،والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي ،والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو.

وتكون خمسة وثلاثين بحروف هن فروع ، و أصلها من التسعة والعشرين ، وهي كثيرة يؤخذ بها ،وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار ، وهي : النون الخفيفة ،والهمزة التي بين بين ،والألف التي تمال إمالة شديدة ، والشين التي كالجيم ،والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم.

وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ،ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ،ولا في الشعر ، وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف ، والجيم التي كالكاف ،والجيم التي كالشين ،و الضاد الضعيفة ،والصاد التي كالسين ،والطاء التي كالتاء ،والظاء التي كالثاء ،والباء التي كالفاء.

وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين ،جيدها ورديءها أصلها التسعة والعشرون ،لا تبين إلا بالمشافهة .)) [135] (ج4،ص431-432) .

فالعلماء العرب بهذا أدركوا أن للغة العربية مجموعة صوتية تتألف من مجموع حروفها الصوتية التي تزيد غالبا على حروف الهجائية الأصلية.

وفي رسالة "أسباب حدوث الحروف" لابن سينا يذكر عبد الرحمان الحاج صالح أننا ((نجد تحديدا فنولوجيا سبق به أهل الفنولوجيا بقرون، إذ يقول: "الحرف هيئة للصوت، عارضة تتميز بها عن صوت آخر في الحدة والثقل تميزا في المسموع..)) [162] (ج2،ص178) .

ونخلص من هذا إلى أن "الألفباء العربية قد راعت بكل دقة ووضوح مبدأ الأخذ بفكرة الفونيم والتعبير عنه، (...) وأيضا اعتبار الفونيمات في الدرس اللغوي الحديث من حيث هي أصوات ذات سمات وخصائص قادرة على التمييز من حيث أبدالها ومن حيث تغير مواقعها في الوحدة اللغوية، يتوافق إلى حد كبير مع فكرة التقاليب والتبادل في الاشتقاق الكبير، فتقاليب أي مادة من مواد الخليل في معجمه ما هي إلا تغيير في ترتيب الفونيمات، بحيث يؤدي ذلك إلى بناء كلمات جديدة. وقد "حدث هذا بكل دقة في فونيمات الأصوات الصامتة consonant ، وحدث مثله في فونيم الحركات (الأصوات الصائتة) Vowels ، كما نجد تفسيرا واضحا للفونيم في علم التجويد والذي يصطلح عليه "بالإقلاب" فمثلا النون الساكنة تقلب ميما إذا جاء بعده صوت الباء و غيرها.

3.2.6. المصطلحات الصوتية العربية الوظيفية :

1.3.2.6. المقطع:

1.1.3.2.6. المقطع في اللغة :

يقول ابن فارس:قطع: القاف والطاء والعين أصل صحيح واحد، يدل على صرم وإبانة شيء من شيء، قال: قطعت الشيء أقطعه قطعا.)) [48] (ج5،ص101) .

2.1.3.2.6.المقطع في الاصطلاح اللساني والصوتي القديم :

لقد ورد مصطلح "المقطع" في الدرس اللغوي العربي القديم بمعان تختلف عما هو عليه الآن كما سيأتي :

1- الخليل: إن نظام العروض الذي وضعه الخليل بن أحمد على أساس التفعيلات وهي تعتمد بدورها على الأساس الأول والثاني اللذين يعتمد عليهما المقطع وهما الصوامت والصوائت.

2- ابن جني: في تعريفه للصوت ورد هذا المصطلح، يقول: ((اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا. وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها .)) [163] (ج1،ص6) .

3- الفارابي: يقول: "كل حرف غير مصوت "أي صامت أتبع بمصوت قصير "حركة قصيرة" قرن به، فإنه يسمى "المقطع القصير"، والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات وكل حرف لم يتبع بمصوت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل .)) [164] (ص1075) . فما يلاحظ أنه أشار إلى معرفة العرب لهذا المفهوم الصوتي التركيبي لكن بتسمية أخرى وهي الحرف المتحرك، ودون توسعة أو تفصيل في أشكاله وأنواعه. والفارابي قد أدرك خواص المقطع من حيث التركيب والبناء ضرورة من صامت وصائت واستعمل مصطلح "المقطع" على أنه مأخوذ من لغات أخرى غير العربية ولعلها اليونانية.
يرى بعض العلماء أنه أول من ذكره .)) [165] (ص274) .

4- يقول ابن رشد: "حد المقطع: وأما المقطع فهو صوت غير دال، مركب من حرف مصوت، ومن غير مصوت. وهذا الذي قاله في أمر الحروف صحيح وذلك أن الذي يدل عليه الحاء أو الميم ليس يمكن أن ينطق به مفردا، وكذلك ما يدل عليه الفتحة أو الضمة. وإنما يحدث الصوت بمجموعهما (الحرف والحركة)، إلا أن وجوده هو لما دل عليه الفتحة أولا، ولما توجد فيه الفتحة ثانيا. وبالجملة فينبغي أن نعلم أن الصوت يحدث من شيئين: أحدهما: ما ينزل منه منزلة المادة، وهو الذي يسمى حرفا غير مصوت، والثاني: منزلة الصورة، وهو الذي سمي حرفا مصوتا، ويسمى عند أهل لساننا: الحركات وحروف المد واللين .)) [166] (ص110) .

5-ويقول مكي القيسي: "الكلام كله ألف من أربعة أشياء: من حرف متحرك ومن حرف ساكن، ومن حركة ومن سكون... وذلك يرجع إلى شيئين: حرف متحرك وحرف ساكن، والحرف المتحرك في كلام العرب أكثر من الساكن، كما أن الحركة أكثر من السكون .)) [167] (ص76) .

ثم يضع بعض القواعد الصوتية التي بني عليها الكلام، والتي هي أساس التصور المقطعي عند القدماءيقول: "وإنما كان الحرف المتحرك في الكلام أكثر من الساكن، لأنك لا تبتدئ إلا بمتحرك، ولا يجوز أن تبتدئ إلا بمتحرك، ولا يجوز أن تبتدئ بساكن، ولا أن يتصل ساكن بساكن أبدا. إلا أن يكون الأول حرف مد ولين، أو يكون الثاني سكن للوقف، وإنما كانت الحركة أكثر من السكون، للعلة التي ذكرنا في المتحرك والساكن .)) [167] (ص77) .

3.1.3.2.6.المقطع في الاصطلاح اللساني والصوتي الحديث : يجب أن ننطلق لفهم طبيعة المقطع ومكوناته... من فهم طبيعة الكلام أولا وموقع هذا المقطع منه والعلاقات الرابطة بينه وبين وحدات الكلام الأخرى "فالكلام يحتوي على تيار مستمر من الأصوات ولا تنفصل الأصوات والكلمات الواحدة عن الأخرى عن طريق التوقف أثناء الكلام. ولكن كلا منهما يجب أن يستخلص من كم متصل، وقد توافقت آراء القدماء والمحدثين في إطار تكاملي عند تقسيم وحدات الكلام.

يقول أبركرومبي: ((قد يبدو أن المقطع وحدة يمكن التعرف عليها بداية حتى بالنسبة للأشخاص الفطريين، ومع ذلك فإلى الآن لا يجد كتاب اللغويات تحديد ماهية المقطع أمرا سهلا بالمرة، وكم دارت من مناقشات عن الكيفية التي ينبغي أن يعرف بها المقطع، وحتى الآن لم تقدم نظرية مقنعة حقا عن كيفية أدائه أو إدراكه .)) [168] (ص55) .

وفيما يأتي عرض لأهم تعريفات المقطع عند العلماء العرب وغيرهم مرتبة حسب تواريخ طبعات المؤلفات التي ظهرت فيها .

1- يقول إبراهيم أنيس: (نص علمي شاهد): يحتاج الباحث إلى تقسيم الكلام المتصل إلى مقاطع صوتية، عليها تبنى في بعض الأحيان الأوزان الشعرية، وبها يعرف نسج الكلمة في لغة من اللغات، والمقاطع الصوتية نوعان: متحرك (open) وساكن (closed) والمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أما المقطع الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن.)) [170] (ص109) . ونلاحظ في مقابل تسمية أنواع المقاطع بالمفتوحة والمغلقة نجد المتحركة والساكنة.

2- يقول جان كانتينو: " إن إصدار جملة من الجمل أو لفظا من الألفاظ هو عبارة عن إصدار سلسلة متتابعة من الأصوات يتطلب النطق بها القيام بطائفة من عمليات الانفتاح والانغلاق في جهاز التصويت وإن الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت (سواء أكان الغلق كاملا أو جزئيا) هي التي تمثل المقطع .)) [171] (ص191) . ثم يبين أنواع المقاطع وهي المقطع المنفتح وهو الذي ينتهي بحركة (طويلة أو قصيرة) (...) والمقطع المنغلق هو الذي ينتهي بحرف أو حرفين (وإذا اثنين سمي أحيانا مقطعا مزدوج

الانغلاق).وتنقسم المقاطع من حيث المدى إلى مقاطع قصيرة أو مقاطع طويلة حسب نهايته بحركة قصيرة أو طويلة .

3- ويقول هنري فليش:" طبيعة المقطع: يبدأ المقطع في العربية الفصحى دائما بصامت واحد فحسب، وينتهي إما بصوت (فهو المقطع المفتوح) وإما بصامت واحد أيضا (فهو المقطع المقفل) .)) [171] (ص192) .

4- ويقول فوزي الشايب: ((تتكون كل لغة من وحدات صوتية صغيرة مكونة من حركات وصوامت تنتظم فيما بينها لتؤلف وحدات كبرى، والأصوات البسيطة المفردة هي الوحدة الدنيا في بناء اللغة، والوحدة التي تلي الأصوات البسيطة هي المقطع " Syllabe"، وهي من أهم الوحدات اللغوية .)) [173] (ص97) .

5- ويعرفه ماريوباي Morio Pei بأنه عبارة عن قمة إسماع peak of sonority غالبا ما تكون صوت علة، مضافا إليها أصوات أخرى عادة –ولكن ليس حتما- تسبق القمة وتلحقها، أو تسبقها ولا تلحقها .)) [174] (ص96) .

6- ويعرفه المسدي بقوله: "إن المقطع هو القذفة الصوتية المحصورة بين انطباقين من انطباقات الجهاز الصوتي .)) [175] (ص261) .

7- ثم يقدم أبركرومبي نظرية محتملة للمقطع يقول فيها: " تزعم هذه النظرية أنه عندما تكون ميكانيكية تيار الهواء الرئوية في حالة عمل لا يندفع الهواء من الرئتين، كما قد يظن بعضنا، عن طريق ضغط عضلي منتظم ودائم ينتج عنه تيار هوائي مستمر وهادئ، بل ما يحدث بالأحرى أن تنقبض وتنبسط العضلات التنفسية بصورة متعاقبة، بمعدل خمس مرات تقريبا في الثانية حتى إن الهواء يطرد على صورة نفخات صغيرة متعاقبة، وتكون كل انقباضة من هذه الانقباضات مع نفخة الهواء الناتجة أساس المقطع، ولهذا فالمقطع من وجهة نظر هؤلاء الذين يؤمنون بهذه النظرية هو أساسا حركة لأعضاء النطق، وليس خاصة من خواص أصوات الكلام، ولو أنه سوف نضم الأصوات في أية لغة من اللغات ما يدل بصورة كثيرة التنوع على وجود

8- ويرى العلماء أن هناك اتجاهين في تعريف المقطع: اتجاه فونتيكي واتجاه فونولوجي ويورد فيما يلي مجموعة من تعاريف العلماء له كالآتي:

1- الفونتيكي: ويورد في إطاره التعريفات الآتية:

1-1- تتابع في الأصوات الكلامية، له حد أعلى أو قمة إسماع طبيعية، بغض النظر عن العوامل الأخرى مثل النبر والنغم الصوتي تقع بين حدين أدنيين من الإسماع.

1-2- قطاع من تيار الكلام يحوي صوتا مقطعيا ذا حجم أعظم محاطا بمقطعين أضعف أكوستيكيا.

1-3- أصغر وحدة في تركيب الكلمة.

1-4- وحدة من عنصر أو أكثر يوجد خلالها نبضة صدرية واحدة، قمة اسماع أو بروز.

5-1- ومن اللغويين من ركز أكثر على الناحية الفيسيولوجية، فعرف المقطع على أنه نبضـــة صـــدرية، أو وحدة منفردة لتحرك هواء الرئتين لا تتضمن أكثر من قمة كلامية أو قمة تموج مســتمر مــن التــوتر فــي الجهاز العضلي النطقي أو نفخة هواء من الصدر.

2- الاتجاه الفنولوجي: يعرف المقطع بالنظر إلى كونه وحدة في كل لغة على حدة وحينئذ لابــد أن يشــير تعريف المقطع إلى عدد التتابعات المختلفة من السواكن والعلل، بالإضافة إلى عدد من الملامح الأخرى مثل الطول والنبر والنغم، أو إلى علل مفردة أو سواكن مفردة تعتبر في اللغة المعينة كمجموعة واحــدة بالنســبة لأي تحليل آخر.

ولهذا فإن التعريف الفنولوجي الدقيق لابد أن يكون خاصا بلغة معينة أو مجموعة مــن اللغــات، ولا يوجد تعريف فونولوجي عام، لأن هذا يخالف الحقيقة المعروفة أن كل لغة لها نظامها المقطعي المعين.

ومما قيل في تعريف المقطع فنولوجيا:

1- الوحدة التي يمكن أن تحمل درجة واحدة من النبر (كما في الانجليزية) أو نغمة واحدة (كما في كثير من اللغات النغمية).

2- عرفه دي سوسير بأنه "الوحدة الأساسية التي يؤدي الفونيم وظيفة بداخلها وعممّ بعضهم مفهوم الفــونيم في التعريف ليشمل الفونيمات التركيبية وغير التركيبية.

3- وحدة تحتوي على صوت علة واحد –واحد فقط- إما وحده أو مع سواكن بأعداد معينة وبنظام معين، ثم يقول: ومن الملاحظ أن المقطع الفنولوجي –أو المقطع الفونيمي- قد لا ينطبق مع المقطع الفونتيكي[1]. وهــذا ما أشار إليه تمام حسان يقول: ((المقاطع تعبيرات عن نسق منظم من الجزيئــات التحليليــة، أو خفقــات صدرية في أثناء الكلام، أو وحدات تركيبية أو أشكال وكميات معينة .)) [177] (ص138) .

9- ولا يكاد يختلف عنه كمال بشر في أن هناك اتجاهين في تعريــف المقطــع واحــد فــونتيكي والآخــر فنولوجي. ويشير إلى أن الجانب الفونتيكي سلك ثلاثة مسالك إذ اعتمد نفر على العامل الفسيولوجي النطقــي فعرفوا المقطع بأنه "خفقة صدرية" ، وفريق ثان اعتمد الجانب السمعي للكلام فرأوا أن المقطع عند النطــق يبدو أوضح وأكثر تأثيرا على السمع فهو يمثل قمة الوضوح لاشتماله عادة على الحركة vowel . وفريــق ثالث منهم يأخذ بالجانب "الأكوستيكي" في تحديد المقطع وتعريفه، وذلك بالاعتماد علــى مــا يحدثــه نطــق المقطع من ذبذبات ذات سمات خاصة في الهواء.

10- ويرى تمام حسان لأنه من الضروري أن نعترف بنوعين من أنواع المقاطع: أولهما المقطع التشــكيلي، والآخر هو المقطع الأصواتي، أما أول هذين، فهو تجريدي مكون من حروف، وأما الثاني فهــو أصــواتي محسوس مسموع مكون من أصوات ، وهذه الثنائية في التناول نتيجة حتمية للاعتراف بالحقيقة القائلة إن ما هو تقعيدي لا يتحقق دائما في النطق بالضرورة (...) مثال ذلك في الفصحى كلمة عقل بقــاف مقلقلــة ولام

ساكنة، فعلم التشكيل يقول إن القاف ساكنة، ولكن بملاحظة الأصوات يدرك السامع أن بين القاف واللام صوت علة مركزيا هو صوت القلقلة، فالكلمة إذا مقطع واحد من الناحية التشكيلية ومقطعان من الناحية الأصواتية، ومن هنا كان من الضروري التفريق بين هذين النوعين من أنواع المقاطع، المقطع المقعد والمقطع المسموع. ويستخدم هذان جنبا إلى جنب للتفريق بين ما هو تعبير عن القاعدة، وبين ما هو تعبير عن المثال.

ثم أخذ يعدد أنواع المقاطع حسب عدد الأصوات المكونة لها فمنها الأحادية والثنائية إلى السباعية، ويكون منها القصير أو المتوسط أو الطويل .)) [177] (ص142) .

ويتفرغ بعد ذلك إلى وصف البناء المقطعي في اللغة العربية بعدما يتتع وروده في التراث مره بمفهومه ومرة بغير مفهومه عند كل من الفارابي وابن جني وغيرهما كما ذكرنا سابقا.

فالمقطع هو عبارة عن تجمعات صوتية للصوامت و الصوائت و التي تتم و تحدد وفق قواعد و خصائص كل لغة.

2.3.2.6. النبر :

تتكون أية بنية لغوية في أية لغة من عدد من الفونيمات المتتابعة، وهذه الفونيمات تتفاوت فيما بينها من حيث النطق قوة وضعفا (...) ولذلك أضاف بعض علماء الأصوات إلى الفونيم نوعا آخر من الفونيمات أطلقوا عليه مصطلح "الفونيم فوق التركيبي" أو "الفونيم الثانوي" (...)، وهو عبارة عن ملامح صوتية لا تدخل وتشترك في البنية اللغوية، وإنما تظهر و تلاحظ فقط حين تستعمل البنية اللغوية، أو الكلمة بصورة معنية أو حين تضم الكلمة إلى أخرى (...) ومن هذه الملامح النبر.

1.2.3.2.6.النبر في اللغة:

يقول ابن فارس: نبر: النون والباء والراء أصل صحيح يدل على رفع وعلو، ونبر الغلام صاح أو ما يترعرع، ورجل نبار: فصيح جهير، وسمي المنبر لأنه مرتفع ويرفع الصوت عليه، والنبر في الكلام الهمز أو قريب منه. وكل من رفع شيئا فقد نبره .)) [48] (ج5،ص380) .

2.2.3.2.6. النبر في الاصطلاح اللساني والصوتي القديم :

قبل الحديث عن هذه الظاهرة عند علماء العربية القدامى ، يجدر بنا تسجيل ملاحظة هامة ، وقد كانت مدار خلاف بين العلماء المحدثين وهي حول النبرفي اللغة العربية قديما وجودا ودراسة من عدمهما.

الرأي الأول : رفض فريق من العلماء ظاهرة النبر وجودا ودراسة قديما و نذكر منهم :

1- أحمد مختار عمر يقول: "وليس عندنا أي دليل مادي يبين كيف كان العرب الأقدمون ينبرون كلماتهم، لأن اللغويين القدماء لم يهتموا بتسجيل هذه الظاهرة، وربما لم تلفت نظرهم لعدم تدخلها في تغيير المعنى، أو ربما تنبهوا إليها ولكنهم فسروها بطريقة أخرى .)) [168] (ص358) .

2-ويرى هنري فليش أيضا أن "نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماما لدى النحاة العرب بل لم نجد له اسما في سائر مصطلحاتهم، تلك التي كانت بالرغم من ذلك وافرة غزيرة. ذلك أن نبر الكلمة لم يؤد أي دور في علم العروض العربي. وهو المؤسس على تتابع مجموعة من المقاطع الطويلة والقصيرة المحددة فهو على هذا كمي، ولقد لزم واضعوا هذا العروض الصمت إزاء موضوعه، تماما كما فعل النحاة ، وقفى على أثرهم المؤلفون في علم التجويد- تجويد القراءة القرآنية..)) [178] (ص49) ، ومع وجود هذا الرأي الذي أجمع عليه أصحابه على عدم وجود النبر قديما ،إلا أنني آثرت عرضه في أبحاث بعض علماء العربية قديما ، لنفصل بعدها الحديث في الرأي الآخر.

1- أبو الفتح ابن جني: يقول ابن جني: وحكى الفرّاء عنهم: أكلت لحم شاة، فمطل الفتحة فأنشأ عنها ألفا ومن إشباع الكسرة ومطلها ما جاء عنهم من الصيارين والمطافيل والجلاعيد .)) [179] (ج3،ص123) .

وأشار البهنساوي أن ابن جني أشار إلى أثر الضغط على بعض حركات الكلمة، وقد عقد لذلك بابا سماه "باب مطل الحركات" يقول فيه: "وإذا فعلت العرب ذلك، أنشأت عن الحركة، الحرف من جنسها، فتنشأ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو .)) [180] (ص58) .ويضرب لذلك المطل في الفتحة والكسرة والضمة وما ينشأ من إطالة لها، يقول ابن جني: "وكذلك الحركات عند التذكر بمطلن، كما تمطل الحروف، وذلك قولهم عند التذكر مع الفتحة في قمتَ: قمتَا، أي قمتَ يوم الجمعة، ومع الضمة: قمتو، في: قمتُ إلى زيد، ونحو ذلك .

2- سيبويه : يقول: ((فأما الذين يشبعون فيمطلون وعلامتها واو وياء، وهذا تحكمه لك المشافهة وذلك قولك: يضربها، ومن مأمنك، وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا، وذلك قولك: يضربها ومن مأمنك، يسرعون في اللفظ .)) [135] (ج4،ص202) .

3.2.3.2.6. النبر في الاصطلاح اللساني والصوتي الحديث:

1- يرى تمام حسان النبر موقعية تشكيلية ترتبط بالموقع في الكلمة وفي المجموعة الكلامية، وحدّه أنه وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتنغيم فالضغط بمفرده لا يسمى نبرا لكنه يعتبر عاملا من عوامله، ومع هذا فإنه يعتبر أهم هذه العوامل وربما كان ذلك لأن النبر يعرف بدرجة الضغط على الصوت أكثر مما يعرف بأي شيء آخر، أو لأن الضغط في صورتيه صورة القوة وصورة النغمة يتسع مجال تطبيقه على النبر أكثر مما يتسع مجال العوامل الأخرى (...)، أما من الناحية العضلية فالضغط مجهود يخرج به الهواء من الرئتين، وكل دفعة منه يصحبها إحساس عضلي لهذا السبب، وأما من الناحية الصوتية فإنه ينتج أثرا يعرف بالعلو يتوقف على مدى الموجات الذبذبية التي تتسبب الإحساس بالصوت.

ثم يشير إلى أن النبر في الكلمات العربية من وظيفة الميزان الصرفي لا من وظيفة المثال (...) ومن هنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن النبر في الكلمات العربية موقعية تشكيلية وصرفية [ثابت] في نفس الوقت، أما

في الأنساق الكبرى (أوالسياقات أوبعبارة أخرى، الجمل والمجموعات الكلامية) فيقع ترتيب النبر علـــى غيـــر المقتضيات الصرفية البحتة، بل إنه لا يرتبط بها وإن وافقها في الظاهر، هذا النبر الذي في السياق إنما يكـــون من وظيفة المعنى العام أي أنه نبر دلالي. ومعنى هذا أن في اللغة العربية نوعين من موقعية النبر في التشـــكيل الصوتي: النبر الصرفي و النبر الدلالي ونبر السياق .

ونجد تمام حسان يعرف النبر في موقع آخر بقوله: "ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها .)) [181] (ص170) .

2- يقول جان كانتينو : "النبرة هي إشباع مقطع من المقاطع بأن تقوي إما ارتفاعه الموسيقي أو شدته أو مداه أو عدة عناصر من هذه العناصر في نفس الوقت، وذلك بالنسبة إلى نفس العناصر في المقاطع المجاورة. ويجـــدر العناية بالتمييز بين نبر الكلمة ونبر الجملة.)) [171] (ص194) .

3- يعرفه ماريوباي : النبر: إعطاء مزيد من الضغط أو العلو لمقطع مـــن بـــين مقـــاطع متتاليـــة .)) [174] (ص93).

4- نجد محمد حلمي هليل في ترجمة كتاب "الصوتيات لمـــالمبرج" يقابـــل المصـــطلح الأجنبـــي: ACCENT بالارتكاز، و STRESS بالنبر .)) [182] (ص147) .

5- يرى شحدة فارغ وآخرون أن: ((النبر خاصية من خصائص المقطع، وبالنسبة للمتكلم فالنبر يعني المزيد من النشاط التنفسي أو الجهد العضلي أثناء إنتاج المقطع، أما بالنسبة للمستمع فالنبر يعني زيادة في علو الصوت للمقطع المنبور، وارتفاع نغمته بالمقارنة مع المقطع غير المنبور. وذلك نتيجة زيادة تردد الأوتـــار الصـــوتية بفعل الجهد الإضافي المبذول، وهناك مقطع واحد منبور في كل كلمة من كلمات اللغة. ولكن لغات العالم تختلف في القواعد التي تتحكم في موقع النبر في الكلمة، فبعض اللغات تشتمل على قواعد محددة تعين بالضبط موقـــع النبر في الكلمة وبعضها لا يشتمل على قواعد محددة معروفة فموقع النبر فيها لا يخضع إلى قوانين مسلم بهـــا تحدد لنا المقطع المنبور في الكلمة " .)) [183] (ص95) .

وجميع هذه التعريفات تتفق على أن النبر يقتضي طاقة زائدة أو جهدا عضليا إضافيا، فالمقطع المنبـــور ينطقة المتكلم بجهد أعظم من المقاطع المجاورة له في الكلمة أو الجملة.

وقد حدد العلماء مواضع النبر في اللغة العربية. وانتقاله من مقطع إلى آخـــر لأســـباب موقعيـــة و تركيبيـــة كالاشتقاق وغيره.

إلا أن هذا تقسيم عام لا يتسم بالدقة، لذا يؤكد أغلب الدارسين على أن النبر ((لا تكاد تخلو منه أيـــة لغة.)) [184] (ص363) .واللغات غير النبرية هي في الحقيقة لغات نبرية، فكل متحدث يضغط على بعض المقاطع فيها، ويثبت النبر في مكان معين، وتختلف هذه اللغات عن اللغات النبرية أنها لا تستعمل أبدا النبـــر كفونيم يغير في المعاني.

3.3.2.6. التنغيم :

1.3.3.2.6.التنغيم في اللغة :

لم يرد في مفردات الراغب الأصفهاني لأن المعجم خاص بمفردات القرآن الكريم ، والنغم لم يرد لا اسما و لا فعلا.

2.3.3.2.6.التنغيم في الاصطلاح اللساني والصوتي القديم:

قبل تفصيل الحديث عن التنغيم في الاصطلاح اللساني والصوتي القديم يجدر الإشارة إلى أن الباحثين المحدثين قد اختلفوا حول وجود ودراسة التنغيم قديما كما كان الحال مع النبر وشكلوا اتجاهين:

الاتجاه الأول:يرى أصحابه " أن العربية لم تقم بدراسة التنغيم ومن الذين قالوا بهذا الرأي "زين كامل الخويسكي" حيث يرى أنه ((لم يعالج أحد من القدماء شيئا من التنغيم ولم يعرفوا كنهه.)) [185] (ص150) .

ويزعمون أن قدامى اللغويين العرب لم يسجلوا هذه الظاهرة في كتبهم لأنها ليست ذات قيمة صرفية أو نحوية، فهذا "برجسستراسر"Bergestrasser -

يقول: ... فتعجب كل العجب من أن النحويين والمقرئين القدماء لم يذكروا النغمة ولا الضغط أصلا، غير أن أهل الأداء والتجويد خاصة رمزوا إلى ما يشبه النغمة ولا يفيدنا ما قالوه في شيء ،فلا نص يستند عليه في إجابة مسألة كيف كان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن .)) [186] (ص48) .

نلاحظ من هذين القولين مدى التناقض الصريح الذي وقعا فيه، فهما من جهة يتعجبان ويجزمان قطعا أن القدماء لم يعالجوا هذه القضية في مؤلفاتهم، ولكنهما من جهة أخرى لا ينفيان وجودها عند بعضهم وبعض من أهل الأداء والتجويد و غيرهم.و في نفس الاتجاه يسير "محمد صالح الضالع" ، يقول:"على الرغم من إحاطة العرب القدماء بالتحليل اللغوي الدقيق والدرس النحوي العميق للغة ونصوصها لم نعثر -حسب علمي- على ما يدل على تناولهم لظاهرتي النبر والتنغيم، ومع أنهم قدموا لنا في علمي التجويد والقراءات ما تناولوه عن الوقف والاستغراق الزمني وهما من المظاهر التطريزية prosodic أو الفوقطيعية supra segmental التي تشمل النبر والتنغيم إلى جانب هاتين الظاهرتين، فلم يذكروا عنها شيئا ولو بأوجز عبارة تدل على وجودهما في اللغة العربية وإحساس القدماء بهما ، إن القدماء أهملوا هاتين الظاهرتين لأنه لم يكن لهما أي تأثير لغوي أو فونولوجي .)) [187] (ص10) . و وبذلك لا يرى البحث أن التنغيم ظاهرة أصلية في نظام اللغة العربية ، أي ليس له وجود فونولوجي محدد كما هو الحال في بعض اللغات وخاصة اللغة الإنجليزية، و الأدلة على ذلك نراها عندما نقارن حال اللغة العربية من خلال المعايير التي تحدد فونولوجية التنغيم.

ولعل الإشارات والأدلة التي قدمها لنفي هذه الظاهرة وجودا ودراسة عند القدماء كقوله: نص ابن جني تنبه إلى الوسائل الصوتية التي تضاف إلى الوحدات اللغوية . والاتجاه الآخر : في مقابل هذا نجد من يرى ويؤكد وجود التنغيم في اللغة العربية، وأن القدماء عالجوا هذه القضية ومن هؤلاء نذكر حسام البهنساوي و شرف الدين الراجحي الذي قال: "نحن ننطق بجمل مثل سبحان الله، والسلام عليكم بتنغيم معين ليدل على معنى معين، وكذلك أثبت "أحمد كشك" أن كثيرا من اللغويين والنحاة كان لهم دور في دراسة التنغيم مثل ابن جني وغيره .)) [41] (ص62) . وقد ورد في الأشباه والنظائر للسيوطي أنه قال: "حدثنا المرزباني عن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب قال: " سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد فقال: "أنظر أفي هذا الشعر عيب؟ وأنشده: لا يكون العير مهرا لا يكون المهر مهرا. فقال الكسائي قد أقوى الشاعر، فقال له اليزيدي: أنظر فيه، فقال : أقوى لابد أن ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان، فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض، وقال: أنا أبو محمد، الشعر إنما ابتدأ فقال: المهر مهر .)) [188] (ج3،ص245) .

فعلق أحمد كشك على هذا الكلام: "بأن الكسائي رأى إقواء واردا في رفع كلمة (مهر) والصواب نصبها باعتبارها خبرا لكان في رأيه، ولم يفطن الكسائي ما رآه اليزيدي الذي استخدم شيئا جديدا في تفسير البيت وهو الوقف، أو قل التنغيم الذي جعل جملة (لا يكون) –التي ضغط عليها حين النطق، وأخذت مطلا صوتيا لم يعهد لها بعيدا عن هذا السياق- لا صلة بينهما وبين ما بعدها فهي توكيد لما قبلها من حديث .)) [189] (ص61) .

3.3.3.2.6.التنغيم في الاصطلاح اللساني والصوتي الحديث:

لقد وجد العلماء الباحثون في اللغة وتاريخها أن أقدم النصوص التي ورد فيها التنغيم في التجويد موجودة في كتاب "الزينة" لأبي حاتم الرازي إذ يقول: "قال قوم من أهل اللغة هو مقصور، وإنما أدخلوا فيه المد من ياء النداء كأنهم أرادوا (يامين)...(فأما الذين قالوا مطولة فكأنه معنى النداء (يا أمين) على مخرج من يقول: يا فلان، يا رجل، ثم يحذفون الياء، أفلان، أزيد وقد قالوا في الدعاء: أرب، يريدون يا رب، وحكى بعضهم عن فصحاء العرب: أخبيث يريدون (يا خبيث)، وقال آخرون: إنما مدت الألف ليطول فيها الصوت بالشكاية .)) [81] (ج2،ص28) .ومنه يظهر لنا جليا أن الرازي ربط المد بالنداء والشكاية ،أي أنه ربط الصوت (النداء) بالمعنى، وهذا ما يوجد في التنغيم حيث كلما تغير الأداء الصوتي تغير معه المعنى المراد.

1- ونجد أيضا الإمام الزركشي يذكر في كتابه "البرهان في علوم القرآن" كيفيات الأداء وأنها تتغير عند تغير الأغراض ، حيث يقول: ((فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديد لفظ به لفظ المهدد، وإن كان يقرأ لفظ التعظيم لفظ به على التعظيم.)) [190] (ج2،ص217) .

والزركشي يربط مختلف الأغراض القرآنية بالأداء، وهو يعلم تمام العلم أن عدم إعطاء كل غرض أداءه الصوتي الخاص، يذهب تأثيره في المستمع أي يصبح مبهما.

2- ويقول محمد عبد العظيم الزرقاني في حديثه عن تأثير القرآن في السمع من خلال اللحن والتنغيم وإن لم يصرح بهذا الأخير، يقول: "إن من ألقى سمعه إلى مجموعة القرآن الصوتي وهي مرسلة على وجه السذاجة في الهواء مجردة من هيكل الحروف والكلمات (...) شعر من نفسه، بأنه أمام لحن غريب، وتوقيع عجيب يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف من توضع للموسيقى وترنيم للشعر.)) [191] (ج2،ص205) .

إن علماء العربية لا يفصلون في دراساتهم بين القضايا النحوية والصرفية والصوتية، وغير ذلك، ومن ثم فإن نظرة فاحصة في مختلف أبواب كتب التراث تكشف لنا أن كثيرا من القضايا الصوتية عالج بها القدماء مسائل نحوية و صرفية، ومن بين هذه القضايا قضية التنغيم:

3- أبو الفتح بن جني : يتحدث ابن جني في كتابه "الخصائص" عن مسوغات حذف الصفة يقول:" وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهو يريد "سير عليه ليل طويل" وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك ، وأن تحس هذا من نفسك إذا تأملته وذلك كأن يكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول كان والله رجلا، فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها، (وعليها)، أي رجلا فاضلا أوشجاعا أوكريما أونحو ذلك، وكذلك تقول سألناه فوجدناه إنسانا ، وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أوجوادا ونحو ذلك،وكذلك إذا ذممته ووصفته بالضيق قلت :سألناه و كان إنسانا ، وتزوي بوجهك وتقطبه فيغني ذلك عن قولك إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك .)) [179] (ج2،ص370) .

نلاحظ أن ابن جني استعمل مصطلحات عدة منها: التطويح والتطريح والتفخيم ومطل الصوت...الخ ، وهي لا تخرج عن كونها وسائل تنغيمية تعمل على المساعدة في فهم المعنى في السياق، بمعنى آخر وظف الدلالة اللفظية التي تعادل الدلالة الصوتية بمفهومه الحديث، وذلك للدلالة على المعنى المقصود، فذكر هذه المصطلحات للدلالة على أن تنغيم الجملة أو طريقة نطقها يرجع إلى أن الكثير من الصفات النطقية لا يمكن تقييدها بالكتابة، وربما هذا ما دفعه إلى الحديث عن إدراك سياق الحال وأهميته وأهمية رؤية وجه المتكلم وجملة حاله حين يتكلم، فرواية كلامه مجردا عن ذلك قد يذهب على السامع فهم المقصود والمراد من الكلام.

ولا أعتقد أن أحدا ينكر أن هذه المصطلحات: التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم (...) كلها وسائل تنغيمية تصدر عن المتكلم، وأي واحد منها يمكن أن يقابل مصطلح التنغيم في علم اللغة الحديث. وعليه فالتنغيم عند ابن جني موجود، والاختلاف حول اسمه ووضعه المصطلح الدال عليه.

وهذا النص -أيضا- واضح في الإشارة إلى التنغيم، وإن لم يذكره ابـن جنـي بلفظـه وإنمـا ذكـره بإجراءاته، إذ إن تضام الاستفهام والتعجب لا وسيلة له ولا يمكن حدوثه إلا بصورة صوتية تنغيمية، وهـو من الأساليب الشائعة في الاستعمال.

4- ابن بعيش: يتحدث عن أسلوب الندبة حيث يقول: اعلم أن المندوب مدعو، ولذلك ذكر مع فصول النـداء ، لكنه على سبيل التفجع، فأنت تدعوه وإن كنت تعلم أنه لا يستجيب ، كما ندعو المستغاث به (...)، وأكثـر ما يقع في كلام النساء لضعف احتمالهن وقلة صبرهن، ولما كان مدعوا بحيث لا يسمع أتوا في أوله (بيـاء أو واو) لمد الصوت و لما كان يسلك الندبة والنوح مذهب التطريب زادوا الألـف آخـرا للتـرنم.)) [192] (ج2،ص13) .وهنا نجد ابن بعيش يستعمل مصطلحين آخرين يقابلان مصـطلح التنغـيم همـا التطريـب والترنم.

إن هذا ليدل دلالة واضحة على إدراك النحاة أهمية التنغيم ، فمثلا الواو خصصت للندبة لما فيها مـن التفجع والحزن إذ (المراد رفع الصوت ومده لإسماع جميع الحاضرين)، هذه الإشارات التي ذكرها علمـاء العربية تدل على أنهم عرفوا ما للتنغيم من أهمية في إيضاح المعاني. فالفرق بـين كـم الاسـتفهامية وكـم الخبرية، إنما تأتي أن كل واحدة منهما تحتوي على أداء معـين بهـا تتميـز. والنحـاة عنـد اسـتنباطهم واستخراجهم قواعد اللغة اعتمدوا على سماع كلام العرب، ففرقوا بينهما على أساس ما تشتمل عليـه مـن نغمات .)) [193] (ص46) .

لقد برهنت التجارب الحديثة على أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطـق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد قد تختلف في درجة الصوت، وكذلك الكلمـات قد تختلف فيها، ومن اللغات ما يجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبرى إذ تختلف فيها معـاني الكلمـات تبعا لاختلاف درجة الصوت حين النطق بها، ومن أشهر هذه اللغات اللغة الصينية، إذ قـد تـؤدي الكلمـة الواحدة عدة معان، ويتوقف كل معنى من هذه المعاني على درجة الصوت حين النطق بالكلمة، ويمكـن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية .

وإن التسلسل الذي نلحظه في درجة الصوت يخضع لنظام خاص يختلف من لغة إلى أخرى ، ولسوء الحظ حتى الآن لم يهتدوا موسيقيونا إلى السلم الموسيقي في غنائنا، وبعبارة أخرى لم يتفقوا عليه، لهذا نؤثر ترك الحديث عن موسيقى الكلام العربي إلى مجال آخر، عسى أن تكفل لنا البحوث المستقبلية القيام بهذا .

والتنغيم مصطلح لساني يقابل لفظ Intonation إذ يرى دانيال جونز أن: التنغيم ربمـا يعـرف بأنـه التغيرات التي تحدث في درجة نغمة الصوت في الكلام والحديث المتواصل، هذا الاختلاف في النغمة يحدث نتيجة لتذبذب الأوتار الصوتية، فكلما زادت عدد الاهتزازات وكانت ذات سرعة كان عـدد التغيـرات فـي التنغيمات أوضح.

يرى محمود السعران : هو المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع الصعود والانخفاض الهبوط في درجة الجهر في الكلام .)) [194] (ص210) .

بينما نجد بعض اللغويين يفرقون بين مصطلحين أساسيين هما النغمة: ton والتنغيم intonation فأما النغمة فتكون على مستوى الكلمات المفردة في مثل نعم، لا، ولد، إلخ وأما التنغيم فيكون على مستوى الجملة .)) [195] (ص189) . فهو تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة، وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل وليس للكلمات المختلفة المنعزلة.

كما سنرى لاحقا.

و نخلص مما سبق إلى أن التنغيم أوسع من أن يحصر في ما يسمى بهبوط النغمة، أو صعودها، ولكنه كل ما يحيط بالنطق من طرق الأداء. هذه الطرق تشمل: الوقف، والسكت، علو الصوت، نبر المقاطع، وطول الصوت وغير ذلك، ثم إن التنغيم يقتصر على التراكيب المسموعة دون التراكيب المكتوبة. فالأداء وما يحمل من نبرات، وتنغيمات، وفواصل له أثر كبير في نفوس السامعين ومتابعتهم وحسن إصغائهم وفهم المراد.

4.3.2.6.الإدغام

1.4.3.2.6.الإدغام في اللغة:

يقول الشريف الجرجاني:

الإدغام: في اللغة: إدخال الشيء في الشيء، يقال: "أدغمت الثياب في الوعاء" إذا أدخلتها، وفي الصناعة: إسكان الحرف الأول وإدراجه في الحرف الثاني، وسمي الأول مُدغما والثاني مدغما فيه، وقيل هو إلباث الحرف في مخرجه مقدار إلباث الحرفين نحو: مدّ وعدّ .)) [119] (ص15) .

2.4.3.2.6. الإدغام في الاصطلاح اللساني والصوتي القديم:

يميل العرب إلى التسهيل والتخفيف في النطق، والإدغام موافق لمتطلبات اللغة العربية لما فيه من ذلك، إذ النطق بالحرف الواحد أسهل وأخف من النطق بحرفين، وهو من الظواهر الصوتية الهامة والتي لا تكاد تخلو منها مؤلفات القدامى، وآثرنا أن نبدأ بالإدغام كظاهرة صوتية وظيفية ظهر عند القدماء باعتباره سوف يأخذ تسمية أخرى مع المحدثين وهي: مصطلح المماثلة .والإدغام عند النحويين والصريفيين، والقراء ضد الإظهار، وهو النطق بالحرفين –مثلين أو متقاربين- حرفا واحدا مشددا عليه، وغالبا ما يكون الحرف الأول في الأصل ساكنا والثاني متحركا دون أن يكون بينهما فاصل، ثم تتم عملية إدغام الساكن الأول في

الثاني المتحرك .)) [196] (ص6) . وخصص سيبويه لظاهرة الإدغام بابا سماه "باب الإدغام" وعالج تحته مواضيعه الفرعية المختلفة. وهو عنده كالآتي:((الإدغام إنما يدخل فيه الأول في الآخر والآخر على حاله، ويقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضع واحد نحو قد تركتك ويكون الآخر على حاله .)) [135] (ج1،ص104-105) .

ويلاحظ أن أكثر حالات الإدغام تقع بين حروف الفم واللسان، وأقلها يكون في حروف الحلق، وقد أشار سيبويه إلى هذا الأصل في الإدغام في قوله: "وإنما أصل الإدغام في حروف الفم واللسان، لأنها أكثر الحروف .)) [135] (ج4،ص448) .

وفي المعنى نفسه ذهب كل من الأشموني وابن السراج وأبي القاسم الزجاجي والمبرد وغيرهم .وقد ذكروا غرض الإدغام وفائدته وشروطه وموانعه

وما يمكن استخلاصه أن القدماء درسوا ظاهرة الإدغام وميزوها بكل دقة، وهو ليس ببعيد في مفهومه عند علماء الأصوات المحدثين، المتمثل في نزعة صوتين إلى التقارب في المخارج أو الصفات سواء تماثلا أو لم يتماثلا، وهذا ما سنراه فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

3.4.3.2.6. الإدغام في الاصطلاح اللساني والصوتي الحديث :

كما اهتم القدماء بظاهرة الإدغام ، فكذلك تجلى اهتمام المحدثين بها ،إلا أن عنايتهم بها كانت ضمن "مفهوم المماثلة وقارنوها بما توصل إليه البحث أوربا في موضوع المماثلة Assimilation وغالبا ما كان علماء اللغة العرب المحدثون والمعاصرون يطلقون على ظاهرة الإدغام التراثية لفظ "المماثلة" كمصطلح حديث لدراسة هذه الظاهرة وهو ترجمة للمصطلح الأوربي Assimilation ".

5.3.2.6.المماثلة

1.5.3.2.6.المماثلة في اللغة:

1- يقول الأصفهاني: مثل: أصل المثول الانتصاب، والممثل المصور عل مثال غيره، يقال مثل الشيء أي انتصب وتصور، وتصوره، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ("من أحب أن يمثل له الرجال فليتبوء مقعده من النار") ، والتمثال الشيء المصور، وتمثل كذا تصور، قال تعالى: "فتمثل لعا بشرا سويا"، والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره (...) والمثال يقال على وجهين أحدهما بمعنى المثل نحو ِشبه وَشبه ونقِض ونقَض وقال بعضهم: وقد يعبر بهما عن وصف شيء نحو قوله: "مثل الجنة التي وعد المتقون"، والثاني: عبارة عن مشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان، وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة ، وذلك أن الند يقال فيما يشارك في الجوهر فقط، والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط والمساوي يقال فيما يشارك في الكمية فقط، والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط والمثل عام في جميع ذلك، ولهذا لما أراد الله تعالى نفي التشبيه من كل وجه خصه

بالذكر فقال: "ليس كمثله شيء.)) [77] (ص462).وعليه فإنه ينفي من مرادفات المماثلة المشاكلة والمساواة، والمشابهة وغيرها لأن كلا منها يختص بجزء واحد من أجزاء الآخر،أما المماثلة فتعم كل شيء.

2- يقول ابن منظور: مِثل: كلمة تسوية، يقال: هذا مِثله ومَثله كما يقال شِبهه وشَبهه بمعنى، قال ابن برى: الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين.

تقول: نحوُه كنحوِه، وفقهُه كفقهه، ولونه كلونه، وطعمه كطعمه، فإذا قيل هو مثله في كذا فهو متناوله في جهة دون جهة .)) [114] (ج14،ص17).

2.5.3.2.6 المماثلة في الاصطلاح اللساني والصوتي القديم:

1- سيبويه : وردت إشارات سريعة إلى ظاهرة المماثلة في كتاب ((الكتاب لسيبويه، وقد سماها "المضارعة" حينا و "التقريب" حينا آخر، وقد عقد سيبويه في كتابه هذا عنوانا خصه لهذه الظاهرة وسماه "هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه، والحرف الذي يضارع ذلك الحرف وليس من موضعه .)) [135] (ج4،ص477).

ويعني سيبويه بالحرف الذي يضارع به حرف من موضعه ((الصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال، وذلك نحو: مصدر، أصدر والتصدير)) [135] (ج4،ص477). وبعد أن يبين سيبويه أن إدغام الصاد في الدال، أو إبدال الدال حرفا يناسب الصاد كالطاء مثلا غير ممكن في الأمثلة، ويفسر ما حدث في هذه الأمثلة بأنه مضارعة الصاد بالزاي، أي تقربها منها، لان الزاي مجهورة كالدال، فيتحقق بهذا الانسجام بين المتجاورين.

ويقول سيبويه ((في تفسير قول بعض العرب " يستيع" بدلا من "يستطيع" أبدلوا التاء مكان الطاء ليكون ما بعد السين مهموسا مثلها، كما قالوا ازدان التي أصلها "ازتان" ليكون ما بعد الزاي مجهورا مثلها.)) [135] (ج4، ص483-484).

2- ابن جني : أشار ابن جني إلى ظاهرة المماثلة من خلال تعليقه على بيت تأبط شرا الذي قال فيه:

وكان ما حثحثوا خصا قوادمه   أو أم خشف بذي شمت وطباق.

إنه أراد: حثثوا، فابدل من الثاء الوسطى حاء، فمردود عندنا، فإنما ذهب إليه البغداديون وابن السراج سهم، وسألت أبا علي عن فساده، فقال: "العلة في فساده أن أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها، وذلك: الدال والطاء، والتاء والذال، والظاء والثاء، والهمزة والهاء، والميم والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه، فأما الحاء بعيدة عن الثاء، وبينها تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها، قال: وإنما "حثحثت" أصل رباعي و"حثثت" أصل ثلاثي، وليس واحدا منهما من لفظ صاحبه إلا أن "حثحث" من مضاعف الأربعة و"حثث" من مضاعف الثلاثة.)) [180] (ص195).

وأما المماثلة بين الحركات المتجاورة وهي التي تسمى: Vowel-harmony فقد أشار إليها سيبويه، في باب الإمالة حين قال: "وإنما أمالوا الألف للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي، ويؤيد هذا قوله في باب ما تقلب فيه الواو ياءا إذا سكنت وقبلها كسرة في مثل ميزان، ميعاد، فكان العمل من وجه واحد أخف عليهم، كما أنهم إذا أدنوا الحرف من الحرف كان أخف عليهم نحو قولهم: ازدان، اصطبر.)) [170] (ص166).

3.5.3.2.6المماثلة في الاصطلاح اللساني والصوتي الحديث:

إن التداخل الكبير بين المماثلة والإدغام هو الذي جعل الباحثين العرب يعنونون دراساتهم مرة بلفظ المماثلة ومرة بلفظ الإدغام ،ومرة يجعلون الإدغام مبحثا من مباحث المماثلة.

1- مثلا ما نجده عند الطيب دبة الذي يمثل لها بمجموعة من الظواهر الفونولوجية والتي يتميز بها اللسان العربي وهي: الإدغام والإقلاب والإبدال والترقيق والتفخيم .)) [142] (ص180).

2- ومثل ما فعل عبد الصبور شاهين في كتابه المنهج الصوتي للبنية العربية ، فبعد أن تحدث عن ظاهرتي الإعلال والإبدال ختم كتابه بفصل سماه "المماثلة والإدغام" قال في مستهله : "تحدث الصرفيون عن ظاهرة الإدغام وعرفوه بأنه: إدخال أول المثلين المتحركين في الثاني، أي أنهم يجعلون الإدغام الذي يجري في الجانب الصرفي من الكلمة خاصا بحالة تجاور صوتين متماثلين)) [196] (ص126). فكأن عبد الصبور شاهين كان يمهد للحديث عن المماثلة بالحديث عن الإدغام واعتبارهما ذا دلالة متقاربة أو متماثلة إلى حد كبير.

3- وهذا ما ذهب إليه "إبراهيم أنيس" حيث قام بدراسة هذه الظاهرة الصوتية في كتابه "الأصوات اللغوية فشرحها وأشار إلى نوعيها التقدمي والرجعي ، ثم وضح درجات تأثر الأصوات المتجاورة، معتمدا على جهود القدماء في دراسته تلك، ويرى أنهم تطرقوا إلى الموضوع فيما يقع بين الأصوات من تعاقب وتأثير وإتباع وإدغام وقلب وإبدال وإعلال.)) [170] (ص145).

4- واختلف اللسانيون العرب المحدثون في تحديد مصطلح المماثلة فنجد "علي عبد الواحد" "استعمل مصطلح "التشاكل" للدلالة على لفظ المماثلة ترجمة عن المصطلح الأوربي Assimilaton ،أما "أحمد عالم المدني الجندي" فقد وظف مصطلح التشابه، في حين استعمل كريم زكي حسام مصطلح "التحييد" وقال عنه: "هو تداخل أو ذوبان فونيم في فونيم آخر حتى يصيرا فونيما واحدا في سياق صوتي معين، وبعبارة أخرى: إلغاء أو محو لفونيم معين نتيجة لتفاعله مع فونيم آخر، يختلف معه في ملمح صوتي واحد على الأقل، ويكون الفونيم الجديد الناتج عن عملية التحييد صورة جديدة أو وسطا بين الفونيمين المحول عنه والمحول إليه نتيجة عملية المماثلة)) [197] (ص109-110)..و غيرهم.

5- يقول محمد علي الخولي : "مماثلة: تعديل صوت ليصبح أكثر تماثلا مع صوت آخر يجـاوره، وهـدف المماثلة تسهيل اللفظ، كما أن المماثلة تكون غالبا نتيجة لأوضاع أعضاء النطق، والمماثلة تكون تقدميـة أو رجعية، جزئية أو كلية، تجاورية أو تباعدية .)) [176] (ص162). ثم عدد في إطارها الأنواع الآتية:

- مماثلة تبادلية: تأثير صوتين متجاورين الواحد في الآخر بشكل يؤدي إلى تماثلهما جزئيا أو كليا.

- مماثلة تجاورية: أن يتغير صوت ليماثل آخر يجاوره تماما مثل: من بعد← مم بعد حيث تغيرت /ن/ إلـى /م/ لتماثل /ب/ التي تجاورها مباشرة، وتقابلها المماثلة التباعدية.

- مماثلة تقدمية: أن يتغير صوت لاحق ليماثل صوتا سابقا مثل: ازتان ← ازدان حيث تغيـرت /ت/ إلـى /د/ لتماثل /ز/ التي قبلها ولتصبح /ز،د/ متماثلين في الجهر، تقابلها المماثلة الرجعية.

- مماثل توقعية: مماثلة رجعية (راجع مماثلة رجعية).

- مماثلة تامة: أن يتغير صوت ليماثل آخر بشكل كامل مثل: أل+شمس-أش+شمس. حيث تغيرت /ل/ إلـى /ش/ لتماثل /ش/ التي تليها تماثلا كاملا، وتدعى أيضا مماثلة كلية وتقابلها المماثلة الجزئية.

- مماثلة جزئية: أن يتغير صوت ليماثل آخر في كيفية النطق أو مكان النطق أو الهمس أو الجهـر أو أيـة سمة أخرى مثل التأنيف أو التغوير أو التفخيم مثال ذلك نطق /س/ كأنها /ص/ في /سيطرة/ بتـأثير /ط/، إذ تحولت /س/ إلى /ص/ المفخمة أو المطبقة لأن /ط/ مفخمة.

- مماثلة رجعية: أن يتغير صوت سابق ليماثل صوتا لاحقا، أي أن التأثير يتجه إلى الوراء مثال ذلك نطـق /س/ كأنها /ص/ في سراط لتماثل /ط/ في التفخيم، وما حدث هنا هو أن /ط/ قد أحدثت تأثيرا رجـع إلـى صوت سابق ولهذا سميت المماثلة رجعية، وتقابلها المماثلة التقدمية. وقد تكون رجعية جزئية أو كلية.

- مماثلة غير متجاورة: أن يتغير صوت ليماثل آخر لا يجاوره مباشرة كما في (سراط) في المادة السـابقة، وتدعى أيضا مماثلة تباعدية أو متباعدة أو غير مباشرة، وتقابلها المقابلة التجاورية أو المباشرة.

مماثلة متباعدة: راجع المادة السابقة.

مماثلة متجاورة: مماثلة تجاورية، راجع (مماثلة تجاورية) .)) [176] (ص162-163).

وما يلاحظ أن الترتيب النطقي الألفبائي الذي اعتمده محمد علـي الخـولي قـد أدى إلـى بعـض الاضطراب في عرض مصطلحات الحقل الدلالي لمصطلح: مماثلة. كما هو واضح من هذا العرض.

6- ونجد أحمد مختار عمر قدم تعريفات مختلفة منقولة عن غيره للمماثلة أهمها:

المماثلة: التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته -ولا نقول ملاصقته- لأصوات أخرى.

المماثلة هي: تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلا جزئيا أو كليا .)) [168] (ص378-379).

ويقول: العلماء ينظرون إلى المماثلة على أنها قوة سالبة في حياة اللغة، لأنها ترمي إلى تخفيض الخلافـات بين الفونيمات كلما أمكن، ويتخيلون أنه لو ترك العنان للمماثلة لتعمل بحرية فربما انتهت إلى إلغاء التفريـق بين الفونيمات، ذلك التفريق لا غنى عنه للتفاهم.)) [168] (ص384).

7- يقول الجبوري : ((يدخل في مفهوم المماثلة موضوعات الإدغام والإعلال والإبدال والإمالة والإتباع وغيرها مما يدخل في مفهوم (تقريب الصوت من الصوت)، أو ما أسماه ابن جني(الإدغام الأصغر))) [179] (ج2، ص139).وصور التأثير هذه تحدث بين الصوامت أو بين المصوتات أو بين الصوامت والمصوتات.)) [198] (ص123).

8- وقام عبد العزيز مطر بتوضيح ظاهرة التماثل فقال: إذا تجاور صوتان تجاورا تاما، بحيث لا يفصل بينهما صوت لين (حركة) ، وكانا مختلفين في صفة الجهر والهمس، أو الشد والرخاوة أو الإطباق والانفتاح، فإن هذين الصوتين يميلان إلى الانسجام بأن يصبحا متماثلين في الصفة... وإذا كان هذان الصوتان المتجاوران متقاربين مخرجا أو صفة أو متجانسين فإن التماثل بينهما قد يصل إلى أن يفنى أحدهما في الآخر بإدغامه فيه" وهو ما يعرف بالتماثل التام.)) [199] (ص126).

9- وتعرض عبد القادر عبد الجليل إلى هذه الظاهرة للدلالة على أنها ترجمة للفظ Assimilation يقول: "تسجل المماثلة الصوتية ظاهرة بينة الطالع في ميدان الدرس الصرفي الصوتي متخذة أشكالا عدة، وهي تدور على ألسنة المتحدثين. ويبدو أن الهدف الصوتي وراء هذه الظاهرة هو تحقيق نوع من التماثل الصوتي بغية التقارب في الصفة والمخرج اقتصادا في الجهد العضلي المبذول .)) [200] (ص284).

وقسم عبد القادر عبد الجليل المماثلة إلى ثلاثة أنواع:

1- التماثل التقدمي Progressive assimilation:يكون من الصوت الأول إلى الصوت الثاني كما في صيغة افتعل في: اصطبر واضطرب. ويسمى أيضا: مقبل.

2- التماثل الرجعي Regressive assimilaion: وهو الذي يبث من الصوت الثاني إلى الصوت الأول مثل تحويل فاء الافتعال إذا كان واوا إلى تاء مثل تعد من وعد. وتسمى أيضا مدبرة.

3- المماثلة التجاورية contact assimilation: حين تكون الأصوات المتأثرة والمؤثرة متجاورة دون فاصل، وحين تتباعد تسمى بالمماثلة التباعدية distant assimilation، كما يسمى التماثل الحادث في لفظ "سراط، صراط" بالمماثلة الكيفية أي طريقة الأداء النطقي articulatory assimilation)) [200] (ص285) .

وقد مالت اللغة العربية بهذا التأثر إلى لهجات الكلام، وهو ما تفطن له القراء، وخافوا أن يصيب القرآن شيء من التغير الصوتي فعنوا بوصف كل صوت عربي وصفا دقيقا.)) [170] (ص145).

ويمكن أن تقسم درجات التأثر كما يلي:

1- الجهر والهمس: إذا التقى صوت مهموس بصوت مجهور فقد يقلب أحدهما إلى نظير الآخر، بحيث يتكون منهما صوتان مهموسان أو مجهوران، مثل صياغة "افتعل" من (دعا، ذكر، زاد) هي في الأصل (ادتعى، اذتكر، ازتاد) فاجتمع في كل من هذه المثل صوتان متجاوران، الأول مجهور والثاني مهموس،

فتأثر الثاني بالأول، وانقلب إلى صوت مجهور أيضا ليجتمع صوتان مجهوران، ولأن التاء المهموسة حين يجهر بها تصير "دالا" أصبحت هذه الأمثلة: ادعى، اذذكر، ازداد .)) [170] (ص147-148).

2- انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف: ونجده في بعض أحكام القراءات مثل اجتماع الياء مع المم في مثل: "اركب معنا" فقد قلبت الباء ميما أي أن صوت الفم "الباء" انتقل إلى نظيرة من أصوات الأنف "الميم" ، كما اجتمعت النون واللام في "فإن لم تفعلوا" وقلب صوت الأنف "النون" إلى أحد نظرائه من أصوات الفم "اللام" لأن كل من النون واللام من الأصوات الشبيهة بأصوات اللين.

3- انتقال مخرج الصوت: من أنواع التأثير انتقال مخرج الصوت من مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر "ومما روي في أحكام القراءات موضحا هذا ما أجمع القراء عليه من أن النون المشكلة بالسكون إذا وليها باء، تقلب ميما مثل "أنبئهم" "من بعد" فوجود الباء استلزم انتقال النون من مخرجها إلى مخرج الباء، وترتب على هذا الانتقال أن استبدل بالنون صوت نظيرها في المخرج الجديد .)) [170] (ص150-151).

وقد تحدث كثير من اللغويون العرب المحدثين عن ظاهرة المماثلة والإدغام وتقريب الأصوات وتأثر بعضها ببعض.وخلصوا إلى الأنواع الآتية:

1- المماثلة المقبلة الجزئية: وفيها يؤثر الصوت الأول في الثاني فيقربه إليه بأن يجعله يماثله في إحدى صفاته مثل: تأثر تاء الافتعال بالأصوات المطبقة قبلها في صيغة "افتعل" فتقلبها إلى طاء:

مثل: ضرع← اضترع← اضطرع← ض+ت=ض+ط.

أو تأثر تاء الافتعال بالزاي أو الدال أو الذال قبلها فتصبح دالا.

زجر← ازتجر← ازدجر← ز+ت=ز+د.

2- المماثلة المقبلة الجزئية المنفصلة: يكون ذلك بأن تتأثر الأصوات اللاحقة بما قبلها من الأصوات غير المتصلة بها مباشرة حيث يفصل بينهما فاصل ويتم التحول في ضوء القرابة المخرجية، أو الاتفاق في الصفة الصوتية. مثل:

تفخيم الدال تحت تأثير الراء مثل معربد← معربض.

3- المماثلة المقبلة الكلية المتصلة: وفيها يتأثر الصوت المعين بالصوت الذي قبله مباشرة، فيتحول إلى الصوت السابق ويدغم فيه في صورة صوت واحد. مثل:

- مماثلة تاء "افتعل" بما قبلها إذا كانت فاءها ضادا أو ضادا أو طاء أو ظاءا.

تتأثر تاء افتعل بما قبلها فتقلب طاء ثم تدغم في الصاد مثل: صبر←اصتبر ← اصطبر)) [197] (ص126).

4- المماثلة المدبرة الكلية المنفصلة: يكون ذلك بأن يتأثر الصوت المعين بالصوت الذي يليه لكن مع وجود فاصل بينهما ويتم هذا التأثر بسبب القرابة المخرجية أو بالاتفاق في صفات الأصوات مثل: كلمة "منذ"

مكونة من "حرف الجر" و "ذو" اسم موصول تأثرت كسرة الميم في "من" بصفة "الذال" في "ذو" تحولت الكسرة إلى ضمة وصارت الكلمة "منذ" يعد حذف الواو.

5- المماثلة المقبلة الكلية المنفصلة: في هذه الحالة يتأثر الصوت بالصوت الذي يسبقه، ولكن يفصله فاصل من صوت صامت أو صائت فيتحول إلى صوت مماثل للصوت السابق وهذا النوع قليل في العربية مثاله فيهُ: ←فيهِ: تحولت الضمة في الضمير إلى كسرة لتماثل الكسرة الطويلة قبلها.

هـ- المماثلة المدبرة الجزئية المتصلة: ويتم ذلك بأن يتأثر الصوت بالصوت الذي يليه مباشرة، ويتحول الصوت السابق إلى صوت قريب من الصوت اللاحق، سواء من حيث المخرج أو الصفات من أمثلته:

تتأثر الصاد الساكنة قبل الدال فتتحول إلى زاي مثل مزدر في مصدر.

6- المماثلة المدبرة الجزئية المنفصلة: ويكون ذلك بأن يتأثر الصوت بصوت بعده بشرط أن يفصل بينهما صوت آخر، فيتحول الصوت المتأثر إلى صوت آخر قريب من الصوت الذي بعده في المخرج أو في الصفات الصوتية الأخرى من أمثلته : تتأثر السين بالقاف الموالية لها وذلك نحو: سقر← زقر.

7- المماثلة المدبرة الكلية المتصلة: يكون ذلك بأن يتأثر الصوت بما يليه مباشرة من الأصوات، فيتحول إلى نفس الصوت ثم يدغم فيه وهو موجود في جميع اللغات.

تأثير الظاء في افتعل بالطاء بعدها فتصبح طاء: اضطلم← اططلم← اطّلم.

وعود على بدء نقول: يجدر بنا تقديم مصطلح المماثلة في هذا العرض باعتبار أغلب الباحثين يعتبرونه ترجمة للمصطلح الأوربي Assimilation.

4.5.3.2.6.المماثلة عند الغربيين:

لقد اهتم علماء اللغة المحدثون في أوربا بظاهرة المماثلة في أثناء دراستهم لموضوع التغيرات الصوتية في لغاتهم "فقد تحدث:

1-العالم اللغوي السوسيري" فيرديناند دي سوسير (1913) في كتابه محاضرات في الألسنية العامة Cours de linguistique general عن التغيرات الصوتية الطارئة على اللغة، وتعرض لمجموعة من المسائل الصوتية، والمفاهيم التي كانت موضوعات لتلاميذه واللغويين اللاحقين.)) [196] (ص123).

2- ويعد دانيال جونز Daniel Jones: من الذين تعرضوا لظاهرة المماثلة، وقد عرفها بأنها عملية إحلال صوت محل صوت آخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو في الجملة، ويمكنها أن تتسع لتشمل تفاعل صوتين متتاليين ينتج عنهما صوت واحد مختلف عنهما.)) [197] (ص103).

أولا التماثل العادي: الصوت A يستبدل بالصوت B تحت تأثير الصوت C.

ويمثل جونز للتماثل العادي غير التاريخي بالتغيير الذي يطرأ على صوت /S/ في الكلمتين shoeوhorse عندما تركبان معا horse-shoe (حدوة حصان) حيث تنطق S هكذا Sh (ش).

ثانيا: التماثل المجمع (الإدغام) الصوتان C,A قد أثر كل منهما في الآخر (أدغما واجتمعا في الصوت الموحد B) ويمثل للتماثل المجمع Coalescent assimilation بالكلمتين Roastbeef حيث تحولت الS إلى Z تحت تأثير صوت B.

3- أما مالبرج Malemberg : فيرى أن المماثلة سبيل من السبل التي يلجأ إليها المتكلم لتجنب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها كلية لإحداث الأثر الأكوستيكي المرجو، وتحقيق أكبر أثر بأقل جهد ممكن، ويقدم عدة أمثلة منها "At-ten" حيث لا تنطق التاء الأولى فيه نطقا كاملا.)) [197] (ص105).

4- كما تعرض اللغوي الفرنسي موريس غرامون M.Grammont ، في كتابه Traite de phonetique إلى ظاهرة التغيرات الصوتية في اللغات وحدد مفهوم المماثلة بأنه تغير صوتي عند تحويل حرف عن مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر لغرض الانسجام الصوتي، كما تحدث عن المماثلة الرجعية Regressive وهي التي يؤثر فيها الحرف الثاني في الحرف الأول فيمنحه خصائصه الصوتية كلها أو بعضها، وتحدث عن المماثلة التقدمية Progressive ، وهي التي يؤثر فيها الحرف الأول في الثاني، وقال إن هذا النوع الأخير قليل الحدوث في اللغات الأوربية والنوع الأول أكثر شيوعا منه وقد يحدث المعاني في اللغة الواحدة.)) [196] (ص123).

وقد علل أسباب حدوث المماثلة بأن هناك صوتا يسيطر على صوت آخر، وأن الحركة تتم في اتجاه أو في آخر، ما إذا كان الصوت المسيطر موجودا في الأمام أو في الخلف ولا شك أن الصوت المؤثر هو ذلك الذي تتوفر فيه صفات، أن يكون أكثر قوة أو أكثر مقاومة أو أكثر استقرارا، أو أكثر امتيازا، وإنما تتحدد هذه الصفات سلفا طبقا لنظام اللغة.

فهو يجعل موقعية الصوت أحد عوامل قوته فقد تحدث عن تأثير الأصوات الصامتة بعضها في بعض ومثل كلمة "Bec" التي تنتهي بكاف انفجارية مهموسة، ولكن حين تلاها صوت الدال في عبارة " Bec de lièvre" نتج عن التقاء الصوتين تأثر الكاف بالدال في الجهر، وفسر ذلك بأن حرف الدال "D" أكثر قوة من "C" بحكم وضعه، فهو في موقع قوة لأنه يشكل بداية مقطع في حين C في وضع ضعيف لأنه يشكل نهاية مقطع بالإضافة إلى أنه يسوق بحركة غير منبورة.

5- ونظر فوندريس Vendrys : إلى المماثلة على أنها تشابه وذلك عندما يستعير واحد من صوتين منفصلين عنصرا أو أكثر من عناصر الآخر إلى حد الاختلاط به، أي أن هنالك في الواقع حالة تعجل، فالعقل باشتغاله ينطق صوتا ما داخل مجموعة صوتية تجعله يصدره قبل أوانه، وينتج مرتين متتابعتين الحركات الصوتية التي يقتضيها هذا الصوت [اللاواعي].

ويستبعد فوندريس أن تكون عناصر الكلمة الصوتية متساوية القيمة في داخلها فمنها القوي ومنها الضعيف، وفي هذا السياق يسوق أمثلة خاصة عن المماثلة الرجعية فمجموعة "Akta" الكاف فيها انحباسية

فهي أقل مقاومة من التاء الانفجارية، فيتخلى المتكلم عن تحقيق الحركات النطقية للكاف فتنطق: "Atta".)) [197] (ص87).

6- وقابلها برجسستراسر Bergstrasser بالإدغام في حالة اتساعها ونعتها وبالتشابه يقول: ((وهنا التشابه تنظير لما سماه العرب "إدغاما"، فالمماثلة عنده شاملة لكل تأثير يحدث بين صوتين متجاورين فيقارب بينهما مهما يكن مبلغه، غير أن الإدغام ينفرد بحالة التضعيف ذلك أن معنى الإدغام اتحاد الحرفين في الحرف الواحد مشددا تماثلا أو اختلفا (...) والمماثلة هنا أعم من الإدغام فهي شاملة لكل حالات التأثر في حين أن الإدغام يقتصر على الاندماج الصوتي الكامل.)) [197] (ص109).

7-أما هنري فليش Henri Fleich فتحدث في كتابه "Traite de philologie arabe" عن ظاهرة المماثلة في اللغة العربية في الفصل الرابع من الجزء الأول فقال: إن المماثلة هي الظاهرة التي يتجاور فيها حرفان مختلفان فيتحولان إلى متشابهين ويمكن أن تكون هذه المماثلة كاملة أو جزئية"، ويرى الدكتورعبد الله بوخلخال أن هذا التعريف يشمل كلا من الإبدال، والإدغام حسب المفهوم العربي القديم، وقد خصص فليش فصلا خاصا بالإدغام سماه Idgam قال فيه "إن الإدغام هو تداخل حرفين متشابهين في حرف واحد مشدد".)) [196] (ص125).

8- وفي معجم اللسانيات لجين دي بوا Jean Du Bois نجد:

Assimilation :

On appelle assimilation un type très fréquent de modification subie par un phonème au contacte d'un phonème voisin, et qui consiste pour les deux unités en contacte a avoir des traits articulatoire commun.

Cette modification peut correspondre a une mise en place anticipées des organes phonatoires en vue de la prononciation d'un phonème qui suit : c'est l'assimilation régressive (...).

Elle peut correspondre au contraires, a un retard dans l'abondons de la position des organes phonatoires correspondant a la prononciation des phonèmes précèdent : c'est l'assimilation progressive (...).

L'assimilation est double quand le phonème est modifié a la fois par celui qui le précède et par celui qui le suit. L'assimilation joue un rôle très important dans l'évolution des langues, par exemple pour des processus de mutation tels que la palatation : assimilation a distance.)) [152] (ص54).

6.3.2.6.المخالفة

1.6.3.2.6.المخالفة في اللغة:

1- يقول أحمد ابن فارس: "خلف: الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قدام، والثالث التغير.)) [48] (ج2،ص210).

2- ويقول ابن منظور:"خلف: الليث: الخلف ضد قدام، قال ابن سيدة: خلف نقيض قدام مؤنثة وهي تكون اسما وظرفا (...) وتخالفا الأمران واختلفا: لم يتفقا وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف.)) [114] (ج5،ص131).

3- ويقول الراغب الأصفهاني:" خلف: خلف ضد القدام، قال تعالى "يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم" (...) والاختلاف والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله والخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان وليس كل مختلفين ضدين (...) وأخلف الشجر إذا خضر بعد سقوط ورقه، وأخلف الله عليك يقال لمن ذهب ماله أي أعطاك خلفا.)) [77] (ص154-155).

ولعل هذا المعنى اللغوي الأخير هو الأقرب إلى مصطلحنا لأننا لسنا في حال مغايرة لأجل لا شيء بل يكون هناك خلف يعوض ما كان.

2.6.3.2.6.المخالفة في الاصطلاح اللساني والصوتي العربي القديم:

إن المخالفة بوصفها الوجه المقابل للمماثلة من الظواهر الصوتية الضاربة جذورها في أعماق العربية، اهتم بها اللغويون والنحاة العرب القدامى وعلماء الأصوات المحدثون فرصدوا مظاهرها وأوجهها المختلفة وعالجوها بتسميات مختلفة.

1- وقد أشار إبراهيم أنيس إلى أن علماء العربية القدامى لم يتفطنوا لظاهرة المخالفة في الأصوات ولم يعنوا بها عناية بالغة، في حين يدل الاستقراء المنهجي لعلم الأصوات عند العرب أن قوانين علم الصوت العربي لم تفتها ظاهرة المخالفة بل تابعتها بحدود متناثرة في كتب اللغة والنحو والتصريف، وهو ما فعله علماء العربية في التنظير للمخالفة تارة، وبدراستها تارة أخرى، منذ عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي حتى ابن هشام الأنصاري، يقول عبد الصبور شاهين: عرفت العربية ظاهرة المخالفة في كلمات مثل تظنّن، حيث توالت ثلاث نونات، فلما استثقل الناطق ذلك تخلص من أحدها بقلبها صوت علة فصارت: تظنى، ولها أمثلة في الفصحى مثل: نفث المخ: أنفثه نفثا، لغة في نقوته، إذا استخرجته، كأنهم أبدلوا الواو تاء.)) [197] (ص151).

2- وهذا ما ذهب إليه" فندريس" في ظاهرة المخالفة صوتيا، وكأنه يترجم تطبيق العرب بأن: يعمل المتكلم حركة نطقية واحدة، وكان من حقها أن تعمل مرتين، فإذا تركنا هاتين الظاهرتين إلى مصطلحين صوتيين

آخرين يعنيان بمسايرة تطور الصوت في المقطع أو عند المتكلم، وهما: النبر والتنغيم، أن نجد العرب في تصورهما تصورا أوليا إن لم يكن تكامليا، وإن لم نجد التسمية الاصطلاحية، ولكننا قد نجد مادتها التطبيقية في شذرات ثمينة.

3- الخليل بن أحمد الفراهيدي: يعد الخليل من اللغويين الأوائل الذين فطنوا لهذه الظاهرة، غير أنه لم يستقر على مصطلح واحد، بل نعتها بجملة من المصطلحات .منها: "المغايرة" متخذا من فعل هذا المصدر هيئة للدلالة عليها، ويدلل على ذلك بقوله تعالى: "وقد خاب من دساها" . [سورة الشمس، الآية 10] والأصل دسسها. كما يسميها أيضا اجتماع حرفين من جنس واحد مثل قوله تعالى "ثم ذهب إلى قومه يتمطى" [سورة القيامة، الآية 33.] أي يتمطط.

4- سيبويه: لم تفت سيبويه هذه الظاهرة حيث نجده يعلل لها ب"كراهية التضعيف" في قوله: "هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف .)) [135] (ج4،ص424).

وذلك في سياق حديثه عن إحلال الياء محل أحد المتماثلين و"ذلك قولك تسريت وتظنيت، وتقصيت من القصة، واسليت كما أن التاء في اسنتوا مبدلة من الياء أرادو حرفا أخف عليهم منها، وأجلد، كمل فعلوا ذلك في "اتلج" وبدلها شاذ هنا بمنزلتها في سيت وفي كل هذا التضعيف فيه عربي كثير جيد)) [135] (ج4، ص424).

ويمضي سيبويه في تكرار هذا المصطلح في مواضع متفرقة من كتابه من ذلك حديثه عن إحلال السين محل أحد المتماثلين يقول: " وقال بعضهم، استخذ فلان أرضا يريد اتخذ أرضا كأنهم أبدلوا السين مكان التاء في اتخذ كما أبدلوا حيث كثرت في كلامهم وكانتا تائين، فأبدلوا السين مكانها، كما أبدلت مكانها في ست وإنما فعل هذا كراهية التضعيف .)) [135] (ج4،ص383).

نستنتج من الأمثلة التي ساقها سيبويه أن الناطق صعب عليه التضعيف فوجد في تحقيقه عسرا ومشقة على اللسان في الارتفاع والعودة إلى نفس النقطة في اللحظة ذاتها لتحقيق الصوت ذاته ثانية، فأبدله بأحد الأصوات المتوسطة.

5- أبو الفتح بن جني :سار ابن جني على نهج الخليل حيث استخدم مصطلح "اجتماع حرفين" للدلالة على ظاهرة المخالفة حيث يسوق لذلك أمثلة يبين فيها استثقال العرب لتوالي صوتين متماثلين لأن في تحقيقهما جهدا كبيرا، " فمالوا إلى إبدال أحدهما ويمثل ذلك كلمة "حيوان" التي أصلها حييان يقول: والحيوان أصله الحييان فهذا إبدال الياء من الواو والياء لامين ولم أعلمهما أبدلت منهما عينين .)) [163] (ج1،ص63).

كما يستخدم ابن جني مصطلح "كراهية التضعيف" التي استخدمها من قبل سيبويه للدلالة على المخالفة ، ويبين من الأمثلة التي يسوقها أن العرب يستثقلون التضعيف ويرون في تحقيقه جهدا كبيرا، فمالوا إلى إبدال الصوت المضاعف بأحد الأصوات الصائتة لسهولتها ويسرها في التحقيق . ومن الأمثلة التي

قدمها ما يلي: ((قصيت أظفاري في معنى قصصتها فهذا مثل تظنيت أبدلت الصاد الثانية ياء كراهية للتضعيف .)) [163] (ج1،ص295).

وإذا كان ابن جني قد فسر أغلب الأمثلة التي ساقها عن ظاهرة المخالفة الصوتية في كتابه "سر صناعة الإعراب" بكراهية التضعيف، واجتماع حرفين في جنس واحد، فإننا نجده في كتابه "الخصائص" يذكرها تحت مصطلح "ملاطفة الصنعة".

"وذلك أن ترى العرب قد غيرت شيئا من كلامها من صورة إلى صورة فيجب حينئذ أن تتأتى لذلك وتلاطفه لا أن تضبطه وتتعسفه .)) [179] ج2، ص229).

ويسوق لنا في هذا الصدد أمثلة عن ذلك من مثل: تكسير جرو ودلو وأجر وأدل، إن أصله أجرو وأدلو، فقلبوا الواو ياء لسهولة النطق بها وحتى لا يجد الناطق عسرا.

ومن ذلك: "ست أصلها سدس، فلما كثرت في الكلام أبدلوا السين تاء، في قولهم النات في الناس ونحوه، فصارت سدت (فلما تقارب الحرفان في مخرجيهما أبدلت الدال تاء، وأدغمت في التاء فصارت ست)، ولو بدأت هذا الإبدال عاريا من تلك الصنعة لكان استطالة على الحرفين وهتكا للحرمين" .)) [179] (ج2، ص230).

أي أنه لولا وجود هذه الصنعة لكان نطق أكثر الكلمات عسيرا لاسيما التي تتقارب في المخرج، فلما كانت هذه الصنعة أدخلت تغييرات على الكلمات حتى يتسنى للناطق تداولها والنطق بها في سهولة ويسر.

يفهم من كلام ابن جني أن المخالفة الصوتية تهدف إلى التقليل من الجهد العضلي بقلب أحد المتماثلين صوتا آخر، وإن العربي استثقل التضعيف ورأى في تحقيقه جهدا كبيرا فمال إلى إبدال الصوت المضعف بأصوات اللين وأشباهها لسهولتها ويسرها في التحقيق.

ومن المخالفة أيضا ما تضمنته قواعد الصرف، من قلب الواو همزة إذا تصدرت قبل واو متحركة مطلقا، أو ساكنة متأصلة الواوية،مثال ذلك: "أواني" و "أواعي" أصلهما ووانى و ووا عي على التوالي، لأن مفردها هو وانية وواعية.و غير ذلك من الأمثلة.

3.6.3.2.6.المخالفة في الاصطلاح اللساني والصوتي الحديث:

1- نجد المصطلح ذاته يستعمله عبد القادر عبد الجليل ويتفق مع أحمد مختار عمر في أن المخالفة قوة سالبة تسعى إلى تخفيض حد الخلاف[1] بين الأصوات، ولا يمكن الاستغناء عنها في إظهار قيم الفونيمات الاستقلالية وأنها ضرورية لتحقيق حالة التوازن وتقليل المدى التأثيري للمماثلة.

2- ويتطرق عبد العزيز مطر إلى التغيرات الصوتية التي تسعى في حركتها نحو التخالف مستعملا مصطلح "المغايرة" وهو ترجمة للفظ dissimilation ، مبينا أنها من التغيرات الصوتية التي تحدث في

الكلمة المشتملة على التضعيف بأن يتغير أحد الصوتين المضعفين إلى صوت لين طويل أو أحد الأصوات الشبيهة بها، وهي اللام والراء والنون والميم وساق أمثلة لذلك.

3- أما علي عبد الواحد وافي فقد آثر استخدام مصطلح "التباين" للدلالة على المخالفة يقول "تارة يتحول صوت أحدهما إلى صوت مغاير آخر لظاهرة التباين dissimilation، والمخالفة عنده تتم بطريقتين".

1- المخالفة بالتعويض.

2- المخالفة بالحذف أو سقوط أحد الحرفين: كما حدث في معظم الأصوات المشددة في العربية إذ تحولت في كثير من لهجاتها إلى أصوات مخففة .)) [197] (ص166).

4- الطيب بكوش: تطرق إلى التغييرات الصوتية التي تسعى في حركتها نحو التخالف مستعملا مصطلح "التباين"، "والتباين عنده من الظواهر التشكيلية التي يستلزمها النظام الصوتي، ومظهر من مظاهر التطور، تتدرج فيه الأصوات عبر مسار تحولي يتجه نحو الأيسر والأسهل، وحدث كثيرا في العربية وخاصة في معالجة الكلمات الدخيلة وفي نطق العامة للكلمات العربية الأصل .)) [197] (ص171).

5- يقول محمد علي الخولي: مغايرة: تغير صوت إلى آخر يخالف صوتا مجاورا له وهي عكس المماثلة ، وتسمى المغايرة أيضا مخالفة، وتعمل المغايرة على تحقيق التوازن مع المماثلة إذ ترمي المغايرة إلى زيادة الفروق بين الأصوات، في حين ترمي المماثلة إلى تقليل هذه الفروق، والمغايرة أقل شيوعا من المماثلة ، ومن أمثلة المغايرة في اللغة العربية إبدال الفتحة كسرة إذا جاورت ألفا، ولدانَ ولدانِ .)) [176] (ص158). ثم ذكر أنواع مختلفة للمغايرة .

وتجدر الإشارة إلى أن محمد علي الخولي في معجمه قد سبق شرح وتعريف هذا المصطلح قبل مصطلح المماثلة مراعاة للترتيب الألفبائي النطقي حسب الأوائل والثواني والثوالث رغم أن منهج الفهم العلمي الصحيح يستدعي فهم مصطلح المماثلة أولا حتى يفهم مصطلح المخالفة فهما دقيقا لأن الأصل هو التماثل لا التخالف وإن كان الهدف مشتركا وهو التسهيل والاقتصاد اللغوي.

6- رمضان عبد التواب يقول في حديثه عن المخالفة الصوتية : DISSIMILATION :" يسير قانون المخالفة الصوتية في عكس اتجاه قانون المماثلة، كما يحاول قانون المماثلة التقريب بين صوتين بينهما بعض الاختلاف، يعمد قانون المخالفة إلى "صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات فيغير أحدهما إلى صوت آخر، يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة" أو من الأصوات المائعة (اللام الميم والنون والراء) .)) [202] (ص37).

والسبب في المخالفة الصوتية "هو أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي، يقلب أحد الصوتين صوتا آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهودا عضليا كاللام، والميم والنون .)) [202] (ص41).

وفي ما يلي تتبع لأنواعها مع تقديم بعض الامثلة:

1- المخالفة التقدمية المتصلة: وفيها يؤثر الصوت الأول في الثاني المتصل فيكون الثاني هو المخالف ومثالها: كراسه-كرناسه : رر ← رن.

2- المخالفة التقدمية المنفصلة: وفيها يؤثر الصوت الأول في الصوت الثاني المنفصل فيكون الثاني هو المغاير مثالها: تلعيت والأصل تلععت جيء بالياء بدل "ع" .

3- المخالفة الرجعية المتصلة: وفيها يؤثر الصوت الثاني في الأول كما عند العراقيين إجاص-انجاص، اترج، اترنج.

4- المخالفة الرجعية المنفصلة: وفيها يؤثر الصوت الثاني في الأول المنفصل، فيكون الأول هو المخالف، ومن صور هذا النوع ما وردفي قواعد الصرف من قلب الواو همزة إذا تصدرت قبل واو متحركة مطلقا أو ساكنة من ذلك: وواصل-أواصل، ووافق-أوافق، وو-أو.

5- المخالفة التباعدية: تقع المخالفة التباعدية في الأصوات التي يفصل بينها، من صوت آخر غير مناظر مثل: أخضرضر - اخضوضر ، اعشبشب، اعشوشب.

6- المخالفة الكمية: غالبا ما تكون بين المقاطع الصوتية ومن أمثلتها ما يحدث لضمير المفرد الغائب من تقصير لحركته بعد المقطع الطويل وذلك لمخالفة الكمية بين المقطع لكي لا يتوالى مقطعان طويلان ويصعب نقطهما: لهو-له، بهي-به، لكي-لك.

7- المخالفة بالحذف: وفيها يحذف صوت أو أكثر من البنية اللغوية بدون تعويض بصوت آخر أو تحول مقطعان صوتيان إلى مقطع واحد، فإذا ما توالى في العربية مقطعان صوامتهما متماثلة في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها فإنه كثيرا ما يكتفي بواحد منهما، مثل: حذف إحدى الهمزتين في المضارع مثل أكرم أخرج- أأكرم- أأخرج.)) [197] (ص173).

7- أحمد مختار عمر يقول: "المخالفة : DISSIMILATION: أو DIFFERENTATION عكس المماثلة، لأنها "تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة الخلاف بين الصوتين، وهي صورة تحدث بصور أقل من حدوث المماثلة (...). وإن عامل المخالفة يستخدم لإعادة الخلافات التي لا غنى عنها، ولابراز الفونيمات في صور أكثر استقلالية.

والمخالفة ظاهرة موجودة في كل اللغات.

4.6.3.2.6.المخالفة في الاصطلاح اللساني والصوتي عند الغرب:

1- يؤكد اللغوي 'بروسنهان" Brosnahan أن معظم اللغات تستخدم الأصوات الأنفية والترددية كاللام والميم والنون والراء لتحقيق ظاهرة المخالفة، وقد فسرت المخالفة هنا بأنه إذا كان هناك صوتان متماثلين تمام المماثلة في كلمة ما، فإن أحدهما قد يتغير إلى صوت ثالث والسبب في ذلك أن هذا الصوت يتطلب مجهودا عضليا عند النطق به، ومن أجل تقليل الحد من هذا الجهد يخالف الصوت أحد الصوتين ليتمكن المتكلم من النطق به في سهولة واقتصاد للجهد .)) [197] (ص149).

2- أما "فندريس"فيرى أن المخالفة تطلق على أي "تغيير صوتي يهدف إلى تأكيد الإختلاف بين وحدتين صوتيتين، إذا كانت هذه الوحدات الصوتية متباعدة أو تؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين.)) [197] (ص151). Dissimilation :

3- ويقول أحمد مختار عمر أيضا: " يمكن النظر إلى المماثلة على أنها تهدف إلى تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطق، ولا تلقي بالا إلى الجانب الدلالي الذي قد يتأثر نتيجة تقارب أو تطابق الصوتين، أما المخالفة فينظر إليها عكس ذلك على أنها تهدف إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات ولا تلقي بالا إلى العمل النطقي الذي قد يتأثر نتيجة تباعد أو تخالف الصوتين.

وإذن فالمماثلة والمخالفة يمثلان عاملين يتجاذبان اللغة، ولكل منهما فاعليته وتأثيره، ولكل منهما هدفه وغايته، ومن صراعهما يحدث التوازن بين مطلب سهولة النطق ومطلب سهولة التفريق بين المعاني .)) [168] (ص386).

4- مالمبرج : المخالفة (DISSIMILATION) والممايزة DIFFERENCIATION:

المماثلة تميل على قدر الطاقة إلى تقليل الفروق بين الفونيمات، ومن الواضح أنه لو قدر لهذا الاتجاه أن يعمل بلا ضابط لانتهى الأمر بانعدام وجود الفروق التمييزية تماما بين الفونيمات، تلك الفروق التي لا غنى عنها للفهم والتي تفترض وجود فروق صوتية، وإذا هددت آثارها المماثلة الفروق التمييزية الهامة فالذي يحدث غالبا أن اللغة تقابل هذا بطريقة تمكنها من إعادة ترسيخ الفروق الجوهرية، بل وحتى تأكيد إبراز الشخصية المستقلة للفونيمات، والأصوات التي ننطقها فعلا هي نتيجة توفي بين الميل للمماثلة أو التكاسل البشري إن راق لك أن تسميه كذلك و ضرورة مساعدة الآخرين على فهمنا.

ويعرف التغيير الفونتيكي الذي يؤدي إلى تعميق الفروق بين فونيمين تفصل بينهما فونيما أخرى بالمخالفة، أم إذا كان الفونيمان متصلين عرف بالممايزة .)) [14] (ص120).

3.6. ورقة التعريفات الجامعة في المعجم :

1.3.6. المقطع :

ما يلاحظ أن مصطلح "مقطع" الوارد في تعريف ابن جني للصوت لا علاقة له بدلالته الاصطلاحية التي ظهرت فيما بعد. فالمقطع هنا هو المعيار الذي اتخذه ابن جني في تحديد مفهوم الحرف وعلاقته بالصوت فكلمة (المقطع) يمكن حملها على أنها اسم مكان على وزن "مفعَل" باعتبار أنها تدل على موضع القطع، كما يمكن حملها على أنها مصدرا ميميا باعتبارها تدل على الحدث ذاته وهو القطع.

يقول عبد العزيز الصيغ: "ولم يعن علماء العربية بعده بهذا المصطلح لبعده عن مجال الدرس اللغوي الذي يسود مؤلفاتهم، والمقطع كما سيتضح،من المصطلحات المتصلة اتصالا وثيقا بالجانب الصوتي وتحديده يتصل بالأوزان والموسيقى أكثر من اتصاله بالأداء اللغوي ولذا لا نجد له وجودا في كتب علماء التجويد

على الرغم من عنايتهم الكبيرة بالجانب الصوتي للغة إلا أن علم العروض هو العلم الذي يتصل بهذا المصطلح".)) [165] (ص275-276).أكثر .

فمفهومي الحركة والسكون هما المؤطران الأساسيان لمفهوم المقطع عند علماء اللغة القدماء،ولهذا يستعان بهما لرفع صعوبة تحليل الكلمة إلى مقاطع.

إن المقطع حسب العلماء المحدثين هو الوحدة الأساسية التي تحدث على مستواها معظم الفونيمات الثانوية، وإن اللغات تختلف فيما بينها اختلافا واضحا، مما أدى إلى اختلاف الجانب المقطعي فيها، لذا فإن تعاريف المقطع قد تعددت وتنوعت حسب وجهات نظر مختلفة، وحسب خصائص هذه اللغات أيضا.

تعريف المقطع :

لغة: يقول ابن فارس : "قطع: القاف والطاء والعين أصل صحيح واحد، يدل على صرم وإبانة شيء من شيء، قال: قطعت الشيء أقطعه قطعا .)) [48] (ج5،ص101).

اصطلاحا: له جانبان: جانب صوتي فونتيكي وجانب فنولوجي.

1 : الجانب الفونتيكي:

المقطع في العربية هو مصطلح صوتي تركيبي .

يحمل تعريفه الجوانب الآتية:

1- جانب النشأة: الجانب الفيزيولوجي النطقي لدى المتكلم.

المقطع نتيجة لحركة أعضاء النطق، مما يشكل" قذفة صوتية" أو "نبضة صدرية" محصورة بين انطباقات الجهاز النطقي .)) [168] (ص56-57).

2- جانب النتيجة: الجانب الفيزيولوجي السمعي: لدى المستمع. وهو نتيجة وأثر للجانب الأول (النبضة الصدرية).وهو قمة إسماع.

3- جانب الطبيعة الفيزيائية:

أكوستيكا: وصف للمقطع بعد صدوره عن جهاز النطق، ذبذبات متفاوتةفيما بينها .

2: الجانب الفنولوجي: حسب كل لغة أو مجموعة من اللغات.

1- التشكل والبناء: يبدأ بصامت فصائت، هو أكبر من الصوت وأصغر من الكلمة، وإن كانت هناك كلمات تتكون من مقطع واحد، كما لاتوجد كلمة في أية لغة تحتوي أقل من مقطع واحد، كما لا يوجد مقطع خال من حركة واحدة (صائت) على الأقل.

2- الوظيفة: تتابع الفونيمات (صوامت،صوائت) لتشكيل الكلمات.

2.3.6. النبر:

إن مصطلح النبر في بداية وضعه اللغوي كان مرتبطا بأداء صوتي خاص ، وهو "الهمز" وهو مرتبط أساسا بصوت الهمزة وفيه ارتفاع وعلو ، ثم ارتبط بعدها بكل ماله علاقة بالارتفاع والعلو في الصوت خاصة.

إذن فالهمز والنبر عند العرب كانا يستخدمان لمدلول واحد، ولم يكونوا يفرقون بينهما ، فإذا كان النبر في عرف علم اللغة الحديث الضغط على أحد المقاطع مما يؤدي إلى علو الصوت عند نطقه، فإن الهمز هو: "الضغط" ومنه الهمز في الكلام لأنه يضغط.

ووجد مصطلح "المطل" عند ابن جني بمعنى النبر ، وهو زيادة قوة الارتكاز بالإشباع أو التضعيف، ويكون ذلك بزيادة الضغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السمع.

مما تقدم نستنتج أن قدامى اللغويين العرب لم يعرّفوا النبر بمعنى الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة، وهذا وجه الاختلاف بينهم وبين علماء اللغة المحدثين ، ولعل ذلك راجع إلى كونه لا يقوم بوظيفة دلالية في العربية الفصحى التي تعتمد أكثر على الصرف في الإبانة عن المعاني واختلافها، على عكس اللهجات .)) [126] (ص177).

ولكن يجدر بنا القول إنهم قد لاحظوا هذه الظاهرة وإن لم يصرحوا بها ،ولم يستعملوا لها مصطلحا محددا، وعبروا عنها بمصطلحات مختلفة كالهمز والعلو والمطل والإشباع والحفز القوي وكلها مصطلحات تصب في نفس المعنى العام الذي يشير إليه مصطلح النبر حديثا كما سنرى.

تعريف النبر:

لغة : يقول ابن فارس: نبر: النون والباء والراء أصل صحيح يدل على رفع وعلو، ونبر الغلام صاح أو ما يترعرع، ورجل نبار: فصيح جهير، وسمي المنبر لأنه مرتفع ويرفع الصوت عليه، والنبر في الكلام الهمز أو قريب منه. وكل من رفع شيئا فقد نبره .)) [48] (ص380).

اصطلاحا: هو مصطلح صوتي موقعي ، يقتضي طاقة زائدة أو جهدا عضليا إضافيا.

له جانبين أيضا: فونتيكي وفنولوجي.

أولا :الجانب الفونتيكي:

فيزيولوجي لدى المكلم : هو نشاط وجهد ذاتي في جميع أعضاء النطق في وقت واحد (ضغط). مما يؤدي إلى زيادة محسوسة في حركة الأوتار الصوتية.

فيزيولوجي لدى المستمع: هو علو وبروز لنواة مقطع من المقاطع (صائت) أكثر من غيره، مما يميز الكلمة عن غيرها.قمة إسماع .

ثانيا :الجانب الفنولوجي: يؤدي إلى معرفة مقاطع الكلمة والكلمات .

وهو نوعان:

1- نبر الكلمة: يقع على مقطع من مقاطع الكلمة مما يؤدي إلى بروزه. وعليه فاللغات النبرية هي التي يؤدي فيها النبر على مقطع كلمة ما إلى تغيير دلالتها.

2- نبر الجملة: ناتج عن نبر الكلمة، فبروز المقطع يؤدي إلى بروز الكلمة في الجملة ، حسب غرض المتكلم ومقصوده ، فالمقطع إذن هو تشكيل صوتي (أقله صامت وصائت) بارز، والنبر هو بروز أعلى من البروز العادي لكل مقاطع الكلمة.

و هناك تصنيفان للغات حسب تأثير النبر في تغير الدلالة فنجد:

1- اللغات النبرية : هي التي يعتمد المعنى فيها على نوع النبر ودرجاته ومواقعه من الكلمة كالانجليزية والألمانية والاسبانية.

2- اللغات غير النبرية: مثل اليابانية والعربية فالنبر على مستوى الكلمة في العربية له قوانين ثابتة مطردة لا تحتمل أي تنوع في درجاته ومواقعه، ومن ثم لا يعنيها أي تغير دلالي على أي مستوى من مستويات اللغة .)) [126] (ص515).

3.3.6 التنغيم :

يتبين مما سبق أن علماء التجويد عرفوا كنه التنغيم في التجويد القرآني، وما ذكرهم للأداء الصوتي في القرآن، وكيفية تأثيره في المستمع وإظهار معناه ، بأن يولي القارئ اهتماما كبيرا بالأغراض التي ترد فيه، ويتفاعل معها إلا تجسيد لمعنى التنغيم وأثره في المستمع . ولعلماء العربية إشارات ذكية تدل على تنبههم لما للتنغيم من أهمية في تفسير وتوضيح المعاني والإعراب.

وإن الجوانب التي نراها في اهتمام علماء القراءات بطرق أداء القرآن الكريم وتجويده توقفنا على كم هائل من المصطلحات التي تحمل في طياتها آليات التنغيم ودرجاته. فقراءة التحقيق هو (إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيق الهمز، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف وهو بيانها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل واليسر والتؤدة). هي في حقيقة أدائها صورة من صور التنغيم في قراءة القرآن الكريم. وأنواع الوقف في القراءات تحتاج إلى دراسة لأن النغمات التي تنشئ عنها متباينة وتؤدي معاني مختلفة. وقد دأب العلماء عند طباعة المصاحف الكريمة إلى وضع علامات ورموز اصطلاحية تعين القارئ على القراءة الصحيحة المجودة، لأن تلك الرموز والعلامات لها دور كبير في إبراز وبيان مظاهر التنغيم من سكت، ومد ووقف ووصل كما أن علامات الترقيم في الكتابة العربية تقوم مقام التنغيم والأداء الصحيح، من نقطة وفاصلة وفاصلة منقوطة وعلامات الاستفهام والتعجب وغيرها.

ونجد كما بشر في ختام حديثه عن ظاهرة التنغيم يقول: "من هنا نقرر "أن التنغيم بوصفه ظاهرة صوتية مهمة في عملية الفهم والإفهام وتنميط الجمل إلى أجناسها النحوية والدلالية المختلفة، كان مستقر أمره في

وعي علماء العربية، وإن لم يأتوا فيه بدراسة نظرية شاملة تحدد كنهه وطبيعته ودرجته.)) [143] (ص552).

تعريف التنغيم:

اصطلاحا: هو مصطلح صوتي أسلوبي. أثر سمعي.

هو موسيقى الكلام ، بعني ارتفاع وانخفاض وتغير في النغمات ، أي في المستوى الصوتي .وهو مجموعة معقدة من الأداء الصوتي لما يحمل من نبرات ونغمات وفواصل صوتية وتتابعات مطردة للحركات والسكنات والوقفات والسكتات التي يحدث فيها الكلام. فهو كل ما يحيط بالكلام المنطوق المسموع.

والنغمة هي صعود أو هبوط في المستوى الصوتي في الكلمة الواحدة، ومجموعها يشكل لنا التنغيم في الجملة والنص.

وعليه فكل اللغات تنغيمية.

وليست كلها نغمية حيث نجد:

1- لغات نغمية: تكون النغمة فيها على مستوى الكلمة الواحدة فونيما تمييزيا ، بمعنى تغييرها يؤدي إلى التفريق بين دلالات الكلمة الواحدة ، كما هو الحال في اللغات النبرية (راجع النبر في الدراسة المصطلحية).

2- لغات غير نغمية: وهي التي لا تستخدم النغمة فونيما تميزيا لدلالات الكلمة الواحدة.

وخلاصة القول:

1- إن التنغيم ركن أساسي في الأداء لا تخلو منه أي لغة من لغات البشر.

2- إتقان التنغيم ومعرفته أمر بالغ الأهمية لما له من صلة بالمعنى فهنالك وظيفتان أساستان للتنغيم وظيفة أدائية ووظيفة دلالية.

3- التنغيم يقتصر على التراكيب المسموعة أما التراكيب المكتوبة فقد استعاضت عنه ببعض رموز وعلامات الترقيم لتدل بها على الاستفهام والتعجب والاستغاثة والدهشة وغير ذلك.

4- إن أساليب الاستفهام والنداء والإغراء والتحذير التي تناولها النحاة بالدرس والتقعيد تحمل في طياتها عند النطق بها تنغيمات مختلفة.

5- النحاة عند استنباطهم قواعد اللغة العربية اعتمدوا على السماع ومشافهة الفصحاء، وعلى ضوء سماعهم وضعوا القواعد، والعربي عند تحدثه كان يستعمل طرقا معينة في أدائه (تنغيمات)، فالنطق بالإغراء له نمط معين وللتحذير أداء محدد وكذلك التعجب.

6- إن علماء العربية كسائر الناس خبروا التنغيم ومارسوه في أدائهم الفعلي للكلام ولم يفعلوا ذلك بالتلقين والتعليم، بل كانوا يأتون به على وجهه الصحيح بالعادة والدربة "ويظهر ذلك على وجه الخصوص في قراءة

القرآن الكريم وفي إنشاد الشعروإنشائه، حيث لا يتم إلا بتلوينات موسقية تؤاخي بين القارئ أو الشاعر أو المنشد والسامع .

4.3.6 الإدغام :

لغة: الإدغام: في اللغة: إدخال الشيء في الشيء، يقال: "أدغمت الثياب في الوعاء" إذا أدخلتها، وفي الصناعة: إسكان الحرف الأول وإدراجه في الحرف الثاني، وسمي الأول مُدغما والثاني مدغما فيه، وقيل هو إلباث الحرف في مخرجه مقدار إلباث الحرفين نحو: مدّ وعدّ..)) [119] (ص15) .

اصطلاحا: هو مصطلح صوتي صرفي.

هو مصطلح ارتبط أكثر بقراء القرآن الكريم، ثم تناوله النحاة واللغويون.

وعرف عند القدماء بمصطلحين:

1- الإجراء الصوتي: "المماثلة" أو "المضارعة" أو"التقريب" بين الصوامت، أو"الإمالة" بين الصوائت.
2- الناتج عن هذا الإجراء: هو الإدغام.

الإدغام: علاقة بين الأصوات ، ناتجة عن حركة عضوية من أجل تغيير مخرج الصوت ليناسب الصوت المجاور، فقد يترتب على تجاور صوتين متجانسين أو متقاربين أن أحدهما يفنى في الآخر، وهو ما اصطلح على تسميته في كتب القراءات بالإدغام. ويتم حيث يوجد وفرة من الأصوات لتكون هناك وفرة من الفرص، فلا يكون الإدغام في حروف الحلق لقلتها .

وهو عندهم نوعان: كبير لكثرة الأعمال فيه (بين متحركين).

وصغير لقلة الأعمال فيه (ساكن ومتحرك).

وهو أيضا: كامل: اختفاء تام لآثار أحد الصوتين.

ناقص: بقاء أثر أحد الصوتين.

فهو فيزيولوجيا : عبارة عن حركة لأعضاء النطق.

وفنولوجيا عبارة عن علاقة صوتية، اندماج صوتين في صوت واحد غالبا ما يكون مشددا.

5.3.6.المماثلة :

تعريف المماثلة:

لغة: يقول الأصفهاني: مثل: أصل المثول الانتصاب، والممثل المصور عل مثال غيره، يقال مثل الشيء أي انتصب وتصور، وتصوره، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ("من أحب أن يمثل له الرجال فليتبوء مقعده من النار") ، والتمثال الشيء المصور، وتمثل كذا تصور، قال تعالى: "فتمثل لعا بشرا سويا"، والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره (...) والمثال يقال على وجهين أحدهما بمعنى المثل نحو ِشبه وَشبه ونقِض ونقَض وقال بعضهم: وقد يعبر بهما عن وصف شيء نحو قوله: "مثل الجنة التي وعد المتقون"، والثاني: عبارة عن مشابهة لغيره في معنى من المعاني أي

معنى كان، وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة ، وذلك أن الند يقال فيما يشارك في الجوهر فقط، والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط والمساوي يقال فيما يشارك في الكمية فقط، والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط والمثل عام في جميع ذلك، ولهذا لما أراد الله تعالى نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال: "ليس كمثله شيء .)) [77] (ص462) .

وعليه فإنه ينفي من مرادفات المماثلة المشاكلة والمساواة، والمشابهة وغيرها لأن كلا منها يختص بجزء واحد من أجزاء الآخر،أما المماثلة فتعم كل شيء.

اصطلاحا: مصطلح صوتي صرفي.

وهو تقارب صوتين متجاورين (صامتين ، صائتين ، صامت صائت) في المخرج، أو الصفة بسبب تأثير أحدهما في الآخر، من أجل تحقيق نوع من التماثل الصوتي، فيكون الناتج في الغالب صوتا واحدا مشددا (الإدغام)، أو صوتا جديدا سهل النطق مناسبا للصوت الموجود أصلا.

- المماثلة أعم من الإدغام.

وعليه يمكن القول إن:

المماثلة Assimilation : تأثر أصوات اللغة بعضها ببعض، مع اختلاف درجة التأثر من صوت إلى آخر، والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج، اقتصادا في الجهد العضلي المبذول ، ويمكن أن يسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة.

وبذلك يدخل في مفهوم المماثلة موضوعات الإدغام والإعلال والإبدال والإمالة والإتباع وغيرها مما يدخل في مفهوم (تقريب الصوت من الصوت)، أو ما أسماه ابن جني(الإدغام الأصغر) ، وصور التأثير هذه تحدث بين الصوامت أو بين المصوتات أو بين الصوامت والمصوتات.)) [198] (ص123) .

المماثلة عند الغرب: Assimilation :

1- إحلال صوت مكان <u>صوت</u> تحت تأثير صوت <u>ثالث</u>.(عند العرب <u>صوتين</u> فقط).

2- الإدغام: A مع C الناتج: B صوت جديد مختلف.الموقعية.

الإدغام والمماثلة :

قد عهدنا من القدماء أن يتناولوا الإدغام كمشكلة نحوية ، إلا أن بعضهم يغوص في أعماق هذا التشكل الصوتي فينظر إليه نظرة صوتية في إطار مفهوم التأثير والتأثر.

وهكذا فمن حيث المفهوم يمكن أن نرفع الإشكال الحاصل حول علاقة التماثل بالإدغام، فالتماثل وضع تختص به الوحدات الصوتية المقترنة والمتقاربة من حيث المخرج والصفة، أي درجة من التقارب، أما الإدغام فهو إجراء نطقي يفعله المتكلم بناءا على درجة التماثل الحاصل بين الوحدات.

فمفهوم التماثل مرتبط بالمستوى الصوتي التركيبي (الفونتيك والفنولوجيا) أما الإدغام فهو نتيجة نطقية سياقية، ولهذا فهو يرتبط بالمستوى الفونولوجي أكثر ، وهذا الفرق بين المفهومين هو إحدى أوجه حركية الأنظمة الفونولوجية بحيث إن مما يميز النظام الفونولوجي عامة هو عدم الثبات. إذن الفرق بين المماثلة بمفهومها العصري والإدغام بمفهومه العربي يكمن

-وحسب الباحث التونسي الطيب بكوش- الذي يقول:" ويحسن أن نقابل هذا التحديد (تحديد القدماء لمفهوم الإدغام) بتعريف المفهوم الصوتي المقابل في علم الأصوات العام وهو Assimilation ، والذي يعرف بأنه نزعة صوتين إلى التقارب في المخارج أو الصفات سواء تماثلا أو لم يتماثلا، وواضح أن الفرق بين المفهومين جوهري، في حين يدل المفهوم العصري على ظاهرة تعاملية تقرب بين الأصوات المختلفة بدل المفهوم العربي على ظاهرة نطقية تدمج الأصوات المتماثلة، ولا يلتقي المفهومان إلا في الحالة التي يصل فيها التقريب إلى التماثل. إلا أنهما يتشاركان في الهدف وهو اجتناب الثقل واختصار المجهول أي في الاقتصاد.)) [196] (ص21-22).

إن علماء العربية لم يميزوا بين التماثل والإدغام، بل عندهم الإدغام فقط، إلا أننا نجد مفهوم التماثل الجزئي حاضرا في أحد قسمي الإدغام عند ابن جني وهو الإدغام الأصغر، قال: وأما الإدغام الأصغر فهو تقريب الحرف وإدنائه منه من غير إدغام يكون هناك .

أما الهدف العام من إجراء الإدغام فهو النزول عند القوانين الثلاثة التي تحكم نظام التقريب بين الأصوات، وهو قانون التجانس، وقانون التأثير والتأثر، وقانون التجاذب بمعامليه (غلبة القوى وإرادة التخفيف).

ويستخلص مما سبق أن المصطلحين (الإدغام، المماثلة) يلتقيان في نقاط عدة ولا تكون العبرة بالمسميات بل قيمة المصطلحات في مضامينها وما تحمله من جديد، وتماشيا مع النظرة إلى المصطلحين زمانيا ارتسمت لدينا قناعة أن كلتي الظاهرتين لم تصب بجمود أو اجترار بل كانت تحقق تقدما مع مطلع القرون ومسايرة علوم العصر، على الرغم من هذه الفروق يبقى مصطلح الإدغام بمفهومه العربي القديم خاصة، ومصطلح المماثلة بمفهومه العصري المنقول عن الغرب المطبق على العربية.

وقد تحدث كثير من المحدثين عن ظاهرة المماثلة والإدغام وتقريب الأصوات والتأثر فيما بينهما أثناء النطق وهم متفقون على أن هذا التغير الصوتي يحدث لحرف أثناء النطق حتى يتم الانسجام الصوتي بين الحرفين المتجاورين سواء كانا متماثلين أو متقاربين وهذا شرط أساسي في باب الإدغام والإبدال على السواء المعبر عنه بالمصطلح الحديث Assimilation.

6.3.6 المخالفة :

عالج القدماء ظاهرة المخالفة موزعة على أبواب صرفية متنوعة ، وكانت أمثلتها متناثرة ضمن هذه الأبواب دون منهج ينتظمها، أو مصطلح محدد يغطي حدودها، ولكن هذا لا يعني أنهم لم يعوا دورها، أو لم

ينتبهوا إلى أهميتها، بل كانوا على وعي تام بها، وإن لم يعرفوها كمصطلح فقد عرفوها كظاهرة صوتية تعرض للأصوات في سياقها، فعالجوها بتسميات متعددة. مثل :كراهية التضعيف،اجتماع حرفين من جنس واحد،ملاطفة الصنعة،استثقال التضعيف وغيرها.

عبر محمود فهمي حجازي عن مصطلح المخالفة بمصطلح المغايرة عندما قال: "المغايرة نقيض المماثلة، تؤدي المغايرة إلى أن تصبح الأصوات المكونة مختلفة بعد أن كانت متفقة أو متقاربة وتتضح المغايرة من الأمثلة الآتية:)) [201] (ص98).

عنوان-علوان ن ن—ل ن.

لعل-لعن ل ل- ل ن.

كرسار – corsar – قرصان. ك ر- ق ر.

وعند المحدثين نجدهم قد تباينوا في استخدام المصطلحات، لكنهم اتفقوا على أنها الوجه المقابل للمماثلة، تسعى إلى تقليل الجهد العضلي ، وهي مظهر من مظاهر التطور يجنح إليه المتكلم لتجنب الثقل الناتج عن التضعيف.

تعريف المخالفة: DISSIMILATION

لغة: يقول أحمد ابن فارس: "خلف: الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قدام، والثالث التغير.)) [48] (ج2، ص210).

اصطلاحا: مصطلح صوتي صرفي."ضد المماثلة":

هي تغيير أحد الصوتين المتماثلين إلى صوت مختلف غالبا ما يكون أحد الأصوات المتوسطة (واو، باء، ميم، لام) من أجل تقليل الجهد العضلي فسميت المغايرة.

فالمخالفة هي نتيجة لإجراء صوتي وهو "المغايرة" يستلزمه النظام الصوتي وهو: أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي، يقلب أحد الصوتين صوتا آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهودا عضليا كاللام، والميم والنون .)) [202] (ص41)

والهدف منها إعادة الخلافات التي لا غنى عنها، وإبراز الفونيمات في صورة أكثر استقلالية.

خاتمة

من كل ما سبق يمكننا أن نسجل– إضافة إلى خلاصة كل فصل من فصول الدراسة - النتائج التي توصل إليها هذا البحث، وهي نتائج مرتبطة مباشرة بالعمل المعجمي العربي في ماضيه وحاضره ومستقبله :

1- إن الحديث عن المعجم العربي يعني الحديث عن ذاكرة الفكر العربي الإسلامي بكل ما يحمله من آثار ومآثر، ومن إيجابيات وسلبيات، ومن تقدم وتأخر، ومن تقليد وتطوّر، وهو حديث عن وثيقة تاريخية استطاعت أن تستوعب كل هذا عبر فترات متلاحقة من الزمن، مستدركة ، مكمّلة ومعقبة، تعبر عن مختلف مظاهر الحياة العامة والخاصة عند العرب، البسيطة والمعقدة في كل جوانبها التربوية والعلمية والثقافية والحضارية، والتي تشهد بمرونة وطواعية اللغة العربية لأن تستوعب الفكر العربي بكل أحداثه وتحولاته وقضاياه وتشهد أيضا بتميز المعجم العربي، في كلّه المتكامل(عام ، مختص، تاريخي...).

2- إن الحديث عن المعجم العربي لا يعني الحديث عن المعاجم اللغوية العامة لوحدها ولا المعاجم المختصة لوحدها، بل هذا الكل المتكامل،وهذا ما نلح عليه في هذا البحث ،نظرا لما لاحظنا من إهمال شبه تام للمعجم المختص كما سبق أن ذكرنا، ومنه يمكننا القول إن علماء العربية قديما على اختلاف تخصصاتهم وتمذهباتهم وحتى إيديولوجياتهم، قد عرف كل واحد منهم مكانه ودوره، ومكان غيره ودوره، كل في مكان اختصاصه، حتى يشكل ويبني الجميع المعجم العربي الكامل، الذي لا يمكن أن ينظر إليه في عمل فرد واحد، ولا حتى مؤسسة واحدة، أو ينظر إليه في فترة واحدة من فترات تاريخه المتعاقبة، بل ينظر إليه نظرة شمولية كلية وليست جزئية في عناصرها المتكاملة، وهو يكون في مختلف مظاهره العامة والمختصة وثيقة تاريخية قابلة للوصف والتحليل والاستنتاج من أجل الوصول والجزم بمرونته وشموليته لكل مظاهر حياة العربي اللغوية وغير اللغوية.

وكل هذا لا يمكن التحقق منه إلا بدراسة أمثلة حيّة واقعية في سياقاتها الطبيعية تخضع لكل ما يطرأ من تغير وتحوّل في الحياة بمختلف مظاهرها التي تؤثر حتما في لغتها وبنائها بما تحمل من ألفاظ ومدلولات.

3- وإن الاهتمام ببناء المعاجم أمر يتعلق بالمستوى الحضاري لأبناء اللغة، فكثيرًا ما تكشف المعاجم عن حضارة أصحابها ودرجة تقدّمهم أو تخلفهم ،ومقدار ما حققوه من تقدّم علمي يواكب التطوّرات الحديثة في المجال العلمي والتكنولوجي، يضاف إلى ذلك ضرورة الاهتمام بتأليف المعاجم المتخصصة التي تتخذ من المصطلحات العلمية والفنية المستجدة واستعمالها وتوظيفها متنا لها.

4- بدأت المعجمية العربية في منتصف القرن الأول للهجرة (أواخر القرن السابع الميلادي) انطلاقا من غريب القرآن والحديث، وكانت غايتها أولا وأساسا لتفسير غريب القرآن ، وتاليا تفسير غريب الحديث ، ولاحقا تفسير غريب الشعر واللغة ككل. ومما لا شك فيه هذه الكتب وكل الرسائل اللغوية المفردة في موضوعات مختلفة (لغوية وغير لغوية) تعتبر نواة المعاجم اللغوية العربية الكبيرة واحتلت حصة كبيرة من مساحتها العامة.

5- إن الرسائل اللغوية المفردة لا تعتبر مرحلة أولى للمعاجم العربية ثم توقف التأليف فيها، بل ظلت مستمرة حتى بعد نضج المعاجم مع الخليل ومن جاء بعده (كما رأينا)، وهي تختلف فيما بينها من حيث الشمول، حتى قارب بعضها المعاجم العامة، فصارت بذلك معاجم مختصة في مجال معين مثل النهاية في غريب الحديث لابن الأثير والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني، وكتاب النبات للدينوري وغيرها.أو ما يطلق عليه حديثا بمعاجم الحقل الدلالي.

6- تعد معاجم الموضوعات امتداد للرسائل المفردة من جهات عدّة، منها أنّها ضمت أكثر من موضوع جزئي تحت باب واحد، فجمعت أكبر قدر ممكن من موضوعاتها، هذا من حيث الحجم. ومن حيث المنهج، فإن أصحاب الرسائل اللّغوية الصغيرة وضعوا أسس تأليف كتب الموضوعات ، ولكنّهم أضافوا إليها، وتوسّعوا في الشرح والتفسير واستطردوا في ذكر الشواهد، وأهم من ذلك كلّه أعادوا ترتيب المواد وتنظيمها وتنسيقها.وترتيبها موضوعيًا غالبا ما يكون المنطق هو الأساس المعتمد في ذلك . فهي :

-أكبر حجما.

-تجمع أكثر من رسالة واحدة.

-تجمع الرسائل المتشابهة في حقل واحد (موضوع واحد).

-أكثر شرحا واستيعابًا لمعنى المفردات.

-أكثر انتظاما وترتيبًا (المنهج).

وعرفت هذه المعاجم تسميات مختلفة: كالصفات والألفاظ، والغريب المصنّف ومعاجم الموضوعات ومعاجم المعاني، وكلّها تطلق على نمط متشابه من التأليف مختلف تماما عن معاجم الألفاظ .

7- حصر المعجميون العرب الجمع زمانيا بما قيل أو سمع من أدب الجاهلية أو صدر الإسلام ، ومكانيا فيما نطقت به البدو دون الحضر ، لم يدونوا في معاجمهم " إلا ما صح لهم رواية ودراية وسماعا من أصحاب اللغة الأصلاء " حسب تعبير صاحب الصحاح، ونسجوا على نسق سابقيهم متجاهلين الكثير من مصطلحات العلوم والفنون المختلفة ومصطلحات المظاهر الحضارية والحياتية التي ابتكرت وسرت على يد علماء كبار في شتى دروب المعرفة كالطب والنبات والرياضيات والفلك والتاريخ و الجغرافية ، التي قد خصصت لها مكانها في المعجم المختص.

8- وعلى هذا التحديد لنوع ومكان وزمان المصادر (مع أغلب المعاجم القديمة كما رأينـــا)، فإنهـــا تضيّق دائرة اللغة ولا تكاد تسلّم إلا بما اتفق واصطلح عليه علماء اللغة من مكان وزمان محددين تقريبا عند أغلبهم ، وبتضييّق دائرة اللغة وإهمال عصورها الأخرى تغفل بل تلغي قانون التطور الذي تتعرض لـــه أي لغة من اللغات وهو ضرورة حتمية لوجودها وبقائها واستمرارها أيضا.

9- بالإضافة إلى أن هذه المعاجم قد اشتركت فيما بينها خاصة في وحدة المتن اللغوي الذي تحتويـــه، فلم تتطور مادّتها إلاّ قليل مما يجب ويتطلّبه الوضع اللغوي الواقعي في كل فترة، فكان المعجم العربي يعيـــد نفسه في كل مرحلة من مراحل تاريخه إلى يومنا هذا، فثمة رصـــيد هائـــل مـــن المولّـــدات الموضـــوعية والمستعملة طول عشرة قرون تاريخ العربية تحمل مفاهيم مجرّدة وأدوات وتقنيات لم تحض باهتمام مصنّفي المعاجم اللّغوية القديمة فلم يتطور المعجم العربي في محتواه، لأن مصادره القديمة والحديثة ينقل بعضها عن البعض، وصولا إلى المعاجم الحديثة. حيث إن متطلبات المعجمية العربية القديمة واحتياجاتها تختلف تمـــام الاختلاف عنها حديثا، لكن المحدثين ما زالوا يؤلفون على نفس النمط والنظام ، وتضم معاجمهم تقريبا نفس المتون اللغوية (المدخل ، الشرح ، الشواهد ، المعلومات الصوتية ، الصـــرفية ، النحويـــة...الـــخ) التـــي ضمتها المعاجم القديمة ، رغم أن الواقع اللغوي يختلف أشد الاختلاف فيما بينها .

10- إن القدماء بتمسكهم بمبدأ الصفوية اللغوية ، إنما كان لدفاعهم عن لغة القرآن أولا ، ولخـــوفهم من ضياع اللغة السليمة ثانيا، فجعلوا المعاجم مجامع اللغة فحفظت وحدتها وخلصتها من الانقسام إلى لغـــات مختلفة، على غرار ما حدث للغة اللاتينية. أما المحدثون فقد كان تمسكهم بمبـــدأ الصـــفوية اللغويـــة بـــدافع الخوف أيضا من ضياع اللغة ، لكن بشكل مختلف وهو خوف من فساد اللغة وعزلها عن الاستعمال الحقيقي وواقع الحياة . فالخطر متشابه لكن بينهما فرق دقيق يفترض فروقا دقيقة أيضا بين المعجميتين القديمـــة والحديثة – ولا بأس لهذه الأخيرة من الاستناد للقديمة ، لكن مع مراعاة مستجدات الوضع والواقـــع اللغـــوي الحديث ، ليس على مستوى المتن (المدخلات) فقط ، بل خاصة على مستوى البنـــاء الـــداخلي والخـــارجي أيضا .وبذلك يمكننا القول إن المعجم العربي القديم قد استوعب تقريبا كل اللّغة العربية بمستوياتها المتباينـــة المختلفة، ولكن ليست مجمّعة في معجم واحد، بل موزّعة بانتظام على المعاجم العامّة والمختصّة على حـــد سواء . فنجد الغالب في المعاجم اللّغوية هو الفصيح، ونجد المولّد والأعجمي ودونهما في المعاجم المختصة، والعلمية منها خاصة.

11- يبدو أن المعاجم العربية – اللغوية خاصة – لم تول أهمية كبيرة لقضية المصطلحات إلا منذ وقـــت قصير نسبيا، ولعل الفيروز أبادي في معجمه اللغوي " القاموس المحيط " يمثّل أول محاولـــة فـــي تجـــاوز الدلالات اللغوية وتسجيل نسبة كبيرة من المصطلحات العلمية والفنية. ويمكننا القول إن الأمر عادي نوعـــا ما لأنها معاجم مفردات لغوية و ليست معاجم مصطلحات علمية أو فنية.

وليس معناه أن المعاجم العربية القديمة بعامة لم تكن تدرك أهمية المصطلح فقد نبه الخوارزمي الكاتب (387 هـ- 997م) صاحب مفاتيح العلوم إلى هذه القضية منذ أواخر القرن الرابع الهجري ، وإنما القصد هو أنها كانت تفصل في معاجم مختصة ولا تدرج ضمن المعاجم اللغوية، وهذا أقرب إلى المنطق والمعقول. وهذا لا يعني أيضا أننا نطالب المعجم اللغوي برصد جميع المصطلحات الأكثر خصوصية ، فنحمله فوق طاقته ، وتبعده عن هدفه اللغوي ، وإنما المطلوب أن يترصد أهمها من ذوات التداول الواسع بين الناس ، متبوعة بتعاريف موجزة تناسب هدفه ، مؤكدا على ذلك بالتنصيص على المجال أوالحقل المعرفي الذي ينتمي إليه المصطلح.

12- إن أصحاب هذه المعاجم ينتهجون تقريبا منهجا واحدا تأليفها وفي تصورهم لبنائها المعجمي، ونجدهم يشتركون في مجموعة من الظواهر فيها منها:الترتيب الألفبائي (حسب الأوائل والثواني والثوالث)، والترتيب الداخلي (فعل ، اسم ، مجرد ،مزيد ...) ووضع المداخل على رأس الصفحات، والاختصار بحذف كثير من المواد غير اللغوية كالأعلام والبقاع وحتى بعض الألفاظ اللغوية كالألفاظ البذيئة وأسماء العورات وغيرها لعدم الحاجة إليها بالنسبة لهم ، واستخدام الرموز والتوسع فيها ، وكذا ضبط الكلمات ضبطا دقيقا، بالإضافة إلى عنايتها بما استجد من ألفاظ اصطلاحية مولدة وعامية ، ومسيحية خاصة باعتبار أن أغلب مؤلفيها مسيحيون.

13- إنها مؤلفة لجمهور خاص يختلف تمام الاختلاف عن جمهور أصحاب المعاجم القديمة ، ألا وهو جمهور طلبة المدارس والثانويات والجامعات أيضا ، مما شكل ما يسمى بالمعجم المدرسي بعدما كانت تؤلف قديما للعلماء والمتبحرين في اللغة والمختصين ، فبالضرورة ستكون مادتها أقل تعمقا في اللغة وأقل توسعا فيها ، مما أدى إلى إهمال بعض الجوانب والتفسيرات التي تدعم المفردة اللغوية على رأسها الشواهد التي كادت أن تهمل ويلغى وجودها في هذه المعاجم مع ما لها من قيمة دقيقة في فهم دلالة المفردات وتاريخها وتطورها اللغوي إذ هي أدلة ظهورها ووجودها وتحولها وتطورها.

14- إن المعاجم اللغوية العربية الحديثة قد عرفت اتجاهين اثنين :

أ- اتجاه التجديد مع المحافظة على المتن المعجمي القديم ،على غرار ما فعل صاحب المحيط ، وأقرب الموارد وغيرها. فبقيت عالة على المعاجم القديمة وأهملت الاستعمال الحقيقي للغة .

ب- اتجاه التجديد مع إدخال تغييرات شكلية احتذاء بالمعاجم الحديثة في اللغات الحية على غرار ما فعل صاحب المنجد ومجمع اللغة والمعجم الوسيط ، وذلك عن طريق التطوير الحاصل في بعض الجوانب الشكلية كاستخدام الصور التوضيحية واللوحات، وإدخالها للمصطلحات الحديثة التي ظهرت في مختلف العلوم والفنون في هذا العصر.

15- إذا كانت الدراسات المعجمية الحديثة لم تعمل على جرد أنواع المعاجم المختصة في التراث العربي على غرار ما فعلت مع المعاجم العامة، فهذا لا يعتبر مبررا لإهمال دراستها، حيث إن إلقاء نظرة

متفحصة فيما ألف في المجال المعجمي منذ بداية التأليف فيه، تظهر لنا أن اللغويين والعلماء العرب القدماء قد أولوا أهمية كبيرة للمعاجم المختصة منذ نشأتها، وسلكوا فيها مناهج مختلفة على غرار ما هو الحال في المعاجم العامة.وقد رأينا فيما سبق (موضوع الرسائل اللغوية) أنهم أتوا فيها – أوكادوا– على جميع أصناف الموجودات من العالم اللغوي والعالم الخارجي وسبق إعطاء صورة تفصيلة توضيحية لأهم موضوعاتها في الفصل التمهيدي. وربما يصح أن نقول إنها أول محاولة لتأليف معجم مختص ، على اعتبار أن أهم ما يميزه هو تخصيص الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه المفردات المشروحة والمعرفة، بالإضافة إلى أن هذه الكتب ظلت مستمرة حتى العصر الحديث مع تطوير وتحسين في بنائها من حيث طريقة الترتيب خاصة.

16- وبذلك فإن المعجم العربي قد عرف أنواعا وأصنافا، أهمها المعجم اللّغوي العام، والمعجم المختص بنوعيه العلمي والفني، وقد حوى هذان الأخيران من المصطلحات الدّالة على المفاهيم المجرّدة، وعلى العلوم والتقنيات (السائدة في عصرهم) ، ما يلغي تماما فكرة القول بأن المعجم العربي لم يدوّن إلاّ الألفاظ اللّغوية، ولعلّ هذا الكلام صحيح لو لم يعرف العرب التأليف المعجمي المختص، الذي كان للاقتراض المعجمي فيه دورٌ كبيرٌ وهامٌ في إثرائه من جهة، ومن جهة أخرى في إبراز قدرة اللّغة العربية على استيعاب الثقافات الأعجمية الوافدة عليها مشرقا ومغربا، فتجاوزت الثقافة البدوية بكل ما تتميز به من جمال ومعالم دقيقة إلى ثقافة علمية حملتها لغة علمية طيّعة مستوعبه لثقافات وعلوم الأخرى. وهي لم تصبح ما أصبحت عليه إلاّ بفضل ما كان يسود المجتمع العربي الإسلامي من التفتح والإنفتاح الثقافيين الحضاريين نتيجة ما كان عليه من استقلال وقوّة.

17- كان العرب القدامى على وعي بأهمية المعجم المختص عندما ألفوا المعاجم المختصة وأعطوها من العناية ما جعلها تبدو قرين المعجمية العامة أحيانا، كمعاجم الموضوعات العامة وأحيانا أخرى ذات نزعة واضحة نحو الاستقلال كما في المعاجم العلمية والفنية.

18- إن العرب قد عرفوا التأليف في المعجم العلمي المختص، وقد بدأ وتواصل بالتأليف في الأدوية المفردة خاصة بتأثير من اليونانيين بخلاف تأليفهم في المعجم اللغوي العام الذي كان محض اكتشافهم وخالص تجربتهم ، وذلك لارتباطه الأساس بتفسير النص القرآني وغريبه كما رأينا سابقا. وتدرجت تقنيات إعداد المعجم المختص قديما من مستوى رسائل الموضوعات الخاصة إلى مستوى أرقى يتمثل في المعجم العلمي المختص الأحادي اللغة أو متعدد اللغات، كما ظهر عند ابن البيطار وغيره من علماء النبات والطب والصيدلة في ترجماتهم لديوسقريدس وجالينوس اليونانيين، فقد أرسى المؤلفون العرب القدامى المبادئ العامة لإعداد المعجم العلمي المختص، متضمنة الهدف من تأليف المعجم وقضايا جمع المادة والاستخبار المصدري والتعريف والتبويب والتصنيف.

19- درج المعجميون العرب على الاعتماد على المصادر اللغوية بدءا بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر ، وصولا إلى الرواية والنقل عن الأعراب ، وإنه مما يلاحظ أنه كلما اتجه التأليف المعجمي إلى التخصيص كلما قل الاعتماد نسبيا على المصدر اللغوي البحت، وذلك بحسب حظ المعجم من الاصطلاحية والعلمية ، فنجد في المعاجم المختصة العامة وفي المعاجم الفنية لجوءا متدرجا من المصدر اللغوي إلى المصدر العلمي والفني المتخصص، كما هو الحال مع "كشاف اصطلاحات الفنون " و" التعريفات " وغيرها ، ونفس الشيء تقريبا فيما يخص المعاجم الفنية الخاصة في موضوع وحقل معين كالفقه أو النحو أوعلم الكلام أوغيرها . أما في المعجمات العلمية المختصة كمعاجم النبات ومعاجم الطب والصيدلة ، فالأمر مختلف إلى حد كبير، حيث إننا نجدها تتقيد بالنص على المصدر العلمي البحت بقوة مقارنة بالمصدر اللغوي الذي يكون فيها قليلا جدا، فهي تحرص على إيراد أقوال العلماء المختصين من علماء نبات وأطباء وصيادلة، فكانت على رأس مصادرهم الكتب والمؤلفات اليونانية وترجماتها الأصلية على يد خاصة يوحنا بن ماسويه واصطفن بن بسيل وحنين بن إسحاق ومؤلفين وعلماء مختصين مسلمين كأبي العباس بن الروميه(ت637 هـ) الذي يعتبر من أعظم النباتيين والعشابين المسلمين، والغافقي والرازي والدينوري وابن سينا وغيرهم كثيرين، بالإضافة إلى تعليقات أصحاب المعاجم أنفسهم الذين كانوا في الغالب من أهل الاختصاص وعلى دراية واسعة بموضوع البحث.

20- إن المصطلح لم يكن يشكل قضية ستوقف العلماء سابقا، إذ نجد كتبهم ومؤلفاتهم تكاد تخلو من أية إشارة أو توقف عند قضية اسمها المصطلح، ولكنهم في الوقت ذاته تعاملوا معها وفق منهجيات مختلفة، تنوعت بتنوع المجالات التي يؤلفون فيها والجوانب التي ينطلقون منها لاختيار مصطلحاتهم، وتنوعت تبعا لذلك الصور التي تم تقديم المصطلح وفقها .

21- إن دقة التعريف في كتب الطب والصيدلة مهم جدا، وغرض مقصود في نفس الوقت، وذلك لخطورة نتائجه على صحة وحياة الإنسان ، ونستطيع أن نسجل نفس الملاحظة على كتب المصطلحات الفقهية وذلك لخطورتها على حياة الإنسان الدينية والدنيوية، والتي لا تصلح ولا يكون لها معنى إلا بها.

فالنمط الأول متصل بصحة الأبدان والنمط الثاني متصل بصحة الأرواح والحرص عليهما واجب محتم. فتعريف المصطلحات من بين أهم مبادئ التأليف المعجمي المختص التي عني بها المعجميون العرب القدامى، إذ لا نكاد نجد معجما تراثيا مختصا واحدا من المعاجم التي اطلعنا عليها يخلو من التعريف ، لغويا كان أوموسوعيا ،أو مصطلحيا.

22- إذا نظرنا في مصادر أعمال كبار المؤلفين في المعجمية المختصة في النصف الأول من هذا القرن مثل محمد شرف صاحب :"معجم العلوم الطبيةوالطبيعية"، وأمين المعلوف صاحب معجم الحيوان، ومصطفى الشهابي صاحب"معجم الألفاظ الزراعية "، وغيرها . وجدناها موثقة من التراث العربي المعجمي القديم .وإن كانت السمة الأساسية الغالبة في أغلبها أنها على هيئة المسارد المصطلحية حيث تعطي

مقابلات بلغات مختلفة اعتمادا على الترجمة ، فهي جميعها معاجم ثنائية اللغة أومتعددة اللغات ، بل إنهـا - باستثناء القليل منها - قد رتبت مداخلها المعجمية على حروف المعجم الأعجمية حسب تتابع المصـطلحات الأعجمية التي اتخذت فيها مداخل رئيسية مرجعية، بينما نزلت المصطلحات العربية فيها منزلـة ثانويـة ، وكأنها مؤلفة لغير العرب رغم أن مؤلفيها عرب في بلاد العرب .

23- وبذلك فهي تفتقر إلى أهم ركن في المعاجم العلمية المختصة وهو التعريف الـذي بغيابـه يفقـد المعجم حتما الدقة والعلمية والموضوعية اللازمة، وحتى تلك المعاجم التي توفرت عليه لم يكن فيها تعريفـا بل سياقات نصية وردت فيها المصطلحات المداخل، مما يدخل في بـاب الاقتباسـات لنصـوص تتضـمن المصطلح، وهذا لا يدخل في باب التعريف بل في فرع صغير من العوامل المساعدة فـي التعريـف وهـو الاستشهاد بالنصوص العلمية، الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعوض التعريـف بقـدر مـا يبـين استعمال المصطلح والدليل على دلالته الخاصة في النص والمجال المعين . فجلها قد اتخذ التعريف بالمقابلة (Equivalence) منهجا عاما، أي بذكر المقابل العربي ومقابل آخر من لغة ثانيـة، وهـذا غالبـا تفيـد المترجمين وليس الباحثين المختصين . ونفس الوضع بالنسـبة للمعـاجم اللسـانية حيـث إن جـل مصطلحاتها توجد في شكل لوائح مصطلحات غربية تقابلها مصطلحات عربية ،أو العكس.والواقع المعجمـي يشهد بذلك. فكلا النوعين من المعاجم المختصة علمية كانت أو فنية تفتقر إلى أهم ركن من أركـان بنائهـا وهو التعريف ، على عكس المعاجم قديما .

بالإضافة إلى تعاملها مع المصطلح العلمي أو الفني كأنه وحدة لغوية معزولة، وتبحث عن مقابل له في اللغة الهدف، دون اعتبار لعلاقته بمصطلحات أخرى، وتعتمد في إيراده الترتيب الألفبائي الذي يطمـس وظيفتـه في بنية الميدان المعرفي الذي ينتمي إليه .

24- وعليه نقول إنّ أمر تحديد وتعريف المصطلحات العلمية ليس من اختصاص مصـنّفي المعـاجم المختصة لوحدهم، بل العمل موكل بالدرجة الأولى إلى جمهور الباحثين المختصين فـي العلـم موضـوع المعجم، فنطمئن بذلك إلى صحة ودقة المدوّنة المعتمدة دون الحاجة إلى البحث فيها والتحقق من المعطيـات المقدّمة في المعجم . ويعتبر تعريف المداخل المصطلحية في المعاجم المختصة من أبرز سماتها التمييزيـة التقييمية شأنها في ذلك شأن المعاجم اللغوية العامة، وبدون ذلك تظل هذه الأعمال المعجمية محدودة الفائدة ، قليلة الجدوى ، أقرب إلى المسارد منها إلى المعاجم ، بل إن عدم التعريف يجعل من توحيـد المصـطلحات أمرا صعبا ويحد كثيرا من فهمها وعليه فإن ضرورة التعريف المناسب للمصطلح في المعاجم المختصـة لا مناص منها، " المهم أن يتوفر التعريف على شروط التعريف الجيد ، ويخلو من العيوب التـي تحـول دون تحقيق الغاية منه. وليست عملية صياغة التعريف مجرد لعب بالكلمات، بل إنها عمليـة ذهنيـة شـاقة ومضنية، ولا يتأتى وضع تعريف دقيق للفظة أو للشيء إلا بعد الإحاطة به ومعرفته معرفةعميقة .

25- إن التحقيق والتدقيق في وضع التعريف المناسب يحقق لنا الآتي:

1- ترسيخ نظام كامل للمعرفة المتخصصة واضح الأركان، يمكن نقله من وإلى العربية.

2- تحديد موقع المصطلح في منظومته من المصطلحات المتصلة به، وبذلك ينقل إلى العربية نظام متكامل من أنظمة معلومات.

3- إتاحة إمكانية وضع مقابل مناسب من اللّغات الأخرى، وبذلك وضع حد للاعتقاد السائد بأن مرادفة المصطلح العربي بمصطلح أعجمي هي نوع من التعريف، وتلك السمة الغالبة على معظم معجمنا العلمية العربية المختصة في العصر الحديث.

4- تلافي التباين في التعريفات المختلفة للمصطلح الواحد في الاختصاص الواحد أو في اختصاصات متعددة، وذلك بضبط المجال الذي ينتمي إليه للمصطلح، والاقتصار على الخصائص الأساسية ذات الصلة الوثيقة بعملية التعريف في إطار منظومة تصورية محددة حتى لا تخرج من الحقل والاختصاص الواحد. وكذلك تغطية شاملة لجميع معاني المصطلح في الحقل العلمي موضوع المعجم حتى لا يجد نفسه في بناء تنخره الفراغات المصطلحية المفهومية.

26- ولعل الأهم من كل هذا هو: ضرورة التحيين الدّائم والمستمر لبنية التعريف، لأنّ الدلالات والمفاهيم ليست ثابتة، بل تخضع لقانون التطوّر، ويبقى التعريف بناء مفتوحًا على كل ما يستجدّ في الساحة المفهومية واللسانية عمومًا.وفي نفس الوقت ضرورة التحيين الدائم والمستمر لبناء المعجم الداخلي والخارجي على حد سواء على مستوى المصادر والمستويات والترتيب و التعريف كما سبق الذكر ، وذلك كلّما دعت إلى ذلك ضرورات ومستجدّات الواقع والعلم الحديث ، فنستطيع بذلك أن نسطر معالم أنموذج معجم تطبيقي عام أو مختص يستعين به مؤلفو المعاجم سواء كانوا أفرادًا أو جماعات في مختلف علوم ومعارف العربية .

قائمة المراجع

1 - أحمد عبد الغفور عطار ، مقدمة الصحاح ، مطابع الكتاب العربي ،دون طبعة ، مصر ، دون تاريخ .

2 - أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، طبعة 8 ، القاهرة ،.(2003)

3 - جون ،أ، هيوود . المعجمية العربية ، نشأتها ومكانتها في تاريخ المعجميات العام ، ترجمة :عناد غزوان ،منشورات المجمع العلمي ،دون طبعة ،جون بلد ،(2004) .

4 - ندوة المعجم التاريخي للغة العربية ، فاس ، مبدع ، المغرب 8 – 9 أفريل 2010 .

5 – إبراهيم مدكور، بحوث وباحثون، الكتاب الأوّل، مجامع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامّة للشؤون المطبعية الأميرية، دون طبعة ، القاهرة،(1963).

6 - حسين نصار، المعجم العربي، نشأته وتطوره، ج1 ، ج2، دار مصر للطباعة، طبعة 4 ، مصر،(1988).

7 - خليل حلمي ، دراسات في اللّغة والمعاجم، دار النهضة العربية، طبعة 1، بيروت ، (1998) .

8- مجلة مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،ع 98 ، ج34(1984) ، ع100 (2003) .

9 - إبراهيم بن مراد ، دراسات في المعجم العربي ،دار الغرب الإسلامي ، طبعة 1،بيروت ، (1987) .

10 - ندوة تاج العروس ، دراسات حول معجم تاج العروس من جواهر القاموس ،طبعة 1 ، الكويت ، (2003).

11- داود حلمي السيد ، المعجم الانجليزي بين الماضي و الحاضر ، دراسة في منهج معجمة اللغة الانجليزية ،طبعة 1 ،الكويت ،(1978)

12 - اللسان العربي،(مجلة) ، جامعة الدول العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الرباط ،1999 ، ع 47 ، 1982-1983 ، ع 21 .

13- أحمد أمين، ضحى الإسلام،ج2 ، دار الكتاب العربي ، طبعة 1 ، بيروت،(2005) .

14 ، الصوتيات،(مجلة) ،أبحاث الملتقى المغاربي الأول ،جامعة سعد دحلب ،البليدة ،ع3 (2007) .

15 - أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف ، تحقيق وتقديم وتعليق:محسن مهدي، دار المشرق، دون طبعة ، بيروت،(1970).

16- ابراهيم بن مراد، مسائل في المعجم،دار الغرب الإسلامي ، طبعة 1 ، بيروت ،(1997).

17- عبد الحميد الشلقاني، رواية اللغة، دار المعارف، دون طبعة ، مصر،(1971) .

18 - أحمد إقبال الشرقاوي ، معجم المعاجم (تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربية التراثية، دار الغربي الإسلامي، طبعة 2 (مزيدة ومنقحة)، لبنان، (1993) .

19 - عدنان الخطيب، المعجم العربي ، مطبعة الترقي ،دون طبعة ، دمشق ،(1965).

20 - وقائع الندوة العلمية الدولية الثالثة ، جمعية المعجمية العربية ، تونس، 1993، دار الغـرب الإسـلامي ، طبعة 1 ، بيروت (1996) .

21- إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، دار الغـرب الإسلامي، طبعة 1، تونس ، (1993).

22 - زكي رياض قاسم،المعجم العربي ،بحوث في المادة و المنهج و التطبيق ،دار المعرفة طبعة 1، بيـروت ،(1987).

23 - علي القاسمي ، المعجمية العربية بين النظريـة والتطبيـق، مكتبـة لبنـان ، ناشـرون،طبعة1، لبنـان ،(2003).

24 - الخليل بن أحمد الفراهيدي ، معجم العين،ج1 ، تحقيق مهدي المخزومى، ابراهيم السامرائي، دون طبعة، دار الرشيد للنشر، دون بلد ،(1981).

25 - ابن حويلي الأخضر ميدني، المعجم اللغويي العربي من النشـأة إلـى الاكتمـال،دار هومـة، طبعـة1 ، الجزائر، (2003).

26- محمد رشاد الحمزاوي ،النظريات المعجمية العربية وسبلها إلى استيعاب الخطاب العربي، مؤسسات ابـن عبد الله للنشر والتوزيع، دون طبعة ،دون بلد ، دون تاريخ .

27- أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب، طبعة 1، القاهرة،(1995).

28- محمود فهمي حجازي، علم اللّغة العربية، مكتبة غريب، دون طبعة ، القاهرة، دون تاريخ.

29- عبد السميع محمد أحمد، المعاجم العربية، دراسة تحليلية، الكتاب1، دار الكتـب الظاهريـة، دون طبعـة ،دمشق،(1969) .

30- محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث ،دار المعرفـة الجامعيـة ،دون طبعة ،الاسكندرية ،دون تاريخ .

31– سعيد حسن بحيرى، المدخل إلى مصادر اللّغة العربية ،مؤسسة المختار ،طبعة 1، القاهرة ،(2000) .

32– عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، محاضرات ألقاها على طـلاب قسـم الدراسـات الأدبية و اللّغوية، معهد البحوث والدراسات العربية، دون طبعة ،دون بلد ،(1967).

33 – ابن النديم، الفهرست، ج1، تحق جوستيف فليجل، محمد عوني عبد الرؤوف، إيمان السعيد جلال ، شركة الأمل للطباعة والنشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، دون طبعة ،القاهرة ، (2006) .

34 – عزّة حسين غراب، المعاجم العربية ، رحلة في الجذور ،الهوية والتطور، مكتبة نانسي دمياط ، دون طبعة ،دون بلد ،(2005) .

35– حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية ،دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، طبعة 2 ، بيروت ، (1990) .

36 – أبو بكربن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق كرنكو ،طبعة حيدرباد الدكن، دون طبعة ، دون بلد ،(1344ه).

37– جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، المزهر في علوم اللّغة و أنوعها، المجلد 1، ضبطه و صححه فؤاد علي منصور،دار الكتب العلمية ،طبعة 1 ، بيروت ، (1998) .

38– يسرى عبد الغني، معجم المعاجم .دار الجيل ، طبعة 1 ، بيروت ، (1991) .

39– محمد على سلطاني، التذكرة في المعاجم ،

40–إميل يعقوب، المعاجم العربية، بداءتها و تطوّرها، دار العلم للملايين،دون طبعة ، بيروت، دون تاريخ .

41 – شرف الدين على الراجحي، في علم اللغة عند العرب و رأي علم اللغة الحديث ،دار المعرفة الجامعية ،دون طبعة ،الاسكندرية ، دون تاريخ . .

42– التراث العربي، (مجلة فصلية)،اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع77 (1999) ،ع99-100 (2005) ،ع 15-16(1984) .

43– الفارابي،ديوان الأدب ،ج1، تحقيق أحمد مختار عمر، نشر مجمع اللغة العربية،دون طبعة ، القاهرة، (1353ه)

44 - أشرف أحمد حافظ، الاستشهاد بالحديث في المعاجم العربية، دار المعرفة الجامعية، دون طبعة ، الإسكندرية، دون تاريخ .

45- محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الغرب الإسلامي، طبعة1 بيروت (1988) .

46- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة،ج1، حققه وقدم له عبد السلام محمد هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، دار القومية العربية للطباعة،دون طبعة ، دون بلد ، (1964) .

47- رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة و المعجم ، دار غريب للطباعة والنشر ،دون طبعة ،القاهرة ،(2001) .

48 - أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة،ج1، ج2، تحقيق وضبط :عبد السلام محمـــد هـــارون ،دار الفكر ،دون طبعة ، جون بلد ،دون تاريخ .

49- عبد القادر عبد الجليل ،المدارس المعجمية ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، دون طبعة ، عمـــان ، الأردن ، (2000) .

50- محمد رشاد الحمزاوي، المعجم العربي، إشكالات ومقاربات، بيت الحكمة، دون طبعة ، تونس،(1990).

51 - عبد العلي الودغيري، المعجم العربي بالأندلس، مكتبة المعارف الجديدة ، طبعة 1، الرباط ، دون تـــاريخ .

52– أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، أساس البلاغة،ج1 ، تحقيق محمد باسل عيون الســـود، دار الكتب العلمية، طبعة1 ،بيروت ،(1998).

53-أحمد بن سالم بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، طبعة 3، بيروت، لبنان،(1999).

54 - صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، غوامض الصحاح معجم تراثي في معرفة أصول الألفاظ ، تحقيـــق عبد الإله نبهان ، مكتبة لبنان ، ناشرون ،دون طبعة ، لبنان ،دون تاريخ .

55– نشأة ظبيان، حركة الإحياء اللّغوي في بلاد الشام، دار التقدّم، دون طبعة ، دمشق، سوريا، ،(1976)

56 - الحمزاوي، المعجم العربي ، إشكالات و مقاربات ، بيت الحكمة ، طبعة 1 ،قرطاج ، تونس ،(1991) .

57- بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس مطول اللغة العربية، مكتبة لبنان، طبعة 1، بيروت، (1998) .

58- محمد علي الزركان، الجوانب اللغوية عند أحمد فارس الشدياق، دار الفكر، طبعة 1 ، دمشق ، ســـورية ،(1988).

59- عبد العلي الودغيري ، قضايا المعجم العربي في كتابات أبي الطيب الشرقي ، منشورات عكـــاظ ، طبعـــة 1، الرباط ،(1989).

60 - محمد رشاد الحمزاوي ، المعجمية ، مقدمة نظرية ومطبقة ، مصطلحاتها ومفاهيمهـــا ، مركـــز النشـــر الجامعي ،دون طبعة ، تونس ،(2004).

61- حلمي خليل ، دراسات في اللغة والمعاجم ، دار النهضة العربية ، طبعة 1 ، بيروت (1998) .

62 - أحمد فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب ، دون طبعة ، القسطنطينية ، (1881).

63- وقائع ندوة مائويه ، الشدياق ، البستاني ، دوزي ،(مجلة)، جمعية المعجمية العربية ، ،تـــونس،(1986)، دار الغرب الإسلامي ، طبعة 1 ، بيروت ، لبنان،(1987) .

64 - سر الليال في القلب والإبدال ،مطبعة الجوائب ، دون طبعة ،القسطنطينية ، (1284ه).

65– سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد،ج1، طبعة جديدة بلونين في جزأين تشتمل الجزء الأول والثاني والذيل، مكتبة لبنان، طبعة 2، دون بلد، (1992) .

66 - فاطمة بكوش الهاشمي ،نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي ،إيتراك للنشر والتوزيع ،طبعة 1 ، القاهرة ، (2004) ..

67– لويس معلوف، المنجد في اللّغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الجديدة ،مقدّمة الطبعة الأولى.

68 – لويس معلوف،المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، طبعة 17 ،دون بلد ، دون تاريخ .

69– المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، طبعة 1،القاهرة، دون تاريخ .

70- عبد الله العلايلي ،المعجم ، موسوعة لغوية علمية فنية ،دار بيروت ، دون طبعة ،بيروت ، (1954) .

71 – عبد العزيز مطر، في نقد المعاجم والموسوعات ، دار النشر ، دون طبعة ، القاهرة ،(1992) .

72– أحمد محمد قدور ، مدخل إلى فقه اللغة العربية ،دار الفكر المعاصر ،طبعة 2 ،لبنان، (2003) .

73 – عدنان الخطيب ، المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط ، مطبعة الترقي ، دون طبعة ،دمشق،(1965).

74 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، دون طبعة ، القاهرة ، (1994).

75-

76 -سيف الدين الآمدي، المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، تحق حسن محمود الشافعي ، مكتبة وهبة ،دون طبعة ،القاهرة ،دون تاريخ .

77 -الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن، دار الكتاب العربي، دون طبعة ،دون بلد ، دون تاريخ .

78 - محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، دار الكتب العلمية ،طبعة 1 ، بيروت ، (2005) .

79 - نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي، طلبة الطلبة، دار الطباعة العمرة، دون طبعة ،دون بلد ، (1311هـ)

80 - محمد حسن بن عبد العزيز، المصطلح العلمي عند العرب ،تاريخه ومصادره ونظرياته، دار الهاني للطباعة ، دون طبعة ،دون بلد ، (2000) .

81 - أبو حاتم الرازي الاسماعيلي ، كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية، تحق حسين بن فيض الله الهمداني، طبعة2 ، القاهرة، (1957) .

82- جواد حسني سماعنة، المصطلحية العربية بين القديم والحديث، (أطروحة دكتوراه) ، ج2 ، جامعة محمد الخامس ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، (1985،1986) .

83 - أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، القسم 1 ، تحق وتقديم وتعليق: محمد عبد الهادي أبوريدة، مطبعة حسان، طبعة 2 (منقحة ومصححة)،القاهرة ، دون تاريخ .

84- محمد عبد الهادي أبوريدة، الكندي وفلسفته، دار الفكر العربي،دون طبعة ، القاهرة،(1950) .

85 - أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، رسائل في الحكمة والطبيعيات، مطبعة الجوائب، ، طبعة 1 ، قسطنطينية ،(1298ه)

86 - لويس ماسينيون ، تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ، تحقيق: زينب الخضيري ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ،دون طبعة ، دون بلد ،(1991).

87- عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي، شرح كتاب الحدود في النحو، تحقيق: المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، طبعة 2، القاهرة،(1993) .

88 - المعجمية، (مجلة)،الجمعية العربية ، تونس ،ع24 (2008)،ع8(1992) ،ع3(1987) ،ع2(1986) .

89 - عبد العلي الودغيري ، المعجم في المغرب العربي إلى بداية القرن 14 هجري ،مطبعة النجاح الجديدية ،طبعة 1، المغرب ، (2008) .

90- التراث العربي ،(مجلة) ، اتحاد الكتاب العرب، سوريا ،ع77 (1999) .ع100(2005) .

91- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية،ج1، مكتبة بغداد، طبعة بالأوفست، دون طبعة ، دون بلد ، دون تاريخ.

92- محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على أمهات التعاريف ، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكرالمعاصر ، بيروت لبنان ، دار الفكر ، طبعة 1، دمشق سورية ،(1990) .

93 - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قابله على نسخة خطية، وأعده للطبع ووضع فهارسه :عدنان درويش ، محمد المصري، مؤسسة الرسالة ، طبعة 1، بيروت ،(1992).

94- محمد علي الفاروقي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق: لطفي عبد البديع ، ترجمة النصوص الفارسية عبد النعيم محمد حسنين ، مراجعه أمين الخولي ، المؤسسة المصرية العامة ،دون طبعة ، القاهرة ،(1963).

95 - محمد علي التهانوي ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،ج1، تحقيق: علي دحروج ، مكتبة لبنان ، ناشرون ،دون طبعة ، دون بلد، دون تاريخ .

96 - جلال الدين السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن ،ج1 ،عالم الكتب ،دون طبعة ، بيروت ،دون تاريخ .

97 - حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي ، دار النهضة العربية ،دون طبعة ، بيروت ، دون تاريخ .

98 - رياض عبد الحميد مراد، المعاجم العربية، شعبة اللغة العربية، دون طبعة ، دون بلد ،(2001- 2002) .

99 - أشرف محمد علي عبده ، معاجم المجمع المتخصصة ،دراسة في المادة والمنهج ،(رسالة ماجستير)، جامعة القاهرة ،كلية دار العلوم ، قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية ، (2003) .

100- عبد الصبور شاهين، اللغة العربية : لغة العلوم والتقنية ، دار الاعتصام ،دون طبعة ،دون بلد ،دون تاريخ .

101 - وجدي رزق غالي، وحسين نصار ، المعجمات العربية بيلوغرافيا شاملة ومشروحة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دون طبعة ، القاهرة ، (1971) .

102 - علي القاسمي ، المصطلحية ، مقدمة في علم المصطلح ، دار الحرية ،دون طبعة ، بغداد ، (1985).

103 - مصطفى طاهر الحيادرة ، من قضايا المصطلح اللغوي العربي ، الكتاب1 ، الكتاب 2 ،دار النهضة المصرية ، دون طبعة ، القاهرة ، دون تاريخ .

104- أمين المعلوف ، معجم الحيوان ، مج 33 ، ج 10 ،منشورات المقتطف ،دون طبعة ،دون بلد ، (1908).

105- مصطفى الشهابي ، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم و الحديث ، دار صادر ، طبعة 3 ، بيروت ،(1995) .

106 - محمد علي الزركان ، الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث ، دراسة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دون طبعة ، دمشق ،(1998).

107 - محمد شرف ، معجم انجليزي عربي في العلوم الطبية والطبيعية ، المطبعة الأميرية ، ط2،القاهرة ،(1928) .

108- أحمد عيسى ، معجم أسماء النبات ، المطبعة الأميرية ، طبعة 1، القاهرة ،(1349 هـ).

109- مجمع اللغة العربية ، المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،دون طبعة ،دون بلد ،(1983) .

110 - أحمد رضا العاملي ، قاموس رد العامي إلى الفصيح،قاموس رد الكلمات العامية إلى صحيحها أو إلى ما تحتمله من الوجوه ويأتي بمرادفاتها من الفصيح بتحقيق وتدقيق لهما قيمتهما اللغوية،دار الرائد العربي، دون طبعة ، بيروت ، لبنان ، (1981).

111- أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث ، عالم الكتب ، طبعة 1،دون بلد ،(1998).

112- الدراسات المعجمية ، الجمعية المغربية ،ع1(2002) .

113- المسدي ، قاموس اللسانيات، عربي فرنسي فرنسي عربي، مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب ،دون طبعة ،دون بلد،(1984) .

114- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور،لسان العرب، المجلد 10 ، دار صادر، طبعة 3،طبعة جديدة محققة ،بيروت،(2004).

115- حميد مطيع العوضي ، المعاجم اللغوية المعاصرة ، قضاياها النظرية والتطبيقية ،دار ماجد عسيري ،دون طبعة ، السعودية ،دون تاريخ .

116 - الجيلالي حلام ، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة ، اتحاد الكتاب العرب ،دون طبعة ، دمشق ، (1999) .

117 - عبد العزيز المطاد ، مناهج البحث في المصطلح من خلال كتابات الرازي ، مطبعة منشورات المناهج ، طبعة 1، دون بلد ،(1999) .

118 - إبراهيم زكي خورسيد وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، مطبعة كتاب الشعب ، طبعة 2، القاهرة ،(1969) .

119- الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، قاموس المصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تحق ودراسة : محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، دون طبعة ، القاهرة،(2004) .

120- أحمد مختار عمر ، علم الدلالة،عالم الكتب ، طبعة 5، القاهرة ،(1998).

121 - دراسات مصطلحية ،(مجلة)، معهد الدراسات المصطلحية ، فاس ، المغرب ، ع1(2001) ،ع5(2006) .

122- محند الركيك ، قراءة جديدة في المعجمية العربية ، (رسالة دكتوراه) ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ظهر المهراز ،فاس ،(2000) .

123 - علي القاسمي ، علم اللغة وصناعة المعجم ، مطبوعات جامعة الرياض ،دون طبعة ،دون بلد ، (1975) .

124- تواتي لحسن، الرباط، محمد الخامس ، التعريف المصطلحاتي في بعض المعاجم العربية، تعريف المصطلح التداولي أنموذجا ، شبكة صوت العربية .دون طبعة ،دون بلد ،دون تاريخ .

125- مجلة مجمع اللغة ، المجلد 75 ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ، ج 3 (100) .

126- حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، زهراء الشرق، القاهرة، طبعة 1، مصر، (2005) .

127 - ،أبو عبد الودود مصطفى بن بلقاسم شاب الله ، السيل العرم العوام في تجويد كلام الله العـلام بطريـق الأئمة الأعلام، وزارة الشؤون الدينية،طبعة 2، دون بلد ، (2003).

128- أحمد مؤمن،اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعبة، طبعة 3، الجزائر ،(2007) .

129- علاء جبر محمّد، المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، دار الكتب العلميـة، ط1، بيـروت،(2006) .

130 - المهدي بوروبة، المصطلحات الصوتية عند النحاة واللغـويين العـرب (رسـالة ماجسـتير)، جامعـة حلب،قسم اللغة العربية ، (1989) .

131 - محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيـع، دون طبعـة ، القـاهرة، دون تاريخ .

132- المبرز، مجلة فكرية أدبية، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر .ع 16(2002) .

133 - أحمد محمد قدور، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفكـر ، طبعـة مزيدة ومنقحة ، دمشق، (1998) .

134- رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الغانجي،طبعة 2 ،القاهرة،(1998).

135- أبوعمرو عثمان بن قنبر،الكتاب ،ج4 ،ج1، تحقيق:عبد السلام هارون ،دار الجيل ، طبعة 1، بيـروت ، (1991) .

136 - حوليات الجامعة التونسية، تونس، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ع13(1973).

137- ابن جني، سر صناعة الإعراب،ج1، تحقيق حسن الهنداوي، دار العلم، طبعة 1، دمشق، (1985).

138- بثينة أيوب، أحمد محمود المصري، قضايا بلاغية، الوفاء لدينا الطباعة والنشر، طبعة 1 ،الإسـكندرية،(2005) .

139 - رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الغانجي، دون طبعة ،القاهرة، (1985) .

140 - محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ،مكتبة غريب ،دون طبعة ،القاهرة ،دون تاريخ .

141- حسن الرملي، الأصوات عند العرب، دار السلام للطباعة والنشر، دون طبعة ،الاسكندرية ،(2006) .

142 - الطيب دبة، مبادئ اللسانيات النبوية، دراسة تحليلية ابستيمولوجية، المطبوعات الجامعية، دون طبعـة ، الأغواط ، (2004) .

143 - كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر،دون طبعة ، القاهرة، (2000) .

144 - Ferdinand De Saussure, cours de linguistique générale, ENAG/ Edition, , 2ème édition. (1994).

145 - محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، طبعة 1، بيروت، (2004) .

146- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربيـة ،ج2، المؤسسـة الوطنيـة للفنـون المطبعية، دون طبعة ، الجزائر، (2007) .

147- جعفر دك الباب ، النظرية اللغوية العربية الحديثة، اتحاد الكتاب العرب، طبعة 1، دمشق، (1996) .

148 - علي عبد الواحد وافي ،علو اللغة ، نهضة مصر ،طبعة 9 ، دون بلد ، (2004) .

149 - مصطفى بوعناني، أنساق الملامح الصوتية: مبادئ التصنيف الفونيمي ونماذج التنظيـر الفونولـوجي، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللسانيات العربية شعبة اللغة العربية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كليـة الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، المملكة المغربية، (1996-1997) .

150 - عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر "مدخل إلى المناهج الحديث"، المركـز الثقـافي العربي،طبعـة 2،دون بلد ،(1996) .

151- Roman Jokobson et Linda Wauch, la charpente du langage, traduit de Langlais par Alain Kihm, Les éditions de Menuit,(1979).

152-Jean Dubois et autres, dictionnaire de linguistique. librairie Larousse, Edition revus et corrigée, Paris,(1973).

153 - عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، طبعة 1، عمان ، (2002).

155- رايس نور الدين، نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، مطبعة ياسين،دون طبعة ، فاس،(2007) .

156 - أهم المدارسة اللسانية، (مجلة)، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، .1986

157- الفكر العربي، الألسنية، أحدث العلوم اللسانية،(مجلة الإنماء العربـي للعلـوم الإنسـانية)، عـدد8-9 (1979) .

158- رمضان عبد الله، أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، ط1، مكتبة بستان المعرفة، دون طبعـة ، الإسكندرية، (2006).

159- سلمى عبد السلام، الفنولوجيا الوظيفية من خلال كتاب مبادئ الفنولوجيا لتروبتسكوي، بحث لنيل شـهادة الدراسات الجامعية العليا، جامعة سيدي محمد بن عبد اللّه، كلية الآداب والعلوم الإنسـانية، فـاس، المغـرب،(1985 ، 1986) .

160- عبد المعطي نمر موسى، الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى، ، دار الكندي للنشر والتوزيـع، طبعة 1 ، الأردن،(2008) .

161- شرف الدين الراجحي، في علم اللغة عند العرب ورؤي علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعيـة، دون طبعة ،الاسكندرية، دون تاريخ .

162- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج1 ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،وحدة الرغاية، دون طبعة ، الجزائر، (2007) .

163 - أبو الفتح ابن جني، سر صناعة الأعراب،ج1، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، درا القلم، طبعة 1، دمشق، (1995) .

164- الفارابي، الموسيقي الكبير، تحقيق وتقديم وتعليق:محسن مهدي، دارالمشرق، دون طبعة ، بيروت،(1970) .

165- عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر،طبعة 1، لبنان ، (2007).

166- ابن رشد، تلخيص كتاب الشعر، تحقيق تشارلس بثروث، أحمد عبد المجيد هريوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،دون طبعة ،دون بلد، (1987) .

167- محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق : أحمد حسن قرحات، دار الكتب العربية،دون طبعة ،دون بلد، (1973) .

168- أحمد مختار عمر،دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، دون طبعة ، القاهرة، (1997) .

168- ديفيد أبركرومبي، مبادئ علم الأصوات العام، ترجمة وتعليق محمد فتيح،دار النشر ،طبعة 1، القاهرة، (1988) .

170 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، دار النهضة العربية،طبعة 3 ، القاهرة، (1961) .

171 - جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي-عربي، صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية،دون طبعة، تونس، (1966).

172- هنري فليش اليسوعي، العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية،طبعة 1، بيروت، (1966) .

173- فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث ، طبعة 1، دون بلد ، (2004).

174 - ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ترجمة : أحمد مختار عمر، دار النشر، دون طبعة ، طرابلس،(1973).

175 - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، جون طبعة ،دون بلد ،(1981) .

176- محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، (1998) .

177 - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، 1955، دط .

178 - هنري فليش اليسوعي، العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، طبعة 1، بيروت، (1966) .

179- ابن جني، الخصائص،ج2، ج 3، تحق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة، والنشر،دون طبعة ، بيروت، دون تاريخ .

180- حسام البهنساوي، التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004م.

181- تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، الهيئة المصريةالعامة للكتاب،دون طبعة ، القاهرة، (1973) .

182- بريتيل مالمبرج، الصوتيات، ترجمة محمد حلمي هليل، عين للدراسات والبحوث، دون طبعة ،دون بلد ، (1944) .

183- شحدة فارع وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر،طبعة 3 ، الأردن،(2006) .

184 - عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة ،دار صفاء للنشر والتوزيع ،طبعة 1،عماة ، (2002) .

185 - زين كامل الخويسكي، نجلاء محمد عمران، مختارات صوتية ،دار المعرفة الجامعية ،دون طبعة ، الإسكندرية ، (2007) .

186- برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه وعلق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الغانجي،طبعة 2، القاهرة،(1994) .

187 - المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، ع 67 (1999) .

188 - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الأشباه والنظائر،ج3، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، منشورات مجمع اللغة العربية،دون طبعة ،دون بلد ،(1986) .

189 - أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، طبعة 2 ،القاهرة، (1997) .

190 - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في عوم القرآن،ج2، تحقيق: محمد أبو الفصل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، منشورات عيسى البابي الحلبي، دون طبعة ، دون بلد ،(1957) .

191 - محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، دار إحياء الكتب العربية، طبعة 3، دون بلد ، دون تاريخ .

192 - ابن بعيش، شرح المفصل،ج2 ،عالم الكتب، بيروت ، مكتبة المتنبي،دون طبعة ،القاهرة، دون تاريخ .

193 - رضوان السبيعي، النحو العربي، مكتبة الزهراء للطباعة والنشر، طبعة1،الأردن،(1998).

194 - محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار الفكر العربي، دون طبعة ، ،القاهرة،(1962).

195- كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة 2، دون بلد ، (1985) .

196- عبد الله بوخلخال، الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، دون طبعة ، الجزائر،(1993) .

197- جيلالي بن يشو، بحوث في اللسانيات، (المماثلة والمخالفة)، دار الكتاب الحديث ، طبعة 1، القاهرة ،(2006) .

198- محمد يحي سالم الجبوري، مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، دار الكتب العلمية، طبعة 1 ، لبنان،(2006) .

199- محمد عكاشة، أصوات اللغة الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،طبعة 1، دون بلد، ،(2005).

200 - عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع ،طبعة 1 ، الأردن ، (1958) .

201 - محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، المجالات والاتجاهات، الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، القاهرة،(2006) .

202 - رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مكتب الخانجي، دون طبعة ،القاهرة، دار الرفاعي، دون طبعة ، الرياض ، دون تاريخ .